

جامعة البحرين
كليّة الآداب
قسم اللغة العربيّة والدّراسات الإسلاميّة

أسلوب القسم في اللغة العربيّة

دراسة تحليليّة

بحث مقدّم لاستكمال درجة الماجستير

إعداد

الطّالب / جميل موسى مكي عمران

إشراف

الدّكتور / عبدربّه عبداللطيف عبدربّه

1421 هـ – 2000 م

﴿ فلا أقسمُ بمواقعِ النُّجومِ وإنَّهُ لقسمٌ لو تعلمونَ عظيمٌ إنَّهُ لقرآنٌ كريمٌ ﴾ . (الواقعة : 75 - 77)

* * *

﴿ والفجرِ وليالٍ عشرٍ والشَّفعِ والوَترِ والليلِ إذا يسرِ هلْ في ذلكَ قسمٌ لذي حِجرٍ ؟﴾ . (الفجر : 1 - 5)

الإهـداء

إلى أبي العزيز :

إلى الذي أزهر شعلة المعرفة

فأشرق سنا المجد ، وأينع ثمار الفكر

وإلى نظرائه من آباء أمتنا العربية والإسلامية

أقدم هذا الكتاب راجيا أن يكون

لبنة في صرح لغتنا

العربية الخالدة

جميل موسى مكي عمران

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمــة الباحــث :

لقد ذاع القسم في اللغة العربيّة شعراً ونثراً وقرآناً وحديثاً ، وكثر في أقوال العلماء والخطباء ورسائل الأمراء وذوي الشّأن ، وحتّى في كلام عامّة النّاس . وقد تنوّعت تراكيبه وتعدّدت طرائق التّعبير عنه في اللسان العربيّ ، وذلك لما لهذا الأسلوب من وقع نفسيّ تنقاد إليه النّفوس وتهتزّ لوقعه القلوب ، وتأثير اجتماعيّ بالغ حيث جُعل فيصلاً في كثير من القضايا الاجتماعيّة الهامّة ، من هنا كان محطّ اهتمام علماء العربيّة على مختلف اتجاهاتهم من لغويّين ونحويّين وأدباء وبلاغيّين ومفسّرين ، كما كان محطّ اهتمام بالغ عند علماء الشّريعة على اختلاف مذاهبهم لما يترتّب عليه من أحكام ... إلخ .

مسوّغات اختيار الموضوع :

لقد تعدّدت الأسباب والدّوافع التي حملت الباحث على أن يعكف على دراسة أساليب القسم دراسة تحليليّة بفكر علميّ ، وكان من بين أبرز تلك الأسباب :

1) قصور الدّراسات والبحوث السّابقة عن معالجة أساليب القسم معالجة تحليليّة شاملة تستوعب جميع مستويات القسم الدّلاليّة : المعجميّة والصّوتيّة والصّرفيّة والتّركيبيّة والأسلوبيّة .
2) الوقوف على الأسس التّركيبيّة لهذا الأسلوب ، والكشف عن أصول النّماذج القسميّة في العصرين الجاهليّ والإسلاميّ ، وتوضيح خصائصها التّعبيريّة بلوغاً إلى معرفة أصل الأصول في تلك النّماذج .

وقد وقع الاختيار على العصرين الجاهليّ والإسلاميّ على وجه الخصوص ميداناً تطبيقيًا لهذه الرسالة لأمرين :

الأوّل : إنّ نتاج هذين العصرين يشكّل الأساس للاستعمال اللغويّ ، حيث يشكّلان الرّيادة التي انطوت تحتها نماذج القسم اللاحقة ، الأمر الذي يجعلنا أكثر اطمئناناً في تعميم النّتائج .

الثّاني : إنّ تناول نماذج هذين العصرين بالبحث والتّحليل تناولاً تطبيقيًا يتيح لنا أن نقارن بين الاستخدام القسميّ في نماذجه القسميّة السّابقة وبين الاستخدام القسميّ في نماذجه القسميّة اللاحقة ، والكشف عن مدى التّحوّل أو التّطوّر الدّلاليّ في طور ذلك الاستخدام .

وبذلك يكون هذا البحث مشروعاً منهجيًا لدراسة أساليب القسم في اللغة العربيّة دراسة تحليليّة نفقه من خلالها أسلوب القسم ، ونهتدي إلى أسراره التعبيريّة التي تعين على إدراك دلالاته ، وهي غاية تُرجى ومطلب يُراد .

المنهج المتّبع وما تضمّنته الفصول :

تقوم الدّراسة في هذا البحث على أربعة فصول :

الفصل الأوّل – التّطوّر التّاريخيّ للقسم في اللغة العربيّة :

سأتناول في هذا الفصل التّعبيرات القسميّة التي وردت في لغة العرب في الجاهليّة والإسلام مع تقديم شواهد توضّح حقيقة الضّرب الذي تنتمي إليه ، وإبانة الأسباب التي تجعل هذه التّعبيرات أو تلك مستعملة أو مهملةً في عصر معيّن .

الفصل الثّاني – النّماذج القسميّة في العصرين الجاهليّ والإسلامي :

يهدف هذا الفصل إلى معرفة النماذج القسميّة وطرائق التّعبير فيها التي كان يستعملها الإنسان العربيّ عند الحلف بها ، ناشداً معرفة النّموذج الأصل الغالب والسّائد في الاستعمال العربيّ ، وذلك من خلال استنادنا إلى عيّنة بلغ قدرها ألفين ومائتي مثال ضمّت نتاج العربيّة بمختلف أنواعه في العصرين الجاهليّ والإسلاميّ .

الفصل الثّالث – الجملة القسميّة في الدّراسات النّحويّة :

سأتناول في هذا الفصل ما تعرّضت له الدّراسات النّحويّة من آراء وتوجيهات

النّحويّين من حيث مفهوم القسم ، وحروفه ، وعناصره ، وأنواعه ، وموقعه الإعرابيّ ، واجتماعه مع غيره ، والتّغيّرات التي تطرأ عليه كالحذف ، والاعتراض ، والتّقديم والتّأخير ، وقضاياه النّحويّة والإعرابيّة لمختلف تراكيبه ، متابعاً بذلك الدّراسات النّحويّة أينما وَجدتُ إضافةً ، أو خلافاً ، أو تعميقاً لرأي .

الفصل الرّابع – دلالة القسم :

وهو أوسع الفصول ، وقد ضمّ هذا الفصل أربعة مباحث :

المبحث الأوّل – الدّلالة المعجميّة :

سأتناول في هذا المبحث الدّلالة المعجميّة لألفاظ القسم بنوعيه الصّريح وغير الصّريح ، مع محاولة إيجاد العلاقة الرابطة بين الألفاظ الجارية مجرى القسم وبين القسم في دلالته المعنويّة .

المبحث الثّاني – الدّلالة الصّوتيّة والصّرفيّة :

وسأتناول في هذا المبحث حروف القسم صفةً ومخرجاً ، مع محاولة إيجاد علاقة بين أصوات الحروف في ألفاظ القسم الصّريح والأحداث المعبّر عنها . كما سأتناول فيه مجموعة من القضايا الصرفيّة التي تتناول البنية المفردة كالتّجرّد والزّيادة ، والإعلال .

المبحث الثّالث – الدّلالة التّركيبيّة (النّحويّة) :

وسأتناول فيه دراسة النّماذج القسميّة دراسة تركيبيّة بغية الكشف عن العلاقات السّياقيّة بين أجزاء الجملة القسميّة ، كما سأتناول دلالة التّغيّرات التي تطرأ على التركيب القسميّ .

المبحث الرّابع – الدّلالة الأسلوبيّة (البلاغيّة) :

سأتناول في هذا المبحث بعض ما في القسم من أبواب البلاغة

ولطائفها وفوائدها وفرائدها كالصّلة المنعقدة بين المقسم به والمقسم عليه ، آخذاً من علم البيان (الاستعارة ، والكناية ، والتّشبيه) ، ومن علم المعاني (الحذف ، وسنعرض لحذف المقسم عليه في القرآن الكريم) ، ومن علم البديع (المطابقة ، والمقابلة ، والسّجع) .

وفي ختام هذه المقدّمة يفرض عليّ واجب الوفاء والتّقدير والعرفان أن أنوّه بالأستاذ الدكتور عبدربّه عبداللطيف عبدربّه لما بذله من جهد في الإشراف على هذه الرّسالة وتوجيه صاحبها ، فقد تعلّمت على يديه معنى الصّبر في البحث ، ومعنى التّواضع في العلم .

والشكر والتّقدير لكلّ من كانت له يد مساهمة في هذا الموضوع ، واللّه من وراء القصد . واللّه أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يحقّق به النّفع ، إنّه سميع مجيب .

الباحث : جميل موسى مكي عمران

تمهيـــد

تعريف القسم لغةً :

القسم لغةً عبارة عن الجزم بالقول والفصل به توكيداً وإصراراً وإلزام النّفس بشيء لمجابهة جحود الخصم ونكرانه .

وهذا التّعريف يستفاد من المعنى اللغويّ الذي تضافرت عليه حروف القاف والسين والميم كما يرى ابن فارس [1] في كتابه « معجم مقاييس اللغة » : « القاف والسين والميم أصلان صحيحان ، يدلّ أحدهما على جمال وحسن ، والآخر على تجزئة شيء » [2] . وهذا المعنى تكاد تجمع عليه المعاجم العربيّة ، ففي معجم « أساس البلاغة » يقول الزّمخشريّ [3] : « وأقسم باللّه قسماً باطلاً وأقساماً باطلة ، وقاسمهما : حلف لهما ، وتقاسموا باللّه تحالفوا . ومن المجاز : قلبه منقسّم ، ووجهه مقسّم : معطى كلّ شيء منه قسمه من الحسن فهو متناسب . ورجل قسيم وسيم ، بيّن القَسَام والقسامة . وضرب أنفه فقَسَمَهُ أي قطعه نصفين . وقَسَمَ الأرضَ قطعها » [4] . وفي « لسان العرب » يقول ابن منظور [5] : « والتّقسيم : التّفريق ، وقَسَمَهم الدّهر يَقسمهم فتقسّموا أي فرّقهم فتفرّقوا . والقَسَمُ بالتّحريك : اليمين ، والجمع أقسام . وقد أقسم باللّه واستقسمه به وقاسمه : حلف له . وتقاسم القوم : تحالفوا . والقسامة : الجماعة يُقسمون على الشّيء أو يشهدون . والقسامة : اليمين كالقسم . والقسامة : الحُسْن . وأصل القسام : الحُسْن » [6] .

أمّا تعريف القسم في اصطلاح النّحويّين فهو :

جملة إنشائيّة أو خبريّة تُؤكّد بها جملةٌ أخرى بعدها خبريّة أو إنشائيّة موجبة أو سالبة .

وهذا التّعريف يكاد النّحويّون يجمعون عليه ، يقول سيبويه [7] : « اعلم أنّ القسم توكيد لكلامك » [8] . ويقول الزّمخشريّ : « هو جملة فعليّة أو اسميّة تُؤكّد بها

جملة موجبة أو منفيّة »[9] . ويقول ابن عصفور[10] : « فأمّا القسم فهو جملة يؤكّد بها جملة أخرى كلتاهما خبريّة »[11] . ويقول ابن مالك[12] : « القسم جملة يُجاء بها لتوكيد جملة ، وترتبط إحداهما بالأخرى ارتباط جملتي الشّرط والجزاء ، وكلتاهما اسميّة وفعليّة »[13] . ويقول عبّاس حسن : « القسم جملة إنشائيّة جاءت لتأكيد جملة خبريّة بعدها . وهذا هو القسم غير الاستعطافيّ . فإن كانت الثّانية إنشائيّة أيضاً فالقسم استعطافيّ »[14] .

وهكذا نجد أنّ النّحاة قد عرّفوا القسم منطلقين من الغرض الذي جاء لأجله ، وهو التّوكيد الذي مفاده تقوية المعنى الثّابت وتحقيقه وتوثيقه بحيث لا يعرض له شكّ ولا شبهة تقدح في تصديقه . وعلى هذا المعنى اللغويّ والاصطلاحيّ دارت دراسات النّحويّين الذين تناولوه من حيث حروفه وأفعاله ، وجملة القسم ، والمقسم به ، وجملة المقسم عليه .

الدّراسات والبحوث السّابقة التي عالجت موضوع القسم :

إنّ هناك من الباحثين من أفرد القسم بالدّراسة بمؤلّف خاصّ في موضوع معيّن ، ومن هؤلاء :

1) النُّجيرمي[15] **في كتابه « أيمان العرب في الجاهليّة » :**

وهو أوفى ما اطّلعت عليه في موضوعها ، فقد أحاط الباحث – وهو من أعلام القرن الرّابع الهجريّ – في هذا الكتاب الصّغير بالأيمان والصّيغ التي كانت العرب تختارها للحلف بها في العصر الجاهليّ . ولم تقم دراسته على عنصر التّحليل لأساليب القسم بل اقتصر فيه الأمر على ذكر الأيمان وسردها مثلما كانت ترد على ألسنة الجاهليّين .

2) **ابن قيّم الجوزيّة**[16] **في كتابه الموسوم « التّبيان في أقسام القرآن » :**

وهو موضوع مبتكر لم يطرقه – فيما أعلم – أحد قبله وخصّصه بكتاب ، فكان هذا الكتاب رائداً في هذا الموضوع ومجلّياً للغاية . والواقع

أنّ الباحث لم يقتصر في كتابه على القسم في القرآن الكريم من النّاحية اللغويّة والأسلوبيّة (البلاغيّة) ، بل ألمّ بالآيات التي حوت الأقسام فكتب محلّلاً إيّاها فقهاً وحديثاً وطبّاً ، ممّا يدلّ على سعة أفقه العلميّ . وقد اعتمد على أصلين :

الأوّل : فكرة التّوكيد والتّعظيم . فقد تناول الباحث أساليب القسم في القرآن الكريم على أساس فكرة التّوكيد ، فهو يقول مثلاً : « والمقسم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه . فلا بدّ أن يكون ممّا يحسن فيه ذلك ، كالأمور الغائبة والخفيّة إذا أقسم على ثبوتها . فأمّا الأمور الظّاهرة المشهورة ، كالشمس ، والقمر ، والليل ، والنّهار ، والسّماء ، والأرض ، فهذه يُقسم بها ولا يُقسم عليها . وما أقسم عليه الرّبّ فهو من آياته . فيجوز أن يكون مقسماً به ولا ينعكس »[17] .

كما غلب عليه التأثّر بفكرة التّعظيم التي قرّرها أصلاً في كلّ أقسام القرآن أي أنّ القسم القرآنيّ يحمل معنى التّعظيم للمقسم به ، يقول في مقدّمة كتابه : « وهو سبحانه يقسم بأمور على أمور . وإنّما يقسم بنفسه الموصوفة بصفاته ، وآياته المستلزمة لذاته وصفاته . وإقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنّه من عظيم آياته »[18] .

ويقول أيضاً : « والجواب يحذف تارة ولا يراد ذكره ، بل يراد تعظيم المقسم به ، وأنّه ممّا يحلف به »[19] .

الثّاني : أنّ الأقسام كلّها دلالات على المقسم عليه . فقد حاول الباحث تفسير آيات القسم على طريق تظهر به دلالة المقسم به على المقسم عليه ليجتلي من هذا الارتباط والاتحاد أسراراً إعجازيةً ولمحاتٍ بيانيّةً لهذا الأسلوب في القرآن الكريم .

3) **عبدالحميد الفراهيّ[20] في كتابه « إمعان في أقسام القرآن » :**

وقد تصدّى الباحث في بداية هذا الكتاب إلى شبهات ثلاث أوردها بعض الملاحدة على القرآن الكريم في موضوع القسم . يقول : « فاعلم أنّ الشّبهة على أقسام القرآن من وجوه :

(أ) القسم نفسه لا يليق بجلالة ربّنا ، فإنّ الذي يحلف على قوله يُهين نفسه ويضعها موضع من لا معولّ على حديثه ، وقد جاء في القرآن : ﴿ ولا تطع كلّ حلاّف مهين ﴾[21] فجعل الحلف من الخلال المذمومة ، ونهى المسيح الحواريّين عن الحلف مطلقاً فقال لهم : « ليكن قولكم : نعم نعم أو لا لا ولا تحلفوا » .

(ب) القسم في القرآن جاء على أمور مهمّة كالمعاد والتّوحيد والرّسالة ، ولا فائدة فيها للقسم إلاّ للمنكر بها ، فإنّه يطلب الدّليل والبرهان ، والقسم ليس في شيء منه ولا للمؤمن فإنّه قد آمن بها .

(جـ) القسم يكون بالذي عظم وجلّ ، وقد قال النّبيّ ﷺ : « من كان حالفاً فليحلف باللّه أو ليصمت »[22] . فنهى عن القسم بغير اللّه ، فكيف يليق بجلالة ربّنا أن يقسم بالمخلوق لا سيّما بأشياء مثل التّين والزّيتون »[23] .

وقد عرض الباحث لردود كلّ من الإمام الرّازي في الجواب عن هذه الشّبهات ، كما بيّن طريق ابن القيّم في تأويل أقسام القرآن لدفع الشّبهات . وقد حاول هذا الباحث الهنديّ أن يبطل الرّأي السّائد عند العلماء وهو ظنّهم بكون القسم مشتملاً على تعظيم المقسم به على وجه الاطّراد ، وعبّر عن ذلك بقوله : « وذلك هو الظّن الباطل الذي صار حجاباً على فهم أقسام القرآن ومنشأً للشّبهات »[24] . كما بحث في تاريخ القسم وحاجة الناس إليه قديماً وحديثاً وطرائقه المتنوّعة ، وبيّن معاني كلمات القسم ومفهومه الأصليّ ومفاهيمه المتشعّبة الثّلاثة :

الإكرام ، والتّقديس ، والاستدلال ، وقد أسهب الحديث في شرح دلالات القسم الاستدلاليّ . وقد توّج البحث بعقد فصل موجز ذكر فيه بعض ما في القسم من أبواب البلاغة ولطائفها .

4) **كاظم فتحي الرّاويّ في كتابه « أساليب القسم في اللغة العربيّة » :**

وقد تناول فيه أسلوب القسم من النّاحية التّاريخيّة ، حيث جمع فيه مادّة علميّة قيّمة ذات وفرة وتنوّع تناولت أساليب القسم منذ العصر الجاهليّ : نثراً وشعراً ، إلى العصر الإسلاميّ : قرآناً وحديثاً ونثراً وشعراً . ولم تقم دراسته على عنصر التّحليل لأسلوب القسم من كلّ جوانبه حيث اقتصر فيه الأمر على عرض بعض المسائل اللغويّة والنّحويّة الموجودة في كتب النّحو واللغة .

5) **د. عفّت محمد الشّرقاويّ في بحثه « بلاغة القسم في القرآن الكريم » :**

وقد حاول الباحث في هذه الدّراسة الموجزة أن يقدّم تفسيراً بيانيّاً لأساليب القسم يتّفق وإعجاز القرآن الكريم ، انطلاقاً من أنّ القرآن عند العرب معجزة بيانيّة بالدّرجة الأولى . فهو يرى أن أسلوب القسم يمرّ في تطوّره بثلاث مراحل :

الأولى : قسم الشّعيرة .

الثّانية : قسم التّأكيد الجدليّ .

الثّالثة : قسم التّأكيد البيانيّ .

وبذلك يخلص إلى أنّ صيغة القسم في القرآن الكريم هي صيغة بيانيّة ، تسهم في رسم الصّورة الفنيّة للتّعبير عن حقائق وليست صيغة تأكيد مباشرة . يقول : « وفي هذا البحث محاولة جديدة لدراسة أساليب القسم في القرآن الكريم على وجه نرجو به أن تنتقل مباحث أقسام القرآن من مجال التّأكيد المنطقيّ أو التّعليل الكلاميّ المحض إلى مجال التّفسير البيانيّ بحيث يصير

أسلوب القسم القرآنيّ صيغة فنيّة تعتمد على إيحاءات ماهيّات المعاني ودلالاتها بين طرفي القسم ، وهي إيحاءات مقصودة في التّعبير القرآنيّ في كلّ حال . وبذلك تصبح قضيّة السّياق هي المحور الأساسيّ في تفسيرنا التّحليليّ لأساليب القسم في القرآن الكريم »[25] .

ومن الباحثين من أولى موضوع القسم عناية وعالجه من جانب معيّن ، ولكنّه لم يفرده بالدّراسة بل أدرجه ضمن موضوعات أخرى في مصنّف ، ومن هؤلاء :

1) الزّركشيّ[26] في كتابه « البرهان في علوم القرآن » .
2) السّيوطيّ[27] في كتابه « الإتقان في علوم القرآن » .
3) د. بنت الشّاطىء في كتابها « التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم » .
4) محمد عبدالخالق عضيمة في كتابه « دراسات لأسلوب القرآن الكريم » .

ومع تلك العناية بدراسة القسم أو التّأليف فيه إلاّ أنّ الدّارسين والمعلّقين والمعقّبين عليه جاءت دراساتهم متفرّقة مبثوثة هنا وهناك ، وخير مثال على ذلك النّحويّون الذين كانوا أكثر النّاس تناولاً له . أمّا المؤلّفون فيه فقد اقتصرت دراساتهم إمّا على فترة زمنيّة معيّنة كما فعل النّجيرمي ، أو على جانب معيّن كما فعل ابن قيّم والزّركشيّ والسّيوطيّ والفراهيّ وبنت الشّاطىء وعضيمة والشّرقاويّ ، أو على دراسة تاريخيّة مع معالجة لغويّة ونحويّة لم تختلف عن معالجة اللغويّين والنّحويّين السّابقين كما فعل كاظم الرّاويّ في عام 1977 م .

من هذا المنطلق المعرفيّ جاء التفكير لعمل بحث متكامل يقوم على معالجة تحليليّة تستوعب جميع مستويات القسم الدّلاليّة : المعجميّة والصّوتيّة والصّرفيّة والنّحويّة (التّركيبيّة) والأسلوبيّة (البلاغيّة) .

هوامش التّمهيد

1) **ابن فارس** : هو أحمد بن فارس بن زكريا بن محمّد بن حبيب أبو الحسين اللغويّ القزوينيّ . كان نحويًا على طريقة الكوفيّين . وكان شافعيًا ، فتحوّل مالكيًا . صنّف : المجمل في اللغة ، ومقاييس اللغة ، وكفاية المتعلّمين في اختلاف النّحويّين ، والإتباع والمزاوجة ، وغير ذلك . توفّي سنة 395هـ بالرّي ودُفن بها . انظر : معجم الأدباء لياقوت الحمويّ (1 : 533) وبغية الوعاة للسّيوطيّ (1 : 352) .

2) معجم مقاييس اللغة:مادّة (ق س م) (5 : 86) .

3) **الزّمخشريّ** : هو محمود بن عمر بن محمّد بن أحمد الزّمخشريّ أبو القاسم جار اللّه ، كان إماماً في التّفسير والنّحو واللغة والأدب ، واسع العلم كبير الفضل متفنّنًا في علوم شتّى ، معتزليًا قويًا في مذهبه ، مجاهراً به حنفيًا . ولد سنة 467 هـ بزمخشر . وله من التّصانيف : الكشّاف في التفسير ، والمفصّل في النّحو ، وصميم العربيّة ، أساس البلاغة في اللغة ، وشرح كتاب سيبويه ، وشرح الفصيح ، وغير ذلك توفّي سنة 538 هـ بقصبة خُوَارزمَ ليلة عرفة . انظر : معجم الأدباء لياقوت الحمويّ (5 : 489) وبغية الوعاة للسّيوطيّ (2 : 279) .

4) أساس البلاغة : مادّة (ق س م) (2 : 251) .

5) **ابن منظور** : هو محمّد بن مكرّم بن عليّ بن أحمد ابن أبي القاسم بن حقّة ابن منظور الأنصاريّ الإفريقيّ المصريّ . صاحب لسان العرب في اللغة ، الذي جمع فيه بين التّهذيب والمحكَم والصّحاح وحواشيه والجمهرة

والنّهاية .ولد سنة 630 هـ . وكان فاضلاً في الأدب ، مليح الإنشاء ، عارفاً بالنّحو واللغة والتّاريخ والكتابة . توفّي سنة 711 هـ . انظر : بغية الوعاة للسّيوطيّ (1 : 248) .

6) لسان العرب : مادّة (ق س م) (5 : 3628) .

7) **سيبويه** : هو عمرو بن عثمان بن قنبر إمام البصريّين سيبويه أبو بشر . وسيبويه لقب ومعناه رائحة التّفّاح . يقال : كانت أمّه تُرقّصه بذلك في صغره . وقيل : كان من يلقاه لا يزال يشُمُّ منه رائحة الطّيب ، فسُمّي بذلك . وأصله من البيضاء من أرض فارس ومنشؤه البصرة . وأخذ النّحو والأدب عن الخليل بن أحمد ، ويونس بن حبيب ، وأبي الخطّاب الأخفش ، وعيسى بن عمر . وكان المبرّد يقول لمن أراد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه : هل ركبت البحر ! تعظيماً واستصعاباً لما فيه . توفّي بشيراز سنة 180 هـ ، وقيل : بالبصرة سنة 161 هـ . انظر : معجم الأدباء لياقوت الحمويّ (4 : 499) وبغية الوعاة للسّيوطيّ (2 : 229) .

8) الكتاب (3 : 104) .

9) شرح المفصّل (9 : 90) .

10) **ابن عصفور** : هو عليّ بن مؤمن بن محمّد بن عليّ أبو الحسن بن عصفور النّحويّ الحضرميّ الإشبيليّ . حامل لواء العربيّة في زمانه بالأندلس . ومولده سنة 597 هـ . صنّف : الممتع في التّصريف ، والمقرّب ، وشرح الجُزوليّة ، ومختصر المحتسب ، ثلاثة شروح على الجمل ، شرح الأشعار السّتّة ، وغير ذلك . توفّي سنة 663 هـ . انظر : بغية الوعاة للسّيوطيّ (2 : 210) .

11) شرح جمل الزّجّاجيّ (1 : 520) .

12) **ابن مالك** : هو محمّد بن عبدالله بن عبدالله بن مالك العلاّمة جمال الدين أبو عبدالله الطّائيّ الجيّانيّ الشّافعيّ النّحويّ . ولد سنة 600 هـ . كان إماماً في القراءات واللغة والنّحو والتّصريف ، وكان نظم الشّعر سهلاً عليه ، هذا مع ما هو عليه من الدّين المتين ، وصدق اللّهجة ، وكمال العقل ، والوقار والتّؤدة . أقام بدمشق يصنّف ويشتغل ، ومن تصانيفه : شرح الكافية الشّافية ، والفوائد في النّحو ، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، وكتاب الخلاصة (الألفيّة) ، وشواهد التّوضيح والتّصحيح لمشكلات الجامع الصّحيح ، وغير ذلك . توفّي سنة 672 هـ . انظر : بغية الوعاة للسّيوطيّ (1 : 130) .

13) شرح الكافية الشّافية (2 : 834) .

14) النّحو الوافي (2 : 461) .

15) **النُّجيرميُّ** : هو إبراهيم بن عبداللّه النّجيرميّ أبو إسحاق النّحويّ اللغويّ . كان مُقامه بمصر ، وقد عاصر كافور الإخشيديّ فصار كاتباً له . والنُّجيرميّ نسبة إلى نُجَيْرِمَ ، ويقال : نَجارِمُ ، وهي مَحلّة بالبصرة . وقيل : نُجيرمُ قرية كبيرة على ساحل بحر فارس . وكان شيخاً قد نَيُّفَ على الثّمانينَ ، في سنة أربعمائة . انظر : معجم الأدباء لياقوت الحمويّ (1 : 127) وتاريخ الأدب العربيّ لبروكلمان (2 : 276) .

16) **ابن قيّم الجوزيّة** : هو محمّد بن أبي بكر بن أيّوب بن سعيد بن حريز الزُّرعيّ الشّمس ابن قيّم الجوزيّة الحنبليّ . ولد سنة 691 هـ . من الأئمّة الكبار في التّفسير والحديث والفروع والأصلين والعربيّة . وله من التّصانيف : زاد المعاد ، والكافية الشّافية ، ومعاني الأدوات والحروف ، وبدائع الفوائد ، والتّبيان في أقسام

القـــرآن ، وغـيـر ذلك . توفّي سنة 751 هـ . انظر : بغـيـة الوعـاة للسّـــيوطيّ (1 : 62) .

17) التّبيان في أقسام القرآن (ص 20) .

18) المصدر السّابق نفسه (ص 19) .

19) المصدر السّابق نفسه (ص 29) .

20) **عـبـدالحـمـيـد الفـراهيّ** : هو رئيس لجنـة المديرين لدار المصنّفين بمدينة أعظم گره بالـهند . وله من التّصـانيف : تفسـير نظام القـرآن ، وأسـاليب القـرآن ، وأسـبـاب النّزول ، وتاريخ القـرآن ، وأوصـاف القـرآن ، والنّاسخ والمنســوخ ، ومـفـردات القـرآن ، وأصـول التّأويل ، وإمـعـان في أقـسـام القرآن ، وغير ذلك . توفّي سنة 1930 م .

21) سورة : القلم . آية : 10 .

22) صحيح البخاري : كتاب الأيمان والنّذور (4 : 151) .

23) إمعان في أقسام القرآن (ص 4) .

24) المصدر السّابق نفسه (ص 13) .

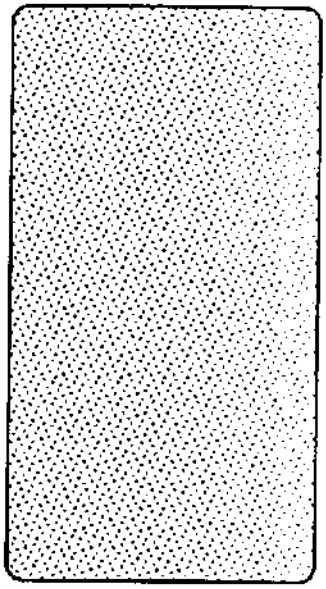
25) بلاغـة القـســم في القـرآن الكريم (ص 8) ، وهو بحــث مـرقـون عندي نسخة منه .

26) **الزّركشيّ** : هو مـحـمّـد بن بهـادر بن عـبـدالله الزّركشيّ ، بدر الدّين أبو عبدالله ، ولد سنة 745 هـ ، تركيّ الأصل ، مصريّ المولد والوفاة . يعدّ من العلمـاء الأصـوليّين في فقـه الشّـافـعيّـة ، وأديباً فـاضـلاً . صنّف : البـحـر المحيط ، والبـرهـان في علوم القـرآن ، وتشنيف المسـامـع بجمع الجـوامع ، وتفسير القـرآن ، وغيـر ذلك . توفّي سنة 794 هـ . انظر : مـقـدّمة البـرهـان في علوم القرآن (1 : 11) .

27) **السّيوطيّ** : هو جلال الدّين عبدالرحمن بن الكمال بن محمّد بن سابق الدّين ابن الفخـر عثمان بن ناظر الدّين مـحمّد بن سيف الدّين خـضـر بن نجم الدّين أبي الصّلاح أيّوب بن ناصر الدّين مـحمّـد بن الشّيخ همـام الدّين الخضـيريّ

الأسيوطيّ . ولد سنة 849 هـ بأسيوط . ظلّ طوال عمره مشتغلاً بالتّدريس والفتيا ، وبلغت كتبه ثلاثمائة كتاب في التّفسير والقراءات والحديث والفقه والعربيّة والآداب ممّا يدلّ على علمه الغزير وسعة اطلاعه . وله من التّصانيف : الإتقان في علوم القرآن ، والدّرّ المنثور في التّفسير بالمأثور ، ومعترك الأقران في مشترك القرآن ، وشرح شواهد المغني ، وبغية الوعاة ، وغير ذلك . توفّي سنة 911 هـ . انظر : مقدّمة شرح شواهد المغني (1 : 7) وتاريخ آداب اللغة العربيّة (2 : 239) .

الفـصل الأول



التّطوّر التّاريخيّ للقسم في اللغة العربيّة

الفصل الأوّل
التطوّر التّاريخي للقسم في اللغة العربيّة

قبل أن نشرع في تفصيل القول في هذا الموضوع نودّ هنا أن نبيّن شيئاً : هو أنّ اللغة كائن حيّ ؛ لأنّها تحيا على ألسنة المتكلّمين بها وهم من الأحياء ، فهي لذلك تتغيّر بفعل الزّمن . وهذا التغيير لا يكون تامّاً إطلاقاً ، فكثيراً ما تبقى الصّيغ القديمة إلى جانب الصّيغ المستحدثة . كما أنّ اللغة تتطوّر على ألسنة المتكلّمين بها فينشأ من هذا التطوّر صراع واختلاف بين لغة عصر والعصر الذي سبقه . وبعد فترة يصبح قديماً ما كان بالأمس جديداً فيتصارع مع جديد آخر وتضمحلّ لغة العصر الأسبق أو تندثر . غير أنّ كلّ جديد لا يظهر فجأة ، ولا يُقضى على القديم بين يوم وليلة ، بل يظلّ الصّراع بينهما لفترة قد تطول أو تقصر ، غير أنّ الانتصار يكون في النّهاية غالباً للشكل الجديد [1] . بيد أنّ تعبيرات كُتب لها صفة الخلود والبقاء وتوافر لها ما لم يتوافر لغيرها من العناية والرّعاية ؛ وذلك لارتباطها بالقرآن الكريم . وقد بدأت هذه الظاهرة الأسلوبيّة في التطوّر في عصر التنزيل بشكل ملحوظ وجليّ . ولعلّ تغيّر المعتقد الدينيّ هو السبب الرئيس لذلك التغيّر والتّطوّر بين العصرين السّابق واللاحق ، فقد انعكس ذلك على طبيعة الأسلوب من حيث الصّوغ والدّلالة : قَسَماً ، ومُقْسَماً به ، ومُقْسَماً عليه . وقد شاع في الاستعمال العربيّ تعبيرات قسميّة مختلفة ومتنوّعة في أسلوب القسم . وبالتأمّل والنّظر في هذه التعبيرات وجدنا أنّها تتوزّع إلى أربعة أضرب :

الأول : تعبيرات وردت في الجاهليّة ، وأقرّت على دلالتها السّابقة في الإسلام .

الثّاني : تعبيرات استعملت في الجاهليّة ، وألغيت في الإسلام .

الثالث : تعبيرات لم تكن واردة في الجاهليّة ، واستُحدثت في الإسلام .

والرابع : تعبيرات تعدّدت وتطوّرت دلالتها القسميّة في الجاهليّة والإسلام .

وقد اكتفينا بإعطاء أمثلة تمثيلاً لا حصراً تُعين على إيضاح ومعرفة الضّرب الذي تنتمي إليه .

أولاً - التّعبيرات التي وردت في الجاهليّة ، وأقرّت على دلالتها السّابقة في الإسلام :

جرت على ألسنة العرب في الجاهليّة تعبيرات قسميّة قد طال الأمد على كثير منها ، فألفوا استعمالها وضمّنوها نثرهم وشعرهم فصارت جزءاً من لغتهم ، وربّما نسوا أصولها في كثير من الأحيان ، وكما استعملت في الجاهليّة استعملت في الإسلام أيضاً شكلاً ومضموناً ، فأقرّت على دلالتها السّابقة قرآناً وحديثاً ونثراً وشعراً ، منها : القسم ، الحلف ، اليمين ، الإيلاء والائتلاء والتألّي والأليّة ، لعمري ولعمرك وعمرك اللّه ، قعدك اللّه وقعيدك اللّه ، أجدّك ووجدّك ، لا جرم ، أنشدُ اللّه ونشدتك باللّه ، باللّه ووالله وتاللّه وللّه ومن اللّه ... إلخ . ولو بحثنا عن السّبب الكامن الذي جعل هذه التعبيرات تحيا على ألسنة المتكلّمين بها في الجاهليّة والإسلام لوجدنا عنصر التّوافق البيئي اللغويّ للعصرين السّابق واللاحق . ولا يطّرد تعبير في بيئة ما إلاّ إذا كان متوافقاً ومنسجماً مع الظروف والتقاليد السائدة في تلك البيئة . ولمّا كان هناك توافق في البيئة اللغويّة في العصر الجاهليّ والعصر الإسلامي ، رأينا تلك التعبيرات سائدة مطّردة في كلا العصرين في الشكل والمضمون . وسأنتقي من بين هذه التّعبيرات بعضها لعرضها بشكل مفصّل يجلو لنا حقيقة هذا الضّرب في سلسلة التطوّر التاريخي للقسم :

أ) (القسم) :

أمّا في الجاهليّة فيقول النّجيرميّ : « يقولون : « قسماً لأفعلنّ ذاك »[2] ، وقالوا : « أقسمُ باللّه » وأصله أنّه وصلٌ باللّه تعالى إلى قسم من الأقسام حلف به ، ثم كثر هذا واتسع »[3] . وأقسم سواد بن قارب الدّوسي[4] : « أقسمُ بالضياء والحلك ، والشروق والدّلك »[5] . ويقول أيضاً : « أقسمُ بنفنف اللوح ، والماء المسفوح ، والفضاء المندوح ، لقد خبّأتُ زَمَعَةً طَلاً أعفر ، في زَعنفة أديم أحمر ، تحت حِلْس نضو أدبر »[6] . ويقول أيضاً : « أقسم بالأرض والسماء ، والبروج

والأنواء ، والظلمة والضياء ، لقد خبّأت دِمَّةٌ في رِمّة تحت مشيط لِمّة »[7] . ومن قسم الكاهنة عفيراء[8] : « أقسمُ برافع السّماء ، ومنزل الماء من السّماء ، إنّه لمطِلُّ الدّماء ، ومُنَطِّق العقائل نُطُقَ الإماء »[9] . يقول قُس بن ساعدة الإيادي[10] : « ويُقسمُ قُسٌّ قَسَماً إنَّ للّه لديناً هو أرْضَى من دينكم هذا »[11] .

يقول امرؤ القيس[12] :

وأقسمُ لو شيء أتانا رسولُه ... سواك ولكن لم نجدْ لك مدفعاً[13]

ويقول طرفة[14] :

كقنطرة الرّومي أقسَمَ ربُّها ... لتكتنفنْ حتّى تشاد بقرمدِ[15]

ويقول زهير[16] :

فأقسمتُ بالبيت الذي طاف حولَهُ ... رجالٌ بنوه من قريش وجرهم[17]

ويقول الأعشى[18] :

يُقسمُ باللّه لئن جاءَه ... عنّي أذىً من سامع خابرِ[19]

أمّا في الإسلام فقد ورد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة ومن ذلك :

قوله تعالى : ﴿ وأقسموا باللّه جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمننّ بها ﴾[20] .

وقوله تعالى : ﴿ أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم اللّه برحمة ﴾[21] .

وقوله تعالى : ﴿ وقاسمهما إنّي لكما لمن النّاصحين ﴾[22] .

وقوله تعالى : ﴿ فيقسمان باللّه إن ارتبتم لا نشتري به ثمناً ﴾[23] .

وقوله تعالى :﴿ قالوا تقاسموا باللّه لنبيتنّه وأهله ﴾[24] .

وقوله تعالى : ﴿ فلا أقسم بربّ المشارق والمغارب إنّا لقادرون ﴾[25] .

وجاء في نهج البلاغة[26] : « وإنّي أقسم باللّه قسماً صادقاً لئن بلغني أنّك خنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً لأشدنّ عليك شدّة تدعك قليل الوفر ، ثقيل

الظّهر ، ضئيل الأمر »[27] . وجاء في النّهج أيضاً : « فأقسمُ ثمّ أقسمُ لتنخمنّها أميّة من بعدي كما تلفظ النّخامة »[28] .

ويقول زياد بن أبيه[29] : « وإنّي أقسمُ باللّه لآخُذَنَّ الوليّ بالمولى ، والمقيم بالظّاعن ، والمقبل بالمدبر ، والصّحيح بالسّقيم ، حتّى يلقى الرّجلُ منكم أخاه فيقول : انْجُ سَعد فقد هلك سعيد ، أو تستقيم لي قَنَاتُكم »[30] .

يقول حسّان بن ثابت[31] :

أقسمتُ أنساها وأتركُ ذكرها ... حتّى تُغَيَّبَ في الضّريح عظامي[32]

وقال كثيّر[33] :

فأقسمُ لو أتيتُ البحر يوماً ... لأشربَ ما سَقَتْني من بُلالِ

وأقسمُ أنّ حبَّكِ أمَّ عمرو ... لدى جنبي ومُنْقَطَعِ السُّعالِ[34]

وقال الصلتان العبدي[35] :

فأقسمُ لا آلو عن الحقّ بينهم ... فإنْ أنا لم أعدلْ فقلْ أنتَ ضالعُ[36]

وقالت ليلى الأخيليّة[37] :

وأقسمتُ لا أنفكُّ أبكيكَ ما دعتْ ... على غصنٍ ورقاءُ أو طارَ طائرُ[38]

ب) (الحلف) :

- أمّا في الجاهليّة فيقول الفرّاء[39] : « إنّ العرب تقول : لأحْلِفُ باللّه ليكوننّ كذا أو كذا ، يجعلونه (لاماً) بغير معنى (لا) »[40] . ويقول النجّيرمي : « قالوا : « حلَفَ بالغموس » أي بيمين تغمسه في الإثم[41] . وقالوا : « حلْفَةٌ جلواء » أي ينجلي بها الحقّ وينكشف[42] . ويقال : « حلَفَ حلْفاً ؛ وحلْفَةً واحدة »[43] . وقال الكاهن سطيح الذّئبي[44] : « أحلف بما بين الحرّتين من حنش ، ليهبطنّ أرضكم الحبش ، فليملكنّ ما بين أبين إلى جرش »[45] . وقال الكاهن شِقّ أنمار[46] : « أحْلِفُ بما بين الحرّتين من إنسان ، لينزلنّ أرضكم

السّودان ، فليغلبنّ على كل طَفْلَةِ البنان ، وليملكنّ ما بين أبين إلى نجران »[47] .

يقول امرؤ القيس :

إنّي حلفتُ يميناً غيرَ كاذبةٍ ... إنَّكَ أقْلَفُ إلاّ ما جَنَى القَمَرُ[48]

ويقول عنترة[49] :

حلفتُ لهم والخيل تَرْدِي بنا معاً ... نفارقهم حتّى يَهِرُّوا العَوَالِيَا[50]

ويقول النّابغة الذّبياني[51] :

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً ... وليس وراء اللّه للمرء مطلبُ

لئن كنت قد بُلِّغتَ عنّي خيانةً ... لمبلغك الواشي أغَشُّ وأكذبُ[52]

ويقول الأعشى :

حلفتُ بربِّ الرّاقصات إلى منى ... إذا مَخْرَمٌ جَاوَزْنَهُ بعد مخرمِ

لئن جَدَّ أسبابُ العداوةِ بيننا ... لَتَرتحلنْ منّي على ظهْر شَيْهَمِ[53]

ويقول حاتم الطائي[54] :

وتواعَدوا وِرْدَ القُريَّةِ غُدْوَةً ... وحلفتُ باللّه العزيزِ لَنُحْبَسُ[55]

أمّا في الإسلام فقد ورد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة ومن ذلك :

قوله تعالى : ﴿ ويحلفون باللّه إنّهم لمنكم وما هم منكم ولكنّهم قوم يفرقون ﴾[56] .

وقوله تعالى : ﴿ يحلفون باللّه ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر ﴾[57] .

وقوله تعالى : ﴿ يوم يبعثهم اللّه جميعاً فيحلفون له ﴾[58] .

وقوله تعالى : ﴿ وليحلفنّ إن أردنا إلاّ الحسنى ﴾[59] .

وجاء في نهج البلاغة : « يقول اللّه سبحانه : « فبي حلفتُ لأبعثنّ على أولئك فتنة تترك الحليم فيها حيران ، وقد فعل »[60] . وجاء في النّهج أيضاً : « وإذا

حلف باللّه الذي لا إله إلاّ هو لم يعاجل ؛ لأنّه قد وحّد اللّه تعالى »[61] .

يقول حسّان بن ثابت :

إنّي حلفتُ يميناً غـيـر كـاذبة ... لو كان للحارث الجفنيّ أصحابُ[62]

ويقول أيضاً :

إذا رأيتَ راعـيـين في غَنَمْ ... أسَـيِّـديـنِ يحلفـانِ بِنُهَمْ

بينهـمـا أشـلاءُ لحمٍ مُـقْـتَـسَمْ ... من بطنِ عَمقٍ ذي الجَليلِ والسلَّمْ[63]

ويقول أبو الطَّمَحَان الأسدي[64] :

وبالحـيرة البـيضـاء شيخٌ مسلّطٌ ... إذا حـلـف الأيمـانَ بـاللّـه بَـرَّتِ

لقـد حلقـوا منهـا غُـدافـاً كـأنّه ... عناقيدُ كَرْمٍ أينعتْ فـاسبكرّتِ[65]

ويقول الكميت[66] :

حلفتُ بربِّ النّاسِ مـا أمُّ خـالدٍ ... بأمّك إذْ أصـواتُنا الهَلُ والـهَبُ[67]

ويقول كثيّر :

حلفتُ بربِّ الرّاقـصـاتِ إلى منى ... يغـولُ البلادَ نصُّهـا ونميلُهـا[68]

جـ) (اليمين) :

أمّـا في الجاهليّـة فيقول النجّيرمـي : « ومنهـا قولهم : « يمين اللّه لقد كـان كـذا » و « ايمن اللّه » و « ايم اللّه » و « م اللّه لقـد كـان ذاك » . وقـال يونس النّحوي[69] : أهل اليمامة يقولون : « أمُ اللّه » وقال آخرون : « أيمن اللّه ، وأيمن الكعبة » كأنّه جمع يمين »[70] .

يقول امرؤ القيس :

فـقلتُ : يمينُ اللّهِ أبرحُ قـاعـداً ... ولو قَطَعُوا رأسي لديكِ وأوصالي[71]

ويقول أيضاً :

فـقـالت : يمينُ اللّهِ مـالكَ حـيلةٌ وما إنْ أرى عنك الغوايةَ تنجلي [72]

ويقول زهير :

يميناً لنعم السَّيِّدانِ وُجدتما على كلِّ حالٍ من سحيلٍ ومُبْرَمِ [73]

ويقول الأعشى :

كـلاَّ يمينُ اللّه حـتّى تنزلوا من رأس شاهقة إلينا الأسْوَدَا [74]

لنقـاتلنّكمُ على مـا خـيّلتْ ولنجـعلنّ لمن بغى وتَمَـرَّدَا

أمّا في الإسلام فقد ورد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة ومن ذلك :

قوله تعالى : ﴿ وأقسموا باللّه جهد أيمانهم لا يبعث اللّه من يموت ﴾ [75] .

وقوله تعالى : ﴿ أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إنّ لكم لما تحكمون ﴾ [76] .

وممّا ورد في الحديث الشريف قوله ﷺ : « وايمُ اللّه ما علمتُ على أهلي من سوء » [77] . وقوله : « وايمُ الذي نفسُ محمد بيده لو قال : إن شاء اللّه لجاهدوا في سبيل اللّه فرساناً أجمعون » [78] . وقوله أيضاً « وايمُ اللّه إن كان لخليقًا للإمارة » [79] .

يقول عمر رضي اللّه عنه : « وايمُ اللّه إنّهم لَيرونَ أنْ قد ظَلَمْتُهُمْ ، إنّها لَبِلادُهُمْ ومياهُهُمْ ، قَاتَلُوا عليها في الجاهليّةِ ، وأسلموا عليها في الإسلامِ » [80] .

وجاء في نهج البلاغة : « وايم اللّه لأفرطنّ لهم حوضاً أنا ماتحه لا يصدرون عنه ، ولا يعودون إليه » [81] .

وجاء في النّهج أيضاً : « وايم اللّه لأبقرنّ الباطل حتّى أخرج الحقّ من خاصرته » [82] .

وقال معاوية [83] : « فايم اللّه لأرمينّك بشهاب تذكيه الريح ولا يُطفئه الماء » [84] .

وقال زياد بن أبيه : « وايم اللّه إنّ لي فيكم لصَرْعَى كثيرة ، فليحذر كلّ امرىء منكم أن يكون من صرعاي »[85] .

يقول حسّان بن ثابت :

إنّي وربِّ المخيَّسات ومَا ... يَقْطَعْنَ من كلِّ سَرْبَخٍ جَدَدِ

والبُدْنِ إذْ قُرِّبتْ لمنحرها ... حِلْفَةَ بَرٍّ اليمين مُجْتَهِدِ[86]

ويقول عبدالرحمن بن حسّان[87] :

فلا ويمينُ اللّهِ ما عن جنايةٍ ... هجرتُ ولكنَّ الظّنينَ ظنينُ[88]

ويقول نُصيب بن رباح[89] :

فقال فريقُ القوم لمّا نشدتُهم : ... نَعَمْ ، وفريقٌ : لَيْمُنُ اللّهِ لا ندري[90]

د) (الإيلاء والائتلاء والتألّي والأليّة) :

أمّا في الجاهليّة فيقول النجّيرميّ : « يقال : آلى فلان يؤلي إيلاء . قال : والاسم الأليّة . فإذا قيل : آلى يفعل ، وآليت أفعل ، فهو قسم على ترك الفعل ، لأنّ اليمين بمنزلة النفي للفعل حتّى يأتي باللام التي هي آلة للقسم ، كقولك : آليت لأفعلنّ . وكذلك قولك : واللّه أفعل ، وأقسمت أفعل . وهذا ممّا يغالط به ويجوز على كثير من النّاس »[91] .

يقول امرؤ القيس :

ويوماً على ظهر الكثيبِ تعذّرتْ ... عليَّ وآلتْ حلفةً لم تَحَلَّلِ[92]

ويقول طرفة :

فآليتُ لا ينفكُّ كَشْحي بطانةً ... لعضبٍ رقيقِ الشّفرتينِ مُهَنَّدِ[93]

ويقول الأعشى :

فآليتُ لا أرثي لها من كَلالَةٍ ... ولا مِنْ حَفًى حتّى تزورَ محمّداً[94]

ويقول بلعاء بن قيس الكناني[95] :

وفارسٍ في غمار الموت منغمسٍ إذا تَألَّى على مكروهةٍ صَدَقَا[96]

ويقول زيد الفوارس[97] :

تألَّى ابن أوسٍ حلفةً لَيَردُّني على نِسْوةٍ كأنهنَّ مَقَائِدُ[98]

ويقول ثعلبة بن عمرو[99] :

فأقسمَ باللّهِ لا يأتلي وأقسمتُ إنْ نلتُه لا يؤوبُ[100]

أمّا في الإسلام فقد ورد في القرآن الكريم في موضعين هما :

قوله تعالى : ﴿ للذين يؤلون من نسائهم تربصّ أربعة أشهر ﴾[101] .

قال الزمخشري : « قد ضُمِّن في هذا القسم المخصوص معنى البعد ، فكأنّه قيل : يبعدون من نسائهم مؤلين أو مقسمين . والإيلاء من المرأة أن يقول : واللّه لا أقربك أربعة أشهر فصاعداً على التقليد بالأشهر ، أو لا أقربك على الإطلاق »[102] . وقال الرّاغب[103] : « وجعل الإيلاء في الشرع للحلف المانع من جماع المرأة »[104] . وكيفيّة هذا الحلف وأحكامه مختصّة بكتب الفقه .

وقوله تعالى : ﴿ ولا يأتَلِ أولو الفضل منكم والسَّعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكينَ والمهاجرينَ في سبيل اللّه ﴾[105] . قال الفرّاء : « والائتلاء : الحلف . وقرأ بعض أهل المدينة : « ولا يتألَّ أولو الفضل » وهي مخالفة للكتاب ، من تألّيت »[106] . وقال الزمخشري : « هو من (ائتلى) إذا حلف : افتعال من الألِيّة . وقيل من قولهم : ما ألوت جهداً ، إذا لم تدخّر منه شيئاً . والمعنى : لا يحلفوا على ألا يحسنوا إلى المستحقين للإحسان ، أو لا يقصّروا في أن يحسنوا إليهم »[107] .

وقال رسول اللّه ﷺ في رجل : « تألّى ألا يفعل خيراً »[108] . وفي حديث أنس بن مالك[109] : « أنّ النبيّ ﷺ : آلى من نسائه شهراً »

أي حلف لا يدخل عليهنّ »[110] .

وجاء في نهج البلاغة : « فإنّي أولي لك باللّهِ أليّةً غيرَ فاجرةٍ : لئن جمعتني وإيّاك جوامعُ الأقدار لا أزال ببـاحتك ﴿ حتّى يحكم اللّه بيننا وهو خير الحاكمين ﴾[111] .

ويقول عبداللّه بن مسعود[112] رضي اللّه عنه : « مَنْ يتألَّ على اللّه يُكْذِبْهُ »[113] ، « وهو الذي يحلف فيقول : واللّه لا يدخل فلان الجنّة وفلان النّار »[114] .

يقول حسّان بن ثابت :

آليتُ ما في جميعِ النّاس مجتهداً ... منّي أليّةَ برٍّ غيرِ إفنادِ[115]

ويقول أيضاً :

عَبِيْدُ الفِزْرِ أوْرَثَهُمْ بَنيهِ ... وآلى لا يَبيعُهُمُ بِمَالِ[116]

ويقول أبو الأسود الدّؤلي[117] :

آليتُ لا أغدو إلى ربِّ لِقْحَةٍ ... أساومُهُ حتّى يعودَ المُثَلَّمُ[118]

وتقول ليلى الأخيليّة :

آليتُ أبكي بَعْدَ تَوْبَةَ هالكاً ... وأحْفِلُ منْ دارتْ عليه الدّوائرُ[119]

ويقول بشامة بن حزن النّهشلي[120] :

- تألّى نُعيمٌ لا تجوزُ بحوضِهِ ... فقلتُ : تَحَلَّلْ يا نُعيمَ بن قاربِ[121]

هـ) (لعمري ولعمرك وعمرك اللّه) :

أمّا في الجاهليّة فيقول النّجيرميّ : « ومنها – أي من أيمان العرب في الجاهلية – « عَمْرَكَ اللّهَ هلْ ذاك ؟ » والمعنى عمّرتك اللّه ، أي سألت اللّه تعميرك ، وهو معنى قول العامّة : « بالذي يعمرك » . قال ابن الأعرابي[122] : عمرك اللّه بالرّفع ، والنّصب الوجه ، وعليه رواة أهل العربيّة . وقال آخرون : « عمرك

ويقول أيضاً :

لَعَمْرُكَ ما أوْصَى أميّةُ بِكْرَهُ ... بوصيَّةٍ أوْصَى بها يعقوبُ [136]

ويقول لبيد بن ربيعة [137] :

لعمري لئن كان المخبِّر صادقاً ... لقدْ رُزِئَتْ في حادثِ الدَّهْرِ جعفرُ [138]

ويقول الفرزدق [139] :

لعمرُكَ ما للفاخرين عشيرةٌ ... تفاخرني ، ولا لهم مثل غالبِ [140]

ويقول عمر بن أبي ربيعة [141] :

أيُّها المُنْكِحُ الثُّريّا سُهَيْلاً ... عَمْرَكَ اللّهَ كيف يلْتقيانِ [142]

ثانياً – التّعبيرات التي استعملت في الجاهليّة ، وألغيت في الإسلام :

لقد شاعت طائفة من التعبيرات القسميّة على ألسنة الجاهليين ، فكانت سائدة في عصرهم ، واردة في نثرهم وشعرهم ، ولكنّها آلت إلى الإلغاء والإهمال والبلى في الإسلام ، فكانت مستعملة قبل الإسلام مهملة بعده . ومرجعيّة ذلك الإلغاء والإهمال إلى أحد أمرين : التّشريع ، أو التكوين :

أولاً – التّعبيرات القسميّة ذات الإلغاء التّشريعيّ :

وهي التّعبيرات التي كان التشريع الإسلاميّ سبباً في إبطالها وإهمالها . ومن أمثلتها :

أ) (الأمانة) :

أمّا في الجاهلية فيقول الشّاعر العربيّ :

إذا ما الخبزُ تَأدِمُهُ بلحمٍ ... فذاك أمانةُ اللّهِ الثَّريدُ [143]

وقد استشهد به النّحاة برفع (أمانةٌ) على الابتداء وإضمار الخبر ، والتقدير : أمانة اللّه لازمة لي ، أو بنصب (أمانة) على تقدير إسقاط حرف الجرّ ،

اللّه »[123] . وإذا قال : « لعمرك » فهو يقسم بعمره ، كما تقول : وعيشك[124] .

يقول طرفة :

لعمرُكَ إنّ الموتَ ما أخطأ الفتى لكالطُّوَلِ المرْخى وثنياه باليدِ[125]

ويقول زهير :

لعمرك ما جرّتْ عليهم رماحُهُمْ دَمَ ابنِ نَهيكٍ أو قتيلِ المثلّمِ[126]

ويقول الأعشى :

لعمري لقدْ لاحتْ عيونٌ كثيرةٌ إلى ضوءِ نارٍ في يَفَاعٍ تُحَرَّقُ[127]

ويقول حاتم الطائي :

تنادي إلى جاراتها إنّ حاتماً أرَاهُ – لعمري – بَعْدَنَا قدْ تَغَيَّرَا[128]

ويقول المرقّش الأصغر[129] :

فَعَمْرَكَ اللّهَ هلْ تدري إذا لُمْتَ في حُبِّهَا فِيْمَ تَلُومُ[130]

أمّا في الإسلام فقد ورد في القرآن في موضع فريد هو :

قوله تعالى : ﴿ لعمرك إنّهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾[131] .

وجاء في نهج البلاغة : « لبئس لعمر اللّه سعر نار الحرب أنتم ! »[132] .

وجاء في النّهج أيضاً : « ولعمري لو كنّا نأتي ما أتيتم ما قام للدين عمود ، ولا اخضرّ للإيمان عود »[133] .

ويقول معاوية : « ولعمري ما حجّتك على أهل الشّام كحجّتك على أهل البصرة ، ولا حجّتك عليّ كحجّتك على طلحة والزّبير ، إن كانا بايعاك فلم أبايعْك أنا »[134] .

يقول حسّان بن ثابت :

لعمري لقد حالفتُ ذبيانَ كلَّها وعَبْساً على ما في الأديمِ المُمَدَّدِ[135]

والتقدير : أحلف بأمانة اللّه[144] . أمّا في الإسلام فقد ورد النّهي عنه ، فقد جاء في الحديث : « من حلف بالأمانة فليس منّا »[145] . قال ابن الأثير[146] : « يشبه أن تكون الكراهة فيه لأجل أنّه أمِرَ أن يحلف بأسماء اللّه وصفاته ، والأمانة أمر من أموره ، فَنُهُوا عنها من أجل التّسوية بينها وبين أسماء اللّه ، كما نُهوا أن يحلفوا بآبائهم . وإذا قال الحالف : (وأمانةِ اللّهِ) كانت يميناً عند أبي حنيفة[147] ، والشّافعي[148] لا يعدّها يميناً »[149] . فهذا التعبير جارٍ مجرى القسم في الجاهليّة ، أمّا في الإسلام فلا يقسم به لما ورد من النّهي عنه ، فأدّت به الحال إلى الموات والإهمال بعد أن كان يميناً .

ب) (وأبيك ، وأبيه) :

أمّا في الجاهليّة فيقول امرؤ القيس :

فلا وأبيكِ ابنة العامر ... يَ لا يدّعي القومُ أنّي أفِر[150]

ويقول الأعشى :

فلا وأبيك لا نعطيك منها ... طِوالَ حياتنا إلا سنانا[151]

ويقول حاتم الطائي :

فلا وأبيك ما يظلُّ ابن جارتي ... يطوف حوالي قدرنا ما يَطُورُها[152]

ويقول آخر[153] :

فقلْ لبني عمّي فقدْ وأبيهمُ ... مُنُوا بِهَرِيْتِ الشِّدْقِ أشْوَسَ أغْلَبِ[154]

أمّا في الإسلام فقد ورد النّهي عنه ، فقد جاء في الحديث : « إنّ اللّهَ عزّ وجلّ ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفاً فليحلفْ باللّه أو لِيَصْمُتْ »[155] . وعن بريدة[156] قال : سمع النبيّ ﷺ رجلاً يحلف بأبيه فقال : لا تحلفوا بآبائكم ، من حلف باللّه فليصدقْ »[157] . يقول ابن منظور مورداً احتمالات إيراد ذلك اللفظ على اللسان : « في حديث الأعرابيّ الذي جاء يسأل عن شرائع الإسلام ، فقال

له النبيّ ﷺ : « أفلح وأبيه إن صدق » . قال ابن الأثير : هذه كلمة جارية على ألسن العرب ، تستعملها كثيراً في خطابها ، وتريد بها التأكيد ، وقد نهى النبيّ أن يحلف الرجل بأبيه ، فيحتمل أن يكون هذا القول قبل النّهي ، ويحتمل أن يكون جرى منه على عـــادة الكلام الجاري على الألســـن ، ولا يقصد به القسم كاليمين المعفوّ عنها من قبيل اللغو ، أو أراد به توكيد الكلام لا اليمين . فإنّ هذه اللفظة تجري في كلام العرب على ضربين : التعظيم وهو المراد بالقسم المنهيّ عنه ، والتوكيد كقول الشاعر :

لعمر أبي الواشين لا عمر غيرهم لقـــد كلّفـــتني خطّة لا أريدها

فهذا توكيد لا قســـم لأنّه لا يقصد أن يحلف بأبي الواشين ، وهو في كلامهم كثير »[158] .

ومهنا يعنّ لنا تساؤل عن أمور ثلاثة[159] :

الأول : هل حُرّم القسم بغير اللّه مع بزوغ فجر الإسلام ؟

الثاني : وهل امتثل المسلمون الأمر فلم يعد هناك قسم إلاّ باللّه ؟

الثالث : ولمَ أقسم اللّه جلّ وعلا بنفسه ونبيّه وآياته ومخلوقاته ؟

« **وأمّا جواب السؤال الأول** : فهو أنّ الإسلام قد سلك بالناس سبيل التّدرّج في تغيير معالم الجاهليّة ، ولهذا رأينا كثيراً من الأشياء جاء تحريمها متأخّراً كالخمر والرّبا ، ويبدو من النّصوص التي بين أيدينا أنّ القسم بغير اللّه لم يُحرّم في وقت مبكّر ، وذلك لأنّ إثبات المطالب بالحلف واليمين طريقة مألوفة عند العرب ، ورثوها عن الآباء والأجداد ، يرجعون إليها من حيث يشعرون ولا يشعرون ، فقد أصبحت من العادات ، والإقلاع عن العادة ليس أمراً يسيراً »[160] .

وإنّ النّصوص النثريّة والشعريّة في صدر الإسلام تجيب عن هذا السؤال دون مواربة . وقد روي عن الرسول ﷺ أنّه قال للأعرابي الذي جاء يسأله عن أمور

دينه : « أفلح وأبيه إن صدق »[161] .

كما ورد القسم بغير اللّه على ألسنة بعض المسلمين في صدر الإسلام :

فقد جاء في نهج البلاغة : « فلعمري لقد فوّق لكم سهم الوعيد ، وأغرق لكم بالنزّع الشديد »[162] .

وجاء في النهج أيضاً : « ولعمري ما عليّ من قتال من خالف الحقّ ، وخابط الغيّ ، من إدهان ولا إيهان »[163] .

ويقول حسّان بن ثابت :

لعمرك ما خَامَتْ فوارسُ مالكٍ ... وأشْيَاعُهُمْ يوم التقينا على بَدْرِ[164]

ويقول أيضاً :

لعمرُ أبي سُمَيَّةَ ما أبالي ... أنَبَّ التَّيْسُ أم نطقتْ جُذَامُ[165]

ويقول أيضاً :

لعمرُ أبيكِ الخيرِ ، يا شعْثَ ، ما نَبَا ... عَلَيّ لساني ، في الخطوبِ ، ولا يَدِي[166]

ويقول نوفل بن الحارث[167] :

لعمرك ما ديني بشيء أبيعه ... وما أنا إذْ أسلمتُ يوماً بكافرِ[168]

ويقول كعب بن زهير[169] :

لعمرك لولا رحمة اللّه إنّني ... لأمطو بجدّ ما يريد ليرفعا[170]

ويقول عبداللّه الجعدي[171] :

فلا وأبيك ما أعطي صديقي ... مكاشرتي وأمنعُهُ تِلادي[172]

ويقول عبداللّه بن رواحة[173] :

فلا وأبي لنأتيها جميعاً ... ولو كانتْ بها عَرَبٌ ورُوْمُ[174]

« **وأمّا جواب السّؤال الثّاني** : فهو أنّ النّاس امتثلوا الأمر ، ولم يعد هناك

قسم بغير اللّه تعالى ، كما تؤيّد النّصوص المختلفة ، غير أنّه لا بدّ لكل قاعدة من شواذّ ، ولهذا لا بدّ أن نستثني من هذا التّعميم بعض الأمور لئلاّ يكون هناك تعارض فيما نجده من قسم بغير اللّه تعالى في بعض النّصوص :

1) إنّ أكثر العرب أصبحوا مسلمين وليسوا كلّهم .

2) هناك بعض النّاس لم يفهموا الدّين فهماً واضحاً فكانوا يهملون بعض نواحي الدّين جهلاً ، أو لأنّ بعض عادات الجاهليّة لا يزال استمرارها في نفوسهم .

3) وهناك بعض المسلمين أصابهم الوهن والضّعف في دينهم عندما ابتعدوا عن مصدر النّور »[175] .

« **وأمّا جواب السؤال الثالث** : فإنّ اللّه جلّ وعلا أنزل قرآنه بلغة العرب ، وكان القسم عندهم طريقة مألوفة . فأقسم بنفسه ليلفت النظر إلى أنّه هو المقدّس وهو المعظّم وحده الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصّدور ، وهو الذي يرى ويشهد عهودهم ومواثيقهم ويعلم صدقهم وكذبهم ، وهو الذي يُرجى ثوابه ويُخشى عقابه[176] » . « وأقسم اللّه تعالى بنبيّه ﷺ إكراماً له ومحبّة وتنزيهاً عمّا وصفوه به ، فقد كثر عند العرب القسم بالتكريم كقولهم : لعمرك ، ولعمر أبيك ، وأمثالهم ممّا مرّ بنا فقال تعالى : ﴿ لعمرك إنّهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾[177] .

وأقسم سبحانه وتعالى بآياته ومخلوقاته استدلالاً على كمال قدرته وبديع صنعه ، وليلفت الأنظار إلى هذه الآيات الحسّيّة المدركة النّاطقة بواحدانيته وجلاله . وليرد على إنكارهم ، وقد كانت العرب تجابه الإنكار بالقسم . والإنسان قد ألف هذه الآيات العجيبة في نفسه ، وفيما يدور حوله ، وفي الكون ، فأنساه طول الألفة تأمّلها والتفكير فيها ، ولمّا كان للقسم أثره عند العرب فقد عرضها سبحانه في صورة القسم ؛ ليكون ذلك أدعى إلى التفكير والتأمّل »[178] .

يقول الزركشي مبيّناً أوجه الحكمة في قسمه سبحانه وتعالى بمخلوقاته : « فإن قيل : كيف أقسمَ بمخلوقاته وقد ورد النّهي علينا ألاّ نقسم بمخلوق ؟ قيل : فيه

ثلاثة أجوبة :

أحدها : أنّه حذف مضاف ، أي « وربّ الفجر » ، « وربّ التين » وكذلك الباقي .

والثاني : أنّ العرب كانت تعظّم هذه الأشياء وتقسم بها ، فنزل القرآن على ما يعرفون .

والثالث : أنّ الأقسام إنّما تجب بأن يقسم الرجل بما يعظّمه ، أو بمن يجلّه ، وهو فوقه ، واللّه تعالى ليس شيء فوقه ، فأقسم تارة بنفسه ، وتارة بمصنوعاته ؛ لأنّها تدلّ على باريء وصانع »[179] .

ثانياً – التّعبيرات القسميّة ذات الإلغاء التّكوينيّ :

وهي التعبيرات القسميّة الجاهليّة القديمة التي فقدت عنصر التجدّد والحياة في طبيعتها التكوينيّة فاعتراها البلى فأصبحت بقايا مندثرة . وقد فسّرنا دلالاتها وأصل وضعها وكيف كانت تؤدي معنى القسم عند الحديث عن الدّلالة المعجميّة للألفاظ الجارية مجرى القسم ، ومن أمثلتها : أكتع ، وأبدع ، وأحلط ، وأوذم ، وعوض ، وجير ، وسمط ، وسبأ ، وتنجّد ، ونفل ، وغيرها من التعبيرات التي سادتْ ثم بادتْ في بيئتها اللغويّة الجاهليّة .

ولو بحثنا عن بعض الأسباب المحتملة لاندثار هذه الألفاظ لوجدنا ما يلي :

- أولاً : انصراف المسلمين إلى ألفاظ استحدثها الإسلام لاستشعارهم أنّ تلك الألفاظ الجاهلية لا تعبّر عن مكنون ومضمون اعتقادهم ، أو لا تعبّر عن الصّلة الوثقى باللّه سبحانه . فالنقلة الاعتقادية من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن أحدثت أيضاً نقلة في بعض الألفاظ تلبيةً واستجابةً لنداء ذلك المعتقد الجديد ، وتمييزاً له من المعتقد القديم .

ثانياً : افتقارها إلى صفة الفصاحة ، يقول ابن الأثير[180] : « إنّ الفصيح من الألفاظ هو الظاهر البيّن ، وإنّما كان ظاهراً بيّناً لأنّه مألوف الاستعمال ،

وإنّما كان مألوف الاستعمال لمكان حسنه ، وحسنه مدرك بالسّمع ، والذي يُدرَك بالسّمع إنّما هو اللفظ لأنّه صوت يأتلف عن مخارج الحروف . فما استلذّه السّمع منه فهو الحسن ، وما كرهه فهو القبيح . والحسن هو الموصوف بالفصاحة ، والقبيح غير موصوف بفصاحة ، لأنّه ضدّها لمكان قبحه »[181] . فالقضية إذن استثقال صوتي ، والألفاظ داخلة في حيّز الأصوات ، وأصوات الحروف تؤدي مهمّة جليلة في اللغة العربيّة حيث تعدّ أساساً لقوّة الإسماع في هذه اللغة الرّاسخة القدم في تاريخ المشافهة ، وهذه الخاصيّة هي الطابع الإنشادي في الأدب العربي[182] .

ثالثاً : كونها من الكلام الدّخيل ، وليست من الكلام الأصيل كما هو الحال في (أكتع)[183] .

ثالثاً – التّعبيرات التي لم تكن واردة في الجاهليّة ، واستحدثت في الإسلام :

أ) (أَخْذُ الميثاقِ) :

« الميثاق عقد مؤكّد بيمين وعهد »[184] . يقول الفراء : « تقول : أخذت ميثاقك لتعلمنّ ، لأنّ أخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف »[185] . ويقول الزمخشري : « وقيل : (لا تعبدون) هو جواب قوله : (أخذنا ميثاق بني إسرائيل) إجراء له مجرى القسم »[186] . ويقول ابن الأنباري[187] : « ومن فتح لام الابتداء وهي جواب لما دلّ عليه الكلام من معنى القسم ؛ لأنّ أخذ الميثاق إنّما يكون بالأيمان والعهود »[188] . فهذا التعبير الجاري مجرى القسم في إفادة التحقيق والتأكيد استحدثه الإسلام ولم يكن موجوداً بهذا الشكل والمضمون في الجاهليّة ، ومن ذلك :

قوله تعالى : ﴿ وإذْ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلاّ اللّه وبالوالدين إحساناً ﴾[189] .

وقوله تعالى : ﴿ وإذْ أخذ اللّه ميثاق النّبيّين لَما آتيتكم من كتاب وحكمة ﴾ [190] .

وقوله تعالى : ﴿ وإذْ أخذنا ميثاقكم لا تَسفكون دماءكم ولا تُخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ﴾ [191] .

وقوله تعالى : ﴿ وإذْ أخذ اللّه ميثاق الذين أوتوا الكتاب لَتبيننّه للنّاس ﴾ [192] .

وقال الرسول ﷺ : « فأخذ مواثيقهم على ذلك وربّي » [193] .

وجاء في نهج البلاغة : « أخذ على الوحي ميثاقهم ، وعلى تبليغ الرّسالة أمانتهم » [194] .

وجاء في النّهج أيضاً : « القرآن آمر زاجر ، وصامت ناطق ، حجّة اللّه على خلقه : أخذ عليهم ميثاقه ، وارتهن عليه أنفسهم » [195] .

ب) (كَتَبَ اللّهُ) :

يقول الرّاغب : « ويُعبَّر عن الإثبات والتقدير والإيجاب والفرض والعزم بالكتابة ، ووجه ذلك أنّ الشيء يُراد ثم يُقال ثم يُكتب ، فالإرادة مبدأ والكتابة منتهى ، ثم يُعبّر عن المراد الذي هو المبدأ إذا أريد توكيده بالكتابة التي هي المنتهى » [196] . وقال الفرّاء : « الكتاب يجري مجرى القول ، تدخل فيه (أنّ) وتستقبل بجواب اليمين ، لأنّك تجد الكتاب قولاً في المعنى كنّي عنه بالكتاب ، كما يُكنّى عن القول : بالزّعم ، والنّداء ، والصّياح ، وشبهه » [197] . وقال الأخفش [198] : « فنصب (لام) (ليجمعنّكم) [199] لأنّ معنى (كتب) كأنّه قال : « واللّه ليجمعنّكم » . ويقول ابن الأنباري : « (كتب) أجري مجرى القسم ، ولهذا أجيب بما يُجاب به القسم فقيل : لأغلبنّ » [200] .

فهذا التعبير لمّا أريد به التوكيد والتحقيق جرى مجرى القسم ، وهو ممّا استحدثه الإسلام فلم يكن بهذه الدّلالة في الجاهليّة :

قال تعالى : ﴿ كتب على نفسه الرّحمة ليجمعنّكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ﴾ [201] .

وقال تعالى : ﴿ كتب ربّكم على نفسه الرّحمة أنّه من عمل منكم سوءًا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنّه غفور رحيم ﴾ [202] .

وقال تعالى : ﴿ كتب اللّه لأغلبنّ أنا ورسلي إنّ اللّه قويّ عزيز ﴾ [203] .

وقال الرسول ﷺ : « إنّ اللّه كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق : إنّ رحمتي سبقت غضبي » [204] .

جـ) (تَأَذّنَ رَبّكَ) :

يقول الزمخشري : « (تأذّن ربّك) عزم ربّك ، وهو من الإيذان وهو الإعلام ، لأنّ العازم على الأمر يحدّث نفسه به ويؤذنها بفعله ، وأجري مجرى فعل القسم كعلم اللّه وشهد اللّه ، ولذلك أجيب بما يُجاب به القسم وهو قوله : (ليبعثنّ) . والمعنى : وإذْ حتم ربّك ، وكتب على نفسه ليبعثنّ على اليهود » [205] .

وقال الطبرسي [206] : « قيل معنى (تأذّن) : تألّى ربّك أي : أقسم القسم الذي يُسمع بالأذن » [207] . وقال ابن كثير [208] : « وفي قوّة الكلام ما يفيد معنى القسم من هذه اللفظة ، ولهذا أتبعت باللام في قوله : (ليبعثنّ عليهم) » [209] .

فهذا التعبير القسميّ استحدث في الإسلام وفي القرآن على وجه التّحديد ، فلم يكن موجوداً بهذه الدّلالة في الجاهليّة :

قال تعالى : ﴿ وإذ تأذّن ربّك ليبعثنّ عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ﴾ [210] .

وقال تعالى : ﴿ وإذ تأذّن ربكم لئن شكرتم لأزيدنّكم ولئن كفرتم إنّ عذابي لشديد » [211] .

د) (والذي نفسي بيده) :

هذا التّعبير القسمي من إنشاء الرّسول ﷺ ، كما امتدّ الصّوغ نفسه إلى أقوال من جاء بعده مضموناً واستعمالاً . يقول ابن منظور : « النّفس في كلام العرب يجري على ضربين :

أحدهما : قولك : خرجتْ نفس فلان أي روحه .

والضّـــرب الآخر : معنى النّفس فيه معنى جملة الشيء وحقيقته ، تقول : قتل فلان نفسه ، وأهلك نفسه ، أي أوقع الإهلاك بذاته كلّها وحقيقته »[212] . فالذي يستقيم مع المقسم به أنّ المقصود بالنّفس هنا الرّوح الذي به الحياة ، ولا حاجة إلى تكلّف الوجه الآخر مع مساغ الوجه الذي ذكرناه وَفْقَ مقتضى الأسلوب . فنفس الرّسول روحه ، وإن كان قد يحصل من حيث اللفظ مضاف ومضاف إليه ما يقتضي المغايرة وإثبات شيء من حيث العبارة ، فلا شيء من حيث المعنى سواه ، فالإضافة من قبيل إضافة الشيء إلى نفسه . ولمّا كان في لفظ (النّفس) معنى العزّة والعظمة والمخاطرة ، انضمّ مفهوم الإكرام بالمقسم به من حيث الصّلة ، ومعنى الإشـــــهاد الذي يدلّ عليه الموصـــول الاسمي . أمّا قوله : (بيده) فتسليم وتنبيه على أنّ الإعادة ممكنة كما أنّ الإنشاء كان ممكناً ، وإذا كان إيجاد المرء من العدم الصّرف إلى الوجود واقعاً بالفعل ، فإنّ إعادته أحرى أن تكون واقعة بالفعل .

فهذا التّعبير استحدث في الإسلام ، ولم يكن موجوداً في الجاهليّة :

فعن أبي ســـعيد الخدْري[213] أنّه سمع رجلاً يقرأ : ﴿ قل هو اللّه أحد ﴾ يردّدها ، فلمّا أصبح غدا إلى رسول اللّه ﷺ فذكر ذلك له ، وكان الرجل يتقالُّها ، فقال رسول اللّه ﷺ : « والذي نفسي بيده إنّها لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القرآن »[214] .

وقال أيضًا : « فوالذي نفسي بيده لا يُؤمنُ أحدُكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده »[215] .

وقال أيضاً : « والذي نفسي بيده لأذودنّ رجالاً عن حوضي كما تُذاد الغريبة

من الإبل عن الحوض »[216] .

وقال في موضع رابع : « والذي نفسي بيده لا يُسلمُ عبد حتّى يُسلمَ قلبه ولسانه »[217] .

وقال أبو بكر رضي اللّه عنه : « والذي نفسي بيده لأن يُقدّم أحدكم فتضرب رقبته في غير حدّ خيرٌ له من أن يخوض غمرات الدّنيا »[218] .

وقال عمر رضي اللّه عنه : « والذي نفسي بيده لولا المال الذي أحمل عليه في سبيل اللّه ، ما حميت عليهم من بلادهم شبرا »[219] .

وجاء في نهج البلاغة : « أما والذي نفسي بيده ليظهرنّ هؤلاء القوم عليكم ، ليس لأنّهم أولى بالحقّ منكم ، ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم ، وإبطائكم عن حقّي »[220] .

هـ) (والذي بعثني بالحقّ) :

هذا التعبير القسميّ من إنشاء الرسول الأعظم ﷺ ، وقد ورد التعبير ذاته في أقوال من بعده – مع مراعاة ضمير الغيبة – شاهداً ومؤكّداً ولافتًا النظر إلى مصاحبة الحقّ للبعث النّبوي . قال الطبرسي : « البعث الإرسال . والبعث للأنبياء الإرسال عن حالة إلى حالة النّبوّة »[221] .

واللام في (الحقّ) فيها وجهان :

- الأوّل : أن تكون للعهد ، والإشارة إلى الحقّ الذي عليه رسول اللّه ﷺ .

الثّاني : أن تكون للجنس ، على معنى : الحقّ من اللّه لا من غيره . يعني أنّ الحقّ ما ثبت أنّه من اللّه كالذي أنت عليه ، وما لم يثبت أنّه من اللّه فهو الباطل . يقول الطبرسي : « (بالحقّ) قيل : بالقرآن ، وقيل : بالإسلام ، وقيل : على الحقّ أي بعثه على الحقّ »[222] . يقول أبو حيّان[223] : « (بالحقّ) حال من الفاعل ، أي محقّ ، أو من المفعول ، أي محقّاً ، أو صفة لمصدر محذوف أي بعثاً بالحقّ أي

مصحوباً »[224] . هذا ويُفهم من المواضع التي ورد فيها هذا التّعبير أنّ المراد منه – إضافة إلى معنى الإشهاد الذي هو أصل معنى القسم – إظهار عنادهم بأنّ علمهم برسالة المصطفى ﷺ يقينيّ مؤكّد ، ومع ذلك يجحدون به ويحيدون عنه . فهو استفظاع لحال من يترك الدّليل بعد إنارته ووضوح البرهان والإحاطة بحقيقة أمر البعث ، ويتّبع الهوى . كما يحمل هذا التّعبير في بعض معانيه تهييجاً وإلهاباً للثبات على الحقّ .

فهذا التعبير القسميّ استُحدث في الإسلام وعلى لسان الرّسول الكريم على وجه التحديد ، فلم يكن موجوداً في الجاهلية :

قال الرّسول ﷺ : « والذي بعثني بالحقّ إنّ منهما مهديّ هذه الأمّة إذا صارت الدّنيا هَرْجاً ومَرْجاً ، وتظاهرت الفتن ، وتقطّعت السّبل ، وأغار بعضهم على بعض ، فلا كبير يرحم صغيرًا ، ولا صغير يوقّر كبيرًا »[225] .

وجاء في نهج البلاغة : « والذي بعثه بالحقّ لانقلعتْ بعروقها ، وجاءت ولها دويّ شديد ، وقصف كقصف أجنحة الطير »[226] .

وجاء في نهج البلاغة : « والذي بعثه بالحقّ لتُبلبلنّ بلبلة ، ولتُغربلنّ غربلة ، ولتُساطنّ سوط القدر ، حتى يعود أسفلكم أعلاكم ، وأعلاكم أسفلكم »[227] .

وجاء في النّهج أيضاً : « والذي بعثه بالحقّ واصطفاه على الخلق ما أنطق إلاّ صادقاً »[228] .

و) (والّذِى فَلَقَ الحَبّةَ وبَرَأَ النّسَمَةَ) :

هذا التّعبير القسميّ من إنشاء أمير المؤمنين عليّ عليه السلام على وجه الابتداء أي لم يسمع من أحد قبله ، وكثيراً ما يرد على لسانه في خطبه وبيانه . يقول ابن أبي

الحديد[229] : « وهذا القسم لا يزال أمير المؤمنين يقسم به وهو من مبتكراته ومبتدعاته »[230] . يقول ابن منظور : « والفَلْقُ : الشَّقُّ . وفي الحديث : « يا فالق الحبّ والنّوى » أي الذي يشقّ حبّة الطعام ونوى التّمر للإنبات . وفي حديث عليّ عليه السلام : « والذي فلق الحبّة وبرأ النَّسَمَة ، وكثيراً ما كان يُقسمُ بها »[231] . ويقول في موضع آخر : « النَّسَمَة : النَّفْس والرّوح . وكلّ دابّة في جوفها روح فهي نسمة . وفي حديث عليٍّ : والذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة ، أي خلق ذات الروح ، وكثيراً ما كان يقولها إذا اجتهد في يمينه »[232] .

ويبرز معنى الإشهاد جليًا في هذا التعبير بهاتين الإضافتين من المقسم به وهما : فالق الحبّة ، وبارىء النّسمة . وقد وردت الإضافة الأولى في القرآن الكريم (فالق الحبّ والنّوى)[233] . فعجائب الصّنع ولطائف التّدبير تشهد بوجود الصانع المدبّر . وغير خفيّ اتّحاد المعطوف والمعطوف عليه في الفاعليّة للموافقة المعنويّة حيث التأكيد والإشهاد بالفلق والخلق .

فهذا التعبير القسميّ استحدث في الإسلام وعلى لسان أمير المؤمنين عليّ كما يروي الشرّاح والمؤرّخون[234] ، ولم يكن موجوداً في الجاهليّة :

جاء في نهج البلاغة : « فوالذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة إنّ الذي أنبّئكم به عن النّبي الأميّ »[235] .

وجاء في النّهج أيضاً : « فوالذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة ما أسلموا ولكن استسلموا ، وأسرّوا الكفر فلمّا وجدوا أعواناً عليه أظهروه »[236] .

وجاء في النّهج أيضاً : « فوالذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة لئن كان ذلك حقًا لتجدنّ بك عليٌّ هواناً ولتخفنّ عندي ميزاناً »[237] .

رابعاً – التّعبيرات التي تعدّدت وتطوّرت دلالتها القسميّة في الجاهليّة والإسلام :

أ) (فعل الشّهادة)

أوّلاً – الشّهادة بمعنى التّوكيد القضائيّ :

استقرّ العرف عند الجاهليّين على أنّ الشهادة إنّما تكون لمن ادّعى حقّاً من الحقوق أو أمراً من الأمور بأن يشهد له غيره . وهذا ممّا يتصل بعادات الحكم والقضاء عندهم ، وذلك أنّ الحكم يُفصل باثنين : إمّا بالشّهادة وإمّا بالقسم [238] . ويبدو أنّ الجذر الحسّي لتاريخ الكلمة يرتبط بالحضور والإعلام [239] ولا يبعد عن أذهاننا أنّ القسم بهذا المعنى هو ضمّ المقسم به مع القسم كالشاهد على قوله . ويؤيّد ذلك ما علمنا من تاريخ القسم وطرقه ، فإنّهم لم يقسموا إلاّ على رءوس الأشهاد فكانوا شهداء على أيمانهم لتأكيدها . فإنّ الرجل يجتنب أن يجعل نفسه كاذباً في عيون الناس [240] .

« وقد ارتبطت أقسام الجاهليّة بمجموعة من المراسيم المؤثّرة ، بحيث تُعقد في ظروف خاصّة للتأثير في نفوس من يؤدّون اليمين ، وبحضور كهّان أو أناس ذوي مكانة ومنزلة خاصّة ، وذلك حتّى يكون للقسم روعة وهيبة تتناسبان مع مكانته وقدسيّته عندهم [241] » . يقول النّجيرميّ : « كانوا في الجاهليّة الأولى إذا تحالفوا وتعاهدوا أوقدوا ناراً ودنوا منها حتى تكاد تحرقهم ، وعدّدوا منافع النّار ، ودعوا على ناقض تلك اليمين والنّاكث لذلك العهد بحرمان تلك المنافع ، ويتصافحون عندها ويقولون : « الدَّمُ الدَّمُ ، والهَدْمُ الهَدْمُ » والمعنى : دماؤنا دماؤكم ، وهدمنا هدمكم ، والهدم اسم البناء المهدوم ، أي فما هُدم لكم من بناء أو شأن فقد هُدم لنا وما أريق لكم من دم فقد أريق لنا ويلزمنا من نصرتكم ما يلزمنا من نصرة أنفسنا . وعَبَروا على استعمال ذلك يتوارثونه إلى أن أتى اللّه تعالى بالإسلام » [242] . وما أصل القسم الدّينيّ عندهم إلاّ إشهاد الإله المعبود الذي جعلوه شاهداً ، وبذلك جعلوه وكيلاً وكفيلاً على العقود ، ومرادهم أنّهم إن

كذبوا بعد ذلك أسخطوه[243] . فالشهادة بهذا المعنى استجابة وتلبية لحاجة الناس القائمة في نفوسهم لا سيّما في الأمور العظام كالمعاقدة والمعاهدة بين الأفراد والأقوام . « وهي مرحلة أوليّة في أساليب القسم التي تطوّرت بعد ذلك تطوّراً خاصّاً في الشعر الجاهليّ والمواثيق الجاهليّة قبيل الإسلام . حيث تخلّصت صيغ القسامة من طقوسها القديمة . كما تحرّرت أساليب القسم من طقوس الكهانة وشعائر التهويل الطقوسيّة ورموزها الأسطوريّة »[244] .

يقول الرّاعي[245] :

إنّ السّماءَ وإنّ الرّيحَ شاهدةٌ والأرضُ تَشهدُ والأيامُ والبلدُ
لقد جزيتُ بني بَدْرٍ ببغيتها يوم الهباءة يوماً ماله قود[246]

ويقول طرفة :

وقرّبتُ بالقربى وجدّك إنّني متى يكُ أمْرٌ للنكيثة أشهدِ[247]

فليس المراد في الأوّل إلاّ أنّك لو سألتهنّ ونطقن لشهدن على صدق دعوانا ، وأقسم في الثاني استدلالاً على لزوم مشهده ومحضره[248] . نريد أن نقول : إنّ الشهادة قسم ، وقد ارتبطت في أصلها بسلوك جاهليّ يتخذ أشكالاً مختلفة[249] .

ثانياً – الشّهادة بمعنى التّوكيد اللغويّ :

ونعني بالشّهادة على هذا الوجه التّوكيد والتّحقيق وتقوية الثّابت وتقريره على نحو يواطىء فيه اللّسان القلب . و « يغلب على أساليب القسم في الشعر الجاهلي استخدام صيغ القسم خالية من طقوسها القديمة ، وقد جاءت مؤكّدة لما يريد الشّاعر تأكيده والالتزام به التزاماً أخلاقيّاً ومنطقيًا »[250] . وكأنّه التّأكيد التّوثيقيّ لما يقررون ، والتّأكيد اللغويّ المحض لما يعرض من المعاني . ومن الواضح أن القسم الجاهليّ في هذه النّصوص يمثّل مرحلة متقدّمة في تاريخه لانحسار الشّهادة القضائيّة بصيغتها الجاهليّة القديمة . يقول حاتم الطائي :

شـهـدتُ وعـوّاناً أمـيـمـةُ إنّنا بنو الحربِ نصلاها إذا اشتدّ نورُها [251]

ويقول الآخر :

فـأشـهـدُ لاآتيك مـادام تَنْضُبٌ بأرضكِ أو صُلْبُ العصا من رجالكِ [252]

ويفصل هذه القضيّة ما جاء في القرآن الكريم من التّصريح بكون الشّهادة قسماً مفاده التّوكيد : قال تعالى : ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنّك لرسول اللّه واللّه يعلم إنّك لرسوله واللّه يشهد إنّ المنافقين لكاذبون ﴾ [253] .

يقول الزّمخشريّ : « يجوز أن يراد أنّ قولهم : (نشهد إنّك لرسول اللّه) يمين من أيمانهم الكاذبة ، لأنّ الشّهادة تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد » [254] . ويقول الرّاغب : « وشهدتُ يقال على ضربين :

أحدهما : جارٍ مجرى العلم وبلفظه تقام الشّهادة ، ويقال : أشهدُ بكذا ولا يرضى من الشّاهد أن يقول : أعلم ، بل يُحتاج أن يقول : أشهدُ .

والثاني : يجري مجرى القسم فيقول : أشهد باللّه أنّ زيداً منطلق ، فيكون قسماً » [255] .

ويقول الزّركشيّ : « إنّهم جعلوا قوله تعالى : ﴿ واللّه يشهد إنّ المنافقين لكاذبون ﴾ قسماً [256] وإن كان فيه إخبار ، إلاّ أنّه لما جاء توكيداً للخبر سُمّي قسماً » . فـ (نشهد) أي نحلف إنّك لرسول اللّه ، لأنّ الشّهادة بمعنى اليمين بدليل قوله : (أيمانهم جنّة) » [257] .

وقال الرّسول ﷺ : « فأشهد باللّه لقد رأيتهم صرعى قد غيّرتهم الشّمس وكان يوماً حاراً [258] » .

ويقول أيضاً : « وأشهد أنّ عيسى بن مريم روح اللّه وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة » [259] .

ويقول ابن عبّاس [260] : « وأشهد أنّ اللّه لم يجعل محمداً من قريش إلاّ وقريش

خير البريّة »[261] .

ويقول قيس بن الملوّح[262] :

شـــهـــدتُ بـأنّي لـم أخنْكِ مـــودّةً وأنّي بكم حتّى الممـاتِ ضنين[263]

ويقول أيضاً :

وأشـهـدُ عند اللّه أنّي أحـبُّـهَـا فهذا لها عندي فما عندها لِيَا[264]

ويقول ابن مفرّغ[265] :

وأشـــهـــدُ أنّهـــا حـــملتْ زيـاداً وصـخـرٌ من سميّـة غيرُ دانٍ[266]

وهكذا ينتقل مدلول الشهادة من مجال القضاء إلى مجال الإثبات التقريري المحض ، والدّوران حول موضوع واحد وهو التحقيق والتوثيق المباشر لما يتقرّر من أحكام . وقد ظلّ استخدام هذا المدلول وسيلة للتعبير عن الالتزام بالصدق الأخلاقي حيث الشهادة التوكيديّة في قمّة أحوال الجحود والإنكار .

ثالثاً – الشّهادة بمعنى التّوكيد الاستدلاليّ :

ونعني بذلك أنّ الشّـــهادة معناها إيجاد الدّليـــل وبيانه إكمـــالاً للحجّة وتأكيدها وتقريرها في الأذهان . وسأجلّي حقيقة هذا الضّرب من ضروب الشهادة من خلال قوله تعالى : ﴿ شهد اللّه أنّه لا إله إلاّ هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط ﴾[267] . قال قاضي القضاة أبو الحسن[268] : « قوله سبحانه : ﴿ شهد اللّه أنّه لا إله إلاّ هو ﴾ يجب أن يحمل على ما تعود فائدته على العباد ، وهو أنّه تعالى أودع خلقه الأدلّة على أنّه لا إله إلاّ هو ، ولا تحقّ العبادة إلاّ له ، فمن حيث دلّ على ذلك وبيّنه لجميع ما خلق من الخلق العجيب بإكمال العقول والتكليف صار شاهداً بأنّه كذلك . وإذا شهد اللّه تعالى بأن لا إله إلاّ هو ، خبراً ، فذلك توكيد منه لأنّ المعرفة بذلك من جهته إنّما تقع بالأدلّة دون الخبر ، وإن كان الخبر يحقّق ذلك ويوضّحه وينّبه عليه ويؤكّده »[269] .

وقال بعضهم : « معنى ذلك : شهد اللّه عند خلقه بتدبيره العجيب ، وصنعه اللطيف ، وحكمته البالغة وقدرته الباسطة : أنّه لا إله إلاّ هو يدبّر الأمر ويصرّف الخلق ، وشهدت الملائكة بذلك عند الرسل بما أبانت لهم من الحجج النيّرة والأعلام القاهرة ، وشهد أولو العلم بذلك عند سائر الخلق بما أوضحوا لهم من البيّنات ، وأظهروا من الدّلائل والأمارات »[270] .

يقول الزّمخشريّ : « شبّهت دلالته على وحدانيته بأفعاله الخاصّة التي لا يقدر عليها غيره ، وبما أوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الإخلاص وآية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف . فإن قلت : ما المراد بأولي العلم الذين عظّمهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله ؟ قلت : هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج السّاطعة ، والبراهين القاطعة ، وهم علماء العدل والتوحيد »[271] .

قال الرّاغب : « وقوله : (شهد اللّه أنّه لا إله إلاّ هو والملائكةُ وأولوا العلم) فشهادة اللّه تعالى بواحدانيته هي إيجاد ما يدلّ على وحدانيته في العالم وفي نفوسنا »[272] . فالشهادة دليل وتبيين خرج في صورة القسم المؤكّد ، وربما جعلوا المقسم به شاهداً لكونه حجّة قائمة وبيّنة قاطعة مؤيّدة للقول ، وذلك بذكر أمر جامع بين المقسم به والمقسم عليه ، ومثاله قول القائل لمُنعمه : أشهد بحقّ نعمك الكثيرة أنّي لا أزال أشكرك ، فيذكر النّعم وهي سبب مفيد لدوام الشكر[273] .

يقول ابن قيّم في تناوله لقوله تعالى : ﴿ فو ربّ السّماء والأرضِ إنّه لَحقٌّ مِثْلَ ما أنّكم تَنْطِقُون ﴾[274] : « وههنا أمر ينبغي التفطّن له ، وهو أنّ الربّ تعالى شهد بصحّة ما أخبر به ، وهو أصدق الصادقين . وأقسم عليه ، وهو أبرّ المقسمين ، وأكّده بتشبيهه بالواقع الذي لا يقبل الشكّ بوجه . وأقام عليه من الأدلّة العيانية والبرهانيّة ما جعله معايناً مشاهداً بالبصائر ، وإن لم يُعاين بالأبصار »[275] .

وهذا الضرب من الشّهادة على وجه التّأكيد الاستدلاليّ ، وإن لم يكثر في كلامهم لدقّة مذهبه ولغلبة الضّرب الثاني ، لكنّه طريق واضح وأسلوب خاصّ يجمع ربطاً

دقيقاً ودليلاً قائماً بين الشهادة والمقسم عليه ، أو بين المقسم به والمقسم عليه . وغاية التأكيد أنّهم إذا شهدوا على وجه الاستدلال ربّما أرادوا به شدّة وضوح المقسم عليه .

يقول حسّان بن ثابت :

شهدتُ بإذن اللّه أنّ محمداً ... رسولُ الذي فوق السماوات من عَلْ [276]

ويقول عبداللّه بن رواحة :

شهدتُ بأنّ وَعْدَ اللّه حقٌ ... وأنّ النّارَ مثوى الكافرينا [277]

وأنّ العرش فوق الماء طافٍ ... وفوق العرش ربُّ العالمينا

ويقول ظبيان بن كراوة [278] :

فأشهدُ بالبيتِ العتيق وبالصّفا ... شهادةَ منْ إحْسَانُهُ متنفّلُ [279]

بأنّك محمودٌ لدينا مباركٌ ... وفيٌّ أمينٌ صادقُ القول مُرْسَلُ

هوامش الفصل الأوّل

1) انظر : بحوث ومقالات في اللغة (ص 57 , 179 , 423) .

2) أيمان العرب في الجاهليّة (ص 28) .

3) المصدر السّابق نفسه (ص 34) .

قد يعني بقوله : « اتّسع " الاتّساع الدّلاليّ الذي نفهم منه الخروج والانتقال بالدّلالة من نطاق حدودها الضّيّقة (تقليص الدّلالة) إلى ما هو أكثر عموماً .

4) **سواد بن قارب الدّوسيّ** : كاهن من كهّان العرب في الجاهلية الذين نبغوا في النّهضة العربيّة قبل الإسلام . انظر : تاريخ آداب اللغة العربيّة (1 : 182) .

5) أيمان العرب في الجاهليّة (ص 38) .

الحلك : شدّة السّواد ، والدّلك : اسم لوقت غروب الشّمس .

6) أساليب القسم في اللغة العربيّة (ص 213) .

النّقنف واللوح بمعنى واحد وهو الهواء بين السماء والأرض . المسفوح : المصبوب . المندوح : الواسع . والزّمَعَة : الشّعرة المدلاّة في مؤخّر رجل الظّبي ، والطّلا الأعفر : الظّبي الصّغير الذي يعلو بياضه حمرة . زعنفة الأديم : طرف الجلد كاليدين والرجلين . الحلس : كلّ ما يوضع على ظهر الدّابّة تحت السّرج أو الرّحل . النّضو : المهزول من الإبل وغيرها . والأدبر : المصاب بالدّبَرة وهي قرحة الدّابّة تحدث من الرّحل ونحوه .

7) المصدر السّابق نفسه (ص 214) .

الأنواء : جمع النّوء ، والنّجم مالَ للغروب . الدّمّة : القملة . الرّمّة : العظام البالية . اللمّة : الشّعر المجاوز شحمة الأذن ، والمشيط الممشوط .

8) **الكاهنة عفيراء الحميريّة** : من النّساء الكواهن في الجاهليّة ، ومثلها في الكهانة سَلْمى الهمدانية الحميريّة ، وفاطمة الخثعميّة بمكّة ، وزرقاء

اليمامة ، وطريفة كاهنة اليمن ، وهي أقدمهنّ . انظر : تاريخ آداب اللغة العربيّة (1 : 183) .

9) أساليب القسم في اللغة العربيّة (ص 218) .

العقائل : جمع عقيلة ، كرائم النّساء ، ومنطّق : من « نطّق » أي ألبسها النّطاق . والنُّطُق : جمع نطاق ، وهو ما تشدّ به المرأة وسطها للمهنة . ومنطّق العقائل إذن : أن يسبيهنّ فيشدّون النُّطُق على أوساطهنّ للخدمة كالإماء .

10) **قُسُّ بن ساعدة الإياديّ** : من الخطباء الشّعراء ، الأبيناء الحكماء . المشهور أنّه أوّل من قال : « أمّا بعد » . وينسبون إليه : « البيّنة على من ادّعى واليمين على من أنكر » . وقد أدركه الرّسول ﷺ ورآه في عكاظ فروى عنه كلاماً سمعه منه . يقول الجاحظ : « ولإياد وتميم في الخُطب خَصلة ليست لأحد من العرب ؛ لأنّ رسول اللّه ﷺ هو الذي روى كلام قسّ بن ساعدة وموقفه على جمله بعكاظ وموعظتَه ، وهو الذي رواه لقريش والعرب ، وهو الذي عجّبَ من حُسْنه وأظهرَ تصويبه . وهذا إسناد تعجز عنه الأماني ، وتنقطع دونه الآمال . وإنّما وفّق اللّه ذلك الكلامَ لقسّ بن ساعدة لاحتجاجه للتوحيد ، ولإظهاره معنى الإخلاص وإيمانه بالبعث . ولذلك كان خطيبَ العرب قاطبة » . ومقالة النّبي ﷺ هي : « رأيته بسوق عُكاظ على جمل أحمر وهو يقول : أيها النّاس اجتمعوا واسمعوا وعُوا : من عاش مات ، ومن مات فات ، وكلّ ما هو آتٍ آت » . توفّي سنة 600 م . انظر : البيان والتّبيّين (1 : 45 , 52 , 308) وتاريخ آداب اللغة العربيّة (1 : 135) .

11) العقد الفريد (4 : 121) .

12) **امرؤ القيس** : هو امرؤ القيس بن حُجْر بن عمرو الكنديّ ، وهو من أهل

نجد . شاعر جاهليّ من الطّبقة الأولى . عاش حياة مترفة يشرب الخمر ، ويستمع للغناء ، ويقول الشّعر . طرده أبوه لمّا صنع في الشّعر بفاطمة ما صنع ، وكان لها عاشقاً . بلغه مقتل أبيه فقال : « ضيّعني صغيراً ، وحمّلني دمه كبيراً ، لا صحو اليوم ولا سكر غداً ، اليومَ خمر وغداً أمر » . كان مقتله على يد قيصر.توفّي سنة 80 قبل الهجرة . انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 52) وشرح شواهد المغني للسّيوطيّ (1 : 21) .

13) شرح الكافية للرّضي (4 : 313) .

14) **طرفة بن العبد** : هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، أحد شعراء الجاهليّة . كان في حسب من قومه جريئاً على هجائهم وهجاء غيرهم . كتب عمرو بن هند إلى عامله بالبحرين فقتله وهو ابن عشرين سنة . انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 108) وشرح شواهد المغني للسّيوطيّ (2 : 805) .

15) شرح المعلّقات العشر للزّوزنيّ (ص 101) .

القنطرة : الجسر . القرمد : الآجر ، الواحدة قرمدة . الاكتناف : الكون في أكناف الشّيء وهي نواحيه . الشّيد : الرّفع والطّلي بالشّيد وهو الجصّ . شبّه النّاقة في تراصف عظامها وتداخل أعضائها بقنطرة تُبنى لرجل روميّ قد حلف صاحبها ليحاطنّ بها حتّى تُرفع أو تجصّص بالآجر .

16) **زهير بن أبي سلمى** : هو زهير بن أبي سُلمى ، واسم أبي سلمى ربيعة بن رياح بن مرّة بن الحارث من بني مُزَينة . أحد فحولِ الشعراء في الجاهلية ، لم يدرك الإسلام وأدركه ابناه كعب (صاحب بانت سعاد) وبُجير . كان يُسمّي كُبرى قصائده الحوليّات ، وكان جيّد شعره في هرم بن سنان المُرّي . كان له في الشّعر ما لم يكن لغيره ، كان أبوه شاعراً وهو شاعر وخاله شاعر وأخته سلمى شاعرة ، ابناه كعب وبجير شاعران ،

وأخته الخنساء شاعرة . توفّي سنة 13 قبل الهجرة،انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 73) وشرح شواهد المغني للسّيوطيّ (1 : 131) .

17) شرح المعلّقات العشر للزّوزنيّ (ص 139) .

18) **الأعشى** : هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة ، ويكنّى أبا بصير . كان جاهليّاً كبير السّنّ ، وعاش حتى أدرك الإسلام في آخر عمره . رحل إلى النّبي ﷺ ليسلم ، فقيل له : إنّه يحرّم الخمر والزّنا ، فقال : أتمتّع منهما سنةً ثم أسلمُ فمات قبل ذلك بقرية باليمامة . وكان يفد على ملوك الحيرة وملوك فارس ، ولذلك كثرت الفارسيّة في شعره . توفّي سنة 7 هـ . انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 159) وشرح شواهد المغني للسّيوطيّ (1 : 240) .

19) ديوان الأعشى (ص 195) .

20) سورة : الأنعام . آية : 109 .

21) سورة : الأعراف . آية : 49 .

22) سورة : الأعراف . آية : 21 .

23) سورة : المائدة . آية : 106 .

24) سورة : النّمل . آية : 49 .

25) سورة : المعارج . آية : 40 .

26) **نهج البلاغة** : الكتاب الذي جمع فيه الشّريفُ الرّضي كلامَ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ . وقد ثبت عند المحقّقين والشّرّاح أنّ كتاب « نهج البلاغة » جوهراً وفكراً للإمام عليّ بن أبي طالب ﷺ ، في حين أنّه تسميةً وتنسيقاً : الخطب والكتب والرسائل ، والحكم والمواعظ ، فصولاً وأبواباً للشّريف الرّضيّ . ومن هؤلاء المحقّقين والشّرّاح :

* ابن أبي الحديد المعتزليّ (656 هـ) في كتابه : شرح نهج البلاغة (3 : 457) .

- كمال الدّين ميثم بن عليّ بن ميثم البحرانيّ (679 هـ) في كتابه : شرح نهج البلاغة (1 : 2) .
- ميرزا حبيب اللّه الخوئي (1324 هـ) في كتابه : منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (1 : 4) .
- محمّد عبده (1905 م) في كتابه : شرح نهج البلاغة (ص 67) .
- محمّد جواد مغنية في كتابه : في ظلال نهج البلاغة (1 : 8) .

27) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 555) .

قوله : « لأشدنّ عليك شدّة » مثل قوله : لأحملنّ عليك حملة ، والمراد تهديده بالأخذ واستصفاء المال . ثم وصف تلك الشّدّة فقال : « إنّها تتركك قليل الوفر » أي أفقرك بأخذ ما احتجت من بيت مال المسلمين . و « ثقيل الظّهر » أي مسكين لا تقدر على مؤونة عيالك . و « ضئيل الأمر » أي حقير لأنّك إنّما كنت نبيهاً بين النّاس بالغنى والثّروة ، فإذا افتقرت صغرت عندهم واقتحمتك أعينهم . انظر : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (4 : 568) .

28) المصدر السّابق نفسه (ص 380) .

استعار لفظ التّنخّم لزوال الخلافة عنهم فكأنّهم قاؤوها وقذفوها من صدورهم ملاحظةً لشبهها بالنّخامة . انظر : شرح نهج البلاغة لكمال الدّين ابن ميثم البحرانيّ (3 : 275) .

29) **زياد بن أبيه** : خطيب مشهور . يكتنف الغموض نسبه ، ناصَر أمير المؤمنين عليّاً عندما تولّى الخلافة . حاول معاوية أن يستميله فاستدعاه بعد مقتل عليّ وألحقه بنسبه فصار يُدعى زياد بن أبي سفيان ، ثمّ ولاه المصرين : البصرة والكوفة . كان شديداً في العقوبة ، يأخذ بالظّنّة ، ويقتل المعلن ، فخافه النّاس خوفاً شديداً . توفّي بالطّاعون سنة 53 هـ . انظر : تاريخ الأدب العربيّ لأحمد حسن الزّيّات (ص 207) .

30) العقد الفريد (4 : 107) .

31) **حسّان بن ثابت** : هو حسّان بن ثابت بن المنذر بن حَرام بن عمرو بن زيد ابن مَناة بن عديّ بن عمرو الأنصاريّ الخزرجيّ ، ويكنّى أبا الوليد وأبا الحُسام وأبا عبدالرحمن . وهو شاعر جاهليّ إسلاميّ . عاش مائة وعشرين سنة : ستّين سنة في الجاهليّة وستّين سنة في الإسلام . شاعر رسول اللّه ﷺ ، إلاّ أنّه لم يشهد مع النّبيّ مشهداً لأنّه كان جباناً . عَمِيَ في آخر عمره ، وتوفيّ سنة 54 هـ . انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 192) وشرح شواهد المغني للسّيوطيّ (1 : 333) وتاريخ الأدب العربيّ لأحمد حسن الزّيّات (ص 166) .

32) ديوان حسّان بن ثابت (ص 214) .

33) **كثيّر** : هو كثيّر بن عبدالرّحمن بن أبي جمعة من خزاعة ، ويكنّى أبا صخر . أحد فحول شعراء الإسلام . وفد على عبدالملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز . وكان كثيّر أحد عشّاق العرب المشهورين بذلك ، وصاحبته عَزّة وبها يُعرف . توفّي سنة 105هـ . انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 340) وشرح شواهد المغني للسّيوطيّ (1 : 64) .

34) الشّعر والشّعراء (ص 346) .

35) **الصّلتان العبديّ** : هو قُثَم بن خَبِيئة أحد بني محارب بن عمرو بن وديعة ابن عبد القيس وإليه ينسب فيقال العبديّ ، والصّلتان لقب غلب عليه . شاعر إسلاميّ مشهور خبيث اللسان . وكان قد ادّعى أنّ الفرزدق وجريراً تحاكما إليه فقضى بينهما بأنّ الفرزدق أشرف من جرير . انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 338) وشرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (2 : 56) .

36) الشّعر والشّعراء (ص 338) .

37) **ليلى الأخيليّة** : هي ليلى بنت الأخيل من عُقَيل بن كعب . أشعر النّساء لا

يُقدَّم عليها غير الخنساء . كان توبة بن الحِمَيِّر يحبّها وتحبّه فأقاما على حبّ عفيف دهراً . كانت تهجو النّابغة الجعديّ ويهجوها فخرج هارباً عائذاً بعبد الملك بن مروان ، فأتبعته إلى الشّام ، فهرب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان ، فأتبعته على البريد بكتاب الحجّاج إلى قتيبة فماتت بقُومَس ، وقيل بحلوان . انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 296) وشرح شواهد المغني للسّيوطيّ (2 : 588) .

38) شرح شواهد المغني (2 : 594) .

39) الفرّاء : هو يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور بن مروان الأسلميّ الدّيلميّ إمام العربيّة أبو زكريا المعروف بالفرّاء . قيل له الفرّاء ؛ لأنّه كان يفري الكلام . كان أعلم الكوفيّين بالنّحو بعد الكسائيّ ، أخذ عنه ، وعليه اعتمد ، وأخذ عن يونس بن حبيب البصريّ . وكان الفرّاء فقيهاً عالماً بالخلاف وبأيام العرب وأخبارها وأشعارها ، عارفاً بالطبّ والنّجوم ، متكلّماً يميل إلى الاعتزال ، وكان يتفلسف في تصانيفه ويسلك ألفاظ الفلاسفة . ومن تصانيفه : معاني القرآن ، الجمع والتّثنية في القرآن ، النّوادر ، المقصور والممدود ، وغير ذلك . توفّي في طريق مكّة سنة 207 هـ . انظر : معجم الأدباء لياقوت الحمويّ (5 : 619) وبغية الوعاة للسّيوطيّ (2 : 333) .

40) معاني القرآن (3 : 207) .

41) أيمان العرب في الجاهليّة (ص 31) .

42) المصدر السّابق نفسه (ص 32) .

43) المصدر السّابق نفسه (ص 34) .

44) سطيح الذّئبيّ : هو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن عديّ بن الذّئب . وهو الكاهن القديم ، وله أحاديث ، وعُمِّر ثلاثمائة سنة . ولد في أيّام سيل العرم . وعاش حتى أدرك الملك السّاسانيّ كسرى أبرويز . سُمِّي بذلك لأنّه كان إذا غضب قعد منبسطاً ، فيما زعموا ، وقيل : سُمِّي بذلك لأنّه لم يكن

له بين مفاصله قَصَبٌ تَعمِده ، فكان أبداً منبسطاً منسطحاً على الأرض ، لا يقدر على قيام ولا قعود ، ويقال : كان لا عظم فيه سوى رأسه . كان مبشّراً برسالة الرّسول الكريم صلّى اللّه عليه وآله . انظر : الاشتقاق لابن دريد (ص 487) ولسان العرب : مادّة (س ط ح) (3 : 2005) .

45) أساليب القسم في اللغة العربيّة (ص 214) .

الحرّة : أرض ذات حجارة نخرة سود كأنّها أحرقت بالنّار . الحنش : نوع من الحيّات . الحبش : الواحد حبشيّ ، جنس من السّودان . وأبين : مخلاف باليمن منه مدينة عدن . وجرش : مخلاف باليمن من جهة مكّة .

46) شِقُّ أنمار : هو شقّ بن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن نذير . من أشهر كهّان العرب في الجاهليّة مع زميله سطيح الذّئبيّ . زعموا أنّه كان شِقَّ إنسان (أي نصفه) بيد واحدة ، ورجل وحدة ، وعين واحدة . وكان عمره ثلاثمائة سنة . انظر : الاشتقاق لابن دريد (ص 517) وتاريخ آداب اللغة العربيّة (1 : 182) .

47) أساليب القسم في اللغة العربيّة (ص 215) .

وامرأةٌ طَفْلَةُ البَنَانِ : رَخْصَتُها في بياض ، بيّنة الطّفولة .

48) ديوان امرىء القيس (ص 81) .

الأقلف : غير المختون . وتزعم العرب أنّ الغلام إذا وُلد في القمراء فَسَحَتْ قُلْفَتُه فصار كالمختون . والقُلفة : جلدة الذّكَر التي تقطع من ذكَر الصّبيّ . انظر : لسان العرب : مادّة (ق ل ف) (5 : 3725) .

49) عنترة : هو عنترة بن عمرو بن شدّاد بن عمرو بن قُراد بن مخزوم بن عوف بن مالك بن غالب بن قُطيعة بن عبس بن بَغيض . شاعر جاهليّ فارس . وهو أحد أغربة العرب في الجاهليّة وهم أربعة : عنترة ، وخُفاف بن ندبة ، وعُمير بن الحباب ، وسليك بن السُّلَكة ، والأغربة السّودان من

العرب . كان من أشدّ أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يده ، قد شهد حرب داحس والغبراء فحسُن فيها بلاؤه وحُمدت مشاهده . انظر الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 153) وشرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (1 : 158) .

(50) انظر : ديوان عنترة (ص 156) والكامل في اللغة والأدب (1 : 255) .

رَدَى من الرَّدَيان : ضرب من السّير ، وهو أن يرجُم الفرس الأرض رجْماً بحوافره من شدّة العَدْو . تهرّوا : تكرهوا . والعوالي : جمع عالية الرّمح ، وهي ما دون السّنان بقدر ذِراع . انظر : لسان العرب (6 : 4650) .

(51) **النّابغة الذّبيانيّ** : هو زياد بن معاوية أحد بني ذبيان ، ويُكنّى أبا أمامة ، وقيل : أبا ثُمامة . وهو أحد الأشراف الذين غضَّ الشّعر منهم ووضع . وهو من الطّبقة الأولى من شعراء الجاهليّة المقدّمين على سائر الشّعراء ، فكان أحسنهم ديباجة شعر ، وأكثرهم رونق كلام ، وأجزلهم بيتاً . كان يُضرب له قبّة حمراءُ من أدم بسوق عكاظ فتأتيه الشّعراء فتعرض عليه أشعارها . وكان النّابغة خاصّاً بالنّعمان بن المنذر ، كبيراً عنده ، وكان من ندمائه وأهل أنسه . توفّي سنة 18 قبل الهجرة . انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 87) وشرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (1 : 372) .

(52) انظر : ديوان النّابغة الذّبياني (ص 18) وشرح المعلّقات العشر للزّوزنيّ (ص 303) .

(53) ديوان الأعشى (ص 173) .

ربّ الراقصات : ربّ الإبل تهوي إلى نجد تجتاز جبالاً بعد جبال . والشّيهم : القنفد الشّائك .

(54) **حاتم الطّائيّ** : هو حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحَشْرَج من طيّىء ، ويكنّى أبا سفانة وأباعديّ . من شعراء الجاهليّة . كان جواداً يُشبه شعرُه جودَه ، ويصدق قوله فعله . وكان حيث ما نزل عرف منزله ، وكان ظفراً ، إذا قاتل غلب ، وإذا غَنِمَ أنهب ، وإذا سئل وهب ، وإذا ضرب بالقداح

سبق ، وإذا أسر أطلق . كانت له قدور عظام بفنائه لا تنزل عن الأثافيّ . يحمي الذّمار ، ويُقري الضّيف ، ويشبع الجائع ، ويفرّج عن المكروب ، ويطعم الطّعام ، ويفشي السّلام ، وكان يحبّ مكارم الأخلاق ، وكانت الشّعراء تفد إليه . توفّي سنة 46 قبل الهجرة . انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 147) وشرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (2 : 28) .

55) ديوان حاتم الطّائيّ (ص 56) .

القُريَّة : محلّة لطيّىء ، ووردها : إتيانها وقصدها . ونحبس : نمنع .

56) سورة : التّوبة . آية : 56 .

57) سورة : التّوبة . آية : 74 .

58) سورة : المجادلة . آية : 18 .

59) سورة : التّوبة . آية : 107 .

60) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 763) .

61) المصدر السّابق نفسه (ص 733) .

62) ديوان حسّان بن ثابت (ص 19) .

الحارث الجفنيّ : هو ابن أبي شمر الغسّاني أحد ملوك غسّان .

63) المصدر السّابق نفسه (ص 217) .

نُهَم : اسم صنم . والجليل والسلّم : ضربان من الشّجر .

64) أبو الطّمَحان القينيّ الأسديّ : هو حنظلة بن الشّرقيّ أحد بني القين من قضاعة . كان شاعراً فارساً صعلوكاً مخضرماً أدرك الجاهليّة والإسلام فأسلم . وكان تربأ للزّبير بن عبد المطّلب في الجاهليّة ونديماً له . انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 251) وشرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (2 : 83) .

65) شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (2 : 412) .

الحيرة : بلد قرب الكوفة . لقد حلقوا منها : أي من هامته ومن رأسه .

الغُداف : الأسود وأراد به الشَّعَر . واسبكرّ : طال وامتدّ . شبّه لمّته في طولها ولينها بعناقيد من الكَرْم استرسلت .

66) **الكميت بن زيد الأسديّ** : هو الكميت بن زيد أحد بني أسد ابن خزيمة ، ويكنّى أبا المستهلّ . شاعر مقدّم عالم بلغات العرب خبير بأيّامها ووقائعها . وهو من شعراء مضر وألسنتها والمتعصّبين على القحطانيّة المقارعين لشعرائهم العلماء بمثالبهم ومعاييهم ، فكان عدنانيّاً عصبيّا . وكان في أيّام بني أميّة ولم يدرك بني العبّاس . كان معروفاً بالتّشيّع لبني هاشم مشهوراً بذلك ، وقصائده الهاشميّات من جيّد شعره ومختاره . انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 390) وشرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (2 : 368) .

67) البيان والتّبيّين (3 : 205) .

خالد : هو ابن عبدالله القسريّ . والأمّ بفتح الهمزة وكسرها : الشّكل والأمر والقصد . يقول : لا يكون خالد مثلك في الثّبات والشّجاعة حين تشتدّ الغارة ويصاح فيها بالخيل : هَلاَ وهبيّ . وهما كلمتان تستعملان لزجر الخيل أي : توسّعي وتباعدي . انظر : لسان العرب (6 : 4620 , 4695) .

68) شرح شواهد المغني للسّيوطيّ (1 : 64) .

الرّاقصات : الإبل ؛ لأنّها ترقص براكبها . ويقول البلاد : يقطعها ويجوبها . والنّصّ والذّميل : ضربان من سير الإبل .

69) **يونس النّحويّ** : هو يونس بن حبيب الضّبّي الولاء البصريّ أبو عبدالرّحمن . ولد سنة 80 هـ . إمام نحاة البصرة في عصره ومرجع الأدباء والنّحويّين في المشكلات ، كانت حلقته مجمع فصحاء الأعراب وأهل العلم والأدب . أخذ عنه سيبويه والكسائيّ والفرّاء وغيرهم من الأئمّة ، وكان له في العربيّة مذاهب وأقيسة يتفرّد بها . ومن تصانيفه : معاني القرآن الكبير ، ومعاني القرآن الصّغير ، واللغات ، والنّوادر ، وغير ذلك . توفّي

سنة 182هـ . انظر : معجم الأدباء لياقوت الحمويّ (5 : 651) وبغية الوعاة للسّيوطيّ (2 : 365) .

70) أيمان العرب في الجاهليّة (ص 24) .

71) ديوان امرىء القيس (ص 125) .

72) المصدر السّابق نفسه (ص 114) .

73) شرح المعلّقات العشر للزّوزنيّ (ص 140) .

السّيّدان : هرم بن سنان ، والحارث بن عوف ، مدحهما لإتمامهما الصّلح بين عبس وذبيان وتحمّلهما أعباء ديات القتلى . والسّحيل : المفتول على قوّة واحدة ، ويستعار للضّعيف . والمبرم : المفتول على قوّتين أو أكثر ، ويستعار للقويّ .

74) ديوان الأعشى (ص 281) .

الشّاهقة : أرفع موضع في الجبل . والأسود : هو أخو الحوفزان ، كان في يد كسرى في رهن قيس بن مسعود . على ما خيّلتْ : أي على ما أرتك نفسك وشبّهت لك وأوهمتك .

75) سورة : النّحل . آية : 38 .

76) سورة : القلم . آية : 39 .

77) صحيح البخاريّ : سورة النّور (3 : 167) .

78) المصدر السّابق نفسه : باب كيف كانت يمين النّبيّ (4 : 150) .

79) المصدر السّابق نفسه : باب ذكر أصهار النّبيّ (2 : 303) .

80) موطّأ مالك (ص 708) .

81) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 115) .

قوله : (لأفرطنّ) من رواها بفتح الهمزة ، فأصله « فَرَطَ » ثلاثيّ ، يقال : فَرَطَ زيدٌ القومَ أي سبقهم ، ورجلٌ فَرْطٌ : يسبق القوم إلى البئر ،

فيهيء لهم الأرشية والدّلاء ، ويكون تقدير الكلام : وايم اللّه لأفرطنّ لهم إلى حوض ، فلمّا حذف الجارّ عدّى الفعل بنفسه فنصب ، وتكون اللام في (لهم) إمّا لام التعدية ، أو تكون للتّعليل أي لأجلهم . ومن رواها « لافرطنَّ » بضمّ الهمزة ، فهو من أفرط المزادة أي ملأها . والماتح : المستقي ، والمايح : الذي ينزل إلى البئر فيملأ الدّلو . وقيل لأبي عليّ : ما الفرق بين الماتح والمايح ؟ فقال : هما كإعجامهما ، يعني أنّ التاء بنقطتين من فوق ، وكذلك الماتح لأنّه المستقي ، فهو فوق البئر . والياء بنقطتين من تحت ، وكذلك المايح ؛ لأنّه تحت في الماء الذي في البئر يملأ الدّلاء . ومعنى قوله : « أنا ماتحه » أنا خبير به . والكلام استعارة ، يقول : لأملأنّ لهم حياض الحرب التي هي دربتي وعادتي ، أو لأسبقنّهم إلى حياض حرب أنا متدرّب لها ، مجرّب لها ، إذا وردوها لا يصدرون عنها يعني : قتلهم وإزهاق أنفسهم ، ومن فرّ منهم لا يعود إليها . انظر : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (1 : 197) .

82) المصدر السّابق نفسه (ص 278) .

البقر : الشّقّ ، أي لأشقنّ جوف الباطل بقهر أهله ، فأنتزع الحقّ من أيدي المبطلين ، والتّمثيل في غاية اللطف . انظر : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (2 : 660) وشرح نهج البلاغة لمحمد عبده (ص 278) .

83) **معاوية بن أبي سفيان** : هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ ، أبو عبدالرّحمن . أسلم هو وأبوه يوم فتح مكة ، وشهد حنيناً ، وكان من المؤلّفة قلوبهم . كان من الموصوفين بالدّهاء والحلم . استخلفه أبو بكر على دمشق بعد موت أخيه يزيد بن أبي سفيان ، فأقرّه عمر ، ثم أقرّه عثمان ، وجمع له الشّام كلّه ، فأقام أميراً عشرين سنة . خرج على أمير المؤمنين عليّ فقاتله في صفّين

سنة 37 هـ ، فكان التّحكيم . دعا أهل الشّام إلى البيعة بولاية العهد من بعده لابنه يزيد . توفّي سنة 60 هـ . انظر : تاريخ الخلفاء للسّيوطيّ (ص 193) .

84) العقد الفريد (4 : 307) .

85) المصدر السّابق نفسه (4 : 108) .

86) ديوان حسّان بن ثابت (ص 67) .

المخيَّسات : الإبل المذلّلة المروّضة . السّربخ : الأرض البعيدة . الجَدَد : الأرض الغليظة .

87) **عبدالرّحمن بن حسّان** : هو عبدالرحمن بن حسّان بن ثابت الأنصاريّ ، يكنّى أبا سعيد . شاعر إسلاميّ . أمّه سيرين أخت مارية أمّ إبراهيم ابن رسول اللّه ﷺ . قال الشّعر وهو صغير . قال لأبيه وهو صبيّ – ورجع إليه وهو يبكي ويقول : لسعني طائر ! قال : فصفْه لي يا بنيّ ! قال : كأنّه ثوبُ حَبَرَة ! قال حسّان : قال ابني الشّعر وربِّ الكعبة ! وكان الذي لسعه زنبوراً ، والحبرة ضرب من برود اليمن . انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 193) والحيوان للجاحظ (3 : 65) .

88) الكامل في اللغة والأدب (1 : 18) .

الجناية : الجريمة . والظّنين : المتّهم .

89) **نُصَيْبٌ بن رباح** : هو ابن رباح مولى عبدالعزيز بن مروان ، وكان يكنّى أبا الحَجْناء . كان شاعراً فحلاً فصيحاً مقدّماً في النّسيب والمديح عفيفاً لم يُنسب بامرأة قطّ . وكان كبير النّفس ذا مكانة عند الملوك يجيد مديحهم ومراتبهم ، وشهد له أهل عصره بالإجادة والتّقدّم ، وله شعر سهل ممتنع سائغ عذب كأنّه اللؤلؤ الرّطب . انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 265) وشرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (2 : 97) وشرح شواهد المغني للسّيوطيّ (1 : 301) .

90) شرح شواهد المغني (1 : 299) .

91) أيمان العرب في الجاهليّة (ص 38) .

92) ديوان امرىء القيس (ص 113) .

الكثيب : الرّمل المجتمع في ارتفاع . تعذّرت : امتنعت وتصعّبت ، وجاءت بمعاذير من غير عذر . لم تحلّل : لم تستثن في يمينها ، أي جعلته حلفاً قاطعاً .

93) شرح المعلّقات العشر للزّوزنيّ (ص 119) .

الكشح : موقع السّيف من المتقلّد . البطانة : نقيض الظّهارة . العضب : السّيف القاطع . شفرتا السّيف : حدّاه . يقول : ولقد حلفت ألا يزال كشحي لسيف قاطع رقيق الحدّين طبعته الهند بمنزلة البطانة للظّهارة . انظر : لسان العرب : مادّة (ك ش ح) (5 : 3880) .

94) ديوان الأعشى (ص 185) .

الكلالة : الإعياء من المشي . وحفًى : رقّة القدم من كثرة المشي بغير نعْل .

95) **بلعاء بن قيس الكنانيّ** : هو من بني كنانة . كان رئيساً من كبراء العرب في الجاهليّة ، وكان أبرص فقيل له : ما هذا البياض ؟ فقال : سيف اللّه جلاّه . شهد حرب الفجّار الثّانية ، ومات في تلك الأيّام . انظر : شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (1 : 13) والاشتقاق لابن دريد (ص 171) .

96) شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (1 : 13) .

غمار الموت : جمع غمرة ،وهي شدائده – والمعنى : ربّ فارس داخل في شدائد الموت إذا حلف على ما يكره منه بَرّ ولم يحنث .

97) **زيد الفوارس** : هو زيد بن الفوارس بن حصين الضّبّيّ ، ينتهي إلى ضبّة بن أدّ بن طابخة . وهو شاعر جاهليّ . كان أبوه ضرار بن عمرو يقال له : الرّديم ؛ لأنّه كان إذا وقف في الحرب ردم ناحيته أي سدّها ، وطالت رياسته في الحرب وغيرها ، وشهد يوم القرنتين ومعه ثمانية عشر من

ولده ، وكلّهم يقاتلون معه ، وزيد الفوارس كان فارسهم ؛ ولهذا قيل له : زيد الفوارس . انظر : شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (1 : 216) .

98) شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (1 : 21) .

المفائد : جمع مفأد ، وهي عيدان الحديد التي يشوى عليها اللحم – يشير بذلك إلى خستّهنّ .

99) **ثعلبة بن عمرو** : وهو ابن أمّ حَزْنَة من بني سُليمةَ من عبد القيس ، ينتهي نسبه إلى ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان . فارس شاعر له شعر كثير . وثعلبة – وهو العَنْقاء ـ سُمّي بذلك لطول عنقه . انظر : شرح اختيارات المفضّل للتّبريزيّ (3 : 1129 و 1224) والاشتقاق لابن دريد (ص 435) .

100) شرح اختيارات المفضّل للتّبريزيّ (3 : 1134) .

لا يأتلي : لا يقصّر ولا يترك جُهداً . ولا يؤوب : لا يرجع إلى أهله .

101) سورة : البقرة . آية : 226 .

102) تفسير الكشّاف (1 : 269) .

103) **الرّاغب الاصفهانيّ** : هو أبو القاسم حسين بن محمد بن المفضّل المعروف بالرّاغب الاصفهاني . كان فقيهاً عالماً بالتّفسير والأدب واللغة . ومن تصانيفه : المفردات في غريب القرآن ، ومحاضرات الأدباء ، والذّريعة إلى مكارم الشّريعة ، وغير ذلك . توفّي سنة 502 هـ . انظر : مقدّمة المفردات في غريب القرآن (ص 3) وتاريخ آداب اللغة العربيّة (2 : 45) .

104) المفردات في غريب القرآن (ص 22) .

105) سورة : النّور . آية : 22 .

106) معاني القرآن (2 : 248) .

107) تفسير الكشّاف (3 : 222) .

108) موطّأ الإمام مالك (ص 427) .

109) **أنس بن مالك** : هو من الأنصار . وأمّه سُليم بنت مَلْحان امرأة أبي طلحة . قد روى عن النّبيّ ﷺ . وكانت « أمّ أنس » قد أتت به النّبيّ ﷺ حين قدم المدينة وهو ابن ثماني سنين فخدمه إلى أن قُبض ﷺ . وعُمِّر أنس طويلاً ، وهو آخر من مات بالبصرة من أصحاب رسول اللّه ﷺ ، وكانت وفاته سنة 91 هـ . انظر : المعارف لابن قتيبة (ص 309) .

110) لسان العرب : مادّة (أ ل و) (1 : 117) .

وقوله : « آلى » إنّما عدّاه بـ (مِنْ) حملاً على المعنى ، وهو الامتناع من الدّخول ، وهو يتعدّى بـ (مِنْ) .

111) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 652) .

الألِيّة : اليمين . وباحة الدار : وسطها ، وكذلك ساحتها ، أي أحلف باللّه حلفةً غير حانثة .

112) **عبداللّه بن مسعود** : كان عبداللّه بن مسعود من هذيل ، ورهطه منهم : بنو عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذيل . وكان من حلفاء بني زهرة . ويُكنّى أبا عبدالرّحمن . شهد مع الرّسول ﷺ بدراً ، وبيعة الرّضوان ، وجميع المشاهد . وكان على قضاء الكوفة وبيت مالها لعُمر ، وصدراً من خلافة عثمان . ثم صار إلى المدينة فتوفّي سنة 32 هـ ، ودُفن بالبقيع . انظر : المعارف لابن قتيبة (ص 249) .

113) إعجاز القرآن للباقلاّنيّ (ص 193) .

114) لسان العرب : مادّة (أ ل و) (1 : 117) .

115) ديوان حسّان بن ثابت (ص 59) .

الإفناد : الكذب ، أي أحلف حلفة صادقة غير حانثة .

116) المصدر السّابق نفسه (ص 201) .

الفِزْر : لقبٌ لسعد بن زيد مناةَ بن تميم . وإنّما لُقّب بذلك ؛ لأنّه قال لولده واحداً بعد واحد : ارْعَ هذه المِعْزَى ، فأبَوا عليه ، فنادى في النّاس فاجتمعوا ، فقال : انتهبوها ولا أحلّ لأحد أكثر من واحدة ، فتقطّعوها في ساعة ، وتفرّقتْ في البلاد . انظر : لسان العرب (5 : 3409) .

117) **أبو الأسود الدّؤليّ** : هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حِلْسَ بن نُفاثة بن عديّ بن الدُّئل بن بكر بن كنانة الدُّؤليّ أبو الأسود . أوّل من أسّس النّحو ، وأوّل من نَقّط المصحف . أحد سادات التّابعين ، ومن أكمل الرّجال رأياً ، وأسدّهم عقلاً . شيعيّ شاعر ، سريع الجواب ، ثقة في حديثه . صَحِبَ عليّ بن أبي طالب ﷺ ، وشهد معه صفّين ، وقدِم على معاوية فأكرمه وأعظم جائزته ، وولِيَ قضاء البصرة . توفّي سنة 67 هـ بالطّاعون الجارف . انظر : معجم الأدباء لياقوت الحمويّ (3 : 436) وبغية الوعاة للسّيوطيّ (2 : 22) .

118) الكامل في اللغة والأدب (2 : 220) .

اللُّقحة : النّاقة الحلوب الغزيرة اللّبن . والمساومة : المجاذبة بين البائع والمشتري على السِّلعة وفصل ثمنها . والمثلَّم : اسم موضع .

119) المصدر السّابق نفسه (2 : 378) .

120) **بشامة بن حزن النّهشليّ** : أحد بني نهشل بن دارم ، والظّاهر أنّه إسلاميّ . قال البغداديّ : ولم أر له ترجمة في كتب الأنساب . انظر : شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (1 : 149) .

121) البيان والتّبيين (3 : 54) .

يقال : تحلّل فلان من يمينه : إذا خرج منها بكفّارة أو حنث يوجب الكفّارة . وتحلّل في يمينه أي استثنى . انظر : لسان العرب : مادّة (ح ل ل) (2 : 976) .

122) ابن الأعرابيّ : هو محمد بن زياد أبو عبدالله بن الأعرابيّ ، من موالي بني هاشم . كان نحويّاً عالماً باللغة والشّعر ، ناسباً ، وكان ربيباً للمفضّل الضّبّيّ . ولد سنة 150 هـ في اللّيلة التي مات فيها أبو حنيفة . له من التّصانيف : النّوادر ، والأنواء ، وتفسير الأمثال ، ومعاني الشّعر ، والألفاظ ، وتاريخ القبائل ، وغير ذلك . توفّي سنة 230 هـ ، وقيل : سنة 231 هـ ، وقيل : سنة 233 هـ بسُرَّ منْ رأى في خلافة الواثق بن المعتصم . انظر : معجم الأدباء لياقوت الحمويّ (5 : 336) وبغية الوعاة للسّيوطيّ (1 : 105) .

123) أيمان العرب في الجاهليّة (ص 25) .

124) المصدر السّابق نفسه (ص 31) .

125) شرح المعلّقات العشر للزّوزنيّ (ص 115) .

الطِّوَل : الحبل . الإرخاء : الإرسال . الثّني : الطّرَف ، والجمع الأثناء . يقول : أقسم بحياتك إنّ الموت في مدة إخطائه الفتى ، أي مجاوزته إيّاه ، بمنزلة حبل طويل للدّابّة ترعى فيه وطرفاه بيد صاحبه ، يريد أنّه لا يتخلّص من الموت كما أنّ الدّابّة لا تفلت مادام صاحبها آخذاً بطرفي طولها . قال : متى شاء الموت قاد الفتى لهلاكه ، ومن كان في حبل الموت انقاد لقوده .

126) شرح المعلّقات العشر للزّوزنيّ (ص 149) .

يقول : أقسم ببقائك وحياتهم إنّ رماحهم لم تجن عليهم دماء هؤلاء ، أي لم يسفكوها ولم يشاركوا قاتليهم في سفك دمائهم .

127) ديوان الأعشى (ص 273) .

لاح الشّيء : بدا وظهر . عيون : يقصد عيون النّاس ، أطلق الجزء وأراد الكلّ . واليفاع : الأرض المرتفعة . وإنّما يوقد الكريم النار على التّلال والجبال ليعرف مكانه ، فيقصدوا إلى ضيافته .

128) ديوان حاتم الطّائيّ (ص 40) .

129) **المرقّش الأصغر** : هو ربيعة بن سفيان من بني سعد بن مالك بن ضبيعة . شاعر جاهليّ وأحد عشّاق العرب المشهورين . يقال : إنّه أخو المرقّش الأكبر ، ويقال : إنّه ابن أخيه . وصاحبته فاطمة بنت المنذر ، وكانت لها جارية تجمع بينهما يقال لها : هند بنت عجلان فلذلك ذكرها في شعره . انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 127) وشرح اختيارات المفضّل للتّبريزيّ (2 : 1090) .

130) شرح اختيارات المفضّل للتّبريزيّ (2 : 1113) .

131) سورة : الحجر . آية : 72 .

132) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 156) .

133) المصدر السّابق نفسه (ص 178) .

134) العقد الفريد (4 : 306) .

135) ديوان حسّان بن ثابت (ص 71) .
استعار الأديم الممدّد للحرب واتّساعها .

136) المصدر السّابق نفسه (ص 40) .

137) **لبيد بن ربيعة** : هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامريّ . شاعر معمّر مخضرم معدود من فحول الشّعراء المجيدين وفرسانهم . وفد على النّبيّ ﷺ مع قومه بني جعفر بن كلاب فأسلم وحسن إسلامه ، ولم يقل شعراً في الإسلام إلاّ بيتاً واحداً . يقال : إنّ وفاته كانت في أوّل خلافة معاوية ، وإنّه مات وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة . انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 171) وشرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (1 : 431) .

138) شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (1 : 431) .

139) **الفرزدق** : هو همّام بن غالب بن صعصعة ينتهي نسبه إلى زيد بن مناة ، وكنيته أبو فراس . وإنّما لُقّب بالفرزدق لغلظه وقصره شبّه بالفتيتة التي تشربها النّساء وهي الفرزدقة . وهو وجرير والأخطل في الطّبقة الأولى من الشّعراء الإسلاميّين ، واختلف العلماء بالشّعر في المفاضلة بينه وبين جرير ، وكان يونس يفضّل الفرزدق ويقول : لولا الفرزدق لذهب شعر العرب . وكان مِعَنًّا مِفَنًّا يقول في كلّ شيء وسريع الجواب ، وكان يشبّه بزهير من شعراء الجاهليّة . توفّي سنة 110 هـ . انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 315) وشرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (1 : 277) .

140) ديوان الفرزدق (ص 36) .

141) **عمر بن أبي ربيعة** : هو عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزوميّ ، ويكنّى أبا الخطّاب . أحد فحول شعراء الحجاز . ولد في اللّيلة التي قُتل فيها عمر بن الخطّاب فسُمّي باسمه . كان فاسقاً يتعرّض للنّساء الحواجّ في الطّواف وغيره من مشاعر الحجّ ويشبّب بهنّ . كان يقال : من أراد رقّة الغزل والنّسيب فعليه بشعر عمر بن أبي ربيعة . وفد على عبد الملك بن مروان فوصله بمال عظيم لشرفه وبلاغة نظمه ، ووفد على عمر بن عبدالعزيز كذلك . توفّي سنة 93 هـ.انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 371) وشرح شواهد المغني للسّيوطيّ (1 : 33) .

142) ديوان عمر بن أبي ربيعة (ص 416) .

الثّريّا : صاحبة عمر وحبيبته . وسهيل : سهيل بن عبدالعزيز بن مروان ، تزوّج الثّريّا في غفلة من عمر .

143) شرح الكافية للرّضيّ (4 : 305) .

144) انظر : الأصول في النّحو لابن السّرّاج (1 : 346) وشرح جمل الزّجّاجيّ لابن عصفور (1 : 532) .

145) التّرغيب والتّرهيب (3 : 359) .

146) **ابن الأثير** : هو المبارك بن محمّد بن محمّد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشّيبانيّ ، أبو السّعادات الملقّب بمجد الدّين المعروف بابن الأثير . ولد سنة 544 هـ بالجزيرة ، وانتقل إلى الموصل . كان عالماً فاضلاً ، قد جمع بين علم العربيّة والقرآن والنّحو واللغة والحديث والفقه ، وكان شافعيًا . له من التّصانيف : النّهاية في غريب الحديث ، وجامع الأصول في أحاديث الرّسول ، والباهر في الفروق في النّحو ، والإنصاف في تفسير القرآن ، وغير ذلك . توفّي سنة 606 هـ . انظر : معجم الأدباء لياقوت الحمويّ (5 : 49) وبغية الوعاة للسّيوطيّ (2 : 274) .

147) **أبو حنيفة** : هو النّعمان بن ثابت مولى تيم اللّه من أهل الكوفة ، وأصل أبيه من فُرس كابل . ولد سنة 80 هـ . كان أوّل أمره خزّازاً ، ثم أقبل على علوم الدّين فأخذها عمّن شافه الصّحابة ونقل عنهم ، واشتُهر بالنّبوغ فيها حتّى أراده المنصور أن يلي القضاء فأبى ، فسجنه المنصور ، وقيل : وما سجنه إلاّ لميله إلى العلويّين . تخرّج عليه من فقهاء العراق القاضي أبو يوسف ، ومحمد بن الحسن ، وغيرهما . ينسب إليه كتاب الفقه الأكبر في أصول الدّين ، والمخارج في الحيل ، ووصيّته لأصحابه في الأصول . توفّي في سجن المنصور سنة 150 هـ . انظر : تاريخ الأدب العربيّ لأحمد حسن الزّيّات (ص 437) وتاريخ الأدب العربيّ لبروكلمان (3 : 235) .

148) **الشّافعيّ** : هو محمد بن إدريس الشّافعيّ ، ينتهي نسبه إلى مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان . ولد بغزّة بفلسطين سنة 150 هـ يوم مات أبو حنيفة ، وانتقل إلى عسقلان إلى أن ترعرع فحملته أمّه إلى مكة . اشتهر بالفصاحة والذّكاء والنبّوغ في النّحو والشّعر والغريب والحديث والفقه ، وأنساب العرب . انقطع إلى مالك بن أنس فحفظ الموطّأ . له من التّصانيف : كتاب

الأمّ في الفقه ، وأحكام القرآن ، وأدب القاضي ، واختلاف الحديث ، والقسامة ، وغير ذلك كثير . توفّي سنة 204 هـ بمصر . انظر : معجم الأدباء لياقوت الحمويّ (5 : 190) .

149) لسان العرب (1 : 143) .

150) ديوان امرىء القيس (ص 68) .

151) ديوان الأعشى (ص 237) .

152) ديوان حاتم الطّائيّ (ص 54) .

يطورها : يدنو منها .

153) نسب السّيوطيّ هذا البيت إلى أبيات الحماسة ، وقال : قال التّبريزيّ : يقال إنّ هذا الشّعر لجندل بن عمرو ! وعند رجوعنا إلى أبيات الحماسة وجدنا هذا الشّعر ، ولم نعثر على قائله ! انظر : شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (1 : 113) وشرح شواهد المغني للسّيوطيّ (2 : 746) .

154) شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (1 : 113) .

يقال : مُنِيَ بكذا : إذا ابتُلي به . والهريت : الواسع ، ويقال للأسد : هريت . والأشوس : الغضبان المتكبّر . والأغلب : الأسد . أي قد ابتلوا وقدّر لهم من هذه صفاته .

155) التّرغيب والتّرهيب (3 : 359) .

156) بُريدة : هو بريدة بن عبدالله بن بريدة الفقيه ، وهو بريدة بن الحُصَيْب . من أكابر الصّحابة . اشترك في فتح خراسان . توفّي سنة 63 هـ . انظر : الاشتقاق لابن دريد (ص 478) والمنجد في اللغة والأعلام (ص 126) .

157) التّرغيب والتّرهيب (3 : 359) .

158) لسان العرب : مادّة (أ ب و) (1 : 16) .

159) أساليب القسم في اللغة العربيّة (ص 266) .

160) المصدر السّابق نفسه (ص 266) .

161) لسان العرب (1 : 16) .

162) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 455) .

قوله : « وفوّقت السّهم » جعلت له فُوقاً ، وهو موضع الوتر ، وهذا كناية عن الاستعداد . وقوله : « وأغرق لكم بالنّزع » أي استوفى مدّ القوس وبالغ في نزعها ليكون مرماه أبعد ، ووقع سهامه أشدّ . انظر : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (4 : 163) .

163) المصدر السّابق نفسه (ص 135) .

الإدهان : المصانعة والمنافقة . والإيهان : مصدر أوهنته أي أضعفته .

164) ديوان حسّان بن ثابت (ص 106) .

خامتْ : جبنتْ ، ونكصتْ .

165) المصدر السّابق نفسه (ص 246) .

نبّ : صاح .

166) المصدر السّابق نفسه (ص 72) .

نبا : كَلَّ .

167) **نوفل بن الحارث** : هو نوفل بن الحارث بن عبدالمطّلب ، ابن عمّ الرّسول ﷺ . كان أسنّ من أسلم من بني هاشم . أُسِر يوم بدر ففداه العبّاس ، وأسلم وهاجر أيّام الخندق . خرج مع ابن الأشعث ، فلمّا هُزم هرب إلى عُمان فمات بها . انظر : المعارف لابن قتيبة (ص 127) .

168) أساليب القسم في اللغة العربيّة (ص 267) .

169) **كعب بن زهير** : وجدّه أبو سُلمى ربيعة بن رباح أحد بني مازن بن ثعلبة . من المخضرمين ومن فحول الشّعراء . كان أخوه بُجير أسلم قبله ، وشهد مع رسول اللّه ﷺ فتح مكّة . وأرسل كعب إلى أخيه ينهاه عن الإسلام فبلغ ذلك النّبيّ ﷺ فأهدر دمه ، فكتب إليه أخوه بجير يخبره

بذلك ، فقدم على رسول اللّه ﷺ وقال قصيدته المشهورة يعتذر فيها إلى الرّسول ﷺ فسمعها وقبل معذرته ، وكساه بُرْدة . انظر الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 84) وشرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (1 : 405) وشرح شواهد المغني للسّيوطيّ (2 : 524) .

170) أساليب القسم في اللغة العربيّة (ص 268) .

مطا : جدّ في السّير وأسرع .

171) **عبداللّه الجعديّ** : وجدّه الأشهب بن ورد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة . وكان شاعراً إسلاميّاً وسيّداً من سادات قيس ، وأميراً من أمرائها ، جواداً ممدحاً ، وَلِيَ أكثر أعمال خراسان وفارس وكرمان . وكان أبوه الحشْرج بن الأشهب سيّداً شاعراً وأميراً كبيراً . انظر شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (2 : 345) .

172) شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (2 : 346) .

المكاشرة : إبداء الأسنان بالضّحك . والتِّلاد : كل مال قديم من حيوان وغيره يُورث عن الآباء .

173) **عبداللّه بن رواحة** : هو عبداللّه بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس الأنصاريّ الخزرجيّ ، أبو محمد ، ويقال : أبو رواحة . شهد بدراً والعقبة . وهو أحد النقباء ، وأحد الأمراء في غزوة مؤتة ، واستشهد بها سنة 7 هـ . قيل كان شعراء أصحاب محمّد ﷺ : عبداللّه بن رواحة ، وحسّان بن ثابت ، وكعب بن مالك . انظر : شرح شواهد المغني للسّيوطيّ (1 : 287) .

174) شرح شواهد المغني للسّيوطيّ (2 : 932) .

هو من أبيات قالها في غزوة مؤتة .

175) أساليب القسم في اللغة العربيّة (ص 268) .

176) المصدر السّابق نفسه (ص 269) .

177) سورة : الحجر . آية : 72 .

178) أساليب القسم في اللغة العربيّة (ص 270) .

179) البرهان في علوم القرآن (3 : 46) .

180) **ابن الأثير** : هو نصر اللّه بن محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الوزير ضياء الدّين أبو الفتح الشّيبانيّ الخزرجيّ المعروف بابن الأثير . ولد سنة 558هـ . مَهَرَ في النّحو واللغة وعلم البيان ، واستكثر من حفظ الشّعر . كان وزيراً للأفضل عليّ بن السلطان صلاح الدّين . له من المصنّفات : المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر ، والوشي المرقوم في حَلّ المنظوم ، والمعاني المخترعة في صناعة الإنشاء ، وغير ذلك . توفّي سنة 637 هـ . انظر : بغية الوعاة للسّيوطيّ (2 : 315) .

181) المثل السّائر (1 : 92) .

182) انظر : اللغة العربيّة معناها ومبناها (ص 71) .

183) انظر : معجم مقاييس اللغة (5 : 157) .

184) المفردات في غريب القرآن (ص 512) .

185) معاني القرآن (1 : 225) .

186) تفسير الكشّاف (1 : 159) .

187) **ابن الأنباريّ** : هو عبدالرّحمن بن محمّد بن عبيداللّه بن أبي سعيد أبو البركات كمال الدّين الأنباريّ النّحويّ . كان إماماً ثقةً صدوقاً ، فقيهاً مناظراً ، غزير العلم ، ورعاً زاهداً عابداً تقيًا عفيفاً . لازم ابن الشّجريّ حتى برع ، وصار من المشار إليهم في النّحو . وله المؤلفّات المشهورة ، منها : الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريّين والكوفيّين ، غريب إعراب القرآن ، شرح ديوان المتنبّي ، شرح الحماسة ، حواشي الإيضاح ،

وغير ذلك توفّي سنة 577 هـ . انظر : بغية الوعاة للسّيوطيّ (2 : 86) .

188) البيان في غريب إعراب القرآن (1 : 209) .

189) سورة : البقرة . آية : 83 .

190) سورة : آل عمران . آية : 81 .

191) سورة : البقرة . آية : 84 .

192) سورة : آل عمران . آية : 187 .

193) صحيح البخاريّ (4 : 298) .

194) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 94) .

195) المصدر السّابق نفسه (ص 432) .

196) المفردات في غريب القرآن (ص 423) .

197) معاني القرآن (3 : 142) .

198) **الأخفش** : هو سعيد بن مسعدة أبو الحسن الأخفش الأوسط البصريّ . أحد أئمّة النّحاة البصريّين . قرأ النّحو على سيبويه ، وكان أسنّ منه ، وهو أعلم من أخذ عنه ، وكان معتزليًّا . له من التّصانيف : معاني القرآن ، والاشتقاق ، والأوسط في النّحو ، ومعاني الشّعر ، وغير ذلك . توفّي سنة 215 هـ ، وقيل : 221 هـ . انظر : معجم الأدباء لياقوت الحمويّ (3 : 382) وبغية الوعاة للسّيوطيّ (1 : 590) .

199) معاني القرآن (1 : 293) .

200) البيان في غريب إعراب القرآن (2 : 427) .

201) سورة : الأنعام . آية : 12 .

202) سورة : الأنعام . آية : 54 .

203) سورة : المجادلة . آية : 21 .

204) صحيح البخاريّ : كتاب التّوحيد (4 : 278) .

205) تفسير الكشّاف (2 : 173) .

206) **الطّبرسيّ** : هو أمين الدّين أبو عليّ الفضل بن الحسن الطّبرسيّ . المفسّر الفقيه الجليل والمحدّث النّبيل من أكابر علماء الإماميّة في القرن السّادس الهجريّ . له مصنّفات كثيرة منها : مجمع البيان في تفسير القرآن ، والكاف الشّاف من كتاب الكشّاف ، والوسيط ، والوجيز ، وغير ذلك . توفّي سنة 548 هـ . انظر : مقدّمة مجمع البيان في تفسير القرآن (1 : 7 - 15) .

207) مجمع البيان في تفسير القرآن (9 : 54) .

208) **ابن كثير** : هو أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، عماد الدّين بن الخطيب ، القرشيّ الدّمشقيّ . ولد سنة 700 هـ في دمشق . عالم مفسّر ومحدّث ومؤرّخ . وله من المصنّفات : البداية والنّهاية ، وتفسير القرآن ، والاجتهاد في طلب الجهاد ، وغير ذلك . توفّي سنة 774 هـ . انظر : تاريخ آداب اللغة العربيّة (3 : 202) .

209) تفسير القرآن العظيم (2 : 598) .

210) سورة : الأعراف . آية : 167 .

211) سورة : إبراهيم . آية : 7 .

212) لسان العرب : مادّة (ن ف س) (6 : 4500) .

213) **أبو سعيد الخدريّ** : هو سعد بن مالك الأنصاريّ . ولد في السّنة العاشرة قبل الهجرة . أحد علماء الصّحابة ، وأحد الذين بايعوا تحت الشّجرة . غزا مع النّبيّ ﷺ اثنتي عشرة غزوة . وكان ممّن حفظ عن النّبيّ سنناً كثيرة . توفّي سنة 74 هـ . انظر : موطّأ الإمام مالك (ص 720) .

214) موطّأ الإمام مالك (ص 139) .

215) صحيح البخاريّ : كتاب الإيمان (1 : 12) .

216) المصدر السّابق : كتاب المساقاة (2 : 53) .

217) المجازات النّبويّة (ص 354) .

218) إعجاز القرآن للباقلانيّ (ص 185) .

219) موطّأ الإمام مالك (ص 708) .

220) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 265) .

221) مجمع البيان في تفسير القرآن (9 : 132) .

222) المصدر السّابق نفسه (1 : 445) .

223) أبو حيّان : هو محمّد بن يوسف بن عليّ بن يوسف بن حيّان أثير الدّين أبو حيّان الأندلسيّ الغرناطيّ . نحويّ عصره ولغويّه ومفسّره ومحدّثه ومقرؤه ومؤرّخه وأديبه . ولد سنة 654 هـ . كان ثبتاً صدوقاً حجّةً سالم العقيدة ، ومال إلى مذهب أهل الظّاهر وإلى محبّة عليّ بن أبي طالب ﷺ . له من التّصانيف : تفسير البحر المحيط ، وإتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب ، والتّذييل والتّكميل في شرح التّسهيل ، وارتشاف الضّرَب ، وغير ذلك . توفّي سنة 745 هـ . انظر : بغية الوعاة للسّيوطيّ (1 : 280) .

224) تفسير البحر المحيط (7 : 295) .

225) بحار الأنوار (51 : 79) .

لم أعثر على هذا الحديث في كتب الصّحاح ولا في المسانيد . انظر : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النّبويّ (مادّة مهد) .

226) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 471) .

يتحدّث أمير المؤمنين ﷺ عن الشجرة التي خاطبها الرسول الأعظم ﷺ ، حتّى وقفت مرفرفة بين يديه ، وألقت بغصنها الأعلى عليه .

227) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 119) .

228) المصدر السّابق نفسه (ص 412) .

229) **ابن أبي الحديد** : هو عبدالحميد بن هبة اللّه بن محمّد بن الحسين بن أبي الحديد المدائنيّ المعتزليّ ، وكنيته أبو حامد ، ولقبه عزّ الدّين . ولد سنة 586 هـ في المدائن وانتقل إلى بغداد وخدم في الدّواوين السّلطانيّة . عالم من فضلاء العلماء ، وأديب بارع ، ومعتزليّ شديد المدافعة عن الاعتزال ، واسع المعرفة بالأيّام والأخبار والأنساب . له من المصنّفات : شرح نهج البلاغة ، والفلك الدّائر على المثل السّائر ، والقصائد السّبع العلويّات ، والوشاح الذّهبي في العلم الأدبيّ ، وغير ذلك . توفّي سنة 656 هـ . انظر : مقدّمة شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (1 : 19) .

230) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (2 : 645) .

231) لسان العرب : مادّة (ف ل ق) (5 : 3462) .

232) المصدر السّابق نفسه (6 : 4414) .

233) سورة : الأنعام . آية : 95 .

234) انظر : منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (18 : 224) .

235) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 272) .

236) المصدر السّابق نفسه (ص 551) .

237) المصدر السّابق نفسه (ص 604) .

238) البرهان في علوم القرآن (3 : 46) .

239) معجم مقاييس اللغة (3 : 221) .

240) إمعان في أقسام القرآن (ص 22) .

241) بلاغة القسم في القرآن الكريم (ص 9) .

242) أيمان العرب في الجاهليّة (ص 34) .

243) إمعان في أقسام القرآن (ص 30) .

244) بلاغة القسم في القرآن الكريم (ص 12) .

245) الرّاعي : هو عبيد بن حُصَين بن معاوية ينتهي نسبه إلى عامر بن صعصعة . والرّاعي لقب غلب عليه لكثرة وصفه للإبل ونعته إيّاها . وهو شاعر فحل من شعراء الإسلام ، وكان مقدّماً مفضّلاً ماجداً في قومه . توفّي سنة 90 هـ.انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 270) وشرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (1 : 97) .

246) إمعان في أقسام القرآن (ص 33) .

247) شرح المعلّقات العشر للزّوزنيّ (ص 116) .

النّكيثة : المبالغة في الجهد وأقصى الطّاقة .

248) إمعان في أقسام القرآن (ص 35) .

249) انظر : الحيوان (4 : 470) .

250) بلاغة القسم في القرآن الكريم (ص 13) .

251) ديوان حاتم الطّائيّ (ص 55) .

252) لسان العرب : مادّة (ق و ي) (5 : 3788) .

253) سورة : المنافقون . آية : 1 .

254) تفسير الكشّاف (4 : 538) .

255) المفردات في غريب القرآن (ص 268) .

256) البرهان في علوم القرآن (3 : 45) .

257) المصدر السّابق نفسه (3 : 49) .

258) صحيح البخاريّ : كتاب المغازيّ (3 : 4) .

259) العقد الفريد (4 : 182) . لم أعثر على هذا الحديث في كتب الصّحاح ولا المسانيد . انظر : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النّبوي (مادة شهد) و (مادة روح) .

260) ابن عبّاس : هو عبدالله بن عباس بن عبد المطّلب الهاشميّ . ابن عمّ رسول الله ﷺ ، وترجمان القرآن . كان يقال عنه : الحبر والبحر . دعا له النّبيّ بالحكمة مرّتين . ولد في السّنة الثّانية قبل الهجرة . توفّي بالطّائف سنة 68 هـ . انظر : موطّأ الإمام مالك (ص 726) .

261) العقد الفريد (4 : 12) .

262) **قيس بن الملوّح** : هو قيس بن مُعاذ ويقال : قيس بن الملوّح أحد بني جَعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وهو مجنون ليلى المشهور ، الشّاعر الذي قتله العشق . ولُقّب بالمجنون لذهاب عقله بشّدة عشقه . وكان المجنون وليلى صاحبته يرعيان مواشي أهلهما وهما صبيّان فعلق كلّ واحد منهما بصاحبه فلم يزالا كذلك حتّى كبرا فحجبت عنه . انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 377) وشرح شواهد المغني للسّيوطيّ (2 : 699) .

263) أساليب القسم في اللغة العربيّة (ص 329) .

264) المصدر السّابق نفسه (ص 328) .

265) **ابن مفرّغ** : هو يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرّغ الحميريّ البصريّ . ذكره الجمحيّ في الطّبقة السّابعة من شعراء الإسلام . يكنّى أبا عثمان ، وإنّما سُمّي أبوه مفرّغاً لأنّه كان خاطر على شرب سِقاء لبن فشربه حتّى فرغه . وكان يزيد هجّاءً فهجا عبّاد بن زياد بن أميّة ، فظفر به فسجنه ، فكلّموا فيه معاوية فأخرجه . انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 231) وشرح شواهد المغني للسّيوطيّ (2 : 859) .

266) الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 233) .

267) سورة : آل عمران . آية : 18 .

268) **القاضي أبو الحسن** : هو أبو الحسن عبدالجبّار بن أحمد بن عبدالجبّار الهمذانيّ الأسد أباديّ ، الفقيه الشّافعيّ ، المتكلّم المعتزليّ . كان إمام أهل الاعتزال في عصره . لُقّب بقاضي القضاة ، فقد وَلِيَ قضاء الرّيّ . له من المصنّفات : تنزيه القرآن عن المطاعن ، والمغني ، وطبقات المعتزلة ، وغير ذلك . توفّي سنة 415 هـ . انظر : المنجد في اللغة والأعلام (ص 431) ومقدّمة دلائل الإعجاز لمحمود شاكر .

269) حقائق التّأويل للشّريف الرّضيّ (ص 60) .

270) المصدر السّابق نفسه (ص 58) .

271) تفسير الكشّاف (1 : 343) .

272) المفردات في غريب القرآن (ص 268) .

273) انظر : إمعان في أقسام القرآن (ص 8) .

274) سورة : الذّاريات . آية : 23 .

275) التّبيان في أقسام القرآن (ص 539) .

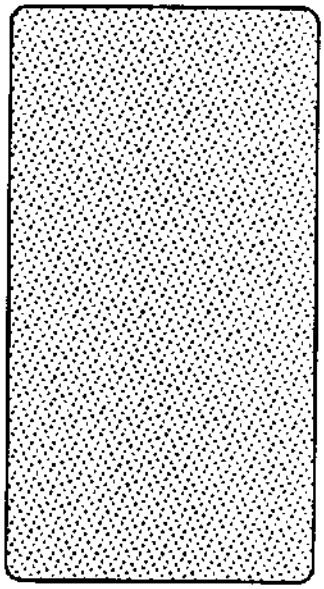
276) ديوان حسّان بن ثابت (ص 186) .

277) شرح شواهد المغني (1 : 290) .

278) ظبيان بن كراوة : أحد شعراء الدّعوة الإسلاميّة .

279) أساليب القسم في اللغة العربيّة (ص 267) .

الفصل الثّاني



النّماذج القسميّة في العصرين الجاهليّ والإسلاميّ

الفصل الثّاني
النّماذج القسميّة في العصرين الجاهليّ والإسلاميّ

بعد الاستقراء المنظّم والجمع المستمدّ من مختلف المصادر الدّينيّة والأدبيّة واللغويّة بلغ قدر النّصوص القسميّة ألفين ومائتي نصّ . فكانت شاملة لأيمان العرب في العصر الجاهليّ شعراً ونثراً ، وللأيمان في العصر الإسلاميّ قرآناً وحديثاً وشعراً ونثراً . وقد قمنا بتصنيف النّماذج القسميّة على أساس وحدة الصّياغة القسميّة المتعلّقة بشكل التّعبير وليس على تعلّقها بالفكرة التي يقوم النّصّ بتوصيلها ، كما استندنا في عملية تحويل النّماذج الأصول إلى فروع إلى الطّريقة ذاتها . وتعدّ وحدة الصّوغ وعملية التّحويل هما السّبيل المؤدية إلى الكشف عن أصل الأصول السّائد في الاستعمال العربيّ لهذه الظاهرة الأسلوبيّة . ولا بدّ من إيضاح المقصد من هذه المصطلحات الثّلاثة :

أوّلاً : النّموذج ، ونعني به الصّياغة التعبيريّة الكاملة لأسلوب القسم .

ثانياً :النّموذج الأصل ، ونعني به كثرة استخدام نموذج ما وكونه سائداً وغالباً في صياغة ما ، فإنّ هذه الكثرة والأغلبية تشعر بأصالته وفرعيّة ما دونه عدداً .

ثالثاً :النّموذج الفرع ، وهو ما دون الكثرة في الاستخدام . وقد تجعل كثرة الاستخدام لفرع ما أصلاً مقيساً عليه ؛ وذلك لكونه راسخاً استخدامه في اللّسان العربيّ . فالفرع إذا تمكّن قَوِيَ قوّةً تسوّغ جعله أصلاً ، وذلك لإرادة تثبيته ورسوخه والشّهادة له بقوّة التمكّن .

ويمكن تقسيم النّماذج القسميّة التي تشكّلتْ في ثمانية وستّين نموذجاً أصلاً وفق

التّرتيب النّوعيّ التّالي :

أوّلاً : الأحرف التي يتصدّر بها القسم ، وقد بلغتْ ستّة نماذج هي :

1) (لا) وجملة المقسم به . 2) (أمَا) وجملة المقسم به .

3) (كلّا) وجملة المقسم به . 4) (بلى) وجملة المقسم به .

5) (إيْ) وجملة المقسم به . 6) (أجلْ) وجملة المقسم به .

ثانياً :أفعال القسم الصّريح ، وقد بلغتْ أربعة نماذج هي :

1) مادّة (قسم) . 2) مادّة (حلف) . 3) مادّة (ألو) . 4) مادّة (ألت) .

ثالثاً : أفعال القسم غير الصّريح ، وقد بلغتْ سبعة وعشرين نموذجًا هي :

1) مادّة (شهد) . 2) مادّة (علم) . 3) مادّة (أخذ) .

4) مادّة (نشد) . 5) مادّة (أبي) . 6) مادّة (عهد) .

7) مادّة (بلي) . 8) مادّة (كتب) . 9) مادّة (وذم) .

10) مادّة (عزم) . 11) مادّة (أذن) . 12) مادّة (بدع) .

13) مادّة (عمر) . 14) مادّة (تمم) . 15) مادّة (حلط) .

16) مادّة (وعد) . 17) مادّة (بدو) . 18) مادّة (قضي) .

19) مادّة (خوف) . 20) مادّة (سبأ) . 21) مادّة (سمط) .

22) مادّة (أصر) . 23) مادّة (صبر) . 24) مادّة (نجد) .

25) مادّة (نفل) 26) مادّة (وثق) . 27) مادّة (نذر) .

رابعاً : أسماء ومصادر القسم الصّريح ، وقد بلغتْ أربعة نماذج هي :

1) يميناً وأخواتها . 2) قسماً .

3) حَلُوفٌ 4) أليّةٌ .

خامساً : أسماء ومصادر القسم غير الصّريح ، وقد بلغتْ سبعة عشر نموذجاً هي :

1) لعمري وأخواتها . 2) أجِدُكَ . 3) لا جَرَمَ .

4) علَيَّ والمقسم به . 5) قَعْدَكَ اللّه وقَعيدَكَ . 6) جَيْرِ .

7) حقّاً وأخواتها . 8) عَوْضُ . 9) أمانةُ اللّهِ .

10) حرامُ اللّهِ . 11) ذِمَّتِي ، وفي ذِمَّتِي . 12) لكَ والمقسم به .

13) إصْر . 14) عَهْداً . 15) يقيناً .

16) عَزْمَةٌ 17) نَذْرٌ علَيَّ .

سادساً : أحرف القسم ، وقد بلغتْ ستّة نماذج هي :

1) (واو) القسم والمقسم به . 2) (تاء) القسم والمقسم به .

3) (باء) القسم والمقسم به . 4) (لام) القسم والمقسم به .

5) (مُنْ) القسم والمقسم به 6) (ها) القسم والمقسم به .

سابعاً : أدلّة اليمين عند حذف جملة القسم ، وقد بلغتْ أربعة نماذج هي :

1) لَقَدْ فَعَلَ . 2) لَئِنْ فَعَلَ .

3) لأفعلنَّ . 4) (لَهِنْ) والضّمير .

وقد ارتأينا أن نقدّم مثالاً موضّحاً لكلّ نموذج أصل وفرع لإيضاح الفكرة وتقريرها في الأذهان ، إضافة إلى إعطاء نسبة مئويّة لكلّ نموذج ، تاركين الدّراسة التّركيبيّة لهذه النّماذج والمقارنة بين أصولها وفروعها إلى الدّلالة التّركيبيّة في فصل الدّلالة .

أوّلاً : الأحـرف التي يتـصـدّر بهـا القـسـم ، وتمثّل نسـبـة 8.9% من مجموع النّصوص :

النّمـوذج الأوّل : (لا) وجـملة المقـسم بـه ، ويمثّل هـذا النّمـوذج الأصل نسبة 56.1% من مجموع الحروف التي يتصدّر بها القسم :

أ –ويمثّل (لا والذي) نموذجاً فـرعاً بنسبة 30.9% من مـجموع النّموذج الأصل . ومـثـاله قـول عـرب الجـاهليّة : « لا والذي أخـرج المـاءَ من الحجرِ ، والنّارَ من الشّجرِ »[1] .

ب–ويمثّل (لا وأبيك) نموذجاً فـرعاً بنسبة 16.4% من مـجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول أبي خِراش الهذليّ[2] :

فـلا وأبيكِ الخـيـرِ لا تجـديـنّهُ جميلَ الغنى ولا صبوراً على العُدْمِ[3]

جـ–ويمثّل (لا واللّهِ) نموذجـاً فرعـاً بنسبـة 14.5% من مـجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول حسّان بن ثابت :

فـــلا واللّـهِ مـــا تـدري هذيلٌ أمحضٌ مـاءُ زمزمَ أم مَـشُوبُ[4]

د –ويمثّل (لا أقسمُ) نموذجـاً فـرعاً بنسبـة 7.3% من مـجمـوع النّمـوذج الأصل . ومـثـاله قوله تعـالى : ﴿ فلا أقسمُ بمواقع النّجوم وإنّه لـقسم لو تعلمون عظيم إنّه لقرآن كريم ﴾[5] .

ر –ويمثّل (لا وربّ) نموذجـاً فـرعـاً بنسبـة 6.4% من مـجمـوع النّمـوذج الأصل . ومـثـاله قوله تعـالى : ﴿ فـلا وربّكَ لا يؤمنون حتّى يحكّمـوك فيما شَجَرَ بينهم ﴾[6] .

س– ويمثّل (لا بِكِ) نموذجـاً فـرعـاً بنسـبـة 1.8% من مـجمـوع النّمـوذج الأصل . ومثاله قول غويّة بن سُلميّ[7] :

ألا نادتْ أمـــامـةُ باحـتـــمـــالِ لِتَـحْـزُنَني فـلا بِكِ مـا أبالي[8]

ش- ويمثّل (**لا يَمينُ اللّهِ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 09% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول عبدالرّحمن بن حسّان :

فلا ويمينُ اللّهِ ما عنْ جنايةٍ هجرتُ ولكنَّ الظّنينَ ظنينُ[9]

ص- ويمثّل (**لا لَعمرُ الذي**) نموذجاً فرعاً بنسبة 09% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول النّابغة الذّبيانيّ :

فلا لعمرُ الذي مَسَّحْتُ كعبتَهُ وما هُرِيْقَ على الأنصابِ من جَسَدِ

ما قلتُ من سيّءٍ ممّا أتيتَ بهِ إذًا فَلا رفعتْ سَوطي إلَيَّ يَدِي[10]

ع- ويمثّل (**لا**) **والمقسم به المتنوّع** نموذجاً فرعاً بنسبة 20.9% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول عمر بن أبي ربيعة :

لا وقَبْرِ النَّبيِّ ، يا عَبْدَ ، والحجِّ ومَنْ كان مُحْرماً ومُحلاً

ما على الأرض منْ أحبُّ سواكم مِنْ جميع النّساءِ ، قالتْ : فَهَلاً[11]

* إذنْ يتّضح لنا من عرض هذه النّماذج الفرعيّة أنّ النّموذج السّائد والغالب فيها إنّما هو : (لا والذي) .

النّموذج الثّاني : (أمَا) وجملة المقسم به ، ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 29.1% من مجموع الحروف التي يتصدّر بها القسم :

أ - ويمثّل (**أمَا واللّهِ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 73.7% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الشّاعر :

أمَا واللهِ أنْ لو كنتَ حرًّا وما بالحرِّ أنتَ ولا العتيقِ[12]

ب- ويمثّل (**أمَا والذي ...**) نموذجاً فرعاً بنسبة 15.8% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول حاتم الطّائيّ :

أمَـا والذي لا يعلـم الغيبَ غيرُهُ ويُحيي العظامَ البيضَ وهي رَميمُ

لقدْ كنتُ أطوي البطنَ ، والزّادُ يُشتهى مخـافـةَ يومـاً أن يُقـالَ لئـيمُ [13]

جـ- ويمثّل (**أمَا وأبيك**) نموذجاً فرعاً بنسبة 3.5% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول حسّان بن ثابت :

أمَـا وأبيكَ لو لبّـثتَ شـيـئـاً لألحـقَكَ الفـوارسُ بالجليلِ [14]

د - ويمثّل (**أما ودماء ...**) نموذجاً فرعاً بنسبة 3.5% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الشّاعر :

أمَـا ودمـاءٍ مـائراتٍ تَخـالُهـا على قُنّة العُزّى وبالنَّسْرِ عَنْدَمَا

ومـا سَبَّحَ الرُّهبانُ في كلّ بِيْعَةٍ أبِيلَ الأبِيلِينَ المسيحَ ابنَ مَرْيَمَا

لقـدْ ذاقَ منّا عـامـرٌ يومَ لَعْلَعٍ حُسَاماً إذا ما هُزَّ بالكفِّ صَمَّمَا [15]

هـ- ويمثّل (**أما والرّاقصات**) نموذجاً فرعاً بنسبة 3.5% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول خُليد [16] :

أمَـا والرّاقـصـاتِ بذاتِ عِـرْقٍ ومنْ صلّى بِنَعْـمـانِ الأراكِ

لقـدْ أضـمـرتُ حـبَّكِ في فـؤادي ومـا أضـمـرتُ حُبّاً مِنْ سِوَاكِ [17]

* إذنْ يبدو لنا من عرض هذه النّماذج الفرعيّة أنّ النّموذج السّائد والغالب فيها إنّما هو : (أما واللّه) .

النّموذج الثّالث : (كلا) وجملة المقسم به ، ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 5.6% من مجموع الحروف التي يتصدّر بها القسم :

أ - ويمثّل (**كلا واللّه**) نموذجاً فرعاً بنسبة 45.5% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله ما جاء في نهج البلاغة : « كلا واللّهِ ، إنّهم نطفٌ في أصلابِ الرّجالِ ، وقرارات النّساءِ » [18] .

ب- ويمثّل (**كلا والذي نفسي بيده**) نموذجاً فرعاً بنسبة **18.1%** من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الرّسول ﷺ : « كلا والذي نفسي بيده ، إنّ الشّملةَ التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعلُ عليه ناراً »[19] .

جـ- ويمثّل (**كلا والقمر**) نموذجاً فرعاً بنسبة **9.1%** من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قوله تعالى : ﴿ كلا والقمرِ ، والليلِ إذْ أدبر ، والصّبح إذا أسفر ، إنّها لإحدى الكُبَر ﴾[20] .

د - ويمثّل (**كلا وربّي**) نموذجاً فرعاً بنسبة **9.1%** من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول أبي خراش الهذليّ :

فكَلا وربِّي لا تَعُـــودي لمثلِهِ عشيّةَ لاقتْهُ المنيّةُ بالرَّدْمِ[21]

هـ- ويمثّل (**كلا وربّ الرّاقصات**) نموذجاً فرعاً بنسبة **9.1%** من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول حسّان بن ثابت :

كـلا وربِّ الرّاقصاتِ إلى مِنًى والجائبينَ مخارمَ الأطوادِ[22]

و - ويمثّل (**كلا يمين اللّه**) نموذجاً فرعاً بنسبة **9.1%** من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الأعشى :

كـــلا يمينُ اللّهِ حـــتّى تنزلوا مِن رأسِ شاهقةٍ إلينا الأسْوَدَا

لَنقـــاتلنّكُم على مـــا خَـــيَّلَتْ ولنجـعلنّ لِمنْ بغى وتمرّدَا[23]

* إذنْ يعنّ لنا أن النّموذج السّائد والغالب في هذه النّماذج الفرعيّة إنّما هو : (كلاّ واللّه) .

النّموذج الرّابع : (بلى) وجملة المقسم به ، ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة **4.6%** من مجموع الأحرف التي يتصدّر بها القسم :

أ - ويمثّل (**بلى واللّه**) نموذجاً فرعاً بنسبة **33.3%** من مجموع النّموذج

الأصل . ومثاله قول فاطمة بنت الأحْجم الخُزاعيّة[24] :

إخـــوتي لا تَبْـــعَـــدُوا أبَداً وبلى واللّهِ قَـــدْ بَعِـــدُوا[25]

ب- ويمثّل (**بلى والذي**) نموذجاً فرعاً بنسبة 22.2% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الشّاعر :

بلى والذي حَجَّ الملبّـونَ بَيْـتَـهُ ويُشْفَى الهَوَى بالنَّيْلِ وَهْوَ قليلُ[26]

جـ- ويمثّل (**بلى وربّي**) نموذجاً فرعاً بنسبة 22.2% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قوله تعالى : ﴿ قلْ بلى وربّي لَتُبعثُنَّ ثمّ لَتُنبّؤُنَّ بما عملتم ﴾[27] .

د - ويمثّل (**بلى وربّنا**) نموذجاً فرعاً بنسبة 22.2% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قوله تعالى : ﴿ قال : أليس هذا بالحقّ ؟ قالوا : بلى وربّنا ﴾[28] .

* إذنْ يلوح لنا أنّ النّموذج السّائد والغالب في هذه النّماذج الفرعيّة إنّما هو : (بلى واللّه) .

النّموذج الخامس : (إيْ) وجملة المقسم به ، ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 3.1% من مجموع الأحرف التي يتصدّر بها القسم :

أ - ويمثّل (**إيْ واللّه**) نموذجاً فرعاً بنسبة 50% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الكميت الأسديّ : « إيْ واللّهِ ، وعِنان الخطّابة والرّواية »[29] .

ب- ويمثّل (**إي وربّي**) نموذجاً فرعاً بنسبة 16.7% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قوله تعالى : ﴿ ويَستنبئونكَ أحقٌّ هُوَ قلْ إيْ وربّي إنّهُ لحقٌّ وما أنتمْ بِمُعجِزين ﴾[30] .

* إذنْ يبرز لنا من عرض هذه النّماذج الفرعيّة أنّ النّموذج السّائد والغالب فيها إنّما هو : (إي واللّه) .

النّموذج السّادس : (أجَلْ) وجملة المقسم به ، ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 1.5% من مجموع الأحرف التي يتصدّر بها القسم :

أ – ويمثّل (**أجَلْ واللّه**) نموذجاً فرعاً بنسبة 100% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول عقيل بن أبي طالب[31] : « أجلْ واللّه ، إنّ فينا لَليناً من غيرِ ضَعْفٍ ، وعزّاً منْ غير جَبروتٍ »[32] .

وقال غيلان الضّبّي لعبد اللّه بن عامر : « أجلْ واللّه أيّها الأمير ، يعلّم القوم صبيانهم فيه السّباحة ، ويكون لسقياهم ومسيل مياههم ، وتأتيهم فيه ميرتهم »[33] .

* إذنْ يصبح هذا النّموذج الفرع أصلاً لكونه متفرّداً في هذه الصّياغة القسميّة .

وهكذا يتجلّى لنا من عرض هذه النّماذج الأصول السّتّة أنّ النّموذج الأكثر استعمالاً وشيوعاً في تصدّر القسم هو : (لا وجملة المقسم به) . وقد تبيّن أنّ النّموذج الفرع السّائد في هذا النّموذج إنّما هو : (لا والذي) وذلك يُشْعِرُ برسوخه وتمكّنه في اللّسان العربيّ .

ثانياً :أفعال القسم الصّريح ، وتمثّل نسبة 9.6% من مجموع النّصوص :

النّموذج الأوّل : مادّة (**قسم**) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 45% من مجموع أفعال القسم الصّريح :

أ – ويمثّل (**أقْسِمُ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 49.5% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله ما جاء في نهج البلاغة : « وأقْسِمُ باللّه إنّه لولا

بعضُ الاستبقاءِ لوصلتْ إليك منّي قوارعُ : تَقْرَعُ العَظْمَ ، وتَهْلِسُ اللحْمَ »[34] .

ب- ويمثّل (أقْسَمْتُ) نموذجاً فرعاً بنسبة 23.2% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول حاتم الطّائيّ :

فأقسمتُ لا أمشي إلى سرّ جارةٍ مدى الدّهرِ مادام الحَمامُ يُغرّدُ[35]

جـ- ويمثّل (أقْسَمَ) نموذجاً فرعاً بنسبة 9.5% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول زبّان بن سيّار[36] :

وأقسمَ يأتي خُطّةَ الضّيمِ طائعاً بلى سوف تأتيها وأنفُكَ راغمُ[37]

د - ويمثّل (أقْسَمُوا) نموذجاً فرعاً بنسبة 7.4% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قوله تعالى : ﴿ أهؤلاء الذين أقسموا باللّهِ جَهْدَ أيمانهم إنّهم لمعكم ﴾[38] .

هـ- ويمثّل (أقْسَمْتُمْ) نموذجاً فرعاً بنسبة 4.2% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قوله تعالى : ﴿ أهؤلاء الذين أقسمتمْ لا ينالهمُ اللّه برحمة ﴾[39] .

و - ويمثّل (يُقْسِمُ) نموذجاً فرعاً بنسبة 2.1% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قوله تعالى : ﴿ ويوم تقومُ السّاعةُ يُقسمُ المجرمون ما لبثوا غير ساعة ﴾[40] .

ي- ويمثّل (يُقْسِمَانِ) نموذجاً فرعاً بنسبة 2.1% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قوله تعالى : ﴿ فيقسمانِ باللّه لشهادتنا أحقُّ من شهادتهما ﴾[41] .

ر - ويمثّل (قَاسَمَ) نموذجاً فرعاً بنسبة 1% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قوله تعالى : ﴿ وقاسَمَهما إنّي لكما لمن النّاصحين ﴾[42] .

ر- ويمثّل (تَقَاسَمُوا) نموذجاً فرعاً بنسبة 1% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قوله تعالى : ﴿ قالوا تَقَاسَمُوا باللّه لَنُبيتنَّهُ وأهلَهُ ﴾ [43] .

* إذنْ يتّضح لنا أنّ النّموذج السّائد والغالب في هذه النّماذج الفرعيّة إنّما هو : (أقْسِمُ) .

النّموذج الثّاني : مادّة (حلف) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 35.5% من مجموع أفعال القسم الصّريح :

أ - ويمثّل (حَلَفْتُ) نموذجاً فرعاً بنسبة 56% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول حسّان بن ثابت :

وحلفتُ لا أنسى حديثكِ ما ذَكَرَ الغَوِيُّ لَذَاذَةَ الخَمْرِ [44]

ب- ويمثّل (يَحْلِفُونَ) نموذجاً فرعاً بنسبة 13.33% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قوله تعالى : ﴿ ثم جاءُوكَ يحلفونَ باللهِ إنْ أردنا إلاّ إحساناً وتوفيقاً ﴾ [45] .

جـ- ويمثّل (حَلَفَتْ) نموذجاً فرعاً بنسبة 9.33% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول كثيّر :

وإن حلفتْ لا يَنْقُضُ النّأيُ عهْدَها فليس لمخضوبِ البَنَانِ يمينُ [46]

د - ويمثّل (حَلَفَ) نموذجاً فرعاً بنسبة 4% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول أعرابيّ :

يارِبِّ قدْ حَلَفَ الأقوامُ واجتهدوا أيمانَهُمْ إنّني من ساكني النّارِ

أيحلفونَ على عمياءَ وَيْلَهُمْ جهلاً بعفوٍ عظيمِ العفوِ غفّارِ [47]

ذ - ويمثّل (حَلَفْتَ) نموذجاً فرعاً بنسبة 4% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول أبي الحويرث السُّحَيمي [48] :

حلفتَ باللّهِ لي أنْ سوف تُنصِفُني فساغَ في الحلقِ ريقٌ بعد تجريض [49]

ر - ويمثّل (**تَحْلِفُ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 4% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الشّاعر :

أتحلفُ لا تذوقُ لنا طعاماً وتَشْرَبُ مَنْيَ عَبْدِ أبي سُوَاجِ [50]

س- ويمثّل (**يَحْلِفُ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 2.7% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الحُطيئة [51] :

وَيَحلفُ حَلْفَةً لبني بنيهِ لأنتم مُعْطِشُونَ وَهُمْ رِواءُ [52]

ش-ويمثّل (**يَحْلِفَانِ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 1.33% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول حسان بن ثابت :

إذا رأيتَ راعيين في غَنَمْ أسَيِّدَينِ يَحلفانِ بِنُهَمْ

بينهما أشلاءُ لحمٍ مُقْتَسَمْ من بطنِ عَمقٍ ذي الجليل والسَّلَمْ [53]

ص-ويمثّل (**يَحْلِفُنَّ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 1.33% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قوله تعالى : ﴿ ولَيَحْلِفُنَّ إنْ أردنا إلاّ الحُسْنَى واللّهُ يَشهدُ إنّهم لكاذبون ﴾ [54] .

ض- ويمثّل (**أحْلِفُ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 1.33% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الرّمّاح بن ميّادة [55] :

ألا رُبَّ خَمَّارٍ طَرَقْتُ بِسُدْفَةٍ مِن الليل مُرتاداً لنَدْمانِيَ الخَمْرَا

فأنهلتُهُ خمراً وأحْلِفُ إنّها طِلاءٌ حلالٌ كي يُحمِّلَني الوِزْرَا [56]

ع-ويمثّل (**تَحَالَفَا**) نموذجاً فرعاً بنسبة 1.33% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الأعشى :

رضيعَيْ لِبَانِ ثَدْيَ أمٍّ تَحَالَفَا بِأسْحَمَ دَاجٍ عَوْضُ لا نَتَفَرَّقُ [57]

غ- ويمثّل (حَلَفُوا) نموذجاً فرعاً بنسبة 1.33% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول حسّان بن ثابت :

بلّغ عَنّي النّبيتَ قافيةً تُذلُّهُمْ إنّهمْ لنا حَلَفُوا

باللّهِ جَهْداً لَنَقتلَنّكُمُ قَتْلاً عنيفاً ، والخيلُ تَنكشفُ[58]

* إذنْ يبدو لنا من عرض هذه النّماذج الفرعيّة أنّ النّموذج السّائد والغالب فيها إنّما هو : (حَلَفْتُ) .

النّموذج الثّالث : مادّة (**ألو**) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 18.5% من مجموع أفعال القسم الصّريح :

أ - ويمثّل (**آلَيْتُ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 69.2% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول النّابغة الذّبيانيّ :

فآليتُ لا آتيكَ إنْ جئتُ مُجرماً ولا أبتغي جاراً سواكَ مجاورا[59]

ب- ويمثّل (**تألّى**) نموذجاً فرعاً بنسبة 12.8% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول زيد الفوارس :

تَألّى ابنُ أوْسٍ حَلفةً لَيردُّني على نِسْوَةٍ كَأنّهُنّ مَفائِدُ[60]

جـ- ويمثّل (**آلَى**) نموذجاً فرعاً بنسبة 10.3% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول جرير[61] :

آلَى أميرُك لا يَرُدُّ تحيّةً ماذا بِمَنْ شَغَفَ الهوَى بِرَحِيمِ[62]

د- ويمثّل (**أوْلي**) نموذجاً فرعاً بنسبة 5.1% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله ما جاء في نهج البلاغة : « فإنّي أولي لكَ باللّه ألِيّةً غير فاجرةٍ : لئن جمعتني وإيّاكَ جوامعُ الأقدارِ لا أزالُ بباحتِكَ حتّى يحكمَ اللّهُ بيننا وهو خيرُ الحاكمين »[63] .

ش- ويمثّل (آلَوا) نموذجاً فرعاً بنسبة 2.6% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول جرير :

آلَوا عليها يميناً لا تُكلِّمُنا من غيرِ سُوءٍ ولا مِن ريبةٍ حَلَفُوا [64]

* إذنْ يعنّ لنا أنّ النّموذج السّائد والغالب في هذه النّماذج الفرعيّة إنّما هو : (آلَيْتُ) .

النّموذج الرّابع : مادّة (ألت) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 1% من مجموع أفعال القسم الصّريح :

أ – ويمثّل (**ألَتَ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 100% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول العرب : « **ألَتُكَ** باللّهِ لَمَّا فعلتَ كذا » [65] .

* إذنْ يصبح هذا النّموذج الفرع أصلاً لكونه متفرّداً في هذه الصّياغة القسميّة .

وهكذا يتجلّى لنا من عرض هذه النّماذج الأصول الأربعة أنّ النّموذج الأكثر استعمالاً وشيوعاً في أفعال القسم الصّريح هو : مادة (قسم) . وقد تبيّن أنّ النّموذج الفرع السّائد في هذا النّموذج إنّما هو : (أقْسِمُ) وذلك يَشهدُ له بِقوّة التّمكّن في اللّسان العربيّ .

ثالثاً : أفعال القسم غير الصّريح ، وتمثّل نسبة 7.5% من مجموع النّصوص :

النّموذج الأوّل : مادّة **(شهد)** ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 37.6% من مجموع أفعال القسم غير الصّريح :

أ – ويمثّل (**أشْهَدُ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 53.2% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول المخبّل [66] :

وأشهدُ – والمستغفرُ اللّهُ – إنّني كَذَبْتُ عليها والهِجَاءُ كَذوبُ [67]

ب- ويمثّل (شَهِدْتُ) نموذجاً فرعاً بنسبة 16.1% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول قيس لبنى [68] :

شَـــهِـدتُ وبيتِ اللّهِ إنّكِ غـــادةٌ رَدَاحٌ وأنّ الوجـــهَ مِنْكِ عَـــتِـــيقُ

وإنّكِ لا تجـــزيـنني بِمـــودَّةٍ ولا أنا للـهـجْـرانِ منكِ مُطيقُ [69]

جـ- ويمثّل (شَهِدَ) نموذجاً فرعاً بنسبة 8% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللّهُ أنّهُ لا إله إلاّ هو والملائكةُ وأولوا العلم قائماً بالقِسْطِ ﴾ [70] .

د - ويمثّل (نَشْهَدُ) نموذجاً فرعاً بنسبة 6.5% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قوله تعالى : ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهدُ إنّكَ لرسولُ اللّهِ ﴾ [71] .

هـ- ويمثّل (يَشْهَـــدُ) نموذجاً فرعاً بنسبة 6.5% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قوله تعالى : ﴿ واللّهُ يَشهدُ إنّ المنافقين لكاذبون ﴾ [72] .

و - ويمثّل (تَشْهَدُ) نموذجاً فرعاً بنسبة 6.5% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الرّاعيّ :

إنّ السّـــمـاءَ وإنّ الرّيحَ شـاهدةٌ والأرضُ تَشْـهَـدُ والأيّامُ والبلدُ

لقـدْ جَـزَيتَ بني بدرٍ ببـغـيـهم يومَ الهَباءةِ يومـاً مـالَهُ قَوَدُ [73]

ي- ويمثّل (نَسْتَشْهِدُ) نموذجاً فرعاً بنسبة 3.2% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله ما جاء في نهج البلاغة : « فإنّا نَستشهدُكَ عليه بأكبرِ الشّاهدينَ شهادةً » [74] .

* إذنْ يبرز لنا من عرض هذه النّماذج الفرعيّة أنّ النّموذج السّائد والغالب فيها إنّما هو : (أشْهَدُ) .

النّموذج الثّاني : مادّة **(علم)** ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 18.8% من مجموع أفعال القسم غير الصّريح :

أ – ويمثّل **(اللّهُ يَعْلَمُ)** نموذجاً فرعاً بنسبة 71% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الحارث بن هشام[75] :

اللّهُ يَعلمُ مـــا تركتُ قـــتـــالـهمْ حتى علَوا فَرَسِي بِأشْقَرَ مُزْبدِ[76]

ب – ويمثّل **(عَلِمَ اللّهُ)** نموذجاً فرعاً بنسبة 13% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قوله تعالى : ﴿ عَلِمَ اللّهُ أنّكمْ كُنتمْ تَختانونَ أنفسكم فتَابَ عليكمْ وعفَا عنكم ﴾[77] .

جـ – ويمثّل **(عَلِمْتُ)** نموذجاً فرعاً بنسبة 13% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول لبيد :

ولقـــدْ علمتُ لَتـــأتينَّ مَنِيَّـــتي إنَّ المنايا لا تَطيشُ سِهَامُهَا[78]

د – ويمثّل **(رَبُّنَا يَعْلَمُ)** نموذجاً فرعاً بنسبة 3% من مجموع النّموذج الأصـــل . ومـثـالـــه قـولـه تعـالى : ﴿ قـالـوا ربُّنا يعلمُ إنَّا إليكمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾[79] .

* إذنْ يلوح لنا أنّ النّموذج السّائد والغالب في هذه النّماذج الفرعيّة إنّما هو : (اللّه يَعْلَمُ) .

النّموذج الثّالث : مادّة **(أخذ)** ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 7.3% من مجموع أفعال القسم غير الصّريح :

أ – ويمثّل **(أخَذَ الميثاق)** نموذجاً فرعاً بنسبة 83.3% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قوله تعالى : ﴿ وإذْ أخَذْنَا ميثاقَكُمْ لا تَسْفِكونَ دماءَكم ولا تُخرجونَ أنفسَكُمْ مِنْ دياركم ثم أقررتُمْ وأنتم تَشْهَدُونَ ﴾[80] .

ب- ويمثّل (أخَذَ علَى) نموذجاً فرعاً بنسبة 16.7% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول عمرو بن كلثوم [81] :

أخَذْنَ على بعولتهنَّ عهداً إذا لاقَوا كتائبَ مُعْلِمِينَا

لَيستلبنَّ أفراساً وبِيضاً وأسْرَى في الحديدِ مُقَرَّنِينَا [82]

* إذنْ يتّضح لنا أنّ النّموذج الغالب والسّائد إنّما هو : (أخَذَ الميثاقَ) .

النّموذج الرّابع : مادّة (نشد) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 6.7% من مجموع أفعال القسم غير الصّريح :

أ - ويمثّل (أنْشُدُ) نموذجاً فرعاً بنسبة 45.5% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الرّسول ﷺ : « أنشدُك باللّهِ هلْ تجدُ في التّوراةِ أنَّ اللّهَ يَبغضُ الحبر السّمين ؟ » [83] .

ب- ويمثّل (نَشَدْتُ) نموذجاً فرعاً بنسبة 36.4% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الشّاعر :

نَشدتُكَ ! هل يَسُرُّكَ أنَّ سَرْجي وسَرْجَكَ فَوْقَ بَغْلٍ باذَبِيني ؟ [84]

جـ- ويمثّل (نَاشَدَ) نموذجاً فرعاً بنسبة 18.1% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الشّاعر :

ناشدتُها بكتابِ اللّه حُرْمَتَنَا ولم تكنْ بكتابِ اللّهِ تَرتقعُ [85]

* إذنْ يظهر لنا أنّ النّموذج السّائد والغالب في هذه النّماذج الفرعيّة إنّما هو : (أنْشُدُ) .

النّموذج الخامس : مادّة (**أبي**) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 4.9% من مجموع أفعال القسم غير الصّريح :

أ – ويمثّل (**أبى اللّهُ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 75% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الرّسول ﷺ : « أبى اللّهُ أنْ يرزقَ عَبْدَهُ المؤمنَ إلاّ مِنْ حيثُ لا يَحتسبُ »[86] .

ب – ويمثّل (**يأبَى اللّهُ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 25% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قوله تعالى : ﴿ ويَأبَى اللّهُ إلاّ أنْ يُتِمَّ نُورَهُ ولو كَرِهَ الكافرونَ ﴾[87] .

* إذنْ يعنّ لنا أن النّموذج السّائد والغالب إنّما هو : (أبى اللّه) .

النّموذج السّادس : مادّة (**عهد**) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 4.2% من مجموع أفعال القسم غير الصّريح :

أ – ويمثّل (**عَاهَدَ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 71.4% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قوله تعالى : ﴿ ومنهمْ منْ عَاهَدَ اللّهَ لئن آتانا مِنْ فضلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ ولَنَكُونَنَّ مِنَ الصّالحينَ ﴾[88] .

ب – ويمثّل (**عَهِدَ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 71.4% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الرّسول ﷺ : « إنَّ اللّهَ عزَّ وجلَّ عَهِدَ إليَّ في عليٍّ عَهْداً : إنَّ علياً رايةُ الهُدَى »[89] .

جـ – ويمثّل (**أعْهَدُ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 14.3% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول عمر بن أبي ربيعة :

لَسْتُ أنْسَى منها عشيّةَ رُحْنَا قَوْلَها : عُجْ عَلَيَّ مِنْكَ قَليلا

أقْضِ مِنْ لَذّتي ، وأعْهَدُ إنّي لا أرَى ذا الصُّدودَ مِنْكَ جَميلا[90]

* إذنْ يتضح لنا أنّ النّموذج السّائد والغالب في هذه النّماذج الفرعيّة إنّما هو : (عَاهَدَ) .

النّموذج السّابع : مادّة (**بلي**) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 3.6% من مجموع أفعال القسم غير الصّريح :

أ – ويمثّل (**أبْلِي**) نموذجاً فرعاً بنسبة 33.3% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الشّاعر :

وإنّي لأبْلِي النّاسَ في حبِّ غيرِها فأمّا عَلَى جُمْلٍ فإنّيَ لا أَبْلِي [91]

ب – ويمثّل (**يُبْلِي**) نموذجاً فرعاً بنسبة 33.3% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول أوس بن حَجَر [92] :

كأنَّ جَديْدَ الأرضِ يُبْليكَ عنهمُ تَقِيُّ اليمينِ بَعْدَ عهدِكَ حَالفُ [93]

جـ – ويمثّل (**تَبْتَلِي**) نموذجاً فرعاً بنسبة 33.3% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الشّاعر :

تُبغّي أباها في الرُّفاقِ وتَبْتَلي وأوْدَى به في لُجّةِ البَحْرِ تَمْسَحُ [94]

* إذنْ يبدو لنا من عرض هذه النّماذج الفرعيّة أنّ النّموذج السّائد والغالب فيها إنّما هو : (أبْلِي) .

النّموذج الثّامن : مادّة (**كتب**) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 1.8% من مجموع أفعال القسم غير الصّريح :

أ – ويمثّل (**كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 66.7% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قوله تعالى : ﴿ كَتَبَ على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجمعنَّكُمْ إلى يومِ القيامةِ لا ريبَ فيهِ ﴾ [95] .

ب – ويمثّل (**كَتَبَ اللّهُ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 33.3% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قوله تعالى : ﴿ كَتَبَ اللّهُ لأغلبنَّ أنا ورسلي إنّ اللّهَ قويٌّ عزيزٌ ﴾ [96] .

* إذنْ النّموذج السّائد والغالب في هذين النّموذجين إنّما هو : (كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ) .

النّموذج التّاسع : مادّة (وذم) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 1.8% من مجموع أفعال القسم غير الصّريح :

أ – ويمثّل (أوْذَمَ) نموذجاً فرعاً بنسبة 100% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الشّاعر :

لاهُمَّ إنَّ عـــامـــرَ بنَ جَـــهْـمِ أوْذَمَ حَـجّـاً في ثيـابِ دَسْمِ [97]

النّموذج العاشر : مادّة (عزم) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 1.2% من مجموع أفعال القسم غير الصّريح :

أ – ويمثّل (عَزَمَ على) نموذجاً فرعاً بنسبة 100% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول العرب : « عزمتُ عليكَ إلا فعلتَ كذا » [98] .

النّموذج الحادي عشر : مادّة (أذن) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 1.2% من مجموع أفعال القسم غير الصّريح :

أ – ويمثّل (تَأذّنَ ربُّكَ) نموذجاً فرعاً بنسبة 100% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قوله تعالى : ﴿ وإذْ تَأذّنَ ربُّكَ لَيبعثنَّ عليهم إلى يومِ القيامة مَنْ يَسُومُهُمْ سُوْءَ العَذَابِ ﴾ [99] .

النّموذج الثّاني عشر : مادّة (بدع) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 1.2% من مجموع أفعال القسم غير الصّريح :

أ – ويمثّل (أبْدَعَ) نموذجاً فرعاً بنسبة 100% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول جرير :

ورَبُّ الرّاقصاتِ إلى الثّنَايَا بشُعْثٍ أبْدَعُوا حجّاً تَمَامَا

أحبّكِ يا أمامَ ، وكُلُّ أرضٍ سكَنْتِ بها ، وإن كانتْ وِخامَا [100]

النّموذج الثّالث عشر : مادّة **(عمر)** ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 1.2% من مجموع أفعال القسم غير الصّريح :

أ – ويمثّل **(عَمّرْتُك اللّهَ)** نموذجاً فرعاً بنسبة **100%** من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الشّاعر :

عَمّرْتُكِ اللّهَ إلاّ ما ذكرتِ لَنَا هلْ كنتِ جارتَنَا أيّامَ ذي سَلَمِ ؟ (101)

النّموذج الرّابع عشر : مادّة **(تمم)** ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 0.6% من مجموع أفعال القسم غير الصّريح :

أ – ويمثّل **(تَمّتْ)** نموذجاً فرعاً بنسبة **100%** من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قوله تعالى : ﴿ وتَمّتْ كلمةُ ربِّكَ لأملأنَّ جهنّمَ من الجِنّةِ والنّاسِ أجمعينَ ﴾ (102) .

النّموذج الخامس عشر : مادّة **(حلط)** ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 0.6% من مجموع أفعال القسم غير الصّريح :

أ – ويمثّل **(أحْلَطَ)** نموذجاً فرعاً بنسبة **100%** من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول ابن أحمر الباهليّ (103) :

فكُنّا وهم كابْنَيْ سُباتٍ تَفَرّقَا سِوًى ثُمّ كانا مُنجداً وتِهامِيا

فألْقَى التِّهامِيُّ منهما بِلَطاتِهِ وأحْلَطَ هذا : لا أريمُ مَكانيا (104)

النّموذج السّادس عشر : مادّة **(وعد)** ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 0.6% من مجموع أفعال القسم غير الصّريح :

أ – ويمثّل **(وَعَدَ اللّهُ)** نموذجاً فرعاً بنسبة **100%** من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللّهُ الذين آمنوا منكم وعَملوا الصّالحاتِ لَيَسْتخلفنّهُمْ في الأرضِ كما استخلَفَ الذين من قبلهمْ ولَيُمكنَنّ لهم دَيْنَهُمُ الذي ارتضى لهم ولَيُبدلَنّهُمْ مِنْ بعد خوفهم أمْناً ﴾ (105) .

النّموذج السّابع عشر : مادّة (**بدو**) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 0.6% من مجموع أفعال القسم غير الصّريح :

أ – ويمثّل (**بَدَا لَهُمْ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 100% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَدَا لهمْ مِنْ بعدِ ما رأوا الآياتِ لَيَسجُنُنَّهُ حَتَّى حِيْنٍ ﴾ [106] .

النّموذج الثّامن عشر : مادّة (**قضي**) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 0.6% من مجموع أفعال القسم غير الصّريح :

أ – ويمثّل (**قَضَيْنَا إلى**) نموذجاً فرعاً بنسبة 100% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قوله تعالى : ﴿وَقَضيْنَا إلى بني إسرائيل في الكتابِ لَتُفسِدُنَّ في الأرضِ مرّتينِ ولَتَعْلُنَّ علوًا كبيرا ﴾ [107] .

النّموذج التّاسع عشر : مادّة (**خوف**) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 0.6% من مجموع أفعال القسم غير الصّريح :

أ – ويمثّل (**خِفْتُ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 100% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الرّسول ﷺ : « أمِرْتُ بالسّواكِ حتّى خِفْتُ لأدْرَدَنَّ » [108] .

النّموذج العشرون : مادّة (**سبأ**) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 1.2% من مجموع أفعال القسم غير الصّريح :

أ – ويمثّل (**سَبَأ عَلَى**) نموذجاً فرعاً بنسبة 100% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول العرب : « سَبَأ عَلَى يَمينٍ كَاذِبَةٍ » [109] .

النّموذج الحادي والعشرون : مادّة (**سمط**) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 0.6% من مجموع أفعال القسم غير الصّريح :

أ – ويمثّل (**سَمَطَ علَى**) نموذجاً فرعاً بنسبة 100% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول العرب : « سَمَطَ فلان علَى ذلكَ الأمْرِ يَميناً »[110] .

النّموذج الثّاني والعشرون : مادّة (**أصر**) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 0.6% من مجموع أفعال القسم غير الصّريح :

أ – ويمثّل (**أصَرَ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 100% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول العرب : « أصَرَ لَيكونَنَّ ذاكَ »[111] .

النّموذج الثّالث والعشرون : مادّة (**صبر**) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 0.6% من مجموع أفعال القسم غير الصّريح :

أ – ويمثّل (**صَبَرَهُ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 100% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول العرب : « صَبَرَهُ يَميناً »[112] .

النّموذج الرّابع والعشرون : مادّة (**نجد**) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 0.6% من مجموع أفعال القسم غير الصّريح :

أ – ويمثّل (**تَنَجَّدَ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 100% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول مُهَلْهِل بن ربيعة[113] :

تَنَجَّدَ حِلْفاً آمِناً فأمنتُهُ وإنَّ جَديراً أن يكونَ ويَكْذِبا[114]

النّموذج الخامس والعشرون : مادّة (**نفل**) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 0.0% من مجموع أفعال القسم غير الصّريح :

أ – ويمثّل (**أنْفَلَ لَهُ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 0.0% من مجموع النّموذج الأصل . لم أعثر على مثال لهذا النّموذج ، وقد اقتصرت كتب اللغة على إيراد النّموذج دون ذكر مثال له[115] .

النّموذج السّادس والعشرون : مادّة **(وثق)** ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 0.6% من مجموع أفعال القسم غير الصّريح :

أ – ويمثّل **(وَاثَقْتُ)** نموذجاً فرعاً بنسبة 100% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الشّاعر :

وَاثَقْتُ مَـيَّـةَ لا تَـنْفَكُّ مُلغِـيـةً قَوْلَ الوُشاةِ فما ألغتْ لهمْ قِيلاَ[116]

النّموذج السّابع والعشرون : مادّة **(نذر)** ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 1.2% من مجموع أفعال القسم غير الصّريح :

أ – ويمثّل **(يَنْذُرُوْنَ ، وأنْذُرُ)** نموذجاً فرعاً بنسبة 100% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول عمرو بن معد يكرب[117] :

هُـمْ يَـنْـذُرُونَ دَمِـي وأنْـ ـذُرُ إنْ لَقِـيتُ بـأنْ أشُـدّا[118]

وهكذا يتجلّى لنا من عرض هذه النّماذج الأصول التي بلغ قدرها سبعة وعشرين نموذجاً أنّ النّموذج الأكثر استعمالاً وشيوعاً في أفعال القسم غير الصّريح هو : مادّة (شهد) . وقد تبيّن أنّ النّموذج الفرع السّائد في هذا النّموذج إنّما هو : (أشْهَدُ) وذلك يُقرُّ بشيوعه في اللّسان العربيّ . أمّا النّماذج الفروع التّالية فإنّها تصبح أصولاً لكونها متفرّدة في الصّياغة القسميّة وهي :

1) أوْذَمَ . 2) عَزَمَ علَى . 3) تَأذَّنَ رَبُّكَ .
4) أبْدَعَ . 5) عَمَّرْتُك اللّهَ . 6) تَمَّتْ كلمةُ ربِّكَ .
7) أحْلَطَ . 8) وَعَدَ اللّه . 9) بَدَا لَهُمْ .
10) قَضَيْنَا إلَى . 11) خِفْتُ . 12) سَبَأ علَى .
13) سَمَطَ علَى . 14) أصَرَّ . 15) صَبَرَهُ .
16) تَنَجَّدَ . 17) أنْفَلَ لَهُ . 18) وَاثَقْتُ .
19) يَنْذُرُونَ ، وأنْذُرُ .

رابعاً: أسماء ومصادر القسم الصّريح ، وتمثّل نسبة 1.7% من مجموع النّصوص :

النّموذج الأوّل : مادّة (**يمن**) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 83.8% من مجموع أسماء ومصادر القسم الصّريح :

أ – ويمثّل (**ايْمُ اللّه**) نموذجاً فرعاً بنسبة 77.4% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله ما جاء في نهج البلاغة : « وايْمُ اللّهِ لَتغرقَنَّ بَلْدَتُكُمْ ، حتّى كأنّي أنظرُ إلى مَسجدِهَا كَجُؤجُؤِ سَفينةٍ ، أو نَعامَةٍ جَاثمةٍ »[119] .

ب – ويمثّل (**يَمينُ اللّه**) نموذجاً فرعاً بنسبة 12.9% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول النّابغة الذّبيانيّ :

فقالتْ : يمينُ اللّهِ أفعلُ ، إنّني رأيتُكَ مسحوراً يمينُكَ فاجره[120]

جـ – ويمثّل (**يَمِيْنا**) نموذجاً فرعاً بنسبة 6.5% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول زهير بن أبي سُلمى :

يَميناً لَنعمَ السّيّدانِ وُجدتُمَا عَلَى كلّ حالٍ من سحيلٍ ومُبْرَمِ[121]

د – ويمثّل (**أيْمَانٌ عَلَيْنَا**) نموذجاً فرعاً بنسبة 3.2% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قوله تعالى : ﴿ أمْ لكمْ أيمانٌ علينا بالغةٌ إلى يومِ القيامةِ إنّ لكمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴾[122] .

* إذنْ يتّضح لنا من عرض هذه النّماذج الفرعيّة أنّ النّموذج السّائد والغالبَ فيها إنّما هو : (ايمُ اللّه) .

النّموذج الثّاني : (**قَسَماً**) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 10.8% من مجموع أسماء ومصادر القسم الصّريح :

ومثاله قول عنترة :

قَسَماً بالذي أماتَ وأحيَا وتَولّى الأرواحَ والأجسامَا

لا رفعتُ الحُسامَ في الحربِ حتّى أتركَ القومَ في الفيافي عِظامَا[123]

النّموذج الثّالث : (حَلُوفٌ) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 2.7% من مجموع أسماء ومصادر القسم الصّريح :

ومثاله قول ابن الطَّثْرِيَّة[124] :

حَلُوفٌ لقدْ أنْضَجْتُ وهْو مُلَهْوَجٌ بِنِصْفَيْنِ لو حرّكتَهُ لَتَقَصَّدَا[125]

النّموذج الرّابع : (أَلِيَّةَ) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 2.7% من مجموع أسماء ومصادر القسم الصّريح :

ومثاله قول الشّاعر :

أَلِيَّةَ لَيَحْيَقَنْ بالمسيءِ إذَا ما حُوسِبَ النّاسُ طُرًّا سُوءُ ما عَمِلاَ[126]

وهكذا يتجلّى لنا من عرض هذه النّماذج الأصول الأربعة أنّ النّموذج الأكثر استعمالاً وشيوعاً في أسماء ومصادر القسم الصّريح هو : مادّة (يمن) وقد تبيّن أنّ النّموذج الفرع السّائد في هذا النّموذج إنّما هو : (ايمُ اللّه) وذلك يشفع له سيادته في اللّسان العربيّ .

خامساً: أسماء ومصادر القسم غير الصّريح ، وتمثّل نسبة 19.1% من مجموع النّصوص :

النّموذج الأوّل : مادّة **(عمر)** ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 82.6% من مجموع أسماء ومصادر القسم غير الصّريح :

أ – ويمثّل **(لَعَمْرِي)** نموذجاً فرعاً بنسبة 42.4% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الخنساء[127] :

لَعمري لقدْ أوهيتَ قلبي عن العَزَا وطَأْطَأْتَ رأسي والفؤادُ كئيبُ[128]

ب – ويمثّل **(لَعَمْرُك)** نموذجاً فرعاً بنسبة 38.9% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول معن بن أوس[129] :

لَعمرُكَ ما أدري وإنّي لأوْجَلُ على أيّنَا تَغْدُو المنيّةُ أوّلُ[130]

جـ-ويمثّل (**لَعَمْرُ أبيك ، ولَعَمْرُ أبي**) نموذجاً فرعاً بنسبة 12.1% من مجموع النّموذج الأصل . ومثال الأوّل قول الشّاعر :

لَعَمْرُ أبيكِ الخيرِ إنّي لخادمٌ لِضَيفي وإنّي إنْ ركبتُ لَفارسُ[131]

ومثال الثّاني قول الأخطلِ[132] :

لَعَمْرُ أبي لئنْ قومٌ أضاعوا لَنِعْمَ أخو الحِفاظِ لنا جِدارُ[133]

د -ويمثّل (**لَعَمْرُ اللّه**) نموذجاً فرعاً بنسبة 2% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله ما جاء في نهج البلاغة : « فَلَعَمْرُ اللّهِ لقدْ فَخَرَ على أصلِكمْ ، ووَقَعَ في حسبِكُمْ ، ودَفَعَ في نسبِكُمْ »[134] .

ذ -ويمثّل (**عَمْرَكَ اللّهَ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 2% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول عمر بن أبي ربيعة :

عَمْرَكَ اللّهَ أمَا تَرْحَمُني أمْ لَنَا قلبُكَ أقْسَى من حَجَرْ[135]

س-ويمثّل (**لَعَمْرُ الذي**) نموذجاً فرعاً بنسبة 1.4% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الأعشى :

لَعَمْرُ الذي حَجَّتْ قُريشٌ قَطِينَهُ لقدْ كِدْتَهُمْ كيدَ امرىء غيرِ مُسندِ[136]

ص-ويمثّل (**لَعَمْرُكُمَا**) نموذجاً فرعاً بنسبة 0.3% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول كعب بن سعد الغنويّ[137] :

لَعَمْرُكُمَا إنَّ البعيدَ لَما مَضَى وإنَّ الذي يأتي غداً لَقَريبُ[138]

ع-ويمثّل (**لَعَمْرُكُمْ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 0.3% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الشّاعر :

هذا لَعَمْرُكُمُ الصَّغَارُ بِعينِهِ لا أمَّ لي إنْ كانَ ذاكَ ولا أبُ[139]

غـ-ويمثّل (**لَعَمْرُ جَدِّك**) نموذجاً فرعاً بنسبة 0.3% من مجموع النّموذج

الأصل . ومثاله قول الأعشى :

فَلَعَمْرُ جَدِّكَ لَوْ رأيتَ مُقَامَنَا لَرأيتَ مِنَّا مَنْظراً ومُؤَيَّدَا[140]

و – ويمثّل (**لَعَمْرُ مَنْ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 0.3% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الأعشى :

فَلَعَمْرُ مَنْ جَعَلَ الشُّهورَ علامةً قَدَراً فَبيَّنَ نِصْفَهَا وهِلالَهَا

ما كنتَ في الحربِ العَوانِ مُغَمَّرًا إذْ شَبَّ حَرُّ وَقُودِهَا أجْزَالَهَا[141]

• إذنْ يتّضح لنا من عرض هذه النّماذج الفرعيّة أنّ النّموذج السّائد والغالبَ فيها إنّما هو : (لعمري) .

النّموذج الثّاني : مادّة (**جدد**) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 5.2% من مجموع أسماء ومصادر القسم غير الصّريح :

أ – ويمثّل (**أجِدّك**) نموذجاً فرعاً بنسبة 77.3% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الأخطل :

أجِدَّكِ ما نلقاكِ إلاّ مريضةً تُدَاوِينَ قلباً ما تنامُ بَلابِلُهْ[142]

ب – ويمثّل (**أجِدّي**) نموذجاً فرعاً بنسبة 9.1% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول حسّان بن ثابت :

أجِدِّيَ لا ينفكُّ غُسٌّ يَسُبُّني فُجوراً بظهرِ الغيبِ أو مُلحمٌ قَحْرُ[143]

جـ–ويمثّل (**أجِدّكُمَا**) نموذجاً فرعاً بنسبة 9.1% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الشّاعر :

أجِدَّكُمَا لمْ تَعْلَمَا أنَّ جارَنَا أبا الحِبلِ بالصّحراء لا يَتنوّرُ[144]

د – ويمثّل (**أجِدّكُمْ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 4.5% من مجموع النّموذج

الأصل . ومثاله قول النّابغة الذّبيانيّ :

أجِـدَّكُمْ لـنْ تَزْجُـرُوا عـن ظُلامـةٍ سَفيهاً ولنْ تَرْعَوا لذي الوُدِّ آصرَه [145]

- إذنْ النّمـــوذج السّـــائد والغـالب في هذه النّمـــاذج الفـرعيّـــة هو (أجدّك) .

النّموذج الثّالث : (لا جَرَمَ) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 2.14% من مجموع أسماء ومصادر القسم غير الصريح :

ومثاله قوله تعالى : ﴿ لا جَرَمَ أنَّ اللّهَ يَعلمُ ما يُسرُّونَ وما يُعلنونَ إنَّهُ لا يُحبُّ المستكبرينَ ﴾ [146] .

وقال الراجز :

أسَـأتَ إذْ خـالَفْـتَني ولا جَـرَمْ لَيَـبْـدُوَنَّ مِنْكَ أسـوأ النَّدَمْ [147]

النّموذج الرّابع : (عَليّ والمقسم به) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 1.7% من مجموع أسماء ومصادر القسم غير الصّريح :

أ – ويمثّل **(عَليّ اللّهُ)** نموذجاً فرعاً بنسبة 57.1% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الشّاعر :

نَهَى الشَّيبُ قلبي عنْ صِباً وصَبَابةٍ ألا فعليَّ اللّهُ أوجدُ صَابِياً [148]

ب – ويمثّل **(عليك عَهْدُ اللّهِ)** نموذجاً فرعاً بنسبة 28.6% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول ابن هرمة [149] :

وعليكَ عَـهـدُ اللّهِ إنَّ بِبـابِهِ أهلَ السّيالةِ إنْ فعلتَ وإنْ لم [150]

جـ – ويمثّل **(عَليّ حَجّةٌ)** نموذجاً فرعاً بنسبة 14.3% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الشّاعر :

عَلَيَّ إلى البيتِ المحـرَّمِ حَـجَّـةٌ أوافي بهـا نذراً ولـم أنتـعلْ نَعْـلاً

لقدْ منحتْ ليلى المودّةَ غيرَنا وإنّ لها منّا المودّةَ والبذلا[151]

* إذنْ النّموذج السّائد والغالب في هذه النّماذج الفرعيّة هو : (عليّ اللّه) .

النّموذج الخامس : مادّة (**قعد**) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 1.4% من مجموع أسماء ومصادر القسم غير الصّريح :

أ – ويمثّل (**قَعِيْدَك اللّهَ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 83.3% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الفرزدق :

قَعيدَكُمَا اللّهَ الذي أنتما له ألمْ تَسمعَا بالبيضتينِ المناديَا ؟[152]

ب – ويمثّل (**قِعْدَكَ اللّهَ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 16.7% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الشّاعر :

قِعْدَكِ اللّهَ قدْ علمتِ بأنّني في هواكِ استطبتُ كلَّ مُعَنّي[153]

* إذنْ النّموذج السّائد والغالب في هذين النّموذجين إنّما هو : (قعيدك اللّهَ) .

النّموذج السّادس : (**جَيْرِ**) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 1.2% من مجموع أسماء ومصادر القسم غير الصّريح :

ومثاله قول الشّاعر :

قالوا : قُهرتَ ، فقلتُ : جَيْرِ لَيُعْلَمَنْ عمّا قليلٍ أيُّنَا المقهور[154]

وقال امرؤ القيس :

لم يَفْعَلُوا فِعْلَ آلِ حنظلةَ إنَّهُمْ جَيْرِ بِئْسَ ما ائتمرُوا[155]

النّموذج السّابع : مادّة (**حقق**) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 1.2% من مجموع أسماء ومصادر القسم غير الصريح :

أ – ويمثّل (**حقًّا**) نموذجاً فرعاً بنسبة 60% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول عمر بن أبي ربيعة :

أحَقًّا لئنْ دارُ الرَّبابِ تباعدتْ أو انبتَّ حبلٌ إنَّ قلبَكَ طائرُ[156]

ب – ويمثّل (**الحقَ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 20% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قوله تعالى : ﴿ قالَ فالحَقُّ والحقَّ أقولُ لأملأنَّ جهنَّمَ منكَ وممّنْ تَبِعَكَ منهمْ أجمعينَ ﴾[157] .

جـ – ويمثّل (**لَحَقُ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 20% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول العرب : « لَحَقُ لا آتِيكَ »[158] .

• إذنْ النّموذج السّائد والغالب في هذه النّماذج الفرعيّة هو : (حقًّا) .

النّموذج الثّامن : (**عَوْضُ**) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 0.7% من مجموع أسماء ومصادر القسم غير الصّريح :

ومثاله قول العرب : « عوضُ لأقومنَّ »[159] ، و « عوضُ لا أفعلُهُ »[160] .

قال الأعشى :

رَضِيعَيْ لِبانٍ ثَدْيَ أمٍّ تَحَالفَا بِأسحمَ داجٍ عوضُ لا نتفرّقُ[161]

النّموذج التّاسع : (**أمانةُ اللّهِ**) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 0.7% من مجموع أسماء ومصادر القسم غير الصريح :

ومثاله قول الشّاعر :

إذا ما الخبزُ تأدِمُهُ بِلَحْمٍ فذاكَ أمانةُ اللّهِ الثَّريدُ[162]

النّموذج العاشر : (حَرَامُ اللّهِ) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 0.7% من مجموع أسماء ومصادر القسم غير الصّريح :

ومثاله قول العُقيليّين[163] : « حَرَامُ اللّهِ لا أفعلُ ذَلكَ »[164] .

النّموذج الحادي عشر : (ذِمّتِي ، وفي ذِمّتِي) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 0.5% من مجموع أسماء ومصادر القسم غير الصّريح :

ومثاله ما جاء في نهج البلاغة : « ذِمّتِي بما أقولُ رهِينةٌ ، وأنَا بِهِ زعيمٌ ، إنّ من صرّحَتْ له العِبَرُ عمّا بين يديهِ من المُثُلاتِ ، حَجَزَتْهُ التّقْوَى عن تَقَحُّمِ الشُّبهَاتِ »[165] . وقالت ليلى الأخيليّة :

تُساورُ سَوّاراً إلى المجدِ والعُلَى وفي ذِمّتِي لئنْ فَعلتَ لَيَفْعَلاَ[166]

النّموذج الثّاني عشر : (لك والمقسم به) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 0.5% من مجموع أسماء ومصادر القسم غير الصّريح :

أ – ويمثّل **(لَكَ اللّهُ)** نموذجاً فرعاً بنسبة 50% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الشّاعر :

لَكَ اللّهُ لا أُلْفِي لعهدِكَ ناسياً فلا تَكُ إلاّ مِثْلَ ما أنَا كائنُ[167]

ب – ويمثّل **(لَكَ الرّحمنُ)** نموذجاً فرعاً بنسبة 50% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول عمر بن أبي ربيعة :

فأصبحتَ هَمّاً للفؤادِ ومُنيةً وظلا من الدّنيا الغَداةِ ظليلاَ

أميراً على ما شئتَ منّي مُسلّطاً فَسَلْ فَلَكَ الرّحمنُ تُمنعُ سُؤْلاَ[168]

النَموذج الثَالث عشر : (إصْرٍ) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 0.5% من مجموع أسماء ومصادر القسم غير الصّريح :

ومنه قول الشّاعر :

بِإصْـرٍ يَتْـرُكُني الحيُّ يومـاً رهـينةَ دَارِهِمْ وَهُمُ سِـراعُ[169]

وقال الشّاعر :

فـإنْ أكـبـرْ فـلا بِأطِيْـرِ إصْـرٍ يُفـارقُ عـاتقي ذكرٌ خَشيبُ[170]

النَموذج الرّابع عشر : (عَهْداً) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 0.24% من مجموع أسماء ومصادر القسم غير الصّريح :

ومثاله قول عرب الجاهليّة : « عَهْداً لا يَزيدُهُ طلوعُ الشّمسِ إلاّ شَدًا ، وطولُ الليالي إلا مدًا »[171] .

النَموذج الخامس عشر : (يقيناً) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 0.24% من مجموع أسماء ومصادر القسم غير الصّريح :

ومثاله قول الشّاعر :

ويَقـيناً لأشـربنَّ بِمَـاءٍ وَرَدُوهُ فَـعَـاجِـلاً وتَئِـيَّـه[172]

النَموذج السّادس عشر : (عَزْمَةٌ) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 0.24% من مجموع أسماء ومصادر القسم غير الصّريح :

ومثاله قول العرب : « عَزْمَةٌ صَادقةٌ لآتينّك »[173] .

النَموذج السّابع عشر : (نَذْرٌ عَلَيّ) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 0.24% من مجموع أسماء ومصادر القسم غير الصّريح :

ومثاله قول الشّاعر :

نَذْرٌ عَلَيَّ لئنْ لقـيـتُك سـالماً أنْ يستمرَّ بها شِفَارُ الجازِرِ[174]

وهكذا يتجلّى لنا من عرض هذه النّماذج الأصول التي بلغ قدرها سبعة عشر نموذجاً أنّ النّموذج الأكثر استعمالاً وشيوعاً في أسماء ومصادر القسم غير الصّريح هو : مادّة (عمر) . وقد تبيّن أنّ النّموذج الفرع السّائد في هذا النّموذج إنّما هو : (لعمري) وذلك يدلّ على كونه متفشّياً ومستفيضاً في اللّسان العربيّ .

سادساً: أحرف القسم ، وتمثل نسبة 21.4% من مجموع النّصوص :

النّموذج الأوّل : (واو القسم والمقسم به) ويمثّل هذا النّموذج نسبة 89.4% من مجموع حروف القسم :

أ – ويمثّل (واللّه) نموذجاً فرعاً بنسبة 73.4% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لم تكنْ فِتنتُهمْ إلاّ أنْ قالوا : واللّهِ ربِّنا ما كنّا مشركين ﴾ [175] .

ب– ويمثّل (والذي ...) نموذجاً فرعاً بنسبة 10.7% من مجموع النّموذج الأصل . ويمثل أيضاً نموذجاً أصلاً تتفرّع منه النّماذج التّالية :

1) ويمثّل (**والذي نفسي بيده**) نموذجاً فرعاً 33.3% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الرّسول ﷺ : « والذي نفسي بيده لا يُسلمُ عبد حتّى يُسلمَ قلبُهُ ولسانُهُ » [176] .

2) ويمثّل (**والذي نفسُ محمدٍ بيده**) نموذجاً فرعاً 8.9% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الرّسول ﷺ : « فوالذي نفسُ محمدٍ بيده ما بعدَ الموتِ من مُستعتَبٍ ، ولا بعدَ الدنيا من دارٍ إلاّ الجنّة أو النّار » [177] .

3) ويمثّل (**والذي بعثني بالحقّ**) نموذجاً فرعاً 6.7% من مجموع

النّموذج الأصل . ومثاله قول الرّسول ﷺ : « والذي بعثني بالحقّ إنّ منهما مهديَّ هذه الأمّة إذا صارت الدنيا هرجًا ومرجًا ، وتظاهرت الفتن ، وتقطّعت السّبل ، وأغار بعضهم على بعض ، فلا كبير يرحم صغيرًا ، ولا صغير يوقّر كبيرًا »[178] .

4) ويمثّل (**والذي بَعَثَهُ بالحقّ**) نموذجاً فرعاً 6.7% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله ما جاء في نهج البلاغة : « والذي بعثه بالحقّ لانقلعتْ بعروقها ، وجاءتْ ولها دويٌّ شديدٌ ، وقصفٌ كقصفِ أجنحة الطّيرِ »[179] .

5) ويمثّل (**والذي لا إله غيرُهُ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 6.7% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الرّسول ﷺ : « والذي لا إله غيرُهُ ما منْ رجلٍ تكونُ له إبلٌ أو بقرٌ أو غنمٌ لا يؤدّي حقّها إلاّ أتي بها يوم القيامة »[180] .

6) ويمثّل (**والذي فَلَقَ الحَبّةَ وبَرأَ النّسَمَةَ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 11% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله ما جاء في نهج البلاغة : « فوالذي فَلَقَ الحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَة لئنْ كان ذلك حقًا لتجدنَّ بك عليَّ هواناً ، ولَتخفنَّ عندي ميزاناً »[181] .

7) ويمثّل (**والذي والصّلة المتنوّعة**) نموذجاً فرعاً بنسبة 26.7% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قوله تعالى : ﴿ قالوا لن نُؤثرَكَ على ما جاءنا من البيّناتِ والذي فَطَرَنَا ﴾[182] .

جـ- ويمثّل (**وربّ ...**) نموذجاً فرعاً بنسبة 3.3% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الأخطل :

إنّي ورَبّ النّصارى عند عيدهمُ ... والمسلمين إذا ما ضمّها الجُمَعُ

ورَبّ كلّ حبيسٍ فوق صومعةٍ ... يمشي ولا همُّهُ الدّنيا ولا الطّمَعُ

لقدْ مدحتُ قريشاً واستغثتُ بهم ... إذْ ما أنامُ إذَا ما صُحْبَتي هَجَعُوا[183]

د – ويمثّل (**وبيتِ اللّهِ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 2.4% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول زُفَر بن الحرث[184] :

كذبتُمْ وبيتِ اللّهِ لا تقتلونَهُ ولَمّا يكنْ يومٌ أغرُّ مُحَجَّلُ

ولمّا يكنْ للمَشْرفيَّةِ فوقكمْ شُعاعٌ كَقَرْنِ الشّمسِ حين تَرَجَّلُ[185]

ر – ويمثّل (**وَجَدّك**) نموذجاً فرعاً بنسبة 1.7% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الأعشى :

فإنّي وَجَدّكَ لولا تجيء لقدْ قَلِقَ الخُرْتُ أنْ لا انتظارَا[186]

س–ويمثّل (**والقُرآنِ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 0.5% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قوله تعالى : ﴿ يس والقرآنِ الحكيمِ إنّكَ لَمِنَ المرسلينَ ﴾[187] .

ص–ويمثّل (**والكتَابِ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 0.5% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قوله تعالى : ﴿ حم والكتابِ المبينِ إنّا جعلناهُ قرآناً عربيّاً لعلّكمْ تَعقلونَ ﴾[188] .

ع–ويمثّل (**والسّماءِ**) نموذجاً فرعاً بنسبة 0.5% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قوله تعالى : ﴿ والسّماءِ ذاتِ البروجِ واليومِ الموعودِ وشاهدٍ ومشهودٍ قُتِلَ أصحابُ الأخدودِ ﴾[189] .

غ–ويمثّل (**واو القسم والمقسم به المتنوّع**) نموذجاً فرعاً بنسبة 7% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول عمر بن أبي ربيعة :

إنّي ومنْ أحرمَ الحجيجُ له ومَوقفِ الهَدْيِ بَعْدُ ، والبُدُنِ

والبيتِ ذي الأبْطَحِ العتيقِ وما جُلِّلَ مِنْ حُرِّ عَصْبِ ذي اليَمَنِ

والأشْعَثِ الطّائفِ المُهِلِّ وما بين الصَّفَا والمَقَامِ والرُّكْنِ

وزمـــزمٍ والجـمـــارِ إذ رُمـــيتْ والجـــمـــرتينِ اللّتينِ بالبَطْنِ

ومـــا أقَـــرَّ الظِّبـــاءَ بالبـيتِ والـ وُرْقِ إذا مـــــا دَعَتْ عـلـى فَنَنِ

مـا خُنْتُ عَـهْدَ القَتُولِ إذْ شَحَطَتْ ولَوْ أتَوهَا بِهِ لِتَـصْـرِمَني (190)

* إذنْ النّموذج السّـائد والغالـب في هذه النّمـاذج الفرعيّـة هو : (واللّهِ) .

النّمـوذج الثّـاني : (تاء القـسم والمقـسم به) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 6% من مجموع حروف القسم . ومثاله قوله تعالى : ﴿ قالوا تاللّهِ لقدْ آثركَ اللّهُ علينا وإنْ كُنّا لخاطئينَ ﴾ (191) .

وقال عمر بن أبي ربيعة :

تـاللّـهِ أنسى حُـــبَّـــهـــا حـــيـــاتَنَا أوْ أقْـــبَـــرُ (192)

النّمـوذج الـثّـالث : (باء القـسم والمقـسم به) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 3.4% من مجموع حروف القسم :

أ – ويمثّل **(باللّه)** نموذجاً فـرعـاً بنسـبـة 50% من مـجمـوع النّموذج الأصل . ومثاله قول عنترة :

فـبـاللّهِ يا ريحَ الـحـجـازِ تنفّسي على كبدٍ حَرّى تذوبُ مِنَ الوجْدِ (193)

ب–ويمثّل **(بحقّ)** نموذجاً فرعاً بنسبة 18.75% من مـجمـوع النّموذج الأصل . ومثاله قول عنترة :

بحقِّ الهَوَى لا تعذلوني وأقصِروا عن اللّومِ إنَّ اللّومَ ليس بنافعِ (194)

جـ- ويمثّل **(بعـزّةِ)** نموذجاً فـرعـاً بنسـبـة 12.5% من مـجمـوع النّموذج الأصل . ومـثاله قـوله تعـالى : ﴿ قـال فَبِعـزّتِكَ لأغوينّـهمْ أجمـعينَ إلاّ عبادَكَ منهمُ المخلَصينَ ﴾ (195) .

د – ويمثّل (بربِّ ...) نموذجاً فرعاً بنسبة 18.75% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول قيس بن الملوّح :

بربِّكَ هلْ ضممتَ إليكَ ليلى قُبيلَ الصّبحِ أو قبّلتَ فاهَا ؟[196]

* إذنْ يتضح لنا أنّ النّموذج السّائد والغالب في هذه النّمَاذج الفرعيّة إنّما هو : (باللّهِ) .

النّموذج الرّابع : (للّهِ) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة **0.8%** من مجموع حروف القسم . ومثاله قول أبي ذؤيب الهذليّ :[197]

للّهِ يَبْقَى على الأيّام مُبْتَقِلٌ جَونُ السَّراةِ رباعٍ سِنُّهُ غَرِدُ[198]

النّموذج الخامس : (مُنْ ربّي) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة **0.2%** من مجموع حروف القسم :

ومثاله قول العرب : « مُنْ ربّي لأفعلنَّ ذلك ، ومُنْ ربّي إنّكَ لأشِرٌ »[199] .

النّموذج السّادس : (هَا اللّهِ) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة **0.2%** من مجموع حروف القسم :

ولم أعثر على مثال لهذا النّموذج سوى ما نقله سيبويه عن العرب : « إيْ هَا اللّهِ ذَا »[200] .

وهكذا يتجلّى لنا من عرض هذه النّماذج الأصول السّتّة أنّ النّموذج الأكثر استعمالاً وشيوعاً في حروف القسم هو : (واو القسم والمقسم به) . وقد تبيّن أنّ النّموذج الفرع السّائد في هذا النّموذج إنّما هو : (واللّهِ) وذلك يشير إلى كثرة وروده على اللّسان العربيّ .

سابعاً : أدلّة اليمين عند حذف جملة القسم ، وتمثّل نسبة 31.8% من مجموع النّصوص :

النّموذج الأوّل : (لَقَدْ فَعَلَ) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 61.4% من مجموع أدلّة اليمين :

ومثاله قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جاءكم رسولٌ من أنفسِكُمْ عزيزٌ عليه ما عَنِتُّمْ حريصٌ عليكمْ بالمؤمنينَ رءوفٌ رحيمٌ ﴾ [201] .

ويقول عنترة :

ولقدْ لَقِيتُ الفُرْسَ يا ابنةَ مالكٍ وجيوشُها قدْ ضاقَ عنها البيدُ [202]

ويقول أيضاً :

ولقدْ لَقَيتُ الموتَ يومَ لقيتُهُ متسربلاً والسّيفُ لم يتسربلِ [203]

النّموذج الثّاني : (لَئِنْ فَعَلَ) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 24.3% من مجموع أدلّة اليمين :

ومثاله قوله تعالى : ﴿ ولئنْ سألتهمْ منْ خَلَقَ السّمواتِ والأرضَ لَيَقولُنَّ اللّه ﴾ [204] .

وقال الحارث الجرمي [205] :

قومي هُمُ قتلوا أميمَ أخي فإذا رَميتُ يُصيبُني سَهْمِي

فلئنْ عفوتُ لأعفونْ جَلَلاً ولئنْ سَطوتُ لأوهنَنْ عَظْمِي [206]

النّموذج الثّالث : (لأفْعَلَنْ) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 13.14% من مجموع أدلّة اليمين :

ومثاله قوله تعالى : ﴿ وتَفَقَّدَ الطّيرَ فقالَ مالي لا أرَى الهُدهدَ أمْ كانَ من الغائبين ، لأعذّبَنَّهُ عذاباً شديداً أوْ لأذْبَحَنَّهُ أوْ لَيَأتِيَنّي بِسُلطانٍ مُبين ﴾ [207] .

وقال الرّسول ﷺ : « لأعطينَّ الرّايةَ غداً رجلاً يفتحُ اللّهُ على يديهِ يُحِبُّ اللّهَ ورسولَهُ ، ويُحبُّهُ اللّهُ ورسولُهُ »[208] .

وقال الأعشى :

لأعـرفنَّكَ إنْ جَـدَّ النَّفـيـرُ بِنَا وشُبَّت الحربُ بالطُّوّافِ واحتَمَلُوا

لأعـرفنَّكَ إنْ جَـدَّتْ عـداوتُنَا والتُمِسَ النَّصْرُ منكمْ عَوْضُ تُحْتَمَلُ[209]

النّموذج الرّابع : (لَهِنْ والضّمير) ويمثّل هذا النّموذج الأصل نسبة 1.4% من مجموع أدلّة اليمين :

أ – ويمثّل (**لَهِنّك**) نموذجاً فرعاً بنسبة 62.5% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله ما حكاه سيبويه عن بعض العرب : « لَهِنَّكَ لَرجلُ صِدْقٍ »[210] .

قال الشّاعر :

ألا ياسَنَا بَرْقٍ على قُلَلِ الحِمَى لَهِنَّكَ مِنْ بَرْقٍ عَلَيَّ كَـريمُ[211]

ب– ويمثّل (**لَهِنّي**) نموذجاً فرعاً بنسبة 25% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الشاعر :

لَهِنّي لأشقى النّاسِ إنْ كنت غارماً لدومة بكراً ضيّعته الأراقمُ[212]

جـ– ويمثّل (**لَهِنّا**) نموذجاً فرعاً بنسبة 12.5% من مجموع النّموذج الأصل . ومثاله قول الشّاعر :

أبائنةٌ حُبِّي ؟ نعم وتُماضِرُ لَهِنّا لمقضيٌّ علينا التّهاجُرُ[213]

* إذنْ النّموذج السّائد والغالب في هذه النّماذج الفرعيّة هو : (لَهِنّك) .

وهكذا يتجلّى لنا من عرض هذه النّماذج الأصول الأربعة أنّ النّموذج الأكثر استعمالاً وشيوعاً في أدلّة اليمين عند حذف جملة القسم هو : (لَقَدْ فَعَلَ) وفي ذلك دلالة واضحة على أصالته في اللّسان العربيّ .

صفوة القول فيما تقدّم :

لقد تعدّدتْ نماذج القسم في اللغة العربيّة وتنوّعتْ بشكل مستفيض يدلّ على ثرائها الزّاخر وبيانها الباهر . وبعد التأمّل والمعاينة في نماذج القسم وجدنا أنّ استعمال نموذجٍ ما بكثرة أو بقلة أو مهملاً مرجعُهُ غالباً الخفّة أو الثّقل ، فنماذج القسم على ضربين :

أحدهما : انصرفتْ إليه العرب فاستعملته لخفّته على النّفس واستساغة الحسّ له .

والآخر : انصرفتْ عنه العرب فأهملته أو استعملته على قلّة لنفور الحسّ عنه ، والمشقّة على النّفس لتكلّفه .

وقد قادنا التّقليب لكل أساليب القسم الممكنة في اللغة العربيّة وفق التّرتيب النّوعيّ الذي اعتمدناه في تصنيف النّماذج إلى معرفة أصل نماذج القسم وأصل طرائق التّعبير عنه في العصرين الجاهليّ والإسلاميّ وهو النّموذج : « لَقَدْ فَعَلَ » المشعر بقسم مقدّر حيث لم تتقدّم جملة قسم ، فقد شكّل الخمس تقريباً من مجموع النّصوص القسميّة . وتفشّي ذلك النّموذج واستفاضته في اللّسان العربيّ يشهد له برسوخه وقوّة تمكّنه ، كما يحمل دلالة جليّة على أصالته ، وإقراراً بشيوعه وذيوعه .

ولو بحثنا عن سبب أصالته في باب القسم لقلنا : طرداً للاستثقال ، وقصداً للاستخفاف لاقتصاره على جملة واحدة هي جملة المقسم عليه وهي محطّ الفائدة من أسلوب القسم ؛ لأنّ جملة القسم لا تُساق إلاّ تأكيداً للجملة المقسم عليها التي هي جوابها ، تحقيقاً للأمر وتثبيتاً له . ونحن لا نجزم بأنّ مجرّد تلك النّسبة تجعل هذا النّموذج « لَقَدْ فَعَلَ » أصلاً لنماذج القسم وأصل طرائق التّعبير ! ولكنّه أحد الاحتمالات المؤكّدة التي تفرزها تلك النّسبة ، إذْ إنّ كثرة نموذجٍ ما تدلّ على أنّه مألوف في الاستعمال ، وألفته تشعر بأصالته . والذي دعانا إلى هذا القول هو أنّ الباء أصل أحرف القسم وهي أقلّ استعمالاً من فرعها الواو ومن فرع الفرع أعني التّاء ، وذلك لاختصاصها بجواز ذكر الفعل معها ، ودخولها على الضّمير ، واستعمالها في القسم الاستعطافي (214) .

هوامش الفصل الثّاني

1) أيمان العرب في الجاهليّة (ص 22) .

2) **أبو خِراش الهذليّ** : هو خويلد بن مرّة أحد بني هذيل . شاعر مخضرم أسلم وهو شيخ كبير يوم حنين . وهو من فرسان العرب وفتّاكهم ، وكان ممّن يعدو على رجليه فيسبق الخيل . نهشته حيّة فمات في زمن عمر بن الخطّاب رضي اللّه عنه . انظر : الاختيارين للأخفش (ص 661) والشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 445) وشرح ديوان الحماسة للتبريزيّ (2 : 326) .

3) الاختيارين للأخفش (ص 672) .

4) ديوان حسّان بن ثابت (ص 33) .

5) سورة : الواقعة . آية : 75 - 77 .

6) سورة : النّساء . آية : 65 .

7) **غُويَة بن سُلميّ بن ربيعة** : هو شاعر جاهليّ أحد بني ضَبَّةَ . انظر : شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (1 : 211) .

8) شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (1 : 415) .

9) الكامل في اللغة والأدب (1 : 18) .

10) ديوان النّابغة الذّبيانيّ (ص 38) .

11) ديوان عمر بن أبي ربيعة (ص 305) .

12) شرح شواهد المغني للسّيوطيّ (1 : 111) .

13) ديوان حاتم الطّائيّ (ص 76) .

14) ديوان حسّان بن ثابت (ص 184) .

15) الإنصاف في مسائل الخلاف (1 : 318) .

قائله : ابن عبد الجنّ .

مائرات : مائجات ، لكثرة القتلى . والقُنّة : أصلها أعلى الجبل . والعُزّى :

اسم صنم ، وكذلك النّسر . والعندم : هو دم الغزال . والبِيعة : معبد النّصارى . والأبيل : رئيس النّصارى ، وقيل : هو الرّاهب . ولعلع : اسم موضع .

16) **خُلَيد** : هو مولى العباس بن محمّد بن عليّ بن عبداللّه بن العبّاس . انظر : شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (2 : 144) .

17) شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (2 : 145) .

الرّاقصات : الإبل . وذات عرق : هو موضع قريب من مكّة وهو مهلّ أهل العراق . ونَعمان الأراك : وادٍ بين مكّة والطّائف .

18) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 181) .

أصلاب الرّجال : أصلاب جمع صُلْب وهو عظم في الظّهر . وقرارات النّساء : كناية عن الأرحام .

19) صحيح البخاريّ : باب هل يدخل في الأيمان والنّذور الأرض (4 : 160) .

20) سورة : المدّثّر . آية : 32 - 35 .

21) لسان العرب (3 : 1628) .

الرَّدْم : موضع بِتهامة . وحذف النّون التي هي علامة رفع الفعل في قوله : « تعودي » للضّرورة .

22) ديوان حسّان بن ثابت (ص 66) .

الرّاقصات : الإبل ، والرّقص ضرب من سيرها . الجائبين : القاطعين ، من جاب البلاد : قطعها . والمخارم : جمع مخرم وهو الطريق في الجبل .

23) ديوان الأعشى (ص 281) .

24) **فاطمة بنت الأحْجم الخُزاعيّة** : كان أبوها أحد سادات العرب في الجاهليّة ، وهو زوج خالدة بنت هاشم بن عبدالمطلب ، وفاطمة هذه تعدّ في الصّحابة . انظر : شرح ديوان الحماسة (1 : 376) .

25) شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (1 : 378) .

26) المصدر السّابق نفسه (2 : 100) .

27) سورة : التغابن . آية : 7 .

28) سورة : الأنعام . آية : 30 .

29) البيان والتّبيين (1 : 46) .

30) سورة : يونس . آية : 53 .

31) **عقيل بن أبي طالب** : هو عقيل بن أبي طالب بن عبدالمطّلب بن هاشم . وأمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم . كان يُكنّى : أبا يزيد . أسر يوم بدر ففداه العبّاس بأربعة آلاف درهم . أسلم ولحق بمعاوية ، ومات بعد ما عمي في خلافة معاوية . انظر : المعارف لابن قتيبة (203 - 204) .

32) العقد الفريد (8:4) .

33) البيان والتّبيين (1 : 394) .

34) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 675) .

الاستبقاء : الإبقاء . والقوارع : الدّواهيّ . تقرع العظم : تصدمه فتكسره . وتهلس اللحم : تذيبه وتنهكه .

35) ديوان حاتم الطّائيّ (ص 29) .

36) **زبّان بن سيّار** : هو زبّان بن سيّار بن عمرو الفزاريّ . شاعر جاهليّ . كان سيّداً في فزارة ، ووفد مع النّابغة الذّبيانيّ على النُّعمان بن المنذر . كان زوجاً لمُليكة بنت سنان بن حارثة أخت هرم بن سنان . انظر : المعارف لابن قتيبة (ص 112) وشرح اختيارات المفضّل للتّبريزيّ (3 : 1463) .

37) شرح اختيارات المفضّل للتّبريزيّ (3 : 1470) .

38) سورة : المائدة . آية : 53 .

39) سورة : الأعراف . آية : 49 .

40) سورة : الروم . آية : 55 .

41) سورة : المائدة . آية : 107 .

42) سورة : الأعراف . آية : 21 .

43) سورة : النّمل . آية : 49 .

44) ديوان حسّان بن ثابت (ص 98) .

45) سورة : النساء . آية : 62 .

46) شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (2 : 107) .

47) البيان والتّبيين (4 : 62) .

48) **أبو الحويرث السُّحيميّ** : هو حمزة بن بيض الحنفيّ ، شاعر إسلاميّ من شعراء الدولة الأموية ، كوفيّ خليع ماجن . وكان منقطعاً إلى المهلّب ابن أبي صفرة وولده ، واكتسب بشعره مالاً عظيماً . انظر : البيان والتّبيين (1 : 269) .

49) البيان والتّبيين (4 : 46) .

50) الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 216) .

51) **الحُطيئة** : هو جَرْوَل بن أوْس من بني قُطَيعة بن عبس ، ولُقّب الحطيئة لقصره وقربه من الأرض ، ويكنّى أبا مليكة ، وكان راوية زهير ، وهو جاهليّ إسلاميّ ، ولم يسلم إلاّ بعد وفاة الرّسول ﷺ . وقد كان رقيق الإسلام ، لئيم الطّبع . توفّي سنة 45 هـ.انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 203) وشرح شواهد المغني للسّيوطيّ (1 : 477) .

52) لسان العرب : مادّة (ع ط ش) (4 : 2995) .

53) ديوان حسّان بن ثابت (ص 217) .

54) سورة : التوبة . آية : 107 .

55) **الرَّمّاح بن ميّادة** : هو الرَّمّاح بن يزيد أو ابن أبرد يصل نسبه إلى سعد بن ذبيان ، وميّادة أمّه وكان يزعم أنّها فارسيّة . وهو شاعر إسلاميّ ، عِرِّيض للشرّ ، طالب مهاجاة الشعراء ومسابّة النّاس . توفّي سنة 136 هـ انظر : شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (2 : 120) .

56) البيان والتّبيين (3 : 349) .

النّدمان : يكون واحداً وجمعاً ، وهو النّديم على الشّراب . والطّلاء : ما طبخ من عصير العنب .

57) ديوان الأعشى (ص 275) .

58) ديوان حسّان بن ثابت (ص 164) .

59) ديوان النّابغة الذّبيانيّ (ص 61) .

60) شرح ديوان الحماسة للتّبريزي (1 : 217) .

61) **جرير** : هو جرير بن عطيّة بن الخَطَفيّ . كان يكنّى أبا حَزْرة . وكان من فحول شعراء الإسلام ويشبّه من شعراء الجاهليّة بالأعشى . وكان من أحسن النّاس تشبيباً ، ومن أشدّهم هجاءً . مدح يزيد بن معاوية ومن بعده من الأمويّين ، وإليه المنتهى وإلى الفرزدق في حسن النّظم . عُمّر نيّفاً وثمانين سنة ومات باليمامة . توفّي سنة 110 هـ . انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 309) وشرح شواهد المغني للسّيوطيّ (1 : 45) .

62) ديوان جرير (ص 401) .

63) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 652) .

64) ديوان جرير (ص 289) .

65) لسان العرب : مادّة (أ ل ت) (1 : 106) .

66) **المخبّل** : هو ربيعة بن مالك وهو من بني شمّاس بن لأي بن أنف النّاقة .

هاجر وابنه إلى البصرة ، وولدُه كثير بالأحساء وهم شعراء . انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 273) .

67) الشعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 273) .

68) **قيس لبنى** : هو قيس بن ذريح من بني كنانة من بني ليث . وهو أحد عشّاق العرب المشهورين بذلك وصاحبته لبنى . وكانت لبنى تحته فطلّقها ثمّ تتبّعتها نفسه ، واشتدّ وجده بها وجعل يلمُّ بمنزلها سراً من قومه ، فزوّجها أبوها رجلاً من غطفان ، وعاود قيس زيارته إيّاها ، وشخص أبوها إلى معاوية فأخبره بتعرّضه لها فكتب له معاوية بهدر دمه إن عاد . مات بعد ثلاثة أيام من موت لبنى حزناً عليها ، فدفن إلى جانبها . انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 422) وشرح شواهد المغني للسّيوطيّ (2 : 539) .

69) الحيوان (3 : 55) .

الرّداح : الثّقيلة الأوراك . والعتيق : الجميل الرّائع .

70) سورة : آل عمران . آية : 18 .

71) سورة : المنافقون . آية : 1 .

72) سورة : المنافقون . آية : 1 .

73) البيان والتّبيين (1 : 82) .

يوم الهَبَاءة : وهو « يوم الجفر » لعبس على ذبيان ، وفيه قُتل حذيفة بن بدر وأخوه حَمَل سيّدا بني فزارة . والهباءة هي أرض لغطفان كانت فيها الموقعة ، وجفر الهباءة : مستنقع في هذه الأرض . انظر : مجمل اللغة لابن فارس (2 : 898) والعمدة لابن رشيق القيروانيّ (2 : 202) .

74) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 499) .

أكبر الشاهدين هو النبيّ ﷺ أو القرآن الكريم .

75) **الحارث بن هشام** : هو الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم . والحارث هذا أخو أبي جهل وأمّهما أسماء بنت مخرمة النّهشليّة . وهو شاعر مخضرم ، شهد غزوة بدر مع المشركين ، وفرّ عن أخيه أبي جهل فعيّره بذلك حسّان بن ثابت . أسلم يوم الفتح ، وأعطاه النّبيّ ﷺ مائة من الإبل من غنائم حنين ، واستشهد يوم اليرموك سنة 15 هـ . انظر : شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (1 : 56) .

76) شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (1 : 56) .

77) سورة : البقرة . آية : 187 .

78) الكتاب (3 : 110) .

79) سورة : يس . آية : 16 .

80) سورة : البقرة . آية : 84 .

81) **عمرو بن كلثوم** : وجدّه مالك بن عتاب بن سعد بن زهير ، ويتّصل نسبه بربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان ، وعمرو هذا أحد بني تغلب بن وائل . شاعر جاهليّ من أصحاب المعلّقات ، وأمّه ليلى بنت مهلهل بن ربيعة أخي كليب . فبعلها كلثوم بن مالك فارس العرب ، وعمّها كليب وائل أعزّ العرب ، وابنها عمرو سيّد قومه ، وهو قاتل عمرو بن هند ملك الحيرة . انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 141) وشرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (1 : 182) .

82) شرح المعلّقات العشر للزّوزنيّ (ص 220) .

83) الدّرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للسّيوطيّ (ص 82) .

لم أجد هذا الحديث في كتب الصّحاح ولا المسانيد . انظر : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النّبوي (مادة سمن) و (مادة حبر) .

84) لسان العرب : مادّة (ب ذ ب ن) (1 : 236) .

باذبينيّ : نسبة إلى باذَبِين الذي كان رسولاً للحَجّاج .

85) لسان العرب : مادّة (ر ق ع) (3 : 1705) .

ما ترتقِعُ له : أي لا تبالي به ، ولا تكترث .

86) الدّرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للسّيوطيّ (ص 61) .
لم أجد هذا الحديث في كتب الصّحاح ولا المسانيد . انظر : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النّبوي (مادة أبى) و (مادة رزق) .

87) سورة : التّوبة . آية : 32 .

88) سورة : التّوبة . آية : 75 .

89) معاني الأخبار للصّدوق (ص 126) .
لم أعثر على هذا الحديث في كتب الصّحاح ولا في المسانيد . انظر : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النّبويّ (مادّة عهد) .

90) ديوان عمر بن أبي ربيعة (ص 316) .

91) لسان العرب : مادّة (ب ل و) (1 : 356) .

92) **أوس بن حَجَر** : هو أوس بن حجر بن عتّاب الأسديّ التّميميّ . شاعر بني تميم في الجاهليّة غير مدافَع . وكان أوس عاقلاً في شعره ، كثير الوصف لمكارم الأخلاق ، وهو من أوصفهم للحُمُر والسّلاح ولا سيّما للقوس ، وسبق إلى دقيق المعاني وإلى أمثال كثيرة . انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 119) وشرح شواهد المغني للسّيوطيّ (1 : 116) .

93) لسان العرب : مادّة (ب ل و) (1 : 356) .

94) المصدر السّابق نفسه : مادّة (ب ل و) (1 : 356) .

95) سورة : الأنعام . آية : 12 .

96) سورة : المجادلة . آية : 21 .

97) تفسير البحر المحيط (8 : 363) .
في ثياب دَسْم : أي دنسة بالمعاصي .

98) معجم مقاييس اللغة : مادّة (ع ز م) (4 : 308) .

99) سورة : الأعراف . آية : 167 .

100) ديوان جرير (ص 406) .
وِخام : جمع وخمة وهي الوبيئة .

101) لسان العرب : مادّة (ع م ر) (4 : 3100) .

102) سورة : هود . آية : 119 .

103) **ابن أحمر الباهليّ** : هو عمرو بن أحمر بن فَرّاص بن معْن بن أعْصُر ، وكان أعور ، رماه رجل يقال له مَخْشِيٌّ بسهم فذهبت عينه . كان مولده في أفصح بقعة من الأرض أهلاً بين يَذْبُل والقَعَاقع . وقد أتى ابن أحمر في شعره بأربعة ألفاظ لا تعرف في كلام العرب : سمّى النّارَ ماموسةً ، وحُوارَ النّاقةِ بابوساً ، والتأخّرَ التّبنيس ، وما لُفَّ على الرّأس الأرْنة . عُمّر تسعين سنة . توفّي سنة 65 هـ . انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 229) .

104) انظر : معجم مقاييس اللغة : مادّة (ح ل ط) (2 : 97) ولسان العرب : المادّة نفسها (2 : 963) .

105) سورة : النّور . آية : 55 .

106) سورة : يوسف . آية : 35 .

107) سورة : الإسراء . آية : 4 .

108) شرح الكافية الشّافية (2 : 858) .

109) لسان العرب : مادّة (س ب أ) (3 : 1908) .

110) المصدر السّابق نفسه : مادّة (س م ط) (3 : 2094) .

111) أيمان العرب في الجاهليّة (ص 28) .

112) المصدر السّابق نفسه (ص 31) .

113) **مُهَلْهِل بن ربيعة** : هو عديّ بن ربيعة أخو كُليب وائل الذي هاجت بمقتله حرب بَكْرٍ وتغلِب ، وسُمّي مهلهلاً لأنّه هلهل الشّعر أي أرقّه . وهو خال امرىء القيس وجدُّ عمرو بن كلثوم . وكان القائم بالحرب ورئيس تغلب . أسِر يوم قِضّة وكان لبكر فمات في أسره . انظر : الشّعر والشعراء لابن قتيبة (ص 186) .

114) لسان العرب : مادّة (ن ج د) (6 : 4349) .

115) المصدر السّابق نفسه : مادّة (ن ف ل) (6 : 4510) .

116) شرح الكافية الشّافية (2 : 858) .

117) **عمرو بن معدّ يكرب** : هو عمرو بن معد بن عبدالله الزُّبيديّ . شاعر مخضرم ، فارس اليمن ، وهو مقدّم على زيد الخيل في الشّدّة والبأس . قدم على النّبيّ ﷺ فأسلم سنة تسع . وكان عمرو يُكنّى أبا ثور ، وكان أحد من يصدق عن نفسه في الحرب . شهد حرب القادسيّة ، ونهاوند وبها قتل سنة 21 هـ . انظر : شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (1 : 43) وشرح شواهد المغني للسّيوطيّ (1 : 419) .

118) شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (1 : 51) .

119) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 117) .

جؤجؤ السّفينة : صدرها . ونعامة جاثمة : من جثم إذا وقعت على صدرها ، أو تلبّدت بالأرض . وقد وقع ما أوعد به أمير المؤمنين ، فقد غرقت البصرة ، جاءها الماء من بحر فارس من جهة الموضع المعروف بجزيرة الفرس ، ومن جهة الجبل المعروف بجبل السّنام ولم يبق ظاهراً منها إلاّ مسجدها الجامع . انظر : شرح نهج البلاغة لمحمد عبده (ص 117 - 118) .

120) ديوان النّابغة الذّبيانيّ (ص 66) .

121) شرح المعلّقات العشر للزّوزنيّ (ص 140) .

122) سورة : القلم . آية : 39 .

123) ديوان عنترة (ص 121) .

124) **ابن الطَثْريّة** : هو يزيد بن الصّمّة أحد بني سلمة الخير ، والطّثْريّة أمّه . وهو شاعر إسلاميّ ، وكان جميل الوجه حسن الشّعر حلو الشّمائل ، وكان كثيراً ما يتحدّث إلى النّساء . وقد قتلته بنو حنيفة يوم الفلج . انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 280) وشرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (2 : 124) .

125) الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 280) .

مُلَهْوَجٌ : هو الذي لم يُنْضَجْ من طعام أو شواء . وتَقَصَّدَ : أي تكسّر وصار قِصَداً أي قطعاً .

126) شرح الكافية الشّافية (2 : 854) .

127) الخنساء : هي تماضر بنت عمرو بن الشّريد بن رياح من بني سُليم . وأجمع أهل العلم بالشّعر أنّه لم يكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها . قدمت على رسول اللّه ﷺ مع قومها فأسلمتْ معهم ، فذكروا أنّ رسول اللّه ﷺ كان يستنشدها ويعجبه شعرها فكانت تنشده ويقول : هيه هيه خناس . وكان أخوها صخر بن عمرو شريفاً في بني سُليم ، وقد خرج في غزاة فقاتل فيها قتالاً شديداً حتّى طعنه أبو ثور الأسديّ فمات وكان أحبّ إخوانها إليها إذ كان حليماً جواداً محبوباً في العشيرة ، فكانت ترثيه ولم تزل تبكيه حتى عميتْ . وشهدت حرب القادسيّة ومعها أربعة بنين لها فحضّتهم على القتال والجهاد ، ولمّا بلغها خبر قتلهم قالت : الحمد للّه الذي شرّفني بقتلهم وأرجو من ربّي أن يجمعني بهم في مستقرّ رحمته . توفّيت سنة 24 هـ . انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 218) وشرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (2 : 378) .

128) ديوان الخنساء (ص 26) .

129) مَعْن بن أوس : وجدّه نصر بن زياد ينتهي نسبه إلى مزينة بن أدّ . وهو شاعر مجيد محسن ، متين الكلام ، حسن الدّيباجة ، فخم المعاني . من مخضرميّ الجاهليّة والإسلام . وله مدائح كثيرة في أصحاب الرّسول ﷺ . وعُمّر إلى أيام الفتنة بين عبداللّه بن الزّبير ومروان بن الحكم . انظر : شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (2 : 7) وشرح شواهد المغني للسّيوطي (2 : 808) .

130) شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (2 : 8) .

131) الكامل في اللغة والأدب (1 : 38) .

131) الكامل في اللغة والأدب (1 : 38) .

132) **الأخطل** : هو غياث بن غوث من بني تغلب من فَدَوْكَس ، ويكنّى أبا مالك . وإنّما سُمّي الأخطل لسفهه واضطراب شعره ، وقيل : لطول أذنيه . وكان نصرانيًا ومات على نصرانيّته . وكان يشبّه من شعراء الجاهليّة بالنّابغة الذّبيانيّ . وكان مقدّماً عند خلفاء بني أميّة لمدحه لهم وانقطاعه إليهم . ومدح يزيد بن معاوية وهجا الأنصار بسببه . قال بعض الرّواة : ذهب كثيّر بالنّسيب ، وجرير بالهجاء ، والأخطل بالمديح ، والفرزدق بالفخار . توفّي سنة 90 هـ . انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 325) والاشتقاق لابن دريد (ص 338) وشرح شواهد المغني للسّيوطيّ (1 : 123) .

133) ديوان الأخطل (ص 121) .

134) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 457) .

فخر على أصلكم : أي على أصل بني آدم ، يعني أباهم آدم ﷺ حيث امتنع من السّجود له . ووقع في نسبكم : أي عاب حسبكم وهو الطّين ، فقال : إنّ النّار أفضل منه . ودفع في نسبكم مثله . انظر : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (166:4) .

135) ديوان عمر بن أبي ربيعة (ص 166) .

136) ديوان الأعشى (ص 241) .

القطين : بمعنى المقطون وهي دار الإقامة . غير مسنَد : غير دعيّ ولا ضعيف .

137) **كعب بن سعد الغنويّ** : ينتهي نسبه إلى قيس عيلان . شاعر إسلاميّ ، سُمّي كعب الأمثال لكثرة ما في شعره من الأمثال . جعله ابن سلاّم في طبقة فحول أصحاب المراثي من الجاهليّين ، مع الخنساء ، وأعشى باهلة . انظر : الاختيارين للأخفش (ص 750) .

138) الاختيارين (ص 759) .

139) الكتاب (2 : 292) .

140) ديوان الأعشى (ص 283) .

141) المصدر السّابق نفسه (ص 81) .

العَوان من الحرب : هي التي قوتل فيها مرّة بعد مرّة . والمُغمَّر : الجاهل الأبله الذي لم يجرّب الأمور . والجزل : الحطب اليابس .

142) ديوان الأخطل (ص 237) .

البلابل : الهموم .

143) ديوان حسّان بن ثابت (ص 127) .

الغُسّ : الضّعيف . الملحم : الذي يأكل لحوم النّاس . القَحْر : الهزيل .

144) شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (2 : 407) .

الحِسْل : ولد الضّبّ . لا يتنوّر : لا يستعمل النّورة .

145) ديوان النّابغة الذّبيانيّ (ص 64) .

146) سورة : النّحل . آية : 23 .

147) شرح الكافية الشّافية (2 : 882) .

148) المصدر السّابق نفسه (2 : 856) .

149) ابن هَرْمَة : هو أبو إسحاق إبراهيم بن هَرْمَة من قيس عيلان . وابن هرمة آخر الشّعراء الذين يحتجّ بقولهم . وكان من مخضرمي الدّولتين مدح الوليد بن يزيد ثم أبا جعفر المنصور ، وكان مولعاً بالشّراب . مات في خلافة الرّشيد ودُفن بالبقيع . انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 509) وشرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (2 : 73) وشرح شواهد المغني للسّيوطيّ (2 : 682) .

150) ارتشاف الضّرب (3 : 312) .

151) شرح الكافية الشّافية (2 : 855) .

152) ديوان الفرزدق (ص 654) .

153) شرح الكافية الشّافية (2 : 873) .

154) المصدر السّابق نفسه (2 : 882) .

155) ديوان امرىء القيس (ص 80) .

156) ديوان عمر بن أبي ربيعة (ص 131) .

157) سورة : ص . آية : 84 - 85 .

158) لسان العرب : مادّة (ح ق ق) (2 : 943) .

159) الإنصاف في مسائل الخلاف (1 : 400) .

160) لسان العرب : مادّة (ع و ض) (4 : 3171) .

161) ديوان الأعشى (ص 275) .

162) الكتاب (3 : 498) .

163) العُقيليّون : نسبة إلى قبيلة بني عُقيل من العرب .

164) لسان العرب : مادة (ح ر م) (2 : 850) .

165) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 119) .

الذِّمّة : العهد والعقد . تقول : هذا الدَّين في ذمّتي ، كقولك : في عنقي ، وهما كناية عن الالتزام والضمان والتّقلّد . والزّعيم : الكفيل . يريد أنّه ضامن لصدق ما يقول ، كفيل بأنّه الحقّ الذي لا يدافع . والعِبر : جمع عِبرة وهي الموعظة . والمثلات : جمع مَثُلة أي العقوبة : حجزته : منعته . والتّقحّم : التّقدّم والوقوع في أهْوِيَةٍ وشِدّة بغير رويّة ولا تثبّت . انظر : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (1 : 223) ولسان العرب (5 : 3539) وشرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 119) .

166) الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 296) .

167) شرح الكافية الشّافية (2 : 856) .

168) ديوان عمر بن أبي ربيعة (ص 298).

169) أيمان العرب في الجاهليّة (ص 28) .

170) المصدر السّابق نفسه (ص 29) .

أطير : فعيل من أطرَه يأطره أطراً إذا عطفه . والذَّكَر : السّيف . والخشيب من السّيوف : الصّقيل . انظر : لسان العرب (3 : 1509) و (2 : 1160) .

171) أيمان العرب في الجاهليّة (ص 35) .

172) شرح الكافية الشّافية (2 : 855) .

173) معاني القرآن للفرّاء (2 : 412) .

174) أساليب القسم في اللغة العربية (ص 90) .

الشُّفار : جمع شَفْرة ، وهي حدّ السّيف . والجازر : القاطع .

175) سورة : الأنعام . آية : 23 .

176) المجازات النّبويّة (ص 354) . انظر : مسند الإمام أحمد بن حنبل (1 : 387) .

177) البيان والتّبيين (1 : 303) .

178) بحار الأنوار (51 : 79) .

انظر : الفصل الأوّل – الهامش (225) .

179) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 471) .

180) صحيح البخاري : باب وجوب الزّكاة (1 : 254) .

181) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 604) .

182) سورة : طه . آية : 72 .

183) ديوان الأخطل (ص 203) .

الحبيس : الرّاهب المنقطع عن النّاس ، والجمع الحُبُس . والصّومعة : منار الرّاهب ، والجمع الصّوامع .

184) **زُفَرُ بن الحَرِث** : هو أبو الهذيل زفر بن الحارث الكلابيّ . كان كبير قيس في زمانه ، وفي الطّبقة الأولى من التّابعين من أهل الجزيرة . وكان من الأمراء ، وشهد وقعة صفّين مع معاوية أميراً على أهل قنسرين ، وشهد وقعة مرج راهط موضع بالشّام – مع الضحّاك بن قيس . انظر : شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (1 : 41) .

185) شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (1 : 264) .

يوم أغرّ محجّل : أي مشهور . والمشرفيّة : السّيوف . وقرن الشّمس : أوّل ما يظهر منها . وترجّل الشّمس : هو أن تنبسط ولم يشتدّ حرّها بعد .

186) ديوان الأعشى (ص 101) .

الخُرْت : الثّقب في الأذُن والإبرة والفأس وغيرها ، والجمع أخْرات وخُروت . وقَلِقَ خُرْتُ فلان : أي فسد أمره .

187) سورة : يس . آية : 1 - 3 .

188) سورة : الزّخرف . آية : 1 - 3 .

189) سورة : البروج . آية : 1 - 4 .

190) ديوان عمر بن أبي ربيعة (ص 404) .

البُدُن : جمع بدنة ، وهي الأضاحيّ تكون من الإبل والبقر . جُلّل : غُطّيَ وستر . وعَصْب اليمن : نوع من الثّياب . الأشعث الطّائف المهلّ : أراد الحاجّ الأشعث الذي يطوف حول الكعبة مؤدّياً مناسك الحجّ . وبَطْن : بطن مِنَى . وأقرّ : جعلها تقيم وتستقرّ . والوُرْق : الحمائم . والفنن : الغصن . والقتول : التي أصابت بحبّها منه مقتلاً . شحطتْ : بعدتْ . تصرمني : تقطع صلة مودّتها .

191) سورة : يوسف . آية : 91 .

192) ديوان عمر بن أبي ربيعة (ص 189) .

193) ديوان عنترة (ص 45) .

194) المصدر السّابق نفسه (ص 79) .

195) سورة : ص . آية : 82 - 83 .

196) شرح شواهد المغني للسّيوطيّ (2 : 913) .

197) أبو ذؤيب الهذليّ : هو خويلد بن خال بن مُحرِّث بن هذيل . شاعر مجيد أدرك الجاهليّة والإسلام . رحل إلى المدينة والنّبيّ ﷺ في مرضه فمات قبل قدومه بليلة ، وأدركه وهو مسجّى ، وصلّى عليه وشهد دفنه . غزا الرّوم في خلافة عمر ومات بها ، وقيل : بمصر منصرفاً عنها مع ابن الزّبير ، وقيل غير ذلك . توفّي سنة 27 هـ . انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 440) وشرح شواهد المغني للسّيوطيّ (1 : 29) .

198) إيضاح الشّعر (ص 66) .

199) الكتاب (3 : 499) .

200) المصدر السّابق نفسه (3 : 499) .

201) سورة : التّوبة . آية : 128 .

202) ديوان عنترة (ص 37) .

203) المصدر السّابق نفسه (ص 105) .

204) سورة : لقمان . آية : 25 .

205) الحارث الجرميّ : هو الحارث بن وعلة بن عبدالله بن الحارث ينتهي نسبه إلى جَرْم بن الرّيّان . وهو شاعر جاهليّ ، وكان هو وأبوه وعلة من فرسان قضاعة وأمجادها وأعلامها وشعرائها . انظر : شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (1 : 64) .

206) شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (1 : 64) .

207) سورة : النّمل . آية : 20 - 21 .

208) صحيح البخاريّ : باب ما قيل في لواء النّبيّ (2 : 165 - 171) .

209) ديوان الأعشى (ص 111) .

210) الكتاب (3 : 150) .

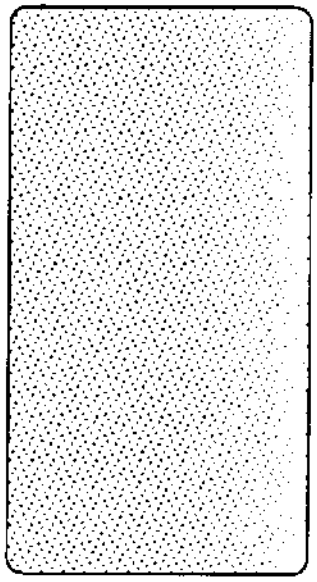
211) شرح الكافية للرّضيّ (4 : 362) .

212) المصدر السّابق نفسه (4 : 362) .

213) المصدر السّابق نفسه (4 : 362) .

214) انظر : مغني اللّبيب (1 : 105 - 106) .

الفصل الثّالث



الجملة القسميّة في الدّراسات النّحويّة

الفصل الثّالث
الجملة القسميّة في الدّراسات النّحويّة

تفسير الجملة في النّحو العربيّ :

تحت هذا العنوان كثيراً ما يتعرّض النّحاة لتعريف بعض المصطلحات التي تتداخل مع بعضها وهي : الكلام ، والكَلِم ، والكلمة ، والقول ، والجملة .

أمّا الكلام فهو : عبارة عمّا اجتمع فيه أمران : اللّفظ والإفادة .

والمراد باللّفظ الصّوت المشتمل على بعض الحروف ، تحقيقاً أو تقديراً .

والمراد بالمفيد ما دلّ على معنًى يحسن السّكوت عليه .

وأقلّ ما يتألّف الكلام من اسمين : كـ « زيد قائم » ومن فعل واسم كـ « قام زيد » [1] .

أمّا الكَلِم فهو : اسم جنس جمعيّ واحده كلمة ، وهي الاسم والفعل والحرف . ومعنى كونه اسم جنس جمعيّ أنّه يدلّ على جماعة ، وإذا زِيد على لفظه تاء التّأنيث فقيل « كلمة » نقص معناه ، وصار دالا على الواحد [2] .

وقد تبيّن أنّ بين الكلام والكلم عموماً وخصوصاً من وجه ، فالكلم أعمّ من جهة المعنى ؛ لانطلاقه على المفيد وغيره ، وأخصّ من جهة اللّفظ ؛ لكونه لا ينطبق على المركّب من كلمتين ، فنحو : « زيد قام أبوه » كلام لوجود الفائدة ، وكلم لوجود الأربعة ، و « قام زيد » كلام لا كلم ، و « إنْ قام زيد » بالعكس [3] .

أمّا الكلمة فلها معنيان :

أحدهما اصطلاحيّ ، وهو القول المفرد .

والثّاني لغويّ ، وهو الجمل المفيدة ، قال اللّه تعالى : ﴿ كلاّ إنّها كلمة هو قائلها ﴾ [4] إشارة إلى قول القائل : ﴿ ربّ ارجعون لعلّي أعمل صالحاً فيما تركتُ ﴾ [5] ، وذلك كثير لا قليل [6] .

أمّا **القول** فهو : عبارة عن اللّفظ الدّالّ على معنًى ، فهو أعمّ من الكلام ، والكلم ، والكلمة عموماً مطلقاً لا عموماً من وجه [7] .

أمّا **الجملـــة** فهي : عبارة عن الفعل وفاعله كـ « قام زيد » والمبتدأ والخبر كـ « زيد قائم » وما كان بمنزلة أحدهما نحو « ضُرب اللّصُّ » و « أقائم الزّيدان » و « كان زيد قائماً » و « ظننته قائماً » [8] .

والكلام أخصّ من الجملة لا مرادف لها ، وهي أعمّ منه ، إذْ شرطه الإفادة بخلافها ، ولهذا تسمعهم يقولون : جملة الشّرط ، جملة الجواب ، جملة الصّلة ، وكلّ ذلك ليس مفيداً ، فليس بكلام [9] .

وقد أطلق على القسم مصطلح « جملة » من بين هذه المصطلحات ، ولكنّه جملة مركّبة من جملتين :

الأولى : جملة جانبيّة ، وهي جملة المقسم به .

والثّانية : جملة رئيسة ، وهي جملة المقسم عليه .

ونظير ذلك من الجمل الشّرط فهو جملة مركّبة من جملتين :

الأولى : جملة جانبيّة ، وهي جملة الشّرط .

والثّانية : جملة رئيسة ، وهي جملة جواب الشّرط .

ومثل ذلك أيضاً جملة الصّلة ، فإذا قلت : « محمّدٌ الذي كان عندنا بالأمس رجلٌ طيّبٌ » فإنّه يتكوّن من جملتين :

الأولى : جملة رئيسة ، وهي : « محمد رجل طيّب » .

والثّانية : جملة جانبيّة ، وهي : جملة الصّلة « الذي كان عندنا بالأمس » .

ونظير ذلك من الجمل أيضاً الجملة الاعتراضيّة والجملة التّفسيريّة . يقول الزّمخشريّ : « القسم جملة فعليّة أو اسميّة تؤكّد بها جملة موجبة أو منفيّة ، ومن

شأن الجملتين أنْ تتنزّلا منزلة جملة واحدة كجملتي الشّرط والجزاء »[10] . ويؤكّد ابن مالك مقالة الزّمخشريّ بقوله : « القسم جملة يجاء بها لتوكيد جملة ، وترتبط إحداهما بالأخرى ارتباط جملتي الشّرط والجزاء ، وكلتاهما اسميّة وفعليّة »[11] . فالقسم جملة في النّحو العربيّ ولكنّها غير مستقلّة بنفسها ، وتمام الاستقلال يتجلّى في المقسم عليه ، يقول ابن يعيش[12] : « والجملة عبارة عن كلّ كلام مستقلّ ، فإنّ هذه الجملة لا تستقلّ بنفسها حتّى تُتبع بما يُقسم عليه ، نحو : « أقسمُ باللّهِ لأفعلنّ » . ولو قلت : « أقسم باللّه » وسكت لم يجز ؛ لأنّك لم تقصد الإخبار بالحلفِ فقط ، وأنّما أردت أن تخبر بأمر آخر وهو قولك : « لأفعلنّ » وأكّدته بقولك : « أحلفُ باللّهِ » . ونظير ذلك من الجمل الشّرط والجزاء ، فإنّها وإن كانت جملة فقد خرجت عن أحكام الجمل من جهة أنّها لا تفيد حتى ينضمّ إليها الجزاء »[13] . ويقول أيضاً : « إنّ القسم وجوابه وإنْ كانا جملتين فإنّهما لمّا أكّدا إحداهما بالأخرى ، صارت كالجملة الواحدة المركّبة من جزأين كالمبتدأ والخبر »[14] .

الجملة القسميّة نوعان :

الأوّل : جملة المقسم به .

الثّاني : جملة المقسم عليه (جواب القسم) .

وهاتان الجملتان تردان في اللغة العربيّة وفقاً للنّماذج الآتية :

أولاً : جملة المقسم به الاسميّة + جملة المقسم عليه الاسميّة المثبتة :

ومثاله قوله تعالى : ﴿ لعمرُكَ إنّهم لَفي سكرتهم يَعمهونَ ﴾[15] .

ثانياً : جملة المقسم به الاسميّة + جملة المقسم عليه الاسميّة المنفيّة :

ومثاله قول عنترة :

لعمرُكَ ما رِمَاحُ بني بغيضٍ تخونُ أكفّهم يوم الطّعانِ

ولا أسيافهمْ في الحرب تنبو إذا عرف الشّجاعُ من الجبانِ[16]

ثالثاً : جملة المقسم به الاسميّة + جملة المقسم عليه الفعليّة المثبتة :

ومثاله ما جاء في نهج البلاغة : « وايمُ اللّهِ لأنصفنَّ المظلوم من ظالمه ، ولأقودنَّ الظالم بِخِزامَتِهِ حتّى أورده منهل الحقّ وإن كان كارهاً »[17] .

رابعاً : جملة المقسم به الاسميّة + جملة المقسم عليه الفعليّة المنفيّة :

ومثاله قول الرّسول ﷺ : « وايمُ اللّهِ ما علمتُ على أهلي من سوء »[18] .

خامساً : جملة المقسم به الفعليّة + جملة المقسم عليه الاسميّة المثبتة :

ومثاله قوله تعالى : ﴿ فيقسمانِ باللّه لشهادتُنا أحقُّ من شهادتهما ﴾[19] .

سادساً : جملة المقسم به الفعليّة + جملة المقسم عليه الاسميّة المنفيّة :

ومثاله قول قيس لبنى :

فأقسمُ ما عُمْشُ العيونِ شَوارفٌ روائمُ بوٌّ حانياتٌ على سَقْبِ[20]

سابعاً : جملة المقسم به الفعليّة + جملة المقسم عليه الفعليّة المثبتة :

ومثاله قول الخنساء :

حلفتَ على أهل اللّواء لَيوضعنْ فما أحنثتكَ الخيلُ حتّى أبرّتِ[21]

ثامناً : جملة المقسم به الفعليّة + جملة المقسم عليه الفعليّة المنفيّة :

ومثاله قول عاتكة بنت زيد بن عمرو[22] :

آليتُ لا تنفكُّ عيني حزينةً عليكَ ولا ينفكُّ جلديَ أغْبَرَا[23]

تلك هي النّماذج العقليّة لجملتي القسم في اللغة العربيّة وقد وردت كلّها في اللّسان العربيّ .

عناصـــر الجملـــة القســـميّة :

تشتمل الجملة القسميّة على ثلاثة عناصر :

أوّلاً : جملة المقسم به .

ثانياً : الاسم المقسم به .

ثالثاً : جملة المقسم عليه .

أولاً جملة المقسم به :

تنقسم جملة المقسم به إلى قسمين :

أ – جملة اسميّة .

ب – جملة فعليّة .

وسنفصّل القول في الجملة الاسميّة لتشعّبها استعمالاً وإعراباً في الدّراسات النّحويّة .

يقول ابن يعيش مشيراً إلى نوعي جملة المقسم به : « **فالجملة الفعلية في** القسم قولك : « أحلف باللّه ، وأقسم باللّه » ونحوهما ، واعلم أنّ من الأفعال أفعالاً فيها معنى اليمين فتجري مجرى « أحلف » ويقع الفعل بعدها كما يقع بعد « واللّه وذلك نحو أشهد وأعلم ... » [24] . « فأمّا **الجملة الاسميّة** فقولك : « **لعمرك ولعمر أبيك ولعمر اللّه** » فعَمْرُكَ : مبتدأ واللام فيها لام الابتداء ، والخبر محذوف وتقديره : قسمي أو حلفي ، وحذفوه لطول الكلام بالمقسم عليه ، ولزم الحذف لذلك كما لزم حذف الخبر في قولك : لولا زيد لكان كذا ، لطول الكلام بالجواب ، والعَمر والعُمر واحد ، يقال : أطال اللّه عَمرك وعُمرك ، وهما وإن كانا مصدرين بمعنًى ، إلاّ أنّه استعمل في القسم منهما المفتوح دون المضموم كأنّه لكثرة القسم اختاروا له أخفّ اللغات ، فإذا دخلتْ عليه اللام رفع بالابتداء لأنّها لام

الابتداء ، وإذا لم تأتِ باللام نصبته نصب المصادر وقلت : عَمْرَكَ اللّهَ ما فعلت . ومعنى لعمر اللّه : الحلف ببقاء اللّه ودوامه . فإذا قلت : بتعميرك اللّه أي بإقرارك له بالبقاء »[25] . ومن ذلك قولهم : « **ايْمُنُ اللّهِ لأفعلنّ** » اسم مفرد موضوع للقسم مأخوذ من اليمن والبركة كأنّهم أقسموا بيمن اللّه وبركته ، وهو مرفوع بالابتداء وخبره محذوف للعلم به كما كان كذلك في : لعمر اللّه ، وتقديره : ايمن اللّه قسمي أو يميني أو نحوهما . وتدخل عليه لام الابتداء على حدّ دخولها على : لعمر اللّه ، ومنه قول الشّاعر :

فقال فريقُ القوم لمّا نشدتهمْ نعمْ ، وفريقٌ : لَيْمُنُ اللّهِ ما ندري[26]

وفُتحت الهمزة منه وذلك من قبل أنّ هذا الاسم غير متمكّن لا يستعمل إلاّ في القسم وحده فضارع الحرف بقلّة تمكّنه ففتح تشبيهاً بالهمزة اللاحقة لام التّعريف . وذهب الكوفيّون إلى أنّ همزته قطع وأنّه جمع لا مفرد وهو جمع يمين[27] . وأمّا « **أمانة اللّه** » فكذلك مرتفعة بالابتداء والخبر محذوف ويجوز نصبه على تقدير حذف حرف الجرّ . قال الشّاعر :

إذا ما الخبز تأدمه بلحمٍ فذاك أمانة اللّهِ الثّريدُ[28]

أراد بأمانة اللّه[29] .

وقالوا : « **عَلَيَّ عهدُ اللّهِ** » فعهدُ اللّه مرتفع بالابتداء ، و « عليَّ » الخبر ، وفيه معنى القسم . فاللّفظ على نحو : في الدّار زيدٌ ، والمعنى على : أحلف باللّه[30] .

ويقول ابن مالك مشيراً إلى جملة المقسم به بنوعيها : « وجعلتُ « عليَّ عهدُهُ » مثالاً للجملة الاسميّة ، و (أقسمُ به) مثالاً للجملة الفعليّة »[31] . ونبّه ابن مالك على وجوب رفع (العَمْر) عند اقترانه باللام ، وعدم إعماله عمل الفعل كقوله تعالى : ﴿ لعمرك إنّهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾[32] . ويقول أيضاً : « من المخصوص بالقسم (ايمنُ) المقول فيه : (إيْمُنُ) و (أيْمَنُ) و (لَيْمُنُ) . واحترزتُ

بهذه القيود الثّلاثة من (أيمُنٌ) جمعُ (يمين) فإنّه يُستعمل قسماً وغير قسم . ويلزم همزتَهُ الفتحُ والقطع ، ويلزم ميمَه الضّمُّ . وكذا كلّ جمع على (أفْعُل) كـ (أنْعُمُ) و (أفْلُسُ) . وبجواز هذه الأمور الثلاثة في (ايمن) المشار إليه عُلِمَ ضَعْفُ قول الكوفيين : إنّه جمع (يمين) .

إذْ لو كان كما زعموا لم يجز كسرُ همزتِهِ ، ولا حذفُها ، ولا فتحُ عينه . كما لا يجوز في (أنْعمٌ) ونحوِه . وإذا انتفى كونه جمعاً تعيّن كونه اسماً مفرداً مشتقًا من (اليمين)[33] » . ونبّه أيضاً على أنّ (لعمر) كـ (ايمن) في لزومه الإضافة والرّفع بالابتداء ، وعلى أنّ استعماله عارياً من لام الابتداء يَقِلُّ ، وأنّ استعماله مقروناً بها يكثُر كقول الشّاعر :

فَقَالَ فَرِيقُ القَوْمِ لَمَّا نَشَدْتُهُم نَعَمْ ، وَفَرِيْقٌ : لَيْمُنُ اللّهِ مَا نَدْرِي

وأنّه يُضاف في لُغَاتِه كلّها إلى (اللّه) ، ولا يُضاف إلى غيره منقوصاً إلاّ ما نَدَر في حديث النّبيّ ﷺ : « وايمُ الذي نفسُ محمّد بيده لو قال : إنْ شاءَ اللّهُ لجاهدوا في سبيل اللّه فرساناً أجمعون » . وأضيفَ غير منقوص إلى (الكعبة) ، وإلى (كاف) الضمير كقول عُروة بن الزّبير : « لَيْمُنُكَ لَئِنْ ابتليتَ لَقَدْ عَافَيْتَ »[34] .

ويبيّن المحقّق الرّضيّ[35] الجملة الاسميّة في القسم من حيث تعيّن الاسم وعدمه ، ومن حيث حكم حذف الخبر فيها ، يقول : فإن كانت القسميّة اسميّة ، فإمّا أن يتعيّن الاسم الذي جعلته مبتدأ للقسم ، كـ (ايمن اللّه) ، و (لعمرك) ، أوْ ، لا يتعيّن .

فإنْ تعيّن وجب حذف الخبر لدلالة ذلك اللّفظ على تعيُّن الخبر وهو (ما أقسم به) وسدّ الجوابُ مَسَدَّ الخبر . **وإن لم يتعيّن** ، كأمانة اللّه ، وعهد اللّه ، ويمين اللّه ، جاز لك حذف الخبر وإثباته ، نحو : أمانةُ اللّه ، ويمينُ اللّه ، وعهدُ اللّه لأفعلنّ .

والمراد بـ (أمانة اللّه) : ما فرض اللّه على الخلق من طاعته ، كأنّها أمانة له

تعالى عندهم ، يجب عليهم أن يؤدّوها إليه تعالى سالمة ، قال تعالى : ﴿ إنَّا عَرَضْنَا الأمَانَةَ ... ﴾ [36] .

ومعنى (يمين اللّه) : ما حلف به تعالى من قوله : ﴿ والشّمس وضُحاها ﴾ [37] . ونحوها أو اليمين التي تكون بأسمائه تعالى نحو : واللّهِ ، وربِّ الكعبةِ ، والخالقِ ، ونحو ذلك ، والمعنى : يمينُ اللّه يميني . ويجوز إثبات الخبر نحو : عليَّ أمانةُ اللّه ، وعليَّ عهدُ اللّه ، وعليَّ يمينُ اللّه . وكذا تقول : الكعبةُ أو المصحفُ لأفعلنَّ ، أو : الكعبةُ يميني لأفعلنَّ [38] .

وينقل المحقّق الرّضيّ رأي الفرّاء في تلك المسألة مفنّداً إيّاه بقوله : « قال الفرّاء : إنْ كان المبتدأ اسم معنًى نحو : (لعمرك) و (ايمن اللّه) فجواب القسم خبره ، ولا يحتاج إلى تقدير خبر آخر ؛ لأنّ (لعمرك) يمين و (لأفعلنّ) يمين أيضاً ، فهو هو . وليس بشيء ؛ لأنّ (العَمْر) معناه : البقاء فهو مقسم به ، و (لأفعلنّ) مقسم عليه ، فكيف يكون هذا ذاك ؟ وكذا الكلام في : أمانة اللّه ، وايمن اللّه ، ونحوه » [39] .

وبذلك نخلص إلى أنّ جملة المقسم به على ضربين : فعليّة واسميّة . وأصل جملة القسم الفعليّة (أقسم ، وأحلف) . وأمّا جملة القسم الاسميّة فإمّا أنْ يتعيّن الاسم الذي جُعل مبتدأ كـ (ايمن اللّه ، ولعمرك) أو لا يتعيّن كـ (يمين اللّه ، وعهد اللّه ، وأمانة اللّه) . فإنْ تعيّن وجب حذف الخبر لدلالة المبتدأ على تعيّنه . وإنْ لم يتعيّن جاز حذف الخبر وإثباته . والمقصود بالتّعيّن : أنّه يُستعمل قسماً لا غير ، أو يغلب استعماله في القسم ، حتّى لا يُستعمل في غيره إلا مع قرينة . والمقصود بعدم التّعيّن : انّه يُستعمل قسماً وغير قسم ، أو هو الذي يكثر استعماله في غير القسم ، حتّى لا يُفهم منه القسم إلاّ بقرينة ذكر المقسم عليه [40] .

وقد أطلق السّيوطيّ على « عدم التّعيّن » مصطلح « القسم غير الصّريح » وعرّفه بأنّه : « ما لا يُعلَمُ بمجرّد لفظه كونُ النّاطق به مقسِماً » [41] . وهو يقابل قطعاً

مصطلح « القسم الصّريح » فيكون تعريفه : ما يُعلَمُ بمجرّد لفظه كونُ النّاطق به مقسماً .

وهكذا نجد أنّ القسم غير الصّريح مقيّد بقرينة تدلّ على القسم : فقد تتمثّل في إفادة جملة المقسم به – فعلاً كانت أو اسماً – معنى التّوكيد والتّحقيق والإشهاد[42] ، أو تتمثّل فيما يُتلقّى به القسم ، أو هما معاً .

وتتّفق (عَمْرُ) مع (ايْمُنُ) في الأمور التّالية :

أولاً : لزوم الإضافة .

ثانياً : الرّفع بالابتداء وإضمار الخبر وجوباً .

ثالثاً : الاقتران كثيراً بلام الابتداء .

وتنفرد (ايمن) بأنّها تستعمل منقوصاً وغير منقوص ، وفيها قولان :

الأوّل : إنّها جمع (يمين) وهذا ما ذهب إليه الكوفيّون .

والآخر : إنّها اسم مفرد مشتقّ من (اليُمْن) وهو ما ذهب إليه البصريّون ، وقد تقدّم الاستدلال على صحّته[43] .

ثانياً – المقسم به :

تناول النّحاة تعريف المقسم به انطلاقاً من فكرة التّعظيم والتّفخيم . والذي نطمئنّ إليه أنّ القسم بالشّيء أصله الإشهاد به . وأمّا معنى التّعظيم للمقسم به فذلك ممّا انضمّ إليه في بعض الأحوال فهو من عوارض القسم ، لا من باب الأصالة في معناه .

يقول الزّمخشريّ : « والاسم الذي يلصق به القسم ليُعظَّم به ويُفخَّم هو المقسم به »[44] . ويقول ابن يعيش : « وأمّا المقسم به فكلّ اسم من أسماء اللّه تعالى وصفاته ونحو ذلك ممّا يُعظَّم عندهم »[45] . ويقول ابن عصفور : « والمقسم به هو كلّ اسم للّه أو لما يُعظَّم من مخلوقاته نحو : باللّه ليقومنّ زيدٌ ، والنّبي

لأكرمنَّ عمراً ، وأبيك لتفعلنّ كذا ، ومنه : « قد أفلح وأبيه إن صدق » ؛ لأنّ أبا المقسَم له معظّم عنده ، هذا إذا كان المُقسِمُ يريد تحقيق ما أقسم عليه وتبيينه ، فإنْ كان مقصوده الحنثُ فيما أقسم عليه فإنّه لا يقسم إلاّ بغير معظّم »[46] .

ولا يتوقّف انعقاد القسم على وجود المقسم به أو حذفه ، يقول أبو حيّان الأندلسيّ : « وهنا حُذف المحلوف به ، ولا فرق بين حذفه وإثباته في انعقاد ذلك يميناً »[47] . ولكنّه إذا وُجد في الكلام فإنّه يُسبغ على القسم معاني مختلفة مثل : التّعظيم ، والإكرام ، والاستدلال ، وما كنّا نتصوّر تلك المعاني اللّطيفة في القسم لولا مرجعيّة المقسم به .

يقول المبرّد[48] : « واعلم أنّ القسم لا يقع إلا على مقسم به ، ومقسم عليه »[49] . فالقسم وثيق الصّلة بالمقسم به ، وقد تنوّعت هذه العلاقة من حيث الإظهار والإضمار إلى أربعة أنواع :

(أ) أنْ يكون المقسم به ظاهراً ، وفعل القسم ظاهراً أيضاً ، ومثاله قوله تعالى : ﴿ وأقسموا باللهِ جهدَ أيمانِهم لئِنْ أمرتَهُمْ لَيخرُجُنَّ ﴾[50] .

(ب) أنْ يكون المقسم به ظاهراً ، وفعل القسم مضمراً ، ومثاله قوله تعالى : ﴿ فَبِعزَّتِكَ لأغوينَّهم أجمعينَ ﴾[51] .

(جـ) أنْ يكون المقسم به ضميراً ، وفعل القسم مضمراً ، ومنه قول الشّاعر :

رَأى بَرْقاً فأوضَعَ فَوْقَ بَكْرٍ ... فلا بِكِ ما أسَالَ وَلاَ أغَامَا[52]

(د) أنْ يكون المقسم به ضميراً ، وفعل القسم ظاهراً ، ومنه قول الشّاعر :

بِكَ رَبِّ أقسمُ لا بِغَيْرِكَ لا أرَى ... أبَداً مُوَالِيَ غَيْرَ مَنْ وَالاكَا[53]

والأصل في المقسم به أن يكون مجروراً بأحد الحروف المستعملة في القسم . وقد يكون منصوباً على إضمار فعل عند حذف الجارّ جوازاً ، وعلى المصدريّة وجوباً . وقد يكون مرفوعاً على الابتداء عند حذف الجارّ جوازاً ، وعند اقترانه بلام الابتداء وجوباً .

فمثال المنصوب على إضمار الفعل عند حذف الخافض جوازاً قول الشّاعر :

لا كَعْبَةَ اللّهِ مَا هَجَرْتُكُمْ إلاّ وفي النَّفْسِ مِنْكُمْ أَرَبُ [54]

ومثال المنصوب على المصدريّة وجوباً قول الشّاعر :

قَعِيْدَكِ رَبَّ النَّاسِ يا أمَّ مَالكٍ أَلَمْ تَعْلَمِيْنَا نِعْمَ مَأْوَى المعصَّبِ [55] ؟

ومثال المرفوع على الابتداء جوازاً قول امرىء القيس :

فقلت : يمينُ اللّهِ أبرحُ قاعداً ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي [56]

ومثال المرفوع على الابتداء وجوباً قوله تعالى : ﴿ لعمرك إنهّم لفي سكرتهم يعمهون ﴾ [57] .

وقد يُستغنَي عن ذكر المقسم به بذكر القسم ، كقول الشّاعر :

وأقسمُ لو شيء أتانا رسوله سواك ، ولكن لم نجدْ لك مدفعاً [58]

أي : أقسم بما يُقسَم به [59] .

كما يُستغنَى عن ذكر المقسم به بـ (جَيْرِ) و (عَوْضُ) و (لا جَرَمَ) [60] .

أوّلا : جَيْر

يُستغنَى عن ذكر المقسم به بِـ (جَيْرِ) ومثاله قول الشّاعر :

قالوا : قُهرتَ فقلتُ : جيرِ لَيُعلمنْ عمّا قليلٍ أيُّنا المقهور [61]

يقول أبو حيّان : « وأمّا (جَيْرِ) فمذهب سيبويه أنّها اسم وقد تفتح راؤها ، وذهب قوم إلى أنّها حرف من حروف الإجابة ، وقيل : هي مصدر والمعنى : حقّا لأفعلنّ ، وبُنيت لقلّة تمكّنها ؛ لأنّها لا تستعمل إلا في القسم ، وقيل : ظرف ، وبُني لقلّة تمكّنه وكأنّه قال : لا أفعل ذلك أبداً ، وقيل : اسم فعل ، وبنيتْ لأنّه الأصل على الكسر على أصل التقاء السّاكنين » [62] .

ويجوز أنْ يحكم على موضعها بالنّصب بإضمار فعل ، أو بالرّفع على الابتداء

أو على خبر إبتداء بمضمر قياساً على نظائره من الأسماء التي حذف منها حرف القسم[63] .

يقول ابن هشام[64] : و (جَيْرِ) بالكسر على أصل التقاء السّاكنين كأمْسِ ، وبالفتح للتّخفيف كأينَ وكيفَ – حرف جواب بمعنى نَعَمْ ، لا اسم بمعنى حقًا فتكون مصدراً ، ولا بمعنى أبداً فتكون ظرفاً ، وإلا لأعربتْ ودخلت عليها أل »[65] .

يقول محمّد محيي الدّين عبدالحميد : « وفي كلام ابن هشام هذا مناقشة ، فإنّه قطع بأنّها لا تكون إلاّ حرف جواب بمعنى نعم ، ونفى أنْ تكون اسماً بمعنى حقًا يُستعمل في اليمين ، واستدلّ بأنّها لو كانت اسماً بمعنى حقًا لوجب إعرابها وجاز دخول أل عليها ، وكلّ ذلك غير مسلّم له ؛

أوّلا : لأنّ أثبات العلماء قد نقلوا أنّ العرب تستعملها بمعنى اليمين ، وقد استقرّ عند المحقّقين أنّ من حفظ حجّةٌ على من لم يحفظ .

وثانياً : أنّه لا يلزم من كونها تأتي اسماً بمعنى حقًا أنْ تعرب ؛ لأنّ لبنائها مع ذلك سبباً معترفاً به ، وبهذا السّبب نفسه بنيت بعض الأسماء ، وهذا السّبب هو شبهها الحرف شبهًا لفظيًا ، فإنّ (جير) التي هي اسم بمعنى حقًا أشبهت (جير) التي هي حرف جواب ، كما أنّ (حاشا) التّنزيهيّة بنيت لشبهها (حاشا) الحرفيّة شبهاً لفظيًا ولم يلزم من كونها بمعنى تنزيهاً أنْ تعرب ولا تدخلها أل ، وأيضاً (ما) التي هي نكرة بمعنى شيء لم يلزم من أنْ تكون بمعنى اسم تدخل عليه أل أنْ تكون هي بحيث تدخل عليها أل »[66] .

ثانياً : عَوْضُ

ظرف لاستغراق المستقبل مثل « أبداً » إلا أنّه مختصّ بالنّفي ، وهو معرب إنْ أضيف كقولهم : « لا أفعله عوض العائضين » مبنيّ إنْ لم يضف ، وبناؤه إمّا على الضّمّ كـ « قبلُ » أو على الكسر كـ « أمْسِ » أو على الفتح كـ « أين » . وسُمّي الزّمان

عَوْضاً لأنّه كلّما مضى جزء منه عوّضه جزء آخر ، وقيل : بل لأنّ الدّهر في زعمهم يسلب ويعوّض ، واختلف في قول الأعشى :

رَضِيعَيْ لبانٍ ثديِ أمٍّ تحالفَا بأسحمَ داجٍ عوضُ لا نتفرّقُ[67]

فقيل : ظرف لنتفرّق ، وقيل : قسم ، وهو اسم صنم كان لبكر بن وائل[68] .

ويغني (عوضُ) عن المقسم به ، فيقال : عوضُ لأفعلنّ ، ولا يقال : عوضُ واللّه لأفعلنّ : لأنّ فيه الجمع بين العوض والمعوّض عنه[69] .

ويجوز أنْ يحكم على موضعه بالرّفع على الابتداء أو على الخبر ، أو بالنّصب بإضمار فعل قياساً على نظائره من الأسماء[70] .

أمّا استعماله في القسم فمذهب كوفيّ ، أمّا البصريّون فلا يعرفون القسم به[71] .

ثالثاً : لا جَرَمَ

يُستغنَى عن ذكر المقسم به بـ (لا جرم) ، ومنه قول الرّاجز :

أسأتَ إذْ خالفتني ولا جرمْ ليبدونَّ منكَ أسوأ النَّدَمْ[72]

يقول الفرّاء : « كلمة كانت في الأصل بمنزلة : لا بدّ أنّك قائم ، ولا محالة أنّك ذاهب ، وكثر استعمالهم إيّاها ، حتّى صارت بمنزلة (حقّا) ، ألا ترى أنّ العرب تقول : لا جرم لآتينّك ، لا جرم لقدْ أحسنت ، وكذلك فسّرها المفسّرون بمعنى الحقّ . وأصلها من (جرمت) أي كسبت الذّنب وجرّمته »[73] . ويقول أيضاً : « ولكثرتها في الكلام حُذفت منها الميم فبنو فزارة يقولون : لاجَرَ أنّك قائم . وتوصل من أوّلها بـ (ذا) ، أنشدني بعض بني كلاب :

إنّ كلاباً والدِي لا ذا جَرَمْ لأهدِرَنَّ اليوم هدراً صادقاً

هدر المعنّى ذي الشّقاشيق اللّهِم[74]

وتوجيه فتح همزة (إنّ) بعد (لا جرم) فلتأويلها بالمصدر ، والمصدر المؤوّل

خبر للا النّافية للجنس . أمّا توجيه كسر الهمزة فعلى أنّ (لا جرم) بمنزلة القسم ، فـ (إنّ) مكسورة الهمزة لأنّها وقعت في جواب القسم [75] .

أحـــرف القســـم :

أجمع جمهور النّحاة على أنّ حروف القسم الجارّة بأنفسها هي : الباء ، والواو ، والتّاء ، واللام ، ومُنْ . كما أشاروا إلى الغرض من مجيئها وهو توصيل فعل القســـم إلى المقســـم به ، وذلك لقصوره عن الوصول بنفسه ، فأعين على ذلك بحرف القسم .

يقول سيبويه : « وللقسَم والمقسَم به أدواتٌ في حـــروف الجرّ ، وأكثرها الواو ثمّ الباء ، يدخلان على كل محلوف به . ثم التّاء ، ولا تدخل إلا في واحد ، وذلك قولك : واللّه لأفعلنّ ، وباللّه لأفعلنّ ، و ﴿ تاللّه لأكيدنّ أصنامكم ﴾ [76] . وقال الخليل [77] : إنّما تجيء بهذه الحروف ؛ لأنّك تضيف حلِفك إلى المحلوف به كما تضيف مررتُ به بالباء ، إلا أنّ الفعل يجيء مضمراً في هذا الباب ، والحلِفُ توكيد . وقد تقول : تاللّه ! وفيها معنى التّعجّب . وبعض العرب يقول في هذا المعنى : للّه ، فيجيء باللام ، ولا تجيء إلا أنْ يكون فيها معنى التّعجّب . قال أميّة بن أبي عائذ :

لِلّهِ يَبْـــقَى عَلَى الأيّامِ ذو حِـــيَـــدٍ بمشمـخـرٌّ بِهِ الظَّيَّـانُ والآسُ » [78]

« واعلم أنّ من العرب من يقول : مِنْ ربّي لأفعلنّ ذلكَ ، ومُنْ ربّي إنّك لأشرٌّ يجعلها في هذا الموضع بمنزلة الواو والباء ، في قوله : واللّه لأفعلنّ ولا يُدخلونها في غير (ربّي) ، كما لا يدخلون التّاء في غير (اللّه) ، ولكن الواو لازمة لكل اسم يُقسَم به والباء . وقد يقول بعض العرب : للّه لأفعلنّ ، كما تقول : تاللّه لأفعلنّ . ولا تدخل الضّمّة في (مِنْ) إلا ههنا ، كما لا تدخل الفتحة في (لَدُنْ) إلا مع (غُدْوَةٍ) حين تقول : لَدُنْ غُدْوَةً إلى العشيّ » . [79] . ويؤكّد ذلك المبرّد بقوله : « اعلم أنّ للقسم أدوات توصّل الحلِف إلى المقسم به ، لأنّ الحلف مضمر مطّرح لعلم السّامع به ، كما

كان قولك : يا عبداللّه محذوفاً منه الفعل لما ذكرت لك . وكذلك كلُّ مستغنًى عنه فإنْ شئتَ أظهرت الفعل ؛ كما أنّك تقول : يا زيدُ عمراً ، أي عليك عمرًا . وتقول : الطّريقَ يا فتى ، أي خلِّ الطّريق ، وترى الرّامي قد رمى ، فتسمع صوتًا فتقول : القرطاسَ واللّهِ ، أي : أصَبْتَ . وإنْ شئت قلت : خَلِّ الطّريق ، ويا زيدُ عليك عمرًا ، وأصَبْتَ القرطاسَ يا فتى . وكذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ بل ملّةَ إبراهيم ﴾[80] إنّما هو : اتّبعوا ؛ وذلك لأنّه جواب قوله : ﴿ كونوا هودًا أو نصارى ﴾ فهكذا القسم في إضمار الفعل وإظهاره . وذلك قوله : أحلف باللّه لأفعلنّ . وإنْ شئت قلت : باللّه لأفعلنّ . والباء موصلة ، كما كانت موصلة في قولك : مررت بزيد . فهي والواو تدخلان على كلّ مقسم به ، لأنّ الواو في معنى الباء ، وإنّما جُعلتْ مكانَ الباء ، والباءُ هي الأصل ، كما كان في : مررت بزيد ، وضربت بالسّيف يا فتى ، لأنّ الواو من مخرج الباء ، ومخرجهما جميعًا من الشّفة ، فلذلك أبدِلتْ مِنها ، كما أبْدِلَتْ من (ربَّ) في قوله :

وبَلَـدٍ لَيْسَ بِـهِ أنِيْسُ

لأنّها لمّا أبْدِلت من الباء دخلتْ على (ربَّ) »[81] . ويقول أيضاً : « تقول : واللّه لأفعلنّ ، وتاللّه لأفعلنّ ، وتُبْدَلُ التّاء من الواو ، ولا تدخل من المقسم به إلا في (اللّه) وحده . وذلك قوله : ﴿ وتاللّه لأكيدنّ أصنامكم ﴾[82] ، وإنّما امتنعت من الدّخول في جميع ما دخلت فيه الباء ، والواو ، لأنّها لم تدخل على الباء التي هي الأصل ، وإنّما دخلت على الواو الدّاخلة على الباء ، فلذلك لم تتصرّف . فأمّا إبدالها من الواو فنحن نذكره مفسّراً في التّصريف . ألا ترى أنّك تقول : هذا أتْقَى من هذا ، والأصل : أوْقَى ، لأنّه من وقيت . وكذلك تُراث ، إنّما هو وُراث لأنّه من ورثت ، وتُجاه فُعال من الوجه . وكذلك تُخمة من الوخامة »[83] .

« ومن حروف القسم – إلا أنّها تقع على معنى التّعجّب – اللام . وذلك قولك : للّه

ما رأيت كاليوم قطُّ ، كما قال :

للّه يبـــقى على الأيّام ذو حِـيَـدٍ بمشـــمـــخـــرٍّ به الظّيّـــانُ والآسُ

وقد تقع التّاء في معنى التّعجّب »[84] . ويقول ابن السّرّاج[85] مشيراً إلى عدد أحرف القسم : « أدوات القسم والمقسم به خمس : الواو والباء والتّاء واللام ومُن ، فأكثرها الواو ثم الباء وهما يدخلان على محلوف ، تقول : واللّه لأفعلنّ ، وباللّه لأفعلنّ ، فالأصل الباء كما ذكرت لك ، ألا ترى أنّك إذا كنّيت عن المقسم به رجعت إلى الأصل فقلت : به آتيكَ ، ولا يجوزوه لاآتيكَ ، ثم التّاء وذلك قولك : تاللّه لأفعلنّ ، ولا تقال مع غير اللّه ، قال اللّه : ﴿ وتاللّه لأكيدنّ أصنامكم ﴾[86] ، وقد تقول : تاللّه ، وفيها معنى التّعجّب ، وبعض العرب يقول في هذا المعنى فتجيء باللام ، ولا يجيء إلا أنْ يكون فيه معنى التّعجّب »[87] . « ومن العرب من يقول : مُنْ ربّي لأفعلنّ ذاك ، ومُنْ ربّي إنّك لأشر ، كذا حكاه سيبويه ، وقال : ولا يدخلونها في غير « ربّي » ولا تدخل الضّمّة في (مِنْ) إلا ههنا »[88] .

إذنْ فالغرض من مجيء أحرف القسم توصيل فعل القسم إلى المقسم به ؛ لأنّ القسم مضمر مطّرح للعلم به ، أو للاستغناء عنه كما يتّضح ذلك جليّا في أسلوب النّداء . وقد أجمع الجمهور على أنّ أحرف القسم خمسة : الباء ، والواو ، والتّاء ، واللام ، ومُنْ . وعدّ ابن عصفور الميم المكسورة والمضمومة من حروف القسم أيضاً[89] .

أوّلاً : بـــاء القســـم

وهي أصل أحرف القسم ، ولذلك فُضّلت وخُصّتْ بثلاثة أمور :

أحدها : جواز ذكر الفعل معها ، فلا يجب حذفه ، نحو : « أقسمُ باللّه لتفعلنّ »[90] .

والثّاني : دخولها على الضّمير نحو : « بِكَ لأفعلنّ »[91] . قال الشّاعر :

ألا نادت أمـــامـــةُ باحـــتـــمـــالِ لِتـحـزنني فـلا بِكِ مـا أبـالي[92]

وقال الآخر :

رأى برقــاً فــأوضعَ فــوق بكْرٍ فـلا بِكِ مـا أسـالَ ولا أغـامَـا [93]

والثّالث : استعمالها في القسم الاستعطافيّ نحو « باللّه هل قام زيد ؟ » أي أسألك باللّه مستحلفاً [94] . قال الشّاعر :

بدينكَ هلْ ضــمــمتَ إليك ليلى قبيل الصّبح أوْ قبّلتَ فاها [95] ؟

وزاد بعضهم رابعاً ، وهو أنّ الباء تكون جارّة في القسم وغيره ، بخلاف واو القسم وتائه ، فإنّهما لا تجرّان إلا في القسم . قلت : ويشاركها في هذا بعض حروف القسم كاللام [96] .

ثانيــاً : واو القســم

إنّ واو القسم لها ثلاثة شروط :

أحدها : حذف فعل القسم معها ، فلا يقال : أقسم واللّهِ ، وذلك لكثرة استعمالها في القسم ، فهي أكثر استعمالاً من أصلها ، أي الباء .

والثّاني : ألاّ تستعمل في قسم السّؤال ، فلا يقال : واللّهِ أخبرني ، كما يقال : باللّهِ أخبرني .

والثّالث : أنّها لا تدخل على الضّمير ، فلا يقال : وكَ ، كما يقال : بكَ ، فلا تدخل إلا على المظهر [97] ، وقد أبدلت واو القسم من الباء لأمرين :

أحدهما : التّناسب المعنويّ : فالواو تقتضي الجمع ، والباء تقتضي الإلصاق ، والإلصاق جمع في المعنى .

والآخر : التّناسب اللّفظيّ : حيث إنّ مخرجهما معاً من الشّفتين [98] .

وإذا تلتْ واو القسم واو أخرى ، فالتّالية واو العطف ، وإلا لاحتاج كل من الاسمين إلى جواب ، « وإذا تكرّرت الواو بعد واو القسم نحو قوله تعالى : ﴿ والليل

إذا يغشى ، والنّهار إذا تجلّى ﴾[89] فمذهب سيبويه والخليل أنّ المتكررة واو العطف ، وقال بعضهم : هي واو القسم ، والأوّل أقوى ، وذلك لأنّها لو كانت واو القسم لكانت بدلاً من الباء ولم تفِد العطف وربط المقسم به الثّاني وما بعده بالأوّل ، بل يكون التّقدير : أقسم بالليل ، أقسم بالنّهار ، أقسم بما خلق ، فهذه ثلاثة أيمان كلّ واحد منها مستقلّ ، وكلّ قسم لابدّ له من جواب ، فتطلب ثلاثة أجوبة ، فإنْ قلنا : حذف جوابان استغناءً بما بقي بعد الحذف ، فالحذف خلاف الأصل ، وإنْ جعلنا هذا الواحد جواباً للمجموع ، مع أنّ كل واحد منها – لاستقلاله – يطلب جواباً مستقلاً فهو أيضاً خلاف الأصل ، فلم يبق إلا أنْ نقول : القسم شيء واحد ، والمقسم به ثلاثة ، والقسم هو الطّالب للجواب ، لا المقسم به ، فيكفيه جواب واحد فكأنّه قال : أقسم بالليل والنّهار وما خلق : إنّ سعيكم لشتّى ، أي أقسم بهذه الثّلاثة إنّ الأمر كذا . وأيضاً فإنّك تقول مصرّحاً بالعطف : باللّهِ فاللّهِ لأفعلنّ ، وبحياتِك ثم حياتِك لأفعلنّ ، ولا تقول : أقسم باللّه ، أقسم بالنّبيّ ﷺ لأفعلنّ ، والحمل على ما ثبت في كلامهم أولى »[100] .

ثالثًا : تاء القسم

وهي بدل من الواو واختصّ ذلك بالقسم ، وإنّما أبدلت منها لأنّها قد أبدلت منها كثيراً نحو قولهم : تُجاه وتُراث ، وهما فُعال من الوجه والوراثة ، وقالوا : تكأة وتخمة وهو فُعَلَة من توكأت والوخامة ، وقالوا : تقوى وتُقاة وهو فَعْلى وفُعَلة من الوقاية ، وهو كثير يكاد يكون قياساً لكثرته[101] .

وتختصّ بالتّعجّب ، وباسم اللّه تعالى ، وربّما قالوا : « تَرَبِّي » و « تَرَبِّ الكعبة » و « تالرّحمن »[102] . ويقصد من التّعجّب أنّ المقسم عليه بها لا بدّ أنْ يكون غريباً[103] . قال الزّمخشريّ في ﴿ وتاللّه لأكيدنّ أصنامكم ﴾[104] : « إنّ التاء فيها زيادة معنًى وهو التّعجّب ، كأنّه تعجّب من تسهّل الكيد على يده وتأتّيه ؛ لأنّ ذلك كان أمراً مقنوطاً منه لصعوبته وتعذّره ، خصوصاً في زمن نمروذ مع عتوّه واستكباره

وقوّة سلطانه »[105] . بيد أنّ ابن يعيش يرى أنّ التّاء تكون لمعنى التّعجّب ، وربّما جاءتْ في غير التّعجّب ، يقول : « واختصّت التّاء لضعفها بكونها في المرتبة الثّالثة بأنْ اختصّت باسم اللّه تعالى لشرفه وكونه اسماً لذاته سبحانه وما عداه يجري مجرى الصّفة فتقول : « تاللّه لأفعلنّ » وفيها معنى التّعجّب قال اللّه تعالى : ﴿ تاللّه لقد آثرك اللّه علينا ﴾[106] وربّما جاءت لغير التّعجّب كقوله تعالى : ﴿ وتاللّه لأكيدنّ أصنامكم ﴾[107] ولا يجوز تالرّحمن ولا تالباري »[108] .

وإنّما عملت التّاء في المقسم به لأمرين :

أحدهما : لأنّها مختصّة بالاسم ، وعملت الجرّ ، لأنّها وصّلت القسم إلى المقسم به ، كما يوصّل حرف الجرّ الأفعال إلى الأسماء .

والآخر : لأنّها بدل من عامل ، فعملت كما كان ما هي بدل منه عاملاً[109] .

رابعاً : لام القسم

وهي تدخل للقسم على معنى التّعجّب أي في الأمور العظام ، وتختصّ باسم اللّه تعالى[110] . قال الشّاعر :

للّهِ يبقى على الأيّام ذو حِيَدٍ ... بمشمخرٌّ به الظّيّانُ والآسُ[111]

واختصاصها بالدّخول على اسم اللّه تعالى يشعر بعدم الأصالة والتّصرّف ، يقول ابن عصفور : « وأمّا اللام فإنّها أيضاً ليست أصلاً في هذا الباب ، لما تقدّم من أنّ فعل القسم وهو « أقسم وأحلف » لا يصل باللام وإنّما يصل بالباء ، لكن لمّا أريد معنى التّعجّب والتّعجّب يصل باللام ضُمّن معنى « عجبتُ » فيتعدّى بتعديته فقلت : للّهِ لا يبقى أحدٌ ، فكأنّك قلت : عجبتُ للّه الذي لا يُبقي أحداً . ولمّا لم تكن اللام أصلاً في هذا الباب لم تتصرّف فلم تدخل إلا على اسم اللّه تعالى »[112] .

خامسـاً : (مُنْ) في القسـم

لفظ مختلف فيه ، فقيل : هو حرف جرّ مختصّ بالقسم ولا يدخل إلا على الربّ . وقيل : هو اسم ، وهو بقية « ايمن » لكثرة تصرّفهم فيها . يقول ابن يعيش :

وقد أدخلت في القسم موصلة لمعنى الفعل على حدّ إدخال الباء تكثيراً للحروف لكثرة استعمال القسم واختصّت بـ « ربّي » اختصاص التّاء باسم اللّه فلا يقولون : « مُنْ اللّهِ لأفعلنّ » . « وقد تضمّ الميم منها قالوا : مُنْ ربّي إنّك لأشر » حكى ذلك سيبويه ، كأنّهم جعلوا ضمّها دلالة على القسم كما جعلوا الواو مكان الباء دلالة على القسم . ويُحتمل أنْ يكون « مُنْ » هنا التي للجرّ ، ويُحتمل أنْ تكون منتقصة من « ايمن » فعلى هذا يكون الضّمّ فيها أصلاً والكسر عارضاً . ومنهم من يحذف نونها إذا وقع بعدها لام التّعريف وحينئذ تختصّ باسم اللّه كالتّاء فيقولون « مُ اللّه ومِ اللّه »[113] .

واحتُجّ على زعم بعض النّحويّين أنّ « مُنْ » بقيّة « ايمُن » بأمرين :

أحدهما : أنّها لا تضاف إلا إلى « اللّه » فيقال : ايمن اللّه ، و « مُنْ » لا تدخل إلا على الربّ .

والآخر : أنّ ايمُناً معرب ، والاسم المعرب إذا نقص منه شيء بقي ما بقي منه معرباً ، فلو كانت « مُنْ » بقيّة « ايمن » لكانت معربة ، فبناؤها على السّكون دليل على أنّها حرف[114] .

ثالثـاً – جملـة المقسـم عليـه :

لقد وردت في مباحث النّحاة الخاصّة بالقسم ثلاثة مصطلحات هي : « المحلوف عليه » و « المقسم عليه » و « جواب القسم » . وكلّها تُعطي تفسيراً واحداً في إطار الاستخدام النّحويّ وهو : الدّلالة على الجملة المؤكّدة أي ما يُقسَمُ عليه من نفي أو إثبات . وإذا كانت هناك رغبة في تقنين المصطلح فإنّ الأقرب إلى ذلك مصطلح

« جواب القسم » ؛ وذلك لوجود نظير له في الجملة الشّرطيّة وهو « جواب الشّرط » . وأمّا استعمالنا لمصطلح « المقسم عليه » ليكون بإزاء المقسم به جرياً على عادة النّحاة .

يقول ابن عصفور : « والمقسم عليه كل جملة حُلِفَ عليها بإيجاب أو نفي ، نحو : واللّه ليقومنَّ زيد ، وواللّه ماقام زيد »[115] ، ويعلّل ذلك ابن يعيش بقوله : « وإنّما كان جواب القسم نفيًا أو إثباتاً لأنّه خبر ، والخبر ينقسم إلى قسمين : نفيًا وإثباتًا ، وهما اللّذان يقع عليهما القسم ، وأعني بالخبر ما جاز فيه الصّدق والكذب . فالقسم هو الجملة المؤكّدة والمقسم عليه هو الجملة المؤكَّدة ، فإنْ كانت فعلاً وقع القسم عليه ، وإنْ كان الذي تلقّاه حرفًا بعده اسم وخبر ، فالذي يقع عليه القسمُ في المعنى الخَبَرُ ، كقولك : واللّهِ إنّ زيدًا لمنطلقٌ ، وواللّهِ لزيدٌ قائم ، فالقسم يؤكّد الانطلاق والقيام دون زيد »[116] .

وقد أجمع جمهور النّحويّين على أنّ المقسم عليه جملة إلا الأخفش فقد زعم أنّ المقسم عليه قد يكون مفردًا ، يقول ابن عصفور : زَعَمَ الأخفشُ أنّ جواب القسم قد يكون (لام كي) مع الفعل ، نحو قولك : باللّهِ لِيَقُوم زيدٌ ، فعلى هذا يكون الجواب من قبيل المفردات ؛ لأنّ (لام كي) إنّما تَنْصِبُ بإضمار (أنْ) ، و (أنْ) وما بعدها بتأويل المصدر ، كأنّك قلت : باللّهِ القيامُ ، إلا أنّ العرب أجرت ذلك مجرى الجملة بالذّكر بعد (لام كي) ، فَوَضعَتْ لذلك (لِيَفْعَلَ) موضع (لِيَفْعَلَنَّ) . واستدلّ الأخفش على مزعمه بدليلين :

الأوّل : قوله تعالى : ﴿ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الذينَ لا يُؤمنونَ بِالآخِرَةِ ﴾ لأنّ قبله ﴿ وَكَذلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عدوًا ﴾ وليس فيه ما يكون (ولتصغى) معطوفًا عليه[117] .

الثّاني : قول الشّاعر :

إِذَا قَالَ قِدْني ، قَالَ بِاللّهِ حَلْفَةً لِتُغْنِيَ عَنِّي ذَا إِنَائِكَ أَجْمَعَا

فزعم أنّ (لتصغى) في الآية الكريمة ، و (لتغني) في البيت السّابق ، في موضع (لِتصْغَيَنَّ) و (لِتُغْنِيَنَّ) أي في موضع المقسم عليه . وقد أجمع ابن عصفور وابن هشام على ردّ واحد وهو : أنّه لا حجّة له فيما استدلّ ، والصّواب خلاف قوله ؛ لأنّ المقسم عليه لا يكون إلا جملة ، و (لام كي) وما بعدها في تأويل المفرد . وأمّا ما استدلّ به فمتعلّق اللام فيه محذوف ، أي (فعلنا ذلك لتصغى) في الآية الكريمة ، و (لتشربنّ لتغني) في بيت الشّاعر ، والمقسم عليه جملة ولا يمكن تأويله بالمفرد[118] .

ولمّا كان كلّ من القسم والمقسم عليه جملة ، والجملة عبارة عن كلّ كلام مستقلّ بنفسه ، وكانت إحداهما لها تعلّق بالأخرى ، لم يكن بدٌّ من روابط تربط إحداهما بالأخرى كرابط حرف الشّرط (الشّرط والجزاء) ، فَجُعِلَ للإيجاب حروف تخصُّه ، وجُعِلَ للنّفي حروف كذلك . وذلك أنّ الجملة لا تخلو أن تكون اسميّة أو فعليّة . فإن كانت اسميّة فلا يخلو أن تكون موجبة أو منفيّة ، وإن كانت فعليّة فهي كذلك أيضاً[119] .

أوّلاً - الجملة الاسميّة المثبتة :

إذا كان المقسم عليه جملة اسميّة مثبتة فإنّها تُصدّر بـ (لام) الابتداء أو (إنّ) المكسورة .

(أ) المقسم عليه المُصدّر بـ (لام) الابتداء :

يقول ابن يعيش : « فأمّا اللام فتدخل على الأسماء والأفعال ، فإذا دخلت على الأسماء فما بعدها مبتدأ وخبر كقولك : واللّهِ لزيدٌ أفضل من عمرو »[120] . ويضيف الرّضيّ قائلاً : « وهذه اللام (لام) الابتداء المفيدة للتّأكيد ، لا فرق بينها وبين (إنّ) إلا من حيث العمل . وإنّما أجيب القسم بهما لأنّهما مفيدان للتّأكيد الذي لأجله جاء القسم . واللام الدّاخلة بعد (إنّ) المكسورة في الأصل لام الابتداء أيضاً ، فلا

تدخل هذه اللام – أعني لام جواب القسم – إلا على ما تدخل عليه اللام الواقعة بعد (إنّ) »[121] .

نقول : لام الابتداء تفيد توكيد مضمون الجملة الاسميّة المثبتة والذي يقع عليه القسمُ الخبر ؛ لأنّ القسم لا يقع إلا على مقسم عليه . فالقسم يؤكّد ويسدّد الخبر دون المبتدأ ، ولا يُتلقّى القسم باللام إلا مع تحقيق الخبر ، وذلك لأنّ اللام للتّقرير والإثبات .

(ب) المقسم عليه المُصدّر بـ (إنّ) المكسورة :

اختلف النّحاة في (إنّ) إذا وقعت بعد القسم :

فمنهم من لم يجز إلا الفتح ، وإلى هذا ذهب الفرّاء .

ومنهم من لم يجز إلا الكسر ، وهذا ما ذهب إليه البصريّون ، وبه ورد السّماع .

ومنهم من أجاز الفتح والكسر ، مع اختيار الفتح ، وإلى هذا ذهب الكسائيّ والبغداديّون[122] .

ومنهم من أجاز الكسر والفتح ، مع اختيار الكسر .

وأصل هذا الخلاف : أنّ جملتي القسم والمقسم عليه ، هل إحداهما معمولة للأخرى ، فيكون المقسم عليه مفعولاً لفعل القسم أوْ لا ؟ وفي ذلك خلاف :

- فمن قال : نعم ، فتح ؛ لأنّ ذلك حكم (إنّ) إذا وقعت مفعولاً .

ومن قال : لا ، كسر ؛ لأنّها تأكيد للمقسم عليه ، لا عاملة فيه .

ومن جوّز الأمرين أجاز الوجهين[123] . وقد أشرنا مسبّقاً إلى أنّ المقسم عليه لا يكون إلا جملة ، وتتعاقب فيه الجملة الفعليّة والاسميّة ، فينبغي أنْ تكون (إنّ) فيه مكسورة كما تكون إذا وقعت صدر الكلام ؛ لأنّ جملة المقسم عليه بمنزلة الجملة المستأنفة ، ولولا ذلك لما ساغ دخول لام الابتداء على المقسم عليه . وأمّا (أنّ)

المفتوحة فهي ومعمولاها في تأويل المفرد ، فلا يجوز وقوعها مقسماً عليه .

يقول ابن هشام[124] : يجب فتح (إنّ) في غياب اللام المعلّقة ، كما أنّها تُكسر قبل اللام نفسها ، نحو : ﴿ واللّه يعلم إنَّك لرسوله واللّه يشهد إنّ المنافقين لكاذبون ﴾[125] . فاللام من (لرسوله) ومن (لكاذبون) معلّقان لفعلي العلم والشهادة ، أي : مانعان لهما من التّسلّط على لفظ ما بعدهما ، فصار لما بعدهما حكم الابتداء ، فلذلك وجب الكسر ، ولولا اللام لوجب الفتح كما قال اللّه تعالى : ﴿ واعلموا أنّما غنمتم من شيء فأنّ للّه خمسَه ﴾[126] و ﴿ شهد اللّهُ أنّه لا إله إلا هو ﴾[127] .

ويجوز دخول (لام) الابتداء على خبر (إنّ) المكسورة ، ولهذا زحلقوها عن صدر الجملة كراهية ابتداء الكلام بمؤكّدين . وإنّما بدأوا بـ (إنّ) لقوّتها من حيث إنّها عاملة ، واللام غير عاملة ، فجعلوا الأقوى متقدّماً في اللّفظ . وفائدتهما توكيد مضمون الجملة[128] .

ثانياً – الجملة الاسميّة المنفيّة :

إنْ كان المقسم عليه جملة اسميّة منفيّة ، فإنّها تُصدَّر بأحد الأحرف الثّلاثة : (إنْ) و (لا) و (ما) . ولا فرق بين الجملة الاسميّة والفعليّة في التّصدّر بأحد هذه الأحرف[129] .

(أ) المقسم عليه المصدّر بـ (ما) النّافية :

يقول الرّضيّ : والاسميّة المنفيّة مصدَّرة بـ (ما) ، معملةً عند أهل الحجاز ، مهملةً عند غيرهم[130] . فالحق أهل الحجاز (ما) النّافية بـ (ليس) في العمل ، فجعلوا لها اسمًا مرفوعًا ، وخبرًا منصوبًا ، وبلغتهم نزل القرآن . واشترطوا لإعمالها جملة من الشّروط ، من أبرزها بقاء معنى النّفي ، فلا عمل لها عند الجميع إذا ما خرج الخبر إلى الإثبات[131] .

وتزاد الباء مع حرف النّفي ، وقيل في زيادتها ثلاثة أوجه [132] :

الأوّل : أنّها دخلت لتوكيد معنى النّفي ، وهذا قول عامّة البصريّين .

والثّاني : أنّ الخبر لمّا بعُد عن حرف النّفي جاءوا بالباء ليوصلوه بها إلى حرف النّفي .

والثّالث : أنّ النّفي إنّما يقع عن إيجاب . فالباء في خبر (ما) النّافية بإزاء اللام في خبر (إنّ) ، وهذا قول الكوفيّين :

فقولك : ما زيدٌ قائمًا ، جواب من قال : إنّ زيدًا قائمٌ .

وقولك : ما زيدٌ بقائمٍ ، جواب من قال : إنّ زيدًا لقائمٌ .

(ب) المقسم عليه المصدّر بـ (لا) النّافية :

يقول الرّضيّ : والاسميّة المنفيّة تُصدَّر بـ (لا) التّبرئة على اختلاف أحوالها ، نحو : واللّه لا زيدٌ فيها ولا عمرو ، و واللّه لا رجلَ في الدّار ، و واللّه لا فيها رجلٌ ولا امرأة [133] . واستعمال الرّضيّ (لا) التّبرئة فيه تجوّز واتّساع ؛ لأنّ (لا) التّبرئة هي (لا) النّافية للجنس . فتكون تبرئة إذا ركّبتها مع النّكرة ، فتناولتْ نفي الجنس ، ولا تعمل في المعرفة ، وما ورد من ذلك مؤوّل بالنّكرة [134] .

ويقول ابن مالك : إنّ الجملة الاسميّة إذا نُفيت بـ (لا) وقُدِّمَ الخبرُ ، أو كان المُخبَرُ عنه معرفةً لزم تكرارها في غير الضّرورة نحو : واللّهِ لا زيدٌ في الدّار ولا عمرو ، ولعمري لا أنا هاجرُك ولا مُهينُك [135] . ويؤكّد ذلك ابن هشام بقوله [136] : فإن كان ما بعدها جملة اسميّة صدْرُها معرفة أو نكرة ولم تعمل فيها ، وجب تكرارها . مثال المعرفة ﴿ لا الشّمسُ ينبغي لها أنْ تدرك القمر ، ولا اللّيل سابقُ النّهار ﴾ [137] . ومثال النّكرة التي لم تعمل فيها (لا) ﴿ لا فيها غَوْلٌ ولا هُمْ عنها يُنْزَفون ﴾ [138] .

ج) المقسم عليه المصدّر بـ (إنْ) النّافية :

يقول الرّضيّ : والجملة الاسميّة المنفيّة تُصدَّر بـ (إنْ) نحو : واللّه إنْ زيدٌ قائمٌ[139] .

ويقول الرّمّانيّ[140] : « وأمّا التي لا تعمل فالنّافية ، وذلك قولك : إنْ زيدٌ إلا قائمٌ ، قال اللّه تعالى : ﴿ إن الكافرون إلا في غرور ﴾[141] . وكلّ (إنْ) بعدها (إلا) فهي نفي . وكان أبو العباس يجيز أنْ تعمل عمل (ما) ؛ لأنّها لا تمتنع أنْ تقع موقعها في كلّ موضع من الكلام ، والمعروف في ذلك مذهب سيبويه »[142] .

ويؤكّد ابن هشام على أنّ الإهمال لغة الأكثرين بقوله : « وإذا دخلت على الجملة الاسميّة لم تعمل عند سيبويه والفرّاء . وأجاز الكسائيّ والمبرّد إعمالها عمل (ليس) » . ويقول أيضاً : « وممّا يتخرّج على الإهمال الذي هو لغة الأكثرين قول بعضهم : « إنٌ قائمٌ » وأصله : إنْ أنا قائمٌ ، فحُذفت همزة (أنا) اعتباطاً ، وأدغمت نون (إنْ) في نونها ، وحذفت ألفها في الوصل »[143] . وقد اختلف النّحاة في عدّ هذا الحرف ضمن الحروف النّافية التي يتلقّى بها القسم : فذهب ابن مالك والرّضيّ ولفيف من النّحاة إلى عدّه ضمن تلك الحروف النّافية . أمّا الفرّاء والزّمخشريّ ومن حذا حذوهما فلم يدرجوا هذا الحرف ضمن الحروف النّافية ، وإنّما اقتصروا على (ما ، و لا) النّافيتين[144] .

ثالثاً – الجملة الفعليّة المثبتة :

إذا كان المقسم عليه جملة فعليّة فلا يخلو أنْ يكون الفعل ماضيًا أو حالاً أو مستقبلاً .

(أ) إذا كان المقسم عليه جملة فعليّة فعلها ماضٍ :

إذا صُدّرت جملة المقسم عليه بفعل ماضٍ متصرّف مثبت فحقّه الاقتران باللام و (قدْ) ، وأضاف ابن مالك قائلاً : أو باللام و (ربّما) ، أو باللام و (بما) بمعنى ربّما[145] .

وإذا دخلت (قدْ) على الماضي ، فلا بدّ فيه من معنى التّحقيق ، ثمّ إنّه يضاف في بعض المواضع إلى هذا المعنى : التّقريب من الحال مع التّوقّع ، أي يكون مصدره متوقّعًا لمن تخاطبه واقعًا عن قريب . ففيه ثلاثة معانٍ مجتمعة : التّحقيق ، والتّوقّع ، والتّقريب . وقد يكون مع التّحقيق التّقريب فقط [146] .

ومقتضى كلام الزّمخشريّ أنّ (قدْ) في نحو : « واللّه لقدْ كان كذا » للتّوقّع لا للتّقريب ، وهو خلاف ما ذهب إليه بعض النّحويّين كابن مالك وابن عصفور [147] .

ويرى ابن هشام : أنّ فائدة (قدْ) في الجملة الفعليّة الواقعة مقسمًا عليه مثل (إنّ) و (اللام) في الجملة الاسميّة في إفادة التّوكيد [148] .

وإذا تلقّى القسم بفعل ماضٍ مقرون باللام دون (قدْ) ، ففيه أحد الاحتمالات الأربعة :

الأوّل : أنْ يكون الماضي بعيداً من زمن الحال ، فلا يمكن الجمع بين زمنين متناقضين [149] .

الثّاني : أنْ يكون الماضي جامداً غير متصرّف ، كما في (نعم ، وبئس) [150] .

الثّالث : أنْ يكون على تقدير (قدْ) لأنّه أمر قد وقع [151] .

الرّابع : أنْ يكون معمول الفعل متقدّماً عليه [152] .

وقد يقترن الماضي بـ (قدْ) وحدها دون (اللام) لوجود مسوّغين [153] :

أ – طول الكلام ب – ضرورة الشّعر .

وأورد ابن مالك شاهداً على وقوع الماضي مجرّداً من (قدْ) واللام . يقول [154] : « وفي قوله ﷺ : « والذي نفسي بيده وَدِدْتُ أنّي أقاتل في سبيل اللّه فأقتل ثمّ أحيا ، ثمّ أقتل ثمّ أحيا ، ثمّ أقتل ثمّ أحيا » شاهد على وقوع الفعل الماضي جواب قسم ، عارياً من (قدْ) واللام ، دون استطالة وفيه غرابة ! لأنّ ذلك لا يكاد يوجد إلا في ضرورة أو في كلام

مستطال . فمن الوارد في ضرورة قول الشّاعر :

تاللّه هَـانَ علَى السّائلينَ مـا دُهِيَتْ بِهِ نُفُـوسٌ أبَتْ إلاّ الهَـوَى دِينًا

ومن الوارد في كـلام مـستطال قـوله تعـالـى : ﴿ والسّمـاء ذات البروج ، واليوم الموعـود ، وشـاهد ومـشـهـود ، قـتل أصـحـاب الأخدود ﴾[155] . أمّـا ابن هشـــام فـيرى غـير ذلك : وقـيل في قوله : ﴿ قـتل أصـحاب الأخـدود ﴾ إنّه جواب للقسم على إضمـار (اللام) و (قدْ) جمعًا للطّول[156] .

وذهب الكوفيّون إلى أنّ الفعل الماضي يجوز أنْ يقع حالاً دون (قـدْ) ، وإليه ذهب الأخـفـش من البصـــريّين . أمّـا البصـريّون فقد ذهبـوا إلى أنّه لا يجوز أنْ يقع حـالاً ، ولا بدّ من (قـدْ) ظاهرة أو مـضمـرة لتقـرّبه من الحـال ، وإلى هذا ذهب الفـرّاء من الكوفيّين . ولا خلاف أنّه إذا كان مع الماضي (قدْ) فإنّه يجوز أنْ يقع حالاً[157] .

(ب) إذا كان المقسم عليه فعلاً مضارعاً مثبتًا حالاً :

إذا كان المقسم عليه فعلاً مضارعـاً مثبتًا حـالاً فإنّه يُصدَّر بـ (اللام) ، ولا يُؤْتَى بـ (النّون) لأنّها علامة الاستقبال .

وجوّز جمهور النّحاة وقوعه جواباً للقسم خلافًا للمبرّد . وعلّة الامتناع عنده : أنّ مـشاهـدته أغنتْ عن أنْ يُقسم عليه ، فهو مـتحقّق الوجود ، فـلا يحـتاج إلى تـأكيده بالقسـم . وردّ عليه ابن عصفور والرّضيّ بقولهمـا : إنّه قـد يعـوق عن المشـاهدة عـائق فيحتـاج إذْ ذاك إلى القسم ، إذْ رُبّ مـوجودٍ غيرُ مشـاهد ، يصح إنكاره[158] ، قـال الشّاعر :

تَـأَلَّى ابـنُ أوْسٍ حَلْفَـــةً لَيَـــرُدُّنـي إلَى نِسْـــوَةٍ كَـأَنَّهُنَّ مَـفَـــائِدُ[159]

وقـال آخر :

لَئِنْ تَكُ قَـدْ ضَـاقتْ عليكم بيـوتُكُمْ لَيَـــعْلَمُ رَبِّـي أنَّ بَيْـــتِيَ وَاسِعُ[160]

فـاللام تنفرد مع مـا أريد به الحـال[161] .

وقد تفرّد ابن عصفور بطريقة يتصدّر بها المقسم عليه إذا كان حالاً ، يقول : « وإنْ كان موجبًا فإنّك تبني من الفعل اسم فاعل وتصيّره خبرًا لمبتدأ ، ثم تقسم على الجملة الاسميّة فتقول : واللّه إنّ زيدًا لقائمٌ ، و واللّهِ إنّ زيدًا قائمٌ ، و واللّه لزيدٌ قائم . وإنّما لم يجز أنْ تُبقي الفعل على لفظه وتدخل اللام ، لأنّك لو قلت : واللّه لَيقومُ زيدٌ ، لأدّى ذلك إلى الالتباس في بعض المواضع ، وذلك إذا قلت : إنّ زيدًا واللّه لَيقوم ، لم تدرِ هل (يقوم) خبر (إنّ) أو جواب للقسم ، ولا يجوز إدخال النّون فارقةً فتقول : إنّ زيدًا واللّه ليقومنّ ؛ لأنّ النّون تخلّص للاستقبال . وقد تدخل عليه (اللام) وحدها ولا يُلتفت إلى اللّبس ، إلا أنّ ذلك قليل جدًا بابه في الشّعر »[162] .

نقول : إنّ ما زعمه ابن عصفور مقصور على حالة واحدة يتساوى فيها اعتبار القسم وإلغاؤه ، وذلك إذا توسّط القسمُ الكلامَ وتقدّم عليه طالب خبر ، فالجملة في قولنا : إنّ زيدًا واللّه لَيقومُ (على اعتبار القسم) ، هي الجملة التي يصدق عليها أنّها (على إلغاء القسم) فالاحتمال قائم ، وليس هناك ما ينصّ على أحد الاحتمالين .

والأحرى بابن عصفور ألا تصرفه حالة فريدة يستوي فيها إلغاء القسم واعتباره إلى القول بطريقة يشذّبها عمّا تعارف عليه النّحويّون ، وهل يُقاس على الفريد النّادر ؟

وقد أورد ابن يعيش تفريقًا بين اللاّمين : هذه (اللام) ، و (اللام) التي معها النّون ، وهذا التّفريق من وجهين :

الأوّل : أنّ الأولى للحال ، وقد يجوز أنْ يراد بها المستقبل . وأمّا الثّانية فلا تكون إلا للمستقبل .

والثّاني : أنّ المفعول به يجوز تقديمه على الفعل مع الأولى ، ولا يجوز تقديمه عليه مع الثّانية[163] .

(ج) إذا كان المقسم عليه جملة فعليّة فعلها مضارع مستقبل :

إذا صُدِّرت جملة المقسم عليه بفعل مضارع مثبت مستقبل ، فإنّه تجب معه اللام والنّون .

(اللام) المصدَّر بها المقسم عليه لازمة للتّوكيد ، ولو لم تلزم التبس بالنّفي ، فلا يجوز طرحها ، وهي وصلة للقسم بالمقسم عليه ، ولولا (اللام) لم يكن اتّصال[164] .

ومظنّة هذه النّون الفعل المستقبل المطلوب تحصيله ، لأنّ الفعل المستقبل غير موجود ، فإذا أُريدَ حصولُه أكّد بالنّون إيذانًا بقوّة العناية بوجوده[165] .

وإنّما لزمتْ نون التّوكيد اللام في المقسم عليه للأسباب التّالية[166] :

أوّلاً : تأكيدًا للفعل ، وتحقيقًا لأمر وجوده .

ثانيًا : إخراجه من زمن الحال ، فلولا النّون لأصبح الفعل صالحًا للحال والاستقبال .

ثالثًا : تخليصه للاستقبال .

رابعًا : إعلامًا بأنّ هذا الأسلوب أسلوب قسم إذا ما حُذِفَتْ جملة القسم . يقول المبرّد : « لأنّك قد تذكر الأفعال ، ولا تذكر المقسم به ، فتقول : لأنطلقنّ ، فيُعلم أنّ هذا على تقدير اليمين ، وأنّه ليس للحال »[167] .

وإذا انفردت (اللام) في المضارع دون (نون) التّوكيد ، فالمانع أحد الاحتمالات الثّلاثة :

الأوّل : أنّ المضارع مقترن بحرف تنفيس .

الثّاني : معمول المضارع مقدَّم عليه .

الثّالث : أنّ المضارع مراد به الحال[168] .

وإذا لم يكن المضارع أحد هذه الثّلاثة ، فانفراد (اللام) شاذّ .

ولا يجوز عند البصريّين الاكتفاء باللام عن النّون إلا في الضّرورة ، وأجازه الكوفيّون بلا ضرورة . وإنّما لم يجز حذف اللام لأنّ ذلك يوجب حذف النّون معها ، لأنّ النّون داخلة مع اللام [169] ، والمشروط عدم عند عدم شرطه . وقلّ خلوّ المضارع من اللام اكتفاء بالنّون كقول الشّاعر :

وقتيلِ مُرّةَ أثأرَنْ فإنّهُ فَرْعٌ وَإنْ أخاهُمُ لَمْ يُقْصَدِ [170]

رابعًا – الجملة الفعليّة المنفيّة :

(أ) إذا كان المقسم عليه جملة فعليّة فعلها ماضٍ :

إذا صُدِّرت جملة المقسم عليه بفعل ماضٍ فإنّه يُنفى بأحد أحرف النّفي : (ما) و (لا) و (إنْ) .

وعند النّفي بـ (لا) و (إنْ) ينقلب إلى معنى المستقبل . فقولنا : (واللّه لازرتُك) ، و (واللّه إنْ كلّمتُك) على معنى : لا أزورُكَ ، وإنْ أكلّمُكَ ، فهما منفيّان لفظًا في الماضي ، ولكنّهما منفيّان معنًى في المستقبل ، قال الشّاعر :

حَسْبُ المحبّينَ في الدُّنْيا عَذابُهُمُ تَاللّهِ لاعَذّبْتُهُمْ بَعْدَهَا سَقَرُ [171]

أمّا (ما) فتنفي الماضي لفظًا ومعنًى ، ومنه قول الشّاعر :

رِدُوا فَوَاللّهِ ماذُدْنَاكُمُ أبَدًا مادَامَ في مَائِنا وِرْدٌ لِنُزّالِ [172]

وقد ينقلب إلى معنى المستقبل إذا اجتمع شرط وقسم ، لأنّ الشّرط قيدٌ في الجملة والشّرط في موضع الآتي ، وهو قليل كقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الذينَ أُوتُوا الكتابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ﴾ [173] بمعنى : لا يتّبعون [174] .

والغالب في الجملة المعطوفة على جملة المقسم عليه المنفيّة بـ (ما) اقترانها بـ (لا) النّافية ، والعطف حينئذ من عطف الجمل نحو : « واللّه ما كنزتُ من دنياكم تبرًا ، ولا ادّخرتُ من غنائمها وفرًا ، ولا أعددتُ لبالي ثوبي طمرًا » [175] . فالعطف

جاء ليفيد أنّ الأفعال منفيّة عن صاحبها في حالتي الاجتماع والافتراق[176] .

ومعنى النّفي مبنيّ على معنى الإيجاب ما لم يحدث أمر من خارج . قال ابن يعيش : « اعلم أنّ النّفي إنّما يكون على حسب الإيجاب لأنّه إكذاب له ، فينبغي أن يكون على وفق لفظه . فأمّا (ما) فإنّها تنفي ما في الحال ، فإذا قيل : (هو يفعل) وتريد الحال فجوابه ونفيه (ما يفعل) . وكذلك إذا قرّبه وقال : (لقدْ فعل) فجوابه ونفيه (ما فعل) ؛ لأنّ قوله : (لقدْ فعل) جواب قسم ، فإذا أبطلته وأقسمت قلت : (ما فعل) ؛ لأنّ (ما) يُتلقّى بها القسم في النّفي وتقديره : واللّه ما فعل »[177] .

وقد بسط أبو علي الفارسيّ[178] القول في مسألة (ما زال) في القسم قائلاً : « هل يجوز : واللّه ما زال زيدٌ ذاهبًا ، على أنْ يكون (ما) جوابًا للقسم ؟ كان القياس ألا يجوز هذا لأنّه بمعنى الإيجاب ؛ ألا ترى أنّه لا يجوز : ما زال زيد إلا قائماً ، ولم يجيزوا : مازال زيد قائمًا فنكرمه ، فلمّا لم يجر هذا مجرى النّفي ، ولكن أجري مجرى الإيجاب ، كذلك القياس أنْ يجري في القسم مجرى الإيجاب ، وإذا جرى مجراه فكأنّك قلت : واللّه ثبتَ زيدٌ قائمًا ، وهذا لا يسوغ في الإيجاب ، ولكن لمّا جاء في التّنزيل : ﴿ تاللّه تفتأ تذكر يوسف ﴾[179] ، والمعنى : لا تفتأ ، أي : لا تزال .

وقد جاء في الشّعر الفصيح :

تَاللّهِ لاَ تَنْفَكُّ عَيْنِي سَخِينَةً ... عَلَيْكَ ، وَجلدي آخِرَ اللّيلِ أغْبَرَا

قلنا : يجوز أنْ يُحمل هذا على اللّفظ ، ويترك له ذلك القياس ، لأنّ شبه الألفاظ قد استعمل في باب القسم ، ألا ترى أنّه قد جاء :

لَمَا أغفلت شكرك فاصطنعني ... وكيف ومن عطائك جلُّ مالي

فجعلت (ما) النّافية بمنزلة الموصولة ، فإذا جعلت النّافية بمنزلة الموصولة حتّى ألحق اللام ، فأنْ تجعل النّافية في اللّفظ معلّقة للقسم ، وإنْ آل المعنى إلى

الإيجاب وإلى تغيير المعنى فيه ، أجوَز . فإنْ قلت : فهلا جوّزت أيضًا : مازال زيد إلا قائمًا ، واستحسنت ذلك على اللّفظ ، كما جاء ذلك فيما ذكرته من القسم ، وحملته على اللّفظ ، كما حملت القسم على اللّفظ ؟ قيل : لا يجوز هذا في (إلا) كما جاز في القسم ؛ لما ذكرنا من مجيء القسم على اللّفظ فيما جاء ، ولم نعلم مثل ذلك في (إلا) بل قد جاء (إلا) في مواضع على المعنى دون اللّفظ ، وذلك قولهم : ليس الطّيب إلا المسك ، لمّا كان المعنى : ما الطّيب إلا المسك ، ولولا المعنى لم يجز ، كما لم يجز : زيد إلا منطلق . وقالوا : نشدتك اللّه إلا فعلت ، للطّلب ، لمّا كان المعنى : ما أسألك إلا فعلك ، فليس (إلا) في هذا كالقسم »[180] .

نفهم من ذلك : أنّه لمّا كانت (ما) في (مازال) محمولة على النّفي لفظًا لا معنًى ، جاز أنْ يُصدَّر بها المقسم عليه ، وكذا الحال في : ما برح ، وما فتىء ، وما انفكّ .

(ب) إذا كان المقسم عليه جملة فعليّة فعلها مضارع :

إذا صُدِّرت جملة المقسم عليه بفعل مضارع ، فإنّهُ يُنفى بأحد الثّلاثة : (ما) و (لا) و (إنْ) . والمبرّد لا يجوّز ذلك ، فمذهبه أنّ المقسم عليه لا يكون حالاً .

وأجمع الجمهور على أنّه لا يجوز نفي المضارع بـ (لم ، ولن) في المقسم عليه ؛ لأنّهم ينفونه بما يجوز حذفه للاختصار ، والعامل الحرفيّ لا يُحذف مع بقاء عمله ، وإنْ أبطلوا العمل لم يتعيّن النّافي المحذوف[181] . وما ورد في الشّعر والنّثر يُخرَّج على الغرابة والشّذوذ . غير أنّ ابن مالك يقول : إنّ جواب القسم قد يُنفى بـ (لن ، ولم) وذلك في غاية الغرابة .

وشاهد الأوّل : قول أبي طالب يخاطب النّبيّ ﷺ :

وَاللّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِم ... حَتَّى أُوَارَى فِي التُّرابِ دَفِينَا

وشاهد الثّاني : ما حكى الأصمعي[182] قال : قلتُ لأعرابيّ : أَلَكَ بَنُوْن ؟ قال : نَعَمْ وخَالِقهم لم تَقُمْ عن مثلهم مُنْجِبةٌ[183] .

فـ (مـا) حرف نـافٍ موضـوع لنفي الحـال ، وهذا مـذهب الجمـهـور ، وذلك إذا لم يتقـيّد بالزّمـان ، أمّا (لا) فحـرف نـافٍ موضوع لنـفي المستقـبل ، فلا يُنفى بهـا فعل الحال ، وهذا مذهب الأكثرين[184] .

وقد قلنا آنفًا : إنّ النّفي مبنيّ على الإيجاب فينبغي أنْ يكون على وفق لفظه .

فـقـولك : (لا أفْـعَلُ) نـقـيض لقـولك : (لأفـعلنّ) ؛ لـدلالة النّفي والإيـجـاب على الاستقبال .

وقولك : (ما أفعلُ) نقيض لقولك : (إنّي لأفعل) لدلالة النّفي والإيجاب على الحال[185] .

ولا تدخـل (اللام) علـى (مـا) ؛ لأنّ (اللام) تحـقـيق ، و (مـا) نـفي ، فـلا يجتمعـان ، وما ورد في شعر العرب فإنّه توهّم الصّلة ، أي : حمل (مـا) النّافية في اللّفظ على (ما) الموصولة[186] .

ويجوز تكرير (لا) إذا دخلت على المضـارع ، لكنّه غير واجب كمـا وجب في المـاضي والجملة الاسميّة . يقول ابن الشّجريّ : « والصّـحيح عندي أنّ (لا) الواقعـة على الفعل ، لا يلزمها التّكرير ، لأنّها جواب اليمين ، واليمين قد تقع على فعل واحد مجحود ، فلا يلزم فيها تكرير (لا) بل لا معنى لتكريرها ويمينك واقعة على شيء واحد »[187] .

ويجوز حـذف (لا) من المقسـم عليـه ؛ لأنّه تـخـفيف لا يـوقـع لَبْسًـا ، إذْ لو كـان إيجابًا لكان بحروفه اللازمة من (اللام ، ونون التّوكيد) . وإنّما حكم بأنّ المحذوفة من المضارع (لا) النّافيـة دون (مـا) ؛ لأنّها أكثر استـعمـالاً في نفي المضـارع من (مـا) ، فلا يجـوز حـذف (مـا) من المقـسم عليـه ؛ لأنّ الدّلالة عليهـا إذا حُذفتْ غير قائمة[188] . ومنه قول الشّاعر :

تاللّهِ يَبْـقَى علَـى الأيّامِ مُـبْـتَـقِلُ جَـوْنُ السَّـراةِ رَبَـاعٍ سِنُّهُ غَـرِدُ[189]

المعنى : لا يبقى ، فـحذف الـلام ، والمعنى : لا يبقى على حوادث الأيّـام ، فـحذف المضـاف[190] .

الجملة القسميّة من حيثُ الخبرِ والإنشاءِ :

اختلف النّحاة في تحديد الجملة القسمية بنوعيها : جملة القسم وجملة المقسم عليه من حيث الخبر والإنشاء :

فمنهم من يذهب إلى أنّ الجملتين كلتاهما خبريّة ، يقول ابن جني[191] : « اعلم أنّ القسم ضربٌ من الخبر ، يُذْكَر ليؤكَّد به خبرٌ آخر »[192] . ويقول ابن عصفور : « القسم جملة يُؤكَّد بها جملة أخرى كلتاهما خبريّة . وقولنا : كلتاهما خبريّة ، يعني أن جملة القسم والجواب إذا اجتمعتا كان منهما كلام محتمل للصّدق والكذب »[193] .

ومنهم من يذهب إلى أنّ جملة المقسم به إنشائية أو خبريّة ، وجملة المقسم عليه خبريّة ، يقول أبو حيّان الأندلسي : « أمّا القسم فهو جملة يُؤكّد بها جملة أخرى خبريّة غير تعجبيّة . والجملة تشمل الجملة الانشائية والخبريّة »[194] . ويقول السّيوطيّ : « القسم جملة لفظًا أو تقديرًا ، إنشائيّة كقولك : أقسمت باللّه ، أو خبريّة كقولك : أشهد لعمرو خارج ، مؤكّدة لخبريّة أخرى تالية »[195] .

ومنهم من يذهب إلي أنّ جملة القسم إنشائية ، وجملة المقسم عليه خبريّة ، وقد تكون إنشائيّة شرط تحقّق الاستعطاف ، يقول ابن هشام : « وإنّما كون الجملة – أعني جملة القسم إنشائية ، ... »[196] . ويقول : « فإن قيل : فما وجهه والجملة الأولى إنشائية ؟ قلت : جاز لأنّها غير مقصودة ، وإنّما المقصود جملة الجواب ، وهي خبريّة »[197] . ويقول أيضًا في النّوع الثامن من الجهة السّادسة : « اشتراطهم في بعض الجمل الخبريّة ، وفي بعضها الإنشائيّة . فالأوّل كثير كالصّلة ، والصّفة ، والحال ، والجملة الواقعة خبرًا لكان ، أو خبرًا لأنّ ، أو لضمير الشأن ، قيل : أو خبرًا للمبتدأ ، أو جوابًا للقسم غير الاستعطافي ، ومن الثاني جواب القسم الاستعطافي »[198] . يقول الشيخ محمد الأمير : « القسم جملة انشائيّة أكّدت بها أخرى ، فإن كانت الأخرى انشائيّة أيضًا فهو الاستعطافي »[199] .

ومنهم من يذهب إلى أن جملة القسم إنشائية إذا كانت قسمًا صريحًا ،

وخبريّة إذا كانت قسمًا غير صريح ونعني به اللفظ الجاري مجرى القسم ، يقول الزّركشيّ : « وهو عند النحويين جملةٌ يؤكَّد بها الخبر ، حتى إنّهم جعلوا قوله تعالى : « واللّه يشهد إنّ المنافقين لكاذبون »[200] قسمًا وإن كان فيه إخبار ، إلاّ أنّه لمّا جاء توكيدًا للخبر سُمِّي قسمًا »[201] . ويقول عبّاس حسن : « ومن فِعْل القسم الصريح وفاعله تتكون الجملة الفعلية الانشائيّة التي هي جملةالقسم . ولا بدّ أن تكون فعليّة ، سواء أذُكِرَ الفعل أم حُذِف . لكن ليس من اللازم أن يكون الفعل صريحًا في دلالته على القسم كالأفعال السّابقة ، فهناك ألفاظ يسمونها : « ألفاظ القسم غير الصّريح » ، وهو الذي لا يُعرف منه بمجرّد سماعه أن الناطق به حالف ، بل لا بدّ معه من قرينة ، ومن أمثلته الأفعال : شَهِدَ ، علِمَ ، آلى – غير أنّ الجملة القسمية التي من هذا النوع خبريّة لفظًا »[202] .

نخلص من ذلك إلى أنّ النّحاة مختلفون في تحديد جملة المقسم به وجملة المقسم عليه إخبارًا وإنشاءً ، والذي يُفهم من كلامهم ونطمئنّ إليه :

إنّ الأصل في جملة المقسم به الإنشاء ، ولا يدخل عليها الخبر إلاّ عارضاً وذلك إذا لم يكن القسم صريحًا ، والأصل في جملة المقسم عليه الخبر ، ولا يدخل عليها الانشاء إلا عارضًا وذلك إذا كان القسم استعطافيًا .

فالجملة العربيّة تنقسم إلى قسمين رئيسين : هما الجملة الخبريّة والجملة الإنشائيّة . وقد اهتمّ البيانيّون والنّحويّون بالخبر والإنشاء ، وتناولهما البيانيّون بالتّعريف والتّفصيل في علم المعاني ، ولم يخرج معنى الإنشاء والخبر عند النّحويّين عمّا تعارف عليه البيانيّون . فالجملة الخبريّة هي التي تحتمل الصّدق والكذب لذاتها ، أي : بدون نظر لقائلها[203] . و « اختلف النّاس في انحصار الخبر في الصّادق والكاذب . فذهب الجمهور إلى أنّه منحصر فيهما ، ثم اختلفوا ، فقال الأكثر منهم : صِدْقُهُ مطابقة حكمِه للواقع ، وكذبه عدم مطابقة حكمه له ، هذا هو المشهور وعليه التّعويل »[204] ، وقد أشار إلى ذلك ابن عصفور في تعريفه .

ويقابلها الجملة الانشائيّة ، وهي التي يُطلب بها إمّا حصول شيء أو عدم حصوله ، وإمّا إقراره والموافقة عليه أو عدم إقراره . فلا دخل للصّدق والكذب فيها ، وهي قسمان :

إنشائيّة طلبيّة يراد بها حصول الشّيء أو عدم حصوله . ويتأخّر تحقّق معناها عن وجود لفظها . وتشمل : الأمر ، والنّهي ، والاستفهام ، والدّعاء ، والتّمنّي ، والعرض والتّحضيض .

وإنشائيّة غير طلبيّة ، وتشمل جملة التّعجّب ، وجملة المدح أو الذّمّ ، وجملة القسم نفسه لا جملة جوابه ، والرّجاء ، وصيغ العقود . وأكثر أنواع الإنشاء غير الطّلبيّ يتحقّق معناه بمجرّد النّطق بلفظه[205] . وبعبارة أخرى نقول : الإنشاء الطّلبيّ ما استدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطّلب . والإنشاء غير الطّلبيّ هو ما لا يستدعي مطلوبًا[206] .

هذا وقد عدّ د. تمام حسّان في تقسيمه للجملة العربيّة القسم جملة إنشائيّة إفصاحيّة أي أنّها تستعمل للكشف عن موقف انفعاليّ ما والإفصاح عنه[207] .

القسم الاستعطافيّ :

وهو القسم الذي يكون جوابه إنشائيًا : أمرًا أو نهيًا أو استفهامًا ، كما يجاب بـ (إلاّ) أو (لمّا) الاستثنائيّة .

وقد اختلف النّحاة في جعل هذا الضّرب قسمًا ، فقال سيبويه : « وسألت الخليل عن قولهم : أقسمتُ عليك إلا فعلتَ ولمّا فعلتَ ، لِمَ جاز هذا في هذا الموضوع ، وإنّما أقسمتُ هاهنا كقولك : واللّهِ ؟ فقال : وجهُ الكلام لتفعلنّ ها هنا ، ولكنّهم إنّما أجازوا هذا لأنّهم شبّهوه بنشدتُك اللّهَ ، إذْ كان فيه معنى الطّلب »[208] . وقد فرّق السّيرافيّ[209] بين التّعبيرين بقوله : وأمّا « أقسمتُ عليك إلا فعلتَ ولمّا فعلتَ » فإنّ المتكلّم إذا قال : « أقسمتُ عليك لتفعلنّ » فهو مخبر عن فعل المخاطب أنّه يفعله

ومقسم عليه . فإذا لم يفعله فهو كاذب لأنّه لم يوجد خبره على ما أخبر به . وإذا قال : « أقسمُ عليك إلا فعلتَ ولمّا فعلتَ » فهو طالب منه سائل ، ولا يلزمه فيه تصديق ولا تكذيب . وللفرق بين المعنيين فُرّق بين اللّفظين »[210] .

يقول ابن يعيش في حديثه عن مزايا باء القسم : « والأمر الثّالث أنّك قد تحلف على إنسان وذلك بأنْ تأتي بها للاستعطاف والتّقرّب إلى المخاطب فتقول : باللّهِ إلا فعلتَ ، ولا تقول : واللّهِ ولا تاللّهِ ؛ لأنّ ذلك إنّما يكون في القسم ، وليس هذا بقسم . ألا ترى أنّه لو كان قسمًا لافتقر إلى مقسم عليه وأنْ يجاب بما يجاب به الأقسام »[211] .

وحذا ابن عصفور حذو ابن يعيش في إلغائه هذا الضّرب من القسم بقوله : « فإنْ جاء ما صورته كصورة القسم وهو غير محتمل للصّدق والكذب حُمل على أنّه ليس بقسم نحو قول الشّاعر :

بـاللّـهِ ربّكَ إنْ دخلتَ فـقلْ لـه ... هذا ابنُ هَرمةَ واقفًا بالبابِ[212]

ألا ترى أنّه لا يحسن هنا أنْ يقال : صدَق ولا كذَب . وقول الآخر :

بدينكَ هل ضممتَ إليكَ ليلى ... وهل قَبّلت قبلَ الصُّبحِ فاهَا[213]

لا يحسن أيضاً أنْ يقال هنا : صدَق ولا كذب . فلا يمكن لذلك أنْ يكون قسمًا لأنّ القسم لا يُتصوّر إلا حيث يتصوّر الصّدق والحنث ، والصّدق والحنث لا يُتصوّر إلا فيما يتصوّر الصّدق والكذب . وممّا يبيّن أنّ هذا وأمثاله ليس بقسم أنّه لا يتصوّر أنْ يكون الفعل المتعلّق به المجرور : أقسمُ ، ألا ترى أنّه لا يتصوّر أنْ يقال : أقسمُ باللّهِ ربّك إذا دخلتَ فقل له ، ولا : أقسمُ بدينك هل ضممتَ إليك ليلى . بل الفعل الذي يتعلّق به المجرور : أسأل ، كأنّك قلت : أسألك باللّه إنْ دخلتَ فقل له ، وأسألك بدينك .

فإنْ قيل : ممّا يدلّ على أنّ هذا وأمثاله قسم قول الشّاعر :

أحارثُ يا خيرَ البريّةِ كلّها ... أباللّهِ هلْ ليْ في يمينيَ منْ عقْدِ[214]

مراده قسمي قولي : باللّه هل لي في يميني من عقد . وإنّما مراده : أباللّه هل لي في يميني من عقد إنْ حلفتُ على أنّه خير البريّة »[215] .

أمّا الزّمخشريّ وابن مالك والرّضيّ وابن هشام ولفيف من النّحاة فإنّهم ينحون غير هذا المنحى ، ويثبتون أنّ الاستعطاف ضرب من ضروب القسم . فقال الزّمخشريّ في حديثه عن مزايا باء القسم : « وبالحلف على الرّجل على سبيل الاستعطاف كقولك : باللّهِ لمّا زرتني ، وبحياتك أخبرني »[216] . وقال ابن مالك : « ومن مزاياها : استعمالها في القسم الطّلبيّ . فأشير في هذا البيت إلى ذلك ثم قلت :

.. .. كذا نشدتُكا اللّه أو باللّهِ أو عمّرتُكا

فنبّهتُ بذلك على قولهم في الاستعطاف : (نشدتُكَ اللّهَ أو باللّه) بمعنى : ذكّرتُكَ اللّهَ مستحلفًا . ومثله (عَمَّرْتُكَ اللّهَ) معنًى واستعمالاً ، إلا أنّ (عمّرتك) مستغنٍ عن الباء . وأصل (نشدتُكَ اللّهَ) : طلبتُ منك باللّه . وأصل (عمّرتك اللّه) : سألت اللّه تعميرَك ، ثمّ ضمّنا معنى (استحلفتُ) مخصوصين بالطّلب . والمستحلف عليه بعدهما مصدّر بـ (إلا) أو (لمّا) بمعناها ، أو باستفهام ، أو أمر ، أو نهي . ومن ورود (عمّرتك) قول الشّاعر :

عمّرتُكِ اللّهَ إلا ما ذكرتِ لنا هل كنتِ جارتنا أيّامَ ذي سلمِ[217]

واستعملوا (عَمْرَكَ اللّهَ) بدلاً من اللفظ بـ (عمّرتُك اللّه) . كقول قيس العامريّ :

يا عَمْرَكِ اللّهَ إلاّ قلتِ صادقةً أصادقًا وَصَفَ المجنونُ أم كَذَبَا؟

وكان الأصل أن يقال : (تعميرك اللّه) لكن خُفّف بحذف الزّوائد »[218] .

ويؤكّد الرّضي ما سبق بقوله : « واعلم أنّ القسم على ضربين : إمّا قسم السّؤال ، وهو : نشدتُك اللهَ ، وعمّرتُك اللّهَ ، وعمْرَكَ اللّهَ ، وقعدك اللّهَ ، وباللّهِ ، لتفعلنّ ، وقد يُستعمل « لعمرك » في قسم السّؤال ، فجواب قسم السؤال : أمر ، أو نهي ،

أو استفهام كقوله :

بدينكَ هلْ ضممتَ إليكَ ليلى قبيل الصّبحِ أو قبّلتَ فاهَا

ويُجاب بإلا ، ولمّا ، أيضًا ، نحو : نشدتك باللّه إلا فعلتَ ، أو لمّا فعلتَ ، وقد مضى في باب الاستثناء وقوله :

قعيدكِ ألا تُسمعيني ملامةً ولا تنكَئِي قَرْحَ الفؤادِ فييجعا[219]

أنْ فيه زائدة . وربّما قيل في قسم الطّلب ، أيضًا : لَتفعلنَّ ، ولنفعلنَّ ، فيكون خبرًا بمعنى الأمر »[220] . وقال ابن هشام في حديثه عمّا تختصّ به باء القسم : « واستعمالها في القسم الاستطعافي نحو « باللّهِ هلْ قام زيد » أي أسألك باللّهِ مستحلفًا »[221] .

الموقع الإعرابيّ للجملة القسمية :

الرأي المشهور عند النّحاة أنّ جملة القسم والمقسم عليه معًا لهما موضع من الإعراب ؛ لأنّهما متماسكتان بمنزلة جملة واحدة ، ولا محلّ لإحداهما بدون الأخرى[222] . وقد منع ثعلب[223] أنْ تقع الجملتان القسم والمقسم عليه خبرًا للمبتدأ . وقد أوضح أبو حيّان الأندلسيّ رأي ثعلب في أكثر من موضع من تفسيره :

(أ) قال تعالى : ﴿ فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرنَّ عنهم سيئاتهم ﴾[224] .

قال أبو حيّان : (لأكفرنَّ) جواب قسم محذوف ، والقسم وما تلقّى به خبر عن قوله : (فالذين هاجروا) . وفي هذه الآية ونظيرها ردٌّ على أحمد بن يحي ثعلب ، إذْ زعم أنّ الجملة الواقعة خبرًا للمبتدأ لا تكون قسميّة »[225] .

(ب) قال تعالى : ﴿ والذين هاجروا في اللّه من بعد ما ظُلموا لنبوئنَّهم في الدّنيا حسنة ﴾[226] .

يقول أبو حيّان : « وفي الإخبار عن (الذين) بجملة القسم المحذوفة الدّالّ عليها الجملة المقسم عليها ، دليل على صحّة وقوع الجملة القسميّة خبرًا للمبتدأ خلافًا لثعلب »[227] .

(جـ) قال تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينّم سبلنا ﴾[228] .

يقول أبو حيّان : « والذين » مبتدأ ، خبره القسم المحذوف وجوابه ، وهو (لنهدينّهم) ، وبهذا ونظيره رُدَّ على أبي العباس ثعلب في منعه أنْ تقع جملة القسم والمقسم عليه خبرًا للمبتدأ »[229] .

وقد تناول ابن هشام رأي ثعلب معلّقًا عليه ، مظهرًا سبب المنع عنده ، مفنّدًا إيّاه قائلاً : قال ثعلب : لا تقع جملة القسم خبرًا ، ومراده أنّ القسم وجوابه لا يكونان خبرًا . وإنّما المانع عنده :

(أ) إمّا كون جملة القسم لا ضمير فيها فلا تكون خبرًا : لأنّ الجملتين ههنا ليستا كجملتي الشّرط والجزاء ؛ لأنّ الجملة الثّانية ليست معمولة لشيء من الجملة الأولى .

(ب) وإمّا كون الجملة – أعني جملة القسم – إنشائيّة ، والجملة الواقعة خبرًا لا بدّ من احتمالها للصّدق والكذب[230] .

يقول ابن هشام : وبعد فعندي أنّ كلاً من التّعليلين ملغى :

أمّا الأوّل : فلأنّ الجملتين مرتبطتان ارتباطاً صارتا به كالجملة الواحدة ، وإنْ لم يكن بينهما عمل . فإن قيل : فما وجهه والجملة الأولى إنشائيّة ؟ قلت : جاز لأنّها غير مقصودة ، وإنّما المقصود جملة الجواب ، وهي خبريّة ، ولم يُؤت بجملة القسم إلا لمجرّد التّوكيد ، لا للتّأسيس .

وأمّا الثّاني : فلأنّ الخبر الذي شرطُه احتمال الصّدق والكذب ، الخبرُ الذي هو تسيم الإنشاء ، لا خبر المبتدأ ، للاتّفاق على أنّ أصله الإفراد ، واحتمال الصّدق والكذب إنّما هو من صفات الكلام[231] .

أمّا جملة المقسم عليه فقد أجمع الجمهور على أنّها لا محلّ لها من الإعراب لأنّها لم تحلّ محلّ المفرد ، وذلك هو الأصل في الجمل[232] . وقد نقل الرّضيّ رأيًا للفرّاء فيه إشارة إلى أنّ المقسم عليه قد يكون له محلّ : « وقال الفرّاء : إنْ كان المبتدأ اسمَ معنًى نحو : لعمرك وايمن اللّه ، فجواب القسم خبره ، ولا يحتاج إلى تقدير خبر آخر ؛ لأنّ (لعمرك) يمين ، و (لأفعلنّ) يمين أيضًا ، فهو هو » . وردّ عليه الرّضيّ قائلاً : « وليس بشيء ، لأنّ (العمر) معناه البقاء فهو مقسم به ، و (لأفعلنّ) مقسم عليه ، فكيف يكون هذا ذاك ؟ »[233] .

وقد أعرب أبو البقاء العكبريّ[234] جملة المقسم عليه إعرابًا يقتضي أنّ لها موضعًا ، وذلك في أكثر من موضع من كتابه :

(أ) قال تعالى : ﴿ فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرنّ عنهم سيئاتهم ﴾[235] .

يقول أبو البقاء : « (فالذين هاجروا) مبتدأ ، و (لأكفرنّ) وما اتّصل به الخبر ، وهو جواب قسم محذوف »[236] .

(ب) قال تعالى : ﴿ والذين هاجروا في اللّه من بعد ما ظُلموا لنبوئنّهم في الدّنيا حسنةً ﴾[237] .

يقول أبو البقاء : (والذين هاجروا) مبتدأ ، و (لنبوئنّهم) الخبر . ويجوز أن يكون في موضع نصب بفعل محذوف يفسّره المذكور »[238] .

(جـ) قال تعالى : ﴿ وإذْ أخذ اللّه ميثاق النّبيين لَمَا آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدّق لما معكم لتؤمننّ به ولتنصرنّه ﴾[239] .

يقول أبو البقاء : « ويُقرأ بالفتح وتخفيف (ما) وفيها وجهان :

أحدهما : أنّ (ما) بمعنى الذي ، وموضعها رفع بالابتداء ، واللام لام الابتداء دخلت لتوكيد معنى القسم . وفي الخبر وجهان :

أحدهما : (من كتاب وحكمة) ، أي : الذي أوتيتموه من الكتاب ، والنكرة هنا كالمعرفة .

والثاني : الخبر (لتؤمننّ به) والهاء عائدة على المبتدأ ، واللام جواب القسم ؛ لأنّ (أخْذ الميثاق) قسم في المعنى .

والقول الثاني : أنّ (ما) شرط ، واللام قبله لتلقّي القسم ، كالتي في قوله : ﴿ لئن لم ينته المنافقون ﴾[240] وليست بلازمة ؛ بدليل قوله : ﴿ وإن لم ينتهوا عمّا يقولون ﴾[241] فعلى هذا تكون (ما) في موضع نصب بـ (آتيت) ، والمفعول الثاني ضمير المخاطب »[242] .

يقول ابن هشام : وقع لمكّي وأبي البقاء وَهْمٌ في جملة الجواب فأعرباها إعراباً يقتضي أنّ لها موضعًا[243] . وقد تناول رأي العكبريّ في الآية الثالثة بالتّعليق والتّفنيد قائلاً : « إنّ تجويزه كون (لتؤمننّ) خبرًا مع تقديره إيّاه جواباً لأخذ الميثاق يقتضي أنّ له موضعًا ، وأنّه لا موضع له ، وإنّما كان حقّه أنْ يقدّره جوابًا لقسم محذوف ، ويقدّر الجملتين خبرًا . وقد يُقال : إنّما أراد بقوله : « اللام جواب القسم لأنّ أخذ الميثاق قسم » أنّ أخذ الميثاق دالٌّ على جملة قسم مقدّرة ، ومجموع الجملتين الخبر ، وإنّما سمّى (لتؤمننّ) خبرًا ؛ لأنّه الدّالّ على المقصود بالأصالة ، لا أنّه وحده هو الخبر بالحقيقة وأنّه لا قسم مقدّر ، بل أخذ اللّه ميثاق النّبيّين هو جملة القسم . وقد يُقال : لو أراد هذا لم يحصر الدّليل فيما ذكره ، للاتفاق على أنّ وجود (المضارع) مفتتحًا بلام مفتوحة مختتمًا بنون مؤكّدة دليل قاطع على القسم ، وإنْ لم يُذكر معه (أخْذ الميثاق) أو نحوه »[244] .

وقد استحبّ عباس حسن أنْ يكون لجملة المقسم عليه محلّ من الإعراب باعتبار التّعليق لا باعتبارها جواب قسم ، يقول : والشّائع أنّ جملة جواب القسم لا محلّ لها من الإعراب . وقد أجابوا : بأنّها لا محلّ لها باعتبارها « جواب قسم » ولا مانع أنْ يكون لها محلّ باعتبار آخر هو « التّعليق » . ومعنى هذا أنّ جملة جواب القسم لا محلّ لها من الإعراب إذا لم يوجد عاملٌ يحتاج إليها حتمًا ، فإنْ وُجِدَ عاملٌ يحتاج

إليها حتمًا كانت معمولةً له . وقيل : إنّ « العِلْمَ » في : « علمتُ لَيُحَاسَبَنَّ المرْءُ على عَمَلِهِ » منصبّ على مضمون جملة الجواب فقط ، بدون نظر إلى أنّها جواب قسم ، فجملة الجواب وحدها على هذا الاعتبار في محلّ نصب سدّت مسدّ المفعولين .

ويقول أيضًا : « وفي هذا الرّأي راحة وتيسير ؛ لأنّه واقعيّ لا يلتفت إلى الجملة القسميّة المستترة ، ولا يُتناسى أنّ جواب القسم هنا ليس مجلوبًا للقسم ، وإنّما الغرض الأساسيّ الأوّل هو إيفاء النّاسخ ما يريده ، ولا ضرر في أنْ يستفيد القسم منه بعد ذلك »[245] .

نقول : إنّ هذه المرونة الخاصّة بالمقسم عليه ومحلّه من الإعراب ستفتح أبوابًا من الاعتراض والجدل المرهق ، نحن في غنًى عنها ، ولا حاجة لذلك ، فالبيان النّحويّ ناصعٌ : إنّ الحروف التي يُتلقّى بها القسم كلّها لها الصّدر[246] ، وكونُ (اللام) متلقيةً للقسم ، فهي مانعة من التّعليق أكثر من أن تكون مجوّزة له . وخيرُ تخريجٍ للفعل (علم) وأخواته أنْ يُضمَّن معنى القسم ؛ لأنّ أفعال القلوب لإفادتها التّحقيقَ تُجابُ بما يُجاب به القسم ، قال الشّاعر :

ولَقَدْ عَلِمْتُ لَتَأتينَّ مَنِيَّتي ... إنَّ المَنَايَا لا تَطِيْشُ سِهَامُهَا[247]

اجتماع الشّرط والقسم :

لا توجد صلة وثيقة ولا رابطة حميمة بين أسلوبين في اللغة العربيّة كما يوجد بين الشّرط والقسم ؛ حيث إنّ كلاً منهما جملة مركّبة وله جواب . فالقسم جملة مركّبة ويقتضي توكيد حصول جواب القسم في الحال ، والشّرط جملة مركّبة ويقتضي افتراض حصول جواب الشّرط في الاستقبال . أمّا الأساليب الأخرى كالنّفي والنّهي والتّعجّب والاستفهام والنّداء وغيرها ، فإنّها قد تلتقي مع القسم أو مع بعضها بحال من الأحوال ولكن لم نلحظ أسلوبين يجتمعان إلى درجة الاقتران كاجتماع الشّرط والقسم .

يقول ابن يعيش : « إنّ الشّرط يجري مجرى القسم لما بينهما من المناسبة ، من جهة احتياج كل واحد منهما إلى جواب . والقسم وجوابه جملتان تلازمتا فكانتا كالجملة الواحدة ، كما أنّ الشّرط وجوابه كالجملة الواحدة »[248] . و « إذا أقسمت على المجازاة ، فالقسم إنّما يقع على الجواب ؛ لأنّ جواب المجازاة خبر يقع فيه التّصديق والتّكذيب ، والقسم إنّما يؤكّد الأخبار »[249] .

وحاصل ما ورد من أحكام اجتماع الشّرط والقسم وتنوّعها من حيث التّقدّم والتّوسّط والتأخّر ، ومن حيث الإلغاء والاعتبار ، وطريق الحصر أنْ نقول :

القسم إمّا أن يتقدّم أوّل الكلام ، أو يتوسطه ، أو يتأخّر عنه :

فإنْ تقدّم وجب اعتباره ، سواء وليه الشّرط نحو : « واللّه إنْ أتيتني لآتينّك » أوْ لا يليه نحو : « واللّه إنّي آتيك » .

وإنْ توسّط الكلام ، فإمّا أنْ يتقدّم عليه الشّرط أوْ لا يتقدّم :

فإنْ تقدّم عليه الشّرط وجب اعتبار الشّرط ، وجاز إلغاء القسم واعتباره ، سواء تقدّم على ذلك الشّرط طالب خبر نحو : « أنا إنْ أتيتني فواللّه لآتينّك » و « أنا إنْ أتيتني واللّه آتك » أو لم يتقدّم على الشّرط طالب خبر نحو : « إنْ أتيتني فواللّه لآتينّك » و « إنْ أتيتني واللّه آتك » .

وإنْ لم يتقدّم الشّرط على هذا القسم المتوسّط ، فإمّا أنْ يتأخّر عنه الشّرط ، أوْ لا يتأخّر : فإنْ تأخّر ، فإنْ اعتبرت القسم ألغيت الشّرط ، نحو : « أنا واللّه إنْ أتيتني لآتينّك » . وإنْ ألغيت القسم اعتبرت الشّرط نحو : « أنا واللّه إنْ أتيتني آتك » .

وإنْ لم يتأخّر عنه الشّرط ، فإنْ جاء بعد القسم جملة جاز اعتباره وإلغاؤه نحو : « أنا واللّه لآتينّك » على الاعتبار ، و « أنا واللّه آتيك » على الإلغاء . وإنْ جاء بعده مفرد وجب إلغاؤه نحو : « أنا واللّه قائم » لاستحالة اعتباره ؛ لأنّ المقسم عليه لا يكون إلا جملة .

وإنْ تأخّر القسم عن الكلام وجب إلغاؤه نحو : « أنا قائم واللّه » و « إنْ أتيتني آتك واللّه »[250] .

ولا يجوز حذف جواب الشّرط إلا إذا كان فعل الشّرط ماضيًا ، وعلّل الفرّاء ذلك بقوله : « كراهة أن يحدث على الجزاء حادث وهو مجزوم »[251] . فالذي يقول من العرب : أنت ظالمٌ إنْ فعلتَ ، لا يقول : أنت ظالم إنْ تفعل[252] .

ويجوز قليلاً في الشّعر اعتبار الشّرط وإلغاء القسم مع تقدّم القسم عليه ، فَيُجزم جوابه ، وذلك أنّه لمّا جاء بعد حرف يُنوى به الجزم صُيِّر جزمًا جوابًا للمجزوم وهو في معنى رفع[253] . قال الفرّاء : وأنشدني بعض بني عقيل :

لَئِنْ كَانَ مَاحُدِّثْتَهُ اليومَ صَادِقًا ... أَصُمْ في نَهَارِ القَيْظِ للشَّمْس بَادِيَا[254]

فألقى جواب اليمين من الفعل ، وكان الوجه في الكلام أن يقول : لَئن كان كَذا لاتينّك ، وتوهّم إلغاء اللام[255] . وقال الأعشى :

لَئِنْ مُنِيتَ بِنَا عَنْ غِبِّ مَعْرَكَةٍ ... لا تُلْفِنَا مِنْ دِمَاءِ القَوْمِ نَنْتَفِلُ[256]

فجزم (لا تُلْفِنَا) والوجه الرّفع كما قال اللّه : ﴿ لئن أُخرجوا لا يخرجون معهم ﴾[257] ولكنّه لمّا جاء ، بعد حرف يُنوى به الجزمُ صُيِّر جزمًا جوابًا للمجزوم وهو في معنى رفع . فأنشدني القاسم بن مَعْن (عن العرب) :

حَلَفْتُ لهُ إنْ تُدْلِجِ اللّيلَ لا يَزَلْ ... أَمَامَكَ بَيْتٌ مِنْ بُيُوتِيَ سَائِرُ[258]

والمعنى : حلفت له لا يزال أمامك بيتٌ ، فلمّا جاء بعد المجزوم صُيِّرَ جوابًا للجزم[259] .

والقسم أكثر إلغاءً من الشّرط لأمرين :

الأوّل : إنّ القسم أكثر دورانًا في الكلام من الشّرط .

الثّاني : إنّ تأثير القسم في جوابه أقلّ من تأثير الشّرط في جوابه ؛ لأنّ القسم مؤكّد المعنى الثّابت فيه ، فهو كالزّائد الذي يتمّ معنى الكلام بدونه ، والشّرط مورد في جوابه

معنًى لم يكن فيه ، وهو « التّوقيف » أي أنّ حصول الجواب متوقّف ومعلّق على حصول الشّرط [260] . يقول ابن مالك : « وكان الشّرط حقيقًا بأن يُستغنى بجوابه – مطلقًا – لأنّ تقدير سقوطه مُخلّ بمعنى الجملة التي هو منها . وتقدير سقوط القسم غير مُخلّ ؛ لأنّه مسوق لمجرّد التّوكيد ، والاستغناء عن التّوكيد سائغ » [261] .

أوّلاً – القسم مع الشّرط بـ (إنْ) :

تفيد (إنْ) المستعملة في الشّرط أمرين :

الأوّل : الشّرطيّة ، أعني عقد السّببيّة والمسبّبيّة بين جملة الشّرط وجملة الجزاء .

الثّاني : تقييد الشّرطيّة بالزّمن المستقبل [262] .

و « (إنْ) في الجزاء مبهمة لا تستعمل إلا فيما كان مشكوكًا في وجوده ، ولذلك كان بالأفعال المستقبلة ، لأنّ الأفعال المستقبلة قد توجد وقد لا توجد ، ولذلك لا تقع المجازاة بـ (إذا) ، وإن كانت للاستقبال ؛ لأنّ الذّاكر لها كالمعترف بوجود ذلك الأمر . وربّما استعملت (إنْ) في مواضع (إذا) ، و (إذا) في مواضع (إنْ) » [263] .

و « إنْ أدخلتها على فعلين ماضيين حكمت على موضعهما بالجزم ، وذلك قولك : إنْ قمتَ قمتُ معك . وقد يكون الشّرط مستقبلاً والجزاء ماضيًا ، وهو أقلّ الوجوه ، وذلك نحو قولك : « إنْ تقمْ قمتُ معك » [264] . ولا يجوز حذف جواب الشّرط عند اعتبار القسم إلا إذا كان الشّرط ماضيًا [265] . وهذا المضيّ في اللّفظ لا في المعنى إلا (كان) النّاقصة فإنّها تكون لفظًا ومعنًى ، يقول أبو البقاء : « ولا تدخل (إنْ) الشّرطيّة على فعل ماضٍ في المعنى ، إلا على (كان) لكثرة استعمالها ، وأنّها لا تدلّ على حدث [266] » .

وقد يكون الشّرط مضارعًا عند حذف جوابه واعتبار القسم ، وذلك لدخول (لم) الجازمة عليه . قال السّهيليّ [267] : « ومن أجل وقوع الفعل بعد حرف الجزاء بلفظ الماضي ، جاز وقوع (لم) الجازمة بعد (إنْ) ، وهما جازمتان ، ولا يجتمع

جازمان كما لا يجتمع في شيء من الكلام عاملان في معمول واحد من خفض ولا نصب ، ولكن لمّا كان الفعل بعدها ماضيًا في المعنى ، وكانت متصلةً به حتّى كأنّ صيغته صيغةُ الماضي ، لقوّة الدّلالة عليه بـ (لم) ، جاز وقوعه بعد (إنْ) . فكان العمل والجزم بحرف (لم) لأنّه أقرب إلى الفعل وألصق ، وكان المعنى في الاستقبال بحرف (إنْ) لأنّها أولى وأسبق »[268] .

القسم مع الشّرط بـ (لو) الامتناعيّة :

تفيد (لو) ثلاثة أمور :

الأوّل : الشّرطيّة ، ومعناها عقد السّببيّة والمسبّبيّة بين الجملتين بعدها .

الثّاني : تقييد الشّرطيّة بالزّمن الماضي .

الثّالث : امتناع السّبب (الشّرط) خاصّة .

وبالوجهين الثّاني والثّالث فارقت (إنْ) الشّرطيّة[269] .

و (لو) من الحروف التي تقتضي الأجوبة ، وتختصّ بالفعل ، ولكنّهم لم يجزموا به ، لأنّه لا ينقل الماضي إلى الاستقبال ، كما تفعل حروف الشّرط . فالسّبب المانع للجزم غلبة دخولها على الماضي وعدم مفارقته ، وكذا يمتنع الجزم لو أريد بها معنى (إنْ) الشّرطيّة[270] .

ولا يلي (لو) إلا ماضٍ في المعنى ، سواء كان بلفظ الماضي ، أو المضارع المنفيّ بـ (لم) ، وكذلك حقّ جوابها أنْ يكون ماضيًا ؛ ولذلك يلزم مضيّ المقسم عليه – عند اعتماد القسم – لدلالته على جواب (لو)[271] . قال تعالى : ﴿ وسيحلفون باللّه لو استطعنا لخرجنا معكم ﴾[272] .

قال أبو حيّان : للنّحويّين في هذا مذهبان :

أحدهما : أنّ (لخرجنا) هو جواب القسم ، وجواب (لو) محذوف على قاعدة

اجتماع القسم والشّرط إذا تقدّم القسم على الشّرط ، وهذا اختيار أبي الحسن بن عصفور .

والآخر : أنّ (لخرجنا) هو جواب (لو) ، وجواب القسم هو (لو) وجوابها ، وهذا اختيار ابن مالك ، أنّ (لخرجنا) يسدّ مسدّهما ، فلا أعلم أحدًا ذهب إلى ذلك ، ويحتمل أنْ يتأوّل كلامه على أنّه لمّا حذف جواب (لو) ، ودلّ عليه جواب القسم ، جعل كأنّه سدّ مسدّ جواب القسم وجواب (لو) جميعًا[273] .

وقد اختلف النّحاة في موضع (أنّ) وما بعدها إذا جاءت بعد (لو) لا سيّما و (لو) لا يقع بعدها إلا الفعل ، فقد أجمعوا على أنّه مرفوع ، واختلفوا في جهة الرّفع[274] :

قال سيبويه : هو مرفوع بالابتداء ، أي : ولو هذا الشّيء ثابت .

وقال المبرّد : هو مرفوع على الفاعليّة ، أي : ولو ثبت هذا الشّيء .

ففي كلّ من المذهبين حذف للمسند وإبقاء المسند إليه .

يقول السّهيليّ : (أنّ) في معنى التّوكيد ، وهو تحقيق وتثبيت ، فذلك المعنى الذي هو التّحقيق اكتفتْ به (لو) حتّى كأنّه فعلٌ ولِيَهَا ، ثم عمل ذلك المعنى ، كأنّك قلت : « لو ثبت أنّك منطلق » . فـ (لو) لشدّة مقارنتها للفعل وطلبها له ، تقوم مقام اللّفظ بالعامل الذي هو التّحقيق والتّثبيت الذي دلّت عليه (أنّ) بمعناها[275] .

وتأتي (اللام) لتأكيد ارتباط جملة المقسم عليه بجملة القسم عند اعتبار القسم وإلغاء الشّرط ، أو لتأكيد جملة الجواب بالشّرط عند اعتبار الشّرط وإلغاء القسم[276] . فهي في الأوّل لام جواب القسم ، وفي الثّاني لام جواب (لو) . وقد اختلفت الأحكام في نوع (اللام) في جواب (لو) ، من حيث الحذف والإثبات وهي على النّحو التّالي :

الأوّل : جواز الوجهين : الحذف والإثبات ، يقول ابن مالك : « يظنّ بعض

النّحويّين أنّ لام جواب (لو) في نحو : « لو فعلتَ لفعلتُ » لازمة . والصّحيح جواز حذفها في أفصح الكلام المنثور[277] .

الثّاني : جواز الحذف والإثبات ، ووجوب الإثبات عند التّصريح بالقسم ، يقول ابن يعيش : « والمحقّقون على أنّها اللام التي تقع في جواب القسم ، فإذا قلت : « لو جئتني لأكرمتك » فتقديره : واللّه لو جئتني لأكرمتك . فإذا صرّحت بالقسم لم يكن بدّ من (اللام) »[278] .

الثّالث : جواز الحذف والإثبات ، وتغليب الإثبات ، يقول ابن هشام : « جواب (لو) إمّا مضارع منفيّ بـ (لم) أو ماضٍ مثبت ، والغالب على المثبت دخول (اللام) عليه »[279] .

ثالثًا : القسم مع الشّرط بـ (لولا) الامتناعيّة :

(لولا) تدخل على جملتين : اسميّة ففعليّة لربط امتناع الثّانية بوجود الأولى ، فتدلّ على امتناع الشيء لوجود غيره . وقد دلّت الكلمة في حال الضّمّ على ما تدلّ عليه (لو) و (لا) ، فقد دخل النّفي بـ (لا) على أحد امتناعي (لو) فصار إيجاباً[280] .

يقول ابن يعيش : وتقول إذا لم تأتِ بالقسم ونويته : « لولا زيدٌ لأكرمتك » أي : واللّه لولا زيد لأكرمتك . ويلزم مضيّ المقسم عليه لدلالته على جواب (لولا) المحذوف ، ولا تدخل (اللام) الواقعة في الجواب إلا على الماضي دون المستقبل[281] . وقد جيء بها لتأكيد ارتباط جملة المقسم عليه بجملة القسم عند اعتباره .

وما بعد (لولا) مرفوع بالابتداء ، والمبتدأ المذكور بعدها على ثلاثة أضرب :

الأوّل : مخبر عنه بكون غير مقيّد ، فمثل هذا يلزم حذف خبره ، نحو « لولا زيد لزارنا عمرو » لأنّ المعنى : لولا زيد ، على كلّ حال من أحواله ، لزارنا عمرو . فلم

تكن حال من أحواله أولى بالذّكر من غيرها . فلزم الحذف لذلك ، ولِمَا في الجملة من الاستطالة المحوجة إلى الاختصار .

الثّاني : مخبر عنه بكون مقيّد لا يدرك معناه عند حذفه ، فخبر هذا النّوع واجب الثّبوت : لأنّ معناه يجهل عند حذفه ، بل لا بدّ من ذكره ، نحو : « لولا زيد غائب لم أزرْك » .

الثّالث : مخبر عنه بكون مقيّد يدرك معناه عند حذفه ، فهذا النّوع يجوز فيه الحذف والثّبوت ؛ لأنّ فيه شبهًا بالأوّل ، وشبهًا بالثّاني ، كقولك : لولا أخو زيد ينصره لغلب ، ولولا صاحب عمرو يعينه لعجز . ومن هذا النّوع قول أبي العلاء المعرّي في وصف سيف :

يُذِيْبُ الرُّعْبُ مِنْهُ كلَّ عَضْبٍ ... فلولا الغِمْدُ يُمسكُهُ لَسَالا[282]

والمسوّغ لحذف خبر المبتدأ استطالة الكلام بالجواب ، وكثرة الاستعمال ، ومعرفة المخاطب به حين فهم المعنى أي لقيام العلم بالمحذوف[283] .

اللام الموطّئة للقسم :

وهي « اللام الدّاخلة على أداة شرط للإيذان بأنّ الجواب بعدها مبنيّ على قسم قبلها ، لا على الشّرط ، ومن ثمّ تُسمَّى اللام المؤذنة ، وتُسمَّى الموطّئة أيضًا ؛ لأنّها وطّأت الجواب للقسم ، أي مهّدته له »[284] .

أولاً – دخول (اللام) الموطئة على (إنْ) الشّرطيّة :

وأكثر ما تدخل اللام الموطّئة على (إنْ) الشّرطيّة[285] :

قال تعالى : ﴿ وإنْ لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين ﴾[286] .

قال الأخفش : « فكأنّه على القسم – واللّه أعلم – كأنّه قال : واللّه لنكوننّ من الخاسرين إنْ لم تغفر لنا وترحمنا »[287] .

ويقول أبو حيّان : « (لنكوننّ) جواب قسم محذوف قبل (إنْ) ، التّقدير : واللّه إنْ لم يغفر لنا . وأكثر ما تأتي (إنْ) هذه ولام التّوطئة قبلها »[288] .

وقد تحذف (اللام) مع كون القسم مقدّرًا قبل الشّرط[289] :

قال تعالى : ﴿ وإنْ لم ينتهوا عمّا يقولون ليَمَسَنّ الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾[290] .

يقول أبو حيّان : « (ليمسنّ) اللام فيه جواب قسم محذوف قبل أداة الشّرط ، وأكثر ما يجيء هذا التّركيب وقد صحبت (إنْ) اللامَ المؤذنة بالقسم المحذوف ، والتّقدير : ﴿ لئنْ لم ينتهوا ﴾[291] » .

ويقول ابن هشام : « ونظيره في الاستغناء بجواب القسم المقدّر قبل الشّرط المجرّد من لام التّوطئة نحو : ﴿ وإنْ لم ينتهوا عمّا يقولون ليَمَسَنّ ﴾ التّقدير : واللّهِ ليمسنّ لئن لم ينتهوا يَمَسَّنّ »[292] .

ثانيًا – دخول (اللام) الموطّئة على (ما) الشّرطيّة :

وتدخل اللام الموطّئة على (ما) الشّرطيّة كما دخلت على (إنْ) :

قال تعالى : ﴿ وإذْ أخذ اللّه ميثاق النّبيّين لَمَا آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدّق لما معكم لَتؤمنُنّ به ولَتنصرُنّه ﴾[293] .

قال الزّمخشريّ : « واللام في (لما آتيتكم) لام التّوطئة لأنّ « أخذ الميثاق : في معنى الاستحلاف ، وفي (لتؤمننّ) لام جواب القسم ، و (ما) يحتمل أن تكون المتضمّنة لمعنى الشّرط ، و (لتؤمننّ) سادّ مسدّ جواب القسم والشّرط جميعاً ، وأنْ تكون موصولة بمعنى : للذي آتيتكموه لتؤمننّ به »[294] . يقول الأخفش : « واللام التي مع (ما) في أوّل الكلام هي (لام) الابتداء . واللام التي في ﴿ لتؤمنّ به ولتنصرنّه ﴾ لام القسم ، كأنّه قال : واللّه لتؤمننّ به ، فوَكّدَ في أوّل الكلام وفي آخره »[295] .

غير أنّ ابن هشام يرى أنّ الأحسن ألا تكون موّطئة و (ما) شرطيّة ، بل للابتداء و (ما) موصولة ؛ لأنّه حملٌ على الأكثر[296] .

ثالثًا – دخول (اللام) الموطّئة على (مَنْ) الشّرطيّة :

وتدخل اللام الموطّئة على (منْ) الشّرطيّة كما دخلت على (إنْ) :

قال تعالى : ﴿ لَمَنْ تبعك منهم لأملأنّ جهنّم منكم أجمعين ﴾[297] .

قال الزّمخشريّ : واللام في (لَمَنْ تبعك) موطّئة للقسم . و (لأملأنّ) جوابه ، وهو سادّ مسدّ جواب الشّرط[298] .

ويقول أبو حيّان : قرأ الجمهور (لَمَنْ) بفتح اللام . والظّاهر أنّها (اللام) الموطّئة للقسم . و (من) شرطيّة في موضع رفع على الابتداء ، وجواب الشّرط محذوف يدلّ عليه جواب القسم المحذوف قبل (اللام) الموّطئة . ويجوز أنْ تكون (اللام) لام الابتداء و (مَنْ) موصولة . و (لأملأنّ) جواب قسم محذوف بعد (من تبعك) وذلك القسم المحذوف وجوابه في موضع خبر (مَنْ) الموصولة[299] .

رابعًا – دخول (اللام) الموطّئة على (متى) الشّرطيّة :

وتدخل اللام الموطّئة على (متى) الشّرطيّة كما دخلت على (إنْ) ، قال الشّاعر :

لَمَتَى صَلَحْتَ لَيُقْضَيَنْ لَكَ صَالحٌ ولَتُجْزَيَنَّ إذَا جُزِيْتَ جَمِيْلاً[300]

خامسًا – دخول (اللام) الموطّئة على (إذْ) الشّرطيّة :

يقول ابن هشام : « وأغرب ما دخلتْ عليه (إذْ) ، وذلك لشبهها بـ (إنْ) ، وأنشد أبو الفتح :

غَضِبَتْ عَلَيَّ لأنْ شَرِبْتُ بِجِزَّةٍ فَلإذْ غَضِبْتِ لأشْرَبَنْ بِخُرُوْفِ

وهو نظير دخول الفاء في ﴿ فإذْ لَم يأتوا بالشّهَداء فأولئك عند اللّه هم الكاذبون ﴾[301] . شُبِّهت (إذْ) بـ (إنْ) فدخلت الفاء بعدها كما تدخل في جواب الشّرط »[302] .

اللام بين الموطّئة والزّائدة :

قال الشّاعر :

لَئِن كـانتِ الدُّنيـا عَلَيَّ كـمـا أَرَى تبـاريحَ مِنْ لَيْلَى فَلَلْمَـوْتُ أَرْوَحُ

وقال آخر :

لَئِنْ كـانَ مـاحُدِّثْتَـهُ اليَوم صَـادِقًـا أَصُمْ في نهـارِ القَيْظِ للشَمْسِ بَادِيًا

وقال آخر :

أَلْمِمْ بزينبَ إنَّ البَـيْنَ قَـدْ أَفِـدَا قَلَّ الثَّـوَاءُ لَئِنْ كَـانَ الرَّحـيلُ غَـدَا

يقول ابن هشام : وليست موطّئة ، بل هي في ذلك كلّه زائدة كما تقدّمت الإشارة إليه : أمّا الأوّلان فلأنّ الشّرط قد أجيب بالجملة المقرونة بالفاء في البيت الأوّل ، وبالفعل المجزوم في البيت الثّاني ، فلو كانت (اللام) للتّوطئة لم يجب إلا القسم ، هذا هو الصّحيح ، وخالف في ذلك الفرّاء ، فزعم أنّ الشّرط قد يُجاب مع تقدّم القسم عليه . وأمّا الثّالث فلأنّ الجواب قد حذف مدلولاً عليه بما قبل (إنْ) ، فلو كان ثَمَّ قسم مقدّر لزم الإجحاف بحذف جوابين[303] .

ويقول أيضًا : « ومن أمثلة اللام الزّائدة قولك : « لئنْ قام زيد أقمْ » أو « فأنا أقوم » أو « أنت ظالم لئنْ فعلت » . فكلّ ذلك خاصّ بالشّعر »[304] .

حاصل رأي ابن هشام أنّ هناك ثلاثة أسباب تجعل (اللام) الدّاخلة على أداة الشّرط زائدة لا موطئة للقسم :

الأوّل : جزم الفعل الواقع جواباً .

الثّاني : اقتران الفاء بجملة الجواب .

الثّالث : حذف الجوابين معًا : جواب القسم وجواب الشّرط .

التَغيرات التي تطرأ على الجملة القسميَة :

أوّلاً – الحذف :

(أ) حذف متعلّق الجارّ والمجرور في القسم :

الأصل عند الجمهور أنّه إذا كان الجارّ والمجرور متعلّقين بكون عامّ فإنّ هذا الكون العامّ يجب حذفه ، أمّا إذا كانا متعلّقين بكون خاصّ فإنّه يجب ذكره ، إلا أنْ تقوم قرينةٌ تدلّ عليه ، فإنْ قامت هذه القرينة جاز ذكره وحذفه ، والذّكر أولى لكون الذّكر أصلاً[305] . ولا شكّ في أنّ فعل القسم « أقسمُ وأحلفُ » هو كون خاصّ لا عامّ ، فلماذا كان حذف المتعلّق مع الباء جائزًا ، ومع باقي حروف القسم واجبًا ؟ ولماذا لم يتّحد الحكم مع اتّحاد المتعلّق والعمل ؟ فإنْ قيل : قد قامت القرينة الدّالّة على حذف المتعلّق مع الباء فجاز ذكره وجاز حذفه ، قلنا : قد قامت القرينة ذاتها الدّالّة على حذف المتعلّق مع الواو والتّاء واللام ومُنْ ، فلماذا اختلف الحكم وأصبح واجب الحذف ؟

والحقّ أنّ جميع حروف القسم تدلّ عليه ، ويرتبط ارتباطاً معنويًا بها وهذا هو التّعلّق عينه . والأصل أنّ فعل القسم قصُر عن الوصول إلى المقسم به فأُعين على ذلك بحرف الجرّ الباء لا غيرها ؛ ولهذا كان حذف المتعلّق واجبًا مع غير الباء ، وجائزًا معها إشعارًا بأصالتها في باب القسم وفرعيّة ما سواها . ولكون الباء أصلاً استبدّت وامتازت بهذا الحكم النّحويّ وهو جواز استعمالها مع فعل القسم ؛ لأنّ الفروع أبدًا تنحطّ عن درجات الأصول[306] . وقد عدّ ابن هشام من مواضع وجوب حذف المتعلق « القسم بغير الباء نحو ﴿ واللّيلِ إذا يغشى ﴾[307] ﴿ وتاللّهِ لأكيدنّ أصنامكم ﴾[308] وقولهم : « للّهِ لا يُؤخّر الأجل » ولو صرّح بالفعل في نحو ذلك لوجبت الباء »[309] . وعلّل أبو البركات الأنباريّ جواز حذف المتعلّق مع الباء بقوله : « لأنّ الباء هو الحرف الذي يقتضيه الفعل ، وإنّما كان الباء دون غيرها من

الحروف المعدّية لأنّ الباء معناها الإلصاق ، فكانت أولى من غيرها ليتّصل فعل القسم بالمقسم به مع تعديته »[310] .

ومعنى ذلك أنّه لا يصحّ تقدير المتعلّق للجارّ والمجرور سواء أكان واجب الحذف أم جائز الحذف إلا إذا كان هذا المتعلّق ممّا يتعدّى بالحرف الجارّ ، وفعلا القسم « أقسمُ وأحلفُ » اللّذان يصحّ حذفهما لا يتعدّيان إلا بالباء . ومادام التّقدير عند الحذف لهما ، وهما كونان خاصّان ، ولا يقتضيان في التّعدية غير الباء ، فإنّ حذفهما يكون جائزًا .

وهنا أمر غريب يحتاج إلى تأمّل ونظر وهو : أنّ الفعلين : « أقسمُ وأحلفُ » عندما يحذفان تبقى الباء ومجرورها دليلاً عليهما ، فهل يجوز حذف حرف الجرّ مع وجود أحدهما ونصب المجرور ؟ فالأمر مع غير هذين الفعلين على عكس ذلك ، فقد ورد حذف حرف الجرّ ونصب المجرور مع وجود الفعل ، يقول المتلمّس[311] :

آليتَ حبَّ العراقِ الدَّهْرَ أطعمُهُ ... والحبُّ يأكلُه في القَرية السُّوسُ[312]

يريد : على حبِّ العراق .

ولا يجوز حذف جملة المقسم به إلاّ إذا دلّ عليها دليل . وهناك أدلّة متفق عليها ، وأدلّة مختلف فيها . فأمّا الأدلّة المتفق عليها فتتمثل في[313] :

1) اللام والنون الدّاخلين على المقسم عليه نحو : ﴿ لأعذبنّه عذابًا شديدًا ﴾[314] .
2) اللام الدّاخلة على (قَدْ) الدّاخلة على المقسم عليه نحو : ﴿ ولقد صدقكم اللّه وعده ﴾[315] .
3) اللام الدّاخلة على (إنْ) الشّرطيّة نحو ﴿ لئن أُخرجوا لا يخرجون معهم ﴾[316] .

فهذه مواضع اتُفق على أنّها على نيّة قسم محذوف حيث لم تتقدّم جملةُ قسم . غير أنّ المحقّق الرّضيّ يرى أنّه لم يقم دليل على كون (لقدْ فعل) مقسمًا عليه خلافًا للكوفيّين[317] .

أمّا الأدلّة المختلف فيها فتتمثّل في[318] :

1) الجملة الاسميّة المصدّرة بـ (لام الابتداء) نحو : لَزيدٌ قائمٌ .

2) الجملة الاسميّة المصدّرة بـ (إنّ) نحو : إنّ زيدًا قائمٌ .

3) الجملة الاسميّة المصدّرة بـ (إنّ) والمؤكّد خبرها بـ (اللام) المزحلقة نحو : إنّ زيدًا لقائم .

فهذه مواضع اختُلف فيها كما يذهب ابن هشام : هل يجب كونها جوابًا لقسم أم لا ؟

والسّرّ في حذف جملة المقسم به في هذه المواضع : أنّها لمّا ربطت إحدى الجملتين بالأخرى – أعني جملة المقسم به وجملة المقسم عليه – حتّى صارتا جملة واحدة ، أوجب ذلك لها فضلاً وطولاً ، فخفّف بالحذف ، خصوصًا مع الدّلالة على ذلك[319] . فحذفها إنّما هو ضرب من الاختصار والاستخفاف والاكتفاء والاستغناء والتوسّع في الكلام لعلم السّامع بالمعنى المراد[320] . كما أنّ حذفها أوسع وأفشى وأعمّ وأوفى في ظاهرة الحذف من سائر المحذوفات لكثرة دوران القسم في اللّسان والاستعمال .

وفي غياب جملة المقسم به ليس هناك قسم ومقسم به مقصود يمكن النّصّ عليه ، إلا إذا دلّت قرينة حاليّة أو مقاليّة على تعيينه . وفي هذا الغياب اللّفظيّ يتوجّه الاهتمام والاعتناء إلى المقسم عليه ، والدّلالة على أنّ القصد من ذكره إثباته لقسمه المحذوف .

(ب) حذف الجارّ من المقسم به :

وينقسم هذا النّوع من الحذف إلى قسمين :

أ – حذف بعوض .

ب – حذف بغير عوض .

أوّلاً – حذف الجارّ بغير عوض :

تحذف العرب حرف القسم كثيراً لأحد أمرين :

أحدهما : ضرورة الشّعر .

والآخر : لضرب من التّخفيف لكثرة استعماله[321] .

والسّؤال الذي يُطرح : هل يعمل حرف القسم محذوفًا بغير عوض ؟

ذهب الكوفيّون إلى أنّه يجوز الخفض في القسم بإضمار حرف الخفض من غير عوض . أمّا البصريّون فقد ذهبوا إلى أنّه لا يجوز أن يعمل حرف القسم مضمرًا إلا بعوض[322] .

يقول سيبويه : « واعلم أنّك إذا حذفت من المحلوف به حرف الجرّ نصبته ، كما تنصب (حقًا) إذا قلت : « إنّك ذاهب حقًا » . فالمحلوف به مؤكَّد به الحديثُ كما تؤكّده بـ (الحقّ) ، ويُجَرُّ بحروف الإضافة كما يُجَرُّ (حقٌّ) إذا قلت : « إنّك ذاهب بحقّ » وذلك قولك : اللّهَ لأفعلنّ » . وقال ذو الرّمّة[323] :

ألا رُبَّ مَنْ قلبي له اللّهَ ناصحٌ ومَنْ قلبُهُ لي في الظِّباءِ السَّوانحِ[324]

وقال الآخر :

إذا ما الخبزُ تأدمُهُ بلحمٍ فذاكَ أمانةَ اللّهِ الثّريدُ[325]

فأمّا (تاللّه) فلا تحذف منه التّاء إذا أردتَ معنى التّعجّب . و (للّه) مثلُها إذا تعجّبتَ ليس إلا . ومن العرب من يقول : « اللّهِ لأفعلنّ » وذلك أنّه أراد حرف الجرّ ، وإيّاه نوى ، فجاز حيث كثُر في كلامهم ، وحذفوه تخفيفاً وهم ينوونه ، كما حذف (رُبَّ) في قوله :

وجَدّاءَ ما يُرْجَى بها ذو قرابةٍ لعطفٍ وما يَخْشى السُّماةَ ربيبُها

إنّما يريدون : رُبَّ جدّاءَ ، وحذفوا الواو كما حذفوا اللامين من قولهم : « لاهِ

أبوك » حذفوا لام الإضافة واللام الأخرى ، ليخفّفوا الحرف على اللّسان ، وذلك ينوون »[326] .

وأشار إلى ذلك المبرّد قائلاً : « واعلم أنّك إذا حذفت حروف الإضافة من المقسم به نصبته : لأنّ الفعل يصل فيعمل ، فتقول : « اللّهَ لأفعلنّ » ؛ لأنّك أردت : أحلفُ اللّهَ لأفعلنّ . وكذلك كلّ خافض في موضع نصب إذا حذفته وصل الفعل فعمل فيما بعده ، كما قال اللّه عزّ وجلّ : ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلاً ﴾[327] أي : من قومه »[328] .

ويضيف ابن عصفور معلّلاً حذف حرف القسم ، ومبيّناً الإعراب المترتّب على هذا الحذف في المقسم به قائلاً : فإنْ لم تعوّض لم يجز الخفض إلا في اسم اللّه تعالى ، فإنّهم استجازوا ذلك فيه لكثرة استعماله في القسم فتقول : « اللّهِ لأقومنّ » حكى ذلك الأخفش إلا أنّه لا يُقاس عليه ، لأنّ إضمار الخافض وإبقاء عمله لا يجوز إلا حيث سمع . فإن لم يعوّض جاز في الاسم وجهان :

أحدهما : الرّفع على الابتداء .

والآخر : النّصب على إضمار فعل .

والاختيار النّصب على إضمار فعل ، لأنّ القسم إذْ ذاك يكون جملة فعليّة كما كان قبل الحذف ، فتقول : « يمينُ اللّهِ لأخرجنّ » . فمن الرّفع قوله :

إذا ما الخبز تأدمه بلحم ... فذاك أمانةُ اللّهِ الثّريدُ

برفع أمانة ، الأصل فيه : وأمانة اللّه ، فلمّا حُذف رفع ، ومن النّصب قوله :

فقلتُ : يمينَ اللّهِ أبرحُ قاعدًا

فإنّه روي برفع يمين ونصبه ، فرفعه على تقدير : قسمي يمينُ اللّهِ ، ونصبه على تقدير : ألزمُ نفسي يمينَ اللّهِ . إلاّ أسماءَ شذّت فيها العرب فالتزموا فيها الرّفع أو النّصب ، والذي التُزم فيها الرّفع : « ايمنُ اللّهِ » و « لعمرُكَ » . والذي التُزم فيه النّصب « أجِدَّكَ » وإنّما التُزم في هذه الأسماء وجه واحد لأنّها لا تتصرّف في القسم لكونها لا يظهر معها حرف القسم[329] .

ثانياً – حذف الجارّ بعوض :

إنّ للقسم تعويضات من أدواته تحلّ محلّها ، فيكون فيها ما يكون في أدوات القسم من الخفض ، وهي :

(أ) ها التّنبيه .

(ب) وهمزة الاستفهام .

(جـ) وقطع همزة الوصل .

ولا يجوز أنْ يظهر معها حرف القسم ؛ لأنّه لا يجوز أنْ يجمع بين العوض والمعوّض[330] . ودليل كون هذه الثّلاثة أبدالاً أمران :

أحدهما : معاقبتها لحرف القسم ، أي أنّها لا تجامع حرف القسم .

والآخر : لزوم الجرّ معها دون النّصب ، مع أنّ النّصب بلا عوض أكثر[331] .

يقول سيبويه في (هذا باب ما يكون ما قبل المحلوف به عوضاً من اللّفظ بالواو) : « وذلك قولك : « إي ها اللّهِ ذا » تثبت ألف (ها) لأنّ الذي بعدها مدغَم . ومن العرب من يقول : « إي هللّه ذا » فيَحذف الألف التي بعد الهاء . ولا يكون في المقسم ههنا إلا الجرّ ؛ لأنّ قولهم : (ها) صار عوضاً من اللّفظ بالواو ، فحذفت تخفيفًا على اللّسان . ألا ترى أنّ الواو لا تظهر ههنا كما تظهر في قولك : « واللّهِ » فتركهم الواو ههنا البتّة يدلّك على أنّها ذهبت من هنا تخفيفًا على اللّسان ، وعوّضت منها (ها) . ولو كانت تذهب من هنا كما كانت تذهب من قولهم : « اللّهِ لأفعلنّ » إذنْ لأدخلتَ الواو .

وأمّا قولهم : (ذا) فزعم الخليل أنّه المحلوف عليه ، كأنّه قال : إى واللّه للأمر هذا ، فحُذِف الأمرُ لكثرة استعمالهم هذا في كلامهم ، وقدّم (ها) كما قدّم قوم (ها) في قولهم : « هَا هو ذَا » و « هَا أنا ذَا » وهذا قول الخليل ، وقال زهير :

تَعَلَّمَنْ هَا لعمرُ اللّه ذَا قسمًا فاقصِدْ بذَرْعكَ وانظرْ اينَ تنسلِكُ

ومثل ذلك قولهم : « آللّهِ لأفعلنّ » صار (الألف) ههنا بمنزلة (ها) ثَمَّ . ألا ترى

أنّك لا تقول : أوَ اللّهِ ، كما لا تقول : هَا واللّهِ ، فصارت (الألف) ههنا و (ها) يعاقبان الواو ، ولا يثبتان جميعًا .

وقد تُعاقِب ألفُ اللام حرف القسم كما عاقبته ألف الاستفهام وها ، فتظهر في ذلك الموضع الذي يَسقط في جميع ما هو مثله للمعاقَبة ، وذلك قولك : « أفاللّهِ لتفعلنّ » . ألا ترى أنّك إنْ قلت : أفَوَاللّهِ ، لم تَثبت »[332] .

وإذا دخلت (ها) التّنبيه على (اللّه) تنوّعت بين أربع حالات[333] :

الأولى : أكثرها ، بإثبات ألف (ها) وحذف همزة الوصل من (اللّه) ، فيقال : « ها للّه » .

والثّانية : وهي المتوسّطة في القلّة والكثرة ، « ها اللّه ذا » بحذف ألف (ها) للسّاكنين .

والثّالثة : وهي دون الثّانية في الكثرة ، إثبات ألف (ها) وقطع همزة (اللّه) مع كونها في الدّرج ، تنبيهًا على أنّ حقّ (ها) أنْ يكون مع (ذا) بعد (اللّه) فكأنّ الهمزة لم تقع في الدّرج .

والرّابعة : وهي أقلّ الجميع ، « هَاللّه » بحذف همزة الوصل ، وفتح ألف (ها) للسّاكنين بعد قلبها همزة .

وقد تعدّدت آراء النّحاة في (ذا) من قول العرب : « إي ها اللّهِ ذا » من حيث الموقع الإعرابيّ وهي :

أوّلاً : يقول الخليل : (ذا) من جملة جواب القسم ، وهو خبر مبتدأ محذوف ، أي : الأمر ذا ، أو فاعل ، أي : « ليكوننّ ذا » أو « لا يكون ذا » والجواب الذي يأتي بعده نفيًا أو إثباتًا نحو : « ها اللّهِ ذا لأفعلنّ » أو « لا أفعل » بدل من الأوّل ، ولا يقاس عليه ، فلا يقال : ها اللّه أخوك ، أي : لأنا أخوك ونحوه[334] .

ثانيًا : يقول الأخفش : (ذا) من تمام القسم ، إمّا صفة (للّه) أي : اللّه الحاضرِ النّاظرِ ، أو مبتدأ محذوف الخبر ، أي : ذا قسمي ، فبعد هذا إمّا أن يجيء الجواب ، أو يحذف مع القرينة[335] .

ثالثًا : يقول المبرّد : (ذا) هو الشّيء الذي تُقسم به ، فالتّقدير : « لا واللّهِ هذا ما أقسم به » فحذفت الخبر لعلم السّامع به[336] . ويبدو من قول المبرّد أنّه أميَلُ إلى رأي الأخفش .

وأمّا همزة الاستفهام فإمّا أن تكون :

للإنكار : كقول الحجّاج في الحسن البصريّ رحمه اللّه : « آللّهِ لَيقومَنَّ عبد من العبيد فيقولنَّ كذا وكذا » أو للاستفهام : كقول الرّسول ﷺ لعبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه لمّا قال : هذا رأس أبي جهل : « آللّهِ الذي لا إله غيره » .

فإذا دخلت همزة الاستفهام على (اللّه) فإمّا أن تُبدل الثّانية ألفًا صريحة ، وهو الأكثر ، أو تسهّل كما هو القياس في : « آلرّجل » ونحوه. ولا تحذف للّبس ، ولا تبقى للاستثقال[337] .

فأمّا قطع همزة (اللّه) فهو في مكان مخصوص ، وذلك إذا كان قبله (فاء) قبلها همزة الاستفهام ، تقول لشخص : هل بعتَ داركَ ؟ فيقول : نعمْ ، فتقول : « أفآللّهِ لقدْ كان كذا » و يجوز دخول (الفاء) من غير استفهام نحو : « فآللّهِ لقدْ كان كذا » . وهمزة الاستفهام ليست عوضًا من حروف القسم ههنا ، للفصل بينها وبين (اللّه) بـ (فاء) العطف . وعند الأخفش : الفاء في : « أفَآللّهِ » زائدة[338] .

(جـ) حذف المقسم به :

وأكثر ما يكون المقسم به محذوفًا إذا كان المقسم عليه مصدّرًا باللام الدّاخلة على (إنْ) الشّرطيّة ، ومسبوقًا بـ (لقدْ) ، ومؤكّدًا بالنّون حيث لم تتقدّم جملة قسم . وإنّما حذف لضرب من التّخفيف والتّصرّف . يقول ابن يعيش : « وربّما حذفوا المقسم به واجتزؤا بدلالة الفعل عليه . يقولون : « أقسمُ لأفعلنَّ » و « أشهد لأفعلنَّ » والمعنى : أقسمُ باللّه ، أو بالذي شاء في « أقسم به » وإنّما حذفت لكثرة الاستعمال وعلم المخاطب بالمراد .

قال الشّاعر :

فـــأقـــسمُ أنْ لو التـــقـــينا وأنتُمُ لكانَ لكم يومٌ من الشَّـــرِّ مظلمُ

وقال الآخر :

فـــأقـــسمُ لو شيءٌ أتانا رســـولُه سِواكَ ولكنْ لم نجدْ لك مـدفعًـا »[339]

وأكثر مـا يُحذف المقسم بـه حين يراد توكيد مـضمـون جملة المقسم عليه . فـفي غيـاب المقسم به تتوجّه العنـاية والاهتمام إلى تحقـيق المقسم عليه وتثبيته . وغـالبًا مـا يدلّ العقل على حـذفه والعادة على تعيينه . وأمّـا إذا كان هنـاك تلاؤم وتناسب بين المقسم به والمقـسم عليه فإنّ المقسم به يكون مـثبتًا لزامًا ، فـتصبح المناسبـة بينهمـا مسـوّغًا لبقـائه . وإذا مـا انقطع الرّبـاط ، وانعـدم الوفـاق بينهمـا ، فَقَدَ المقسم به هذه الخصوصيّة فيجوز حـذفه . وبعبارة أخرى نقـول : إنّ اختيار المقسم به تُراعى فيه الصّفـة التي تناسب الموقف والمقام ، فـإذا فَقَدَ المقـسم به هذه الصّفة وتمّ المقـصود من القـسم سـاغ وجاز حـذفـه ، خـصوصًـا أنّه لا فـرق بين حـذفه وإثباته في انـعقـاد القسم[340] .

(د) حذف النّافي من المقسم عليه :

يقـول ابن يعيش : وأمّـا حذف (لا) في جـواب القسم فنحـو قـولك : « واللّه يقـوم زيد » والمراد : لا يقوم ؛ لأنّـه تخفيف لا يوقع لبسًا إذْ لو كـان إيجابًا لكان بحـروفه اللازمـة له من (اللام ، ونـون التّوكيـد) ، وفي التّنزيل : ﴿ قـالوا تا للّه تفتؤ تذكر يوسف ﴾[341] . أي لا تفتؤ تذكر .

ولا يجـوز حـذف شيء من هذه الحـروف إلا (لا) وحـدهـا ، وإنّمـا لم يجـز حـذف غيرها لأنّ (إنّ) عاملة ولا يجـوز أن تعمل مضمرة لضعفهـا . ولم يجز حذف (مـا) لأنّهـا أيضًـا تكون عـاملة في مـذهب أهل الحجـاز . ولم يجـز حـذف (اللام) لأنّ ذلك يوجب حذف النّون معها لأنّ النّون دخلت مع اللام ، فلم يبق إلا (لا)[342] .

ويقـول المحـقّـق الرّضـيّ : ويجـوز حـذف النّـافي من المضـارع الذي هو جـواب

القسم ، ولا يجوز من الماضي والاسميّة ، سواء كان المضارع (لا يزال) وأخواته أو غيرها ، قال :

فقلت يمينُ اللّهِ أبرحُ قاعدًا ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

وقال :

تاللّهِ يبقى على الأيام ذو حِيَدٍ بمشمخرٍّ به الظيّانُ والآسُ

وإنّما لم يُحذف من الاسميّة ؛ لأنّها أقلّ استعمالاً في جواب القسم من الفعليّة ، والحذف لأجل التّخفيف . وحُذف من المضارع دون الماضي لكونه في القسم أكثر استعمالاً منه ، مع أنّ لفظ المضارع أثقل ، ومن ثمّ جاز حذف حرف النّفي في غير القسم من (لا يزال) وأخواته ، قال :

تنفكُ تسمع ما حييتَ بهالكٍ حتّى تكونه

وإنّما جاز فيها خاصّة للزوم النّفي إيّاها فلا يلتبس بالإيجاب . وإنّما جاز حذف علامة النّفي في المضارع دون علامة الإثبات ؛ لأنها تكون في الأغلب علامتي (اللام والنّون) ، فحذف إحداهما يستلزم حذف الأخرى ، فيكثر الحذف . وإنّما حُكم بأنّ المحذوفة من المضارع (لا) دون (ما) لأنّها أكثر استعمالاً في نفي المضارع من (ما)[343] .

يقول ابن هشام : حذف (لا) النّافية وغيرها يطّرد ذلك في جواب القسم إذا كان المنفيّ مضارعًا ، ويقلّ مع الماضي كقوله :

فإنْ شئتِ آليتُ بين المقا مِ والرُّكنِ والحجرِ الأسودِ

نسيتُكِ مادامَ عقلي معي أمُدُّ به أمَدَ السَّرمدِ

ويسهّله تقدّم (لا) على القسم كقوله :

فلا واللّهِ نادَى الحيُّ قومي طَوَالَ الدَّهْرِ مَا دُعِيَ الهَدِيلُ

أمّا حذف (ما) النّافية فذكر ابن معطي ذلك في جواب القسم فقال في ألفيّته :

وإنْ أتى الجوابُ منفيًا بلا أوْ مَا كقولي : والسَّمَا ما فعلا

فإنّه يجوزُ حذفُ الحرفِ إنْ أمِنَ الإلباسُ حالَ الحذفِ

قال ابن الخباز : وما رأيت في كتب النّحو إلا حذف (لا) . وقال لي شَيخنا : لا يجوز حذف (ما) ؛ لأنّ التّصرّف في (لا) أكثر من التّصرّف في (ما) . وأنشد ابن مالك :

فواللّهِ ما نِلْتُمْ وما نِيْلَ منكم بِمُعْتَدِلٍ وَفْقٍ ولا مُتَقَارِبِ

وقال : أصله (ماما نلتم) ثمّ في بعض كتبه قدّر المحذوف بـ (ما) النّافية ، وفي بعضها قدّره (ما) الموصولة[344] .

إذنْ لا يجوز حذف شيء من الحروف المتلقية للقسم (إنّ ، اللام ، إنْ ، لا ، ما) إلا (لا) وحدها . وإنّما جاز حذفها من المضارع المنفيّ ؛ لأنّه لا يُشكل بالإيجاب ، لأنّ الإيجاب يحتاج إلى (لام ، ونون) ولا يجوز إسقاط واحد منهما ، فإذا أسقطوا (لا) من الجحد عُلم أنّه جحد لسقوط (اللام ، والنّون) منه . وما ورد من حذف هذه الحروف يخرّج على القلّة والشّذوذ . هذا وقد يحسُن الحذف لـ (اللام ، أو قدْ) ، أو هما معًا لطول الكلام[345] . فمن الأوّل قوله تعالى : ﴿ والشّمسِ وضحاها ﴾[346] إلى قوله : ﴿ قدْ أفلح من زكّاها ﴾[347] ، ومن الثّاني قوله تعالى : ﴿ والسّماءِ ذات البروج ﴾[348] إلى قوله : ﴿ قُتل أصحاب الأخدود ﴾[349] . فالمحذوف إذا دلّت الدّلالة عليه كان في حكم الملفوظ به ، سواء كانت الدلالة حاليّة أو مقاليّة .

(هـ) حذف جملة المقسم عليه :

يُحذف المقسم عليه قياسًا على حذف الجزاء ؛ لكون جملتي القسم والمقسم عليه تجريان مجرى الجملة الواحدة كجملتي الشّرط والجزاء . وحذفه إنّما هو ضرب من الاستخفاف والاستغناء والاكتفاء بدليل حاليّ أو مقاليّ . وجاء حذفه وجوبًا في موضعين :

أحدهما : إذا توسّط القسمُ بين شيئين متلازمين كالمبتدأ والخبر ، والفعل والفاعل .

والآخر : إذا تقدّم القسمَ ما يدلّ عليه من جملة فعليّة أو اسميّة .

أمّا حذفه جوازًا فيكون إذا وُجدتْ قرينة حاليّة دالّة عليه .

يقول ابن يعيش : إنّ جملة القسم وجملة المقسم عليه تجريان مجرى الجملة الواحدة على ماذكرناه في الشّرط والجزاء ، فكما جاز حذف الجزاء لدلالة حال عليه نحو : « أنتِ طالق إنْ دخلتِ الدّارَ » فجواب هذا الشّرط محذوف والتّقدير : « إنْ دخلتِ الدّارَ طلّقتُ » ولا يكون ما تقدّم الجواب ؛ لأنّ الجزاء لا يتقدّم الشّرط ، ولو كان جوابًا للزمته الفاء . وكذلك القسم قد يحذف منه الجملة الثّانية للدّلالة عليها نحو قولك لمنْ ألقى نفسَهُ في ضرر : « هلكتَ واللّهِ » تريد « واللّهِ لقد هلكت »[350] .

ويضيف ابن عصفور محدّدًا موطنين لحذف المقسم عليه بقوله : ولا يجوز حذف جواب القسم إلا إذا توسّط بين شيئين متلازمين أو جاء عقيب كلام يدلّ على الجواب نحو : « زيد قائم واللّهِ » فحذف جواب « واللّهِ » لدلالة « زيد قائم » عليه . ولذلك جعل سيبويه (ذا) من قول العرب : « لاها اللّهِ ذا » خبر ابتداء مضمر ، كأنّه قال : « لاها اللّهِ الحقُّ ذا » والجملة هي : « الحقُّ ذا » جواب القسم . ولم يجعل (ذا) صلة للّه تعالى كما ذهب إليه الأخفش ، كأنّه قال : « لاها اللّهِ الحاضرِ » فإنّ ذلك يؤدّي إلى حذف جواب القسم غير متوسّط ، ولا عقب كلام يدلّ على الجواب[351] .

ويؤكّد الرّضي ما سبق بمقالته مضيفًا إلى أنّ الكلام الذي توسّطه القسم ، أو تأخّر عنه هو كالعوض من ذلك الجواب : « قوله : « ويحذف جوابه إذا اعترض ، أو تقدّم ما يدلّ عليه » أي إذا اعترض القسم ، أي توسّط الكلام نحو : « زيد واللّهِ قائم » و « قام واللّهِ زيد » وفي نهج البلاغة : « قدْ واللّهِ لَقُوا اللّهَ » . قوله : « أو تقدّمه ما يدلّ عليه » نحو « زيد قائم واللّهِ » و « قام زيد واللّهِ » . وهذا الكلام الذي توسّطه القسم ، أو تأخّر عنه هو من حيث المعنى جواب القسم ، وهو كالعوض من ذلك الجواب مثل جواب الشّرط في : « أكرمُك إنْ تأتني » كما مرّ في بابه . وقد يجيء بعد الجملة الاسميّة قرينة دالّة على الجواب فيحذف ، وليست من حيث المعنى بجواب كالمذكورَين ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ والفجر وليالٍ عشْرٍ ﴾[352] أي : « لَيُؤخذُنَّ ، ولَيُعاقبُنَّ » لدلالة قوله : ﴿ ألمْ تر كيف فعل ربُّك بعاد ﴾[353] عليه »[354] .

ثانيًا – الاعتراض :

الجملة المعترضة هي الجملة الواقعة بين شيئين متلازمين يطلب أحدهما الآخر لإفادة الكلام توكيدًا وتسديدًا وتشديدًا وتبيينًا وتحسينًا . وقد عرّفها بعضهم : بأنّها جملة صغرى تتخلّل جملة كبرى على جهة التّأكيد[355] .

يقول ابن جنّي : « اعلم أنّ هذا القبيل من هذا العلم كثير ، قد جاء في القرآن ، وفصيح الشّعر ، ومنثور الكلام . وهو جارٍ عند العرب مجرى التّأكيد ، فلذلك لا يَشْنُع عليهم ، ولا يُستنكر عندهم ، أنْ يُعتَرض به بين الفعل وفاعله ، والمبتدأ وخبره ، وغير ذلك ممّا لا يجوز الفصل فيه بغيره ، إلا شاذّاً أو متأوّلاً »[356] .

ويقول أيضًا : « والاعتراض في شعر العرب ومنثورها كثير وحسن ، ودالّ على فصاحة المتكلّم ، وقوّة نفْسه ، وامتداد نفَسه »[357] .

أمّا شروط الجملة المعترضة فقد قرّرها النّحاة في أربعة شروط[358] :

الأوّل : أن تكون مناسبة للمقصود بحيث تكون كالتّوكيد له ، أو التّنبيه على حال من أحواله .

الثّاني : ألا تكون معمولةً لشيء من الكلام المعتَرض به بين بعضه وبعضه الآخر .

الثّالث : ألا يكون الفصل بها إلا بين الأجزاء المنفصل بعضها من بعض ، المقتضي كلّ للآخر .

الرّابع : ألا يكون لها موضع من الإعراب ، وذلك بالإجماع ، فلا يقوم مفرد مقامها .

والجملة المعترضة تارة تكون مؤكِّدة ، وتارة تكون مشدِّدة :

فإذا دلّتْ على ما دلّ عليه الكلام فقط فهي مؤكِّدة . أمّا إذا دلّتْ عليه وعلى معنى زائد فهي مشدِّدة[359] .

ويمكن النّظر إلى هذاالتغيّر الطّارىء على ضربين :

أ – اعتراض بين عناصر الجملة القسميّة ذاتها .

ب – اعتراض بالقسم بين شيئين متلازمين يقتضي كلّ منهما الآخر .

أوّلاً – الاعتراض بين عناصر الجملة القسميّة ذاتها :

ويتجلّى ذلك الضّرب في الفصل بين جملتي المقسم به والمقسم عليه لكونهما قوام الجملة القسميّة :

(أ) قال تعالى : ﴿ قَالَ فالحقُّ – وَالحقَّ أقولُ لأَمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ ومِمَّنْ تبعكَ منهمْ أجمعين ﴾ [360] .

يقول الزّمخشريّ : قُرِئ : (فالحقَّ والحقَّ) منصوبين على أنّ الأوّل مقسم به ، وجوابه (لأملأنّ) . (والحقَّ أقول) اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه ، ومعناه : ولا أقول إلا الحقَّ . ومرفوعين على أنّ الأوّل مبتدأ محذوف الخبر ، كقوله : (لعمرك) أي : فالحقُّ قسمي لأملأنَّ . (والحقُّ أقول) أي : أقوله كقوله : كلّه لم أصنع . ومجرورين على أنّ الأوّل مقسم به قد أضمر حرف قسمه ، كقولك : « اللّهِ لأفعلنَّ » . (والحقِّ أقول) أي : ولا أقول إلا الحقَّ على حكاية لفظ المقسم به . ومعناه : التّوكيد والتّشديد . وهذا الوجه جائز في المنصوب والمرفوع أيضًا . وهو وجه دقيق حسن [361] .

ويقول أبو حيّان : « وقرأ الجمهور (فالحقَّ والحقَّ) بنصبهما . أمّاالأوّل فمقسم به حذف منه الحرف كقوله : « أمانةَ اللّه لأقومنَّ » والمقسم عليه (لأملأنَّ) . (والحقَّ أقول) اعتراض بين القسم وجوابه . قال الزّمخشريّ : « ومعناه : ولا أقول إلاّ الحقَّ ؛ لأنّ عنده تقدّم المفعول يفيد الحصر » [362] .

ويقول ابن هشام : « الأصل : « أقسم بالحقِّ لأملأنَّ وأقولُ الحقَّ » فانتصب (الحقَّ) الأوّل – بعد إسقاط الخافض – بـ (أقسم) محذوفًا ، و (الحقَّ) الثّاني بـ (أقول) . واعتُرض بجملة « أقول الحقَّ » وقُدّم معمولها للاختصاص . وقُرِئ برفعهما بتقدير : فالحقُّ قسمي والحقُّ أقوله ، وبجرّهما على تقدير (واو) القسم في الأوّل والثّاني توكيدًا كقولك : (واللّهِ واللّهِ لأفعلنَّ) [363] .

إذنْ إنّ تغيّرًا قد طرأ على الجملة القسميّة الكبرى بين جملة المقسم به وجملة المقسم عليه ، وهو الاعتراض بقوله : (والحقَّ أقول) .

(ب) قال تعالى : ﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِمواقِعِ النُّجوم – وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعلمونَ عَظيمٌ – إِنَّهُ لقرآنٌ كريمٌ ﴾ [364] .

يقول الزّمخشريّ : « وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعلمونَ عَظيمٌ ﴾ اعتراض في اعتراض ؛ لأنّه اعترض به بين المقسم به والمقسم عليه ، وهو قوله : ﴿ إِنَّهُ لقرآنٌ كريمٌ ﴾ واعترض بـ ﴿ لَوْ تَعلمونَ ﴾ بين الموصوف وصفته » [365] .

ويقول ابن الأنباري : « هذا فيه تقديم وتأخير من وجهين :

أحدهما : أنّه فصل بين القسم والمقسم عليه بقوله : ﴿ لَوْ تَعلمونَ عَظيمٌ ﴾ فقدّمه على المقسم عليه ، وتقديره : (أقسم بمواقع النّجوم إنّه لقرآن كريم) إلى قوله : ﴿ تنزيل من ربّ العالمين ﴾ .

الثّاني : أنّه فصل بين الصّفة والموصوف بقوله : (لو تعلمون) وتقديره : (وإنّه لقسم عظيم لو تعلمون فقدّمه على الصّفة » [366] .

ويقول ابن هشام : إنّ فيها اعتراضين : اعتراضًا بين الموصوف وهو (قسم) وصفته وهو (عظيم) بجملة (لو تعلمون) . واعتراضًا بين (أقسمُ بمواقع النّجوم) وجوابه وهو (إنّه لقرآن كريم) بالكلام الذي بينهما . وأمّا قول ابن عطية : ليس فيها إلا اعتراض واحد وهو (لو تعلمون) لأنّ (وإنّه لقسم عظيم) توكيد لا اعتراض فمردود ؛ لأنّ التّوكيد والاعتراض لا يتنافيان [367] .

وهكذا نرى أنّ تغيّرًا قد طرأ على الجملة القسميّة الكبرى بين جملتي المقسم به والمقسم عليه وهو الاعتراض بقوله : ﴿ وإنّه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ .

(جـ) قال النّابغة الذّبيانيّ :

لَعَمْرِي – وَمَا عُمْرِي عَلَيَّ بِهَيِّنٍ – لَقَدْ نَطَقَتْ بُطْلاً عَلَيَّ الأَقَارِعُ [368]

فقد اعتُرض بين جملة المقسم به وهي (لعمري) وجملة المقسم عليه وهي (لقد نطقتْ) بقوله : (وما عمري عليّ بهيّن) . وهذا الاعتراض تغيّر طارىء على الجملة القسميّة .

ثانيًا – الاعتراض بالقسم بين شيئين متلازمين يقتضى كلّ منهما الآخر :

إنّ استجازة النّحويّين الفصل بالقسم لأنّه جارّ ومجرور ، والظّرف وحرف الجرّ قد اتُّسع في الفصل بهما مالا يُتّسع بغيرهما [369] . يقول الرّضيّ : « وهذا الكلام الذي توسّطه القسم ، أو تأخّر عنه ، هو من حيث المعنى جواب القسم ، وهو كالعوض من ذلك الجواب » [370] ، و « لم يجر ذلك عندهم مجرى الفصل بين المتّصلين بما هو أجنبيّ ؛ لأنّ فيه تسديدًا وتبيينًا ، فأشبه من أجل ذلك الصّفة والتّأكيد » [371] .

وقد وقعت الجملة المعترضة بالقسم في مواضع :

الأوّل – بين الفعل ومرفوعه :

جاء في نهج البلاغة : « لبئسَ – لعمرُ اللّهِ – سَعْرُ نارِ الحربِ أنتم ، تُكَادُونَ ولا تَكِيدُون » [372] . يقول الفارسيّ : « وإذا جاز ذلك في الفعل والفاعل ، كان في المبتدأ والخبر أجوز ، ألا ترى أنّ اتّصال الفعل بالفاعل أشدّ من اتّصال المبتدأ والخبر ، فمن ثمّ لم يُحذف الفاعل في الموضع الذي يُحذف فيه المبتدأ ، ولكنّه يُضمر » [373] .

الثّاني – بين المبتدأ وخبره :

جاء في نهج البلاغة : « قومٌ – واللّهِ – مَيَامينُ الرَّأي ، مَراجيحُ الحِلْم ، مقاويلُ بالحقّ ، متاريكُ للبغي » [374] . وجاء في موضع آخر من النّهج : « أولئِكَ – واللّهِ – الأقَلُّونَ عَدَدًا ، والأعظمونَ عِنْدَ اللّهِ قدرًا يَحفظُ اللهُ بهم حُجَجَهُ وبيّناتِهِ حَتّى يُودعوها نُظرَاءَهُمْ » [375] .

الثّالث – بين ما أصلُهُ المبتدأ والخبر :

قال كثيّر :

وإنّي وتَهْيَامِي بعزّةَ – بعدما ... تَخلّيتُ مِمّا بيننا وتَخَلَّتِ

لَكَالمُرْتَجِي ظِلَّ الغَمَامَةِ كُلَّمَا ... تبوّأ منها للمَقيلِ اضْمَحَلّتِ [376]

« قال أبو علي : (تهيامي بعزّة) جملة معترضة بين اسم (إنّ) وخبرها . وقال أبو الفتح : يجوز أن تكون الواو للقسم كقولك : (إنّي – وحُبِّكِ – لضنينٌ بِكِ) فتكون الباء متعلّقة بالتَّهْيَام لا بخبر محذوف »[377] .

وقال رؤبة[378] :

إنّي – وأسْطارٍ سُطِرْنَ سَطْرًا – لَقَائِلٌ يا نَصْرُ نَصْرٌ نَصْرَا[379]

الرّابع – بين الموصوف وصفته :

جاء في نهج البلاغة : « لوددت أنّي لم أركُمْ ، ولم أعرفْكُمْ معرفةً – واللّهِ – جَرَّتْ نَدَمًا ، وأعقبتْ سَدَمًا »[380] . وجاء في موضع آخر من النّهج : « فيا عَجَبًا ! عَجَبًا – واللّه – يُميتُ القلبَ ، ويجلبُ الهمَّ ؛ من اجتماعِ هؤلاءِ القومِ عَلَى باطِلِهِمْ ، وتفرّقكم عَنْ حقّكم »[381] .

الخامس – بين الموصول وصلته :

قال الشّاعر :

ذَاكَ الذي – وَأَبِيْكَ – يَعْرِفُ مَالِكًا والحَقُّ يَدْمَغُ تُرَّهَاتِ البَاطِلِ[382]

يقول الفارسيّ : إذا جاز الفصل بين الصّلة والموصول ، فأنْ يجوز الفصل بين اسم (إنّ) وخبرها بالاعتراض أحرى ؛ لأنّ اتّصال الصّلة بالموصول أشدّ من اتّصال المبتدأ بالخبر ، ألا ترى أنّهما يجريان مجرى الاسم الواحد ، وأنّ المبتدأ قد يُحذف خبره ولا يُستعمل إثباته[383] .

السّادس – بين المتضايفين :

يقول ابن هشام : « كقولهم : هذا غُلامُ – واللّه – زيدٍ »[384] . وقد أجمع البصريّون والكوفيّون على أنّه لم يجيء الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير اليمين في اختيار الكلام[385] .

السّابع – بين الجارّ والمجرور :

يقول ابن هشام : نحو : اشتريتُهُ باللّهِ – دِرْهَمٍ [386] .

فقد فصل بين الجارّ والمجرور بالجارّ والمجرور وهو القسم (واللّه) .

الثّامن – بين (قدْ) والفعل :

يقول الرّضيّ : ولا تفصل (قدْ) من الفعل إلا بالقسم [387] ، كما أنّه من رديء الاعتراض الفصل بين (قدْ) والفعل ، فذلك قبيح لقوّة اتّصال (قدْ) بما تدخل عليه من الأفعال ، إلا إنْ فُصل بين (قدْ) والفعل بالقسم ، فإنّ ذلك لا بأس به [388] . فقد جاء في نهج البلاغة : « قَدْ – واللّهِ – لَقُوا اللّهَ ، فَوَفَّاهُمْ أُجُورَهُمْ ، وَأَحَلَّهُمْ دَارَ الأَمْنِ بَعْدَ خَوفِهِمْ » [389] . وجاء في موضع آخر من النّهج : « فَقَدْ – لَعَمْرِي – يَهْلِكُ فِي لَهَبِهَا المُؤْمِنُ ، ويَسْلَمُ فيها غَيْرُ المسلمِ » [390] .

يقول ابن هشام : « وأمّا الحرفيّة فمختصّة بالفعل المتصرّف الخبريّ المثبت المجرّد من جازم وناصب وحرف تنفيس ، وهي معه كالجزء ، فلا تفصل منه بشيء ، اللهم إلا بالقسم كقوله :

أَخَالِدُ قَدْ – واللّهِ – أَوْطَأْتَ عَشْوَةً وَمَا قَائِلُ المعروفِ فِينَا يُعَنَّفُ

وقول آخر :

فَقَدْ – واللّهِ – بَيَّنَ لي عَنَائِي بِوَشْكِ فِرَاقِهِمْ صُرَدٌ يَصِيْحُ

ويُسمع « قد – لعمري – بِتُّ ساهراً » و « قدْ – واللّهِ – أحسنت » [391] .

التّاسع – بين حرف النّفي ومنفيّه :

يقول الرّضيّ : « وأمّا قوله :

فَلا – وأَبِي دَهْمَاءَ – زَالَتْ عَزِيْزَةً عَلَى قَوْمِهَا مَادَامَ لِلزَّنْدِ قَادِحُ

فلم يُحذف النّافي بل فُصِل بينه وبين الفعل » [392] .

العاشر – بين (إذنْ) ومنصوبها :

قال الشّاعر :

إِذَنْ – واللّهِ – نَرْمِيَهم بِحَرْبٍ تُشِيْبُ الطِّفْلَ مِنَ قَبْلِ المَشِيْبِ (393)

يقول ابن هشام : « في عملها ، وهو نصبُ المضارع ، بشرط تصديرها ، واستقباله ، واتّصالهما أو انفصالهما بالقسم أو بلا النّافية » (394) .

الحادي عشر – بين المفعول والحال :

جاء في نهج البلاغة : « قَدْ صَارَ حرامُها عِنْدَ أقوامٍ بمنزلةِ السِّدْرِ المخضودِ ، وحلالُها بعيدًا غيرَ موجودٍ ، وَصَادفْتُمُوها – واللّه – ظِلاً ممدودًا إلى أجَلٍ معدودٍ » (395) .

ثالثًا – التّقديم والتّأخير :

ويمكن النّظر إلى هذا التغيّر الطّارىء على وجهين :

أ – تقديم وتأخير بين عناصر الجملة القسميّة ذاتها .

ب – تقديم وتأخير بين الجملة القسميّة والجملة الشّرطيّة ، والجملة الابتدائيّة .

أوّلاً – تقديم وتأخير بين عناصر الجملة القسميّة ذاتها :

(أ) تقديم المقسم عليه على القسم :

عندما نظرنا في نماذج القسم شعرًا ونثرًا وقرآنًا وحديثًا لم نجد فيها نموذجًا تقدّم فيه جملة المقسم عليه على القسم . والسّؤال الذي ينبثق من هذه الجزئيّة : هل يجوز أن يتقدّم المقسم عليه على القسم ؟ هل هذا المتقدّم جواب من حيث اللّفظ والمعنى أم من حيث المعنى فقط ؟ وهل للقسم نظير في النّحو ينقاس عليه : فيحمل النّظير على النّظير ؟ وما الغرض الذي يرمي إليه هذا التّقديم والتّأخير كما يراه النّحاة ؟

يقول الرّضيّ في شرحه لمقالة ابن الحاجب عن حذف الجواب : « قوله :

« أو تقدّمه ما يدلّ عليه » نحو : زيد قائم واللّه ، وقام زيد واللّه ، وهذا الكلام الذي توسّطه القسم ، أو تأخّر عنه ، هو من حيث المعنى جواب القسم ، وهو كالعوض من ذلك الجواب ، مثل جواب الشّرط في : أكرمُكَ إنْ تأتني »[396] .

ويقول في موضع آخر : « إنّ أداتي القسم والشّرط : أصلهما التصدّر كالاستفهام ، لتأثيرهما في الكلام معنًى ، ثم إنّ كلاً منهما لكثرة استعمالهم له ، وبُعدهما عمّا يؤثّران فيه – أي جوابهما – قد يسقط عن درجة تصدّره على جوابه ، فيلغى باعتباره ، أي : لا يكون في الجوابين علامتاهما ، أمّا الشّرط فنحو : وآتيك إنْ تأتني » وأمّا القسم فنحو : « زيد واللّه قائم » و « زيد قائم واللّه » فيضعف أمرهما ، فلا يكون لهما جواب لفظًا ، وأمّا من حيث المعنى ، فالذي يتقدّم على الشّرط جوابه ، وكذا ما يتقدّم على القسم أو يتخلّله القسم »[397] .

يجوز إذنْ أن يتقدّم المقسم عليه على القسم ، وهذا التقدّم هو من حيث المعنى فقط لا من حيث اللّفظ . وإنّما انحصر التقدّم في هذه الحيثيّة لأمرين :

أحدهما : سقوط القسم عن درجة تصدّره على جوابه فلا يكون له جواب لفظًا .

يقول المبرّد : « واعلم أنّ القسم لا يقع إلا على مقسم به ، ومقسم عليه »[398] . فلمّا تقدّم الجواب على القسم ضعف القسم عن الوقوع اللّفظيّ في المتقدّم عليه لانحطاطه عن رتبة الصّدارة .

والآخر : إنّ جملة المقسم عليه ليست من تمام جملة المقسم به بل هي جملة أخرى . ونظير ذلك من الجمل الشّرط والجزاء إذْ أنّ « من شأن الجملتين أنْ تتنزّلا منزلة جملة واحدة كجملتي الشّرط والجزاء »[399] . فسرى حكم الجملة الشّرطيّة من جواز تقدّم الجواب على الشّرط في الجملة القسميّة فجاز تقدّم المقسم عليه على القسم حملاً للنّظير على النّظير ، وما أكثر الأحكام التي تتشابه فيها الجملتان القسميّة والشّرطيّة انطلاقًا من وحدة الجملة . وقد فصّل الرّضيّ الخلاف بين البصريّين والكوفيّين في مسألة تقدّم الجواب على الشّرط . يقول :

« واعلم أنّه إذا تقدّم على أداة الشّرط ما هو جواب من حيث المعنى ، فليس عند

البصريّين بجواب له لفظًا ؛ لأنّ الشّرط لـه صدر الكلام ، بل هو دالّ عليه ، وكالعوض منه . وقـال الكوفـيّون : بل هو جـواب في اللّـفظ أيضًـا ، لم يُجـزم ولم يصدّر بالفـاء لتقدّمه ، فـهو عندهم جـواب واقع في موقـعه »[400] . ويقول أيضـاً : وأمّا الكوفـيّون فـجوّزوا تقـديم مـعمول الجـزاء المجـزوم على أداة الشّرط ، قـالوا : لأنّ حقّ الجـواب التّـقـديم ، فـنحـو : « إنْ تضـربْ أضـربْ » كـان عنـدهم في الأصل : « أضـربُ إن تضـربْ » فلمّـا تأخّر الجـواب انجـزم على الجـوار ، قـالوا : والـدّليل على أنّ مـرتبتـه التّقديم قوله :

يا أقــرعُ بن حــابس يا أقــرعُ إنّكَ إن يُصــرعْ أخــوك تصــرعُ

يرفع الجواب مراعاة لأصله من التّقديم . ورُدّ بمنع كون مرتبة الجزاء قبل الأداة ؛ لأنّ الجـزاء من حـيث المعنى لازم ، ومـرتبة الـلازم بعـد الملزوم وقـوله : « تُصـرعُ » ضرورة :

إمّا على حذف الفاء كقوله :

منْ يفعلِ الحسناتِ اللّهُ يشكرُهَا

وإمّا على التّقـديم والتّأخير للضّرورة ، أي : « إنّك تصرعُ إن يصرعْ أخوكَ »[401] . ولم ير النحـاة داعيًـا إلى ذلك التّقدّم المعنويّ سوى قوّة العناية والاهتـمام بالجـواب المتـقـدّم . وقـد جـاء في نهــج البـلاغـة : « يـدّعي بزعـمــه أنّه يرجــو اللّه ! كـذب والعظيم »[402] فالمتقدّم (كذب) هو من حيث المعنى جواب القسم وهو كالعوض من ذلك الجواب .

(ب) تقديم المقسم به على القسم :

الأصل أنّ القسم متقدّم على المقسم به رتبةً ، وقـد أشرنا قبل قليل إلى قـول المبرّد : « إنّ القسم لا يقـع إلا على مقسم به ومقسم عليـه »[403] ، وقد ينحرف ذلك الأصل فيتقدّم المقسم به لقصد الاختصاص فيكون الغرض الذي يرمي إليه ذلك التّقديم إنّما هو الحصر والقصر كما يفهم من كلام الزّمخشري[404] .

وقد عثرت على ثلاثة مواضع في نماذج القسم تقدّم فيها المقسم به على القسم :

الموضع الأوّل : ما جاء في نهج البلاغة : « يقول اللّه سبحانه : « فبي حلفتُ لأبعثنّ على أولئك فتنةً تترك الحليمَ فيها حيران »[405] . فقد تقدّم المقسم به – وهو باء القسم الدّاخلة على ضمير المتكلّم – على القسم وهو (حلفتُ) قصدًا للاختصاص والمعنى : أن اللّه سبحانه يخصّ ذاته المقدّسة بالقسم بها على وجه التّعظيم والإشهاد بالمقسم به .

الموضع الثّاني : قول أمير المؤمنين عليه السلام : « فبعزّتك يا سيّدي ومولاي أقسمُ صادقًا لئن تركتني ناطقًا : لأضجنّ إليك بين أهلها ضجيج الآملين ، ولأصرخنّ إليك صراخ المستصرخين ، ولأبكينّ عليكَ بكاء الفاقدين ، ولأنادينّكَ أين كنت يا وليّ المؤمنين »[406] .

الموضع الثّالث : قول الشّاعر :

بِكَ ربِّ أقسمُ لا بغيرك لا أرى أبدًا موالي غير من والاكَا[407]

ثانيًا – تقديم وتأخير بين الجملة القسميّة والجملة الشّرطيّة ، والجملة الابتدائيّة :

ومناط التّقديم والتّأخير في الجملة الشّرطيّة الشّرط وجوابُه ، وفي الجملة الابتدائيّة المبتدأ والخبر . فالقسم مع هاتين الجملتين : إمّا أنْ يتقدّم أوّل الكلام ، أو يتوسّطه ، أو يتأخّر عنه :

فإنْ تقدّم وجب اعتباره ، سواء وليَه الشّرط نحو : « واللّه إنْ أتيتني لآتينّك » أو ، لا ، نحو : « واللّهِ إنّي آتيك » .

وإنْ توسّط فإمّا أنْ يتقدّم عليه الشّرط ، أو ، لا ، فإنْ تقدّم عليه وجب اعتبار الشّرط ، وجاز إلغاء القسم واعتباره ، سواء تقدّم على ذلك الشّرط طالب خبر ، نحو : « أنا إنْ أتيتني واللّه آتك » أو لم يتقدّم عليه ذلك نحو : « إنْ أتيتني فواللّه لآتينّك » و « إنْ أتيتني واللّه آتك » .

وإنْ لم يتقدّم الشّـــرط على هذا القسم المتوسّـط ، فـإمّا أنْ يتـأخّر عنه الشّرط ، أو ، لا ، فـإنْ تأخّر فـإنْ اعتـبرت الـقسم ألغيت الشّرط نحـو : « أنا واللّه إنْ أتيـتني لآتينّك » وإنْ ألغيته اعتبرت الشّرط نحو : « أنا واللّه إنْ تأتني آتك » .

وإنْ لم يتـأخّر عـنه الشـرط ، فـإن جاء بعد القسم جملة جاز اعتباره وإلغـاؤه ، نحـو : « أنا واللّه لآتينّك » و « أنا واللّه آتيك » وإنْ جـــاء بعده مـفرد وجب إلغـاؤه نحو : « أنا واللّه قائم » .

وإنْ تأخّر القسم عن الكلام وجب إلغاؤه نـحو : « أنا قـائم واللّه » و « إنْ أتيتني آتك واللّه » (408) .

والسّؤال : لِمَ وجب اعتبـار القسم إذا تقدّم ، وجـاز اعتبـاره إذا توسّط ، ووجب إلغاؤه إذا تأخّر أو جاء بعده مفرد ؟

الجواب : إنّما وجب اعتباره إذا تقدّم لوجهين :

أحدهمـا : أنّه إذا تقدّم فـقد وقع في أعلى مـراتبـه ، فـوجب اعتـبـاره ، ولم يجز إلغاؤه .

والثّـاني : أنّه إذا تقدّم دلّ ذلك على قـوّة العنـاية ، وإلغـاؤه يدلّ على اطّراحـه وقلّة الاهتـمـام بـه ، فلذلك لم يجـز إلغـــاؤه مع التّـقـديم ؛ لأنّ الشّيء لا يكون مـعنيًـا به مطّرحًا .

وإنّما جـاز اعتبـاره إذا توسّط ؛ لأنّه إذا توسّط ، كان مـقدّمًـا من وجه ، ومتـأخّرًا من وجـه آخـر ؛ لأنّه مـتـأخّر عن أحد الجـزأين مـتـقـدّمًـا على الآخـر ، ولا يتمّ أحد الجزأين إلا بصاحبه ، فكان متقدّمًا من وجه ومـتأخّرًا من وجه آخر ، فجاز اعتباره كما جاز إلغاؤه (409) .

وإنّمـا وجب إلغـاؤه إذا تأخّر أو جـاء بعـده مـفـرد ؛ لأنّه إذا تأخّر سقط عن درجـة تصـدّره وانحطّ عن رتبتـه فوجب إلغـاؤه . وإن كان الخـبر مفـردًا وجب إلغاؤه أيضًـا لاسـتـحـالة اعتـبـاره ؛ لأنّ جـواب القسم لا يكون إلاّ جملـة ، وذلك نحـو : « أنا واللّهِ قـائم » (410) .

الهوامش والشّواهد النّحويّة للفصل الثالث

1) أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك (1 : 11) .

2) المصدر السّابق نفسه (1 : 12) .

3) المصدر السّابق نفسه (1 : 12 - 13) .

4) سورة : المؤمنون . آية : 100 .

5) سورة : المؤمنون . آية : 99 - 100 .

6) انظر : شرح شذور الذّهب (ص 11 - 12) وأوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك (1 - 13) .

7) أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك (1 : 13) .

8) مغني اللبيب (2 : 431) .

9) المصدر السّابق نفسه (2 : 431) .

10) شرح المفصّل (9 : 90) .

11) شرح الكافية الشّافية (2 : 834) .

12) ابن يعيش : هو يعيش بن عليّ بن يعيش النّحويّ الحلبيّ موفّق الدّين أبو البقاء المشهور بابن يعيش . وكان يعرف بابن الصّانع . ولد سنة 553هـ بحلب . وكان من كبار أئمّة العربيّة ، ماهرًا في النّحو والتّصريف . وصنّف : شرح المفصّل ، وشرح تصريف ابن جنّي . توفّي بحلب سنة 643 هـ . انظر : بغية الوعاة للسّيوطيّ (2 : 351 - 352) .

13) شرح المفصّل (9 : 91) .

14) المصدر السّابق نفسه (9 : 93) .

15) سورة : الحجر . آية : 72 .

16) ديوان عنترة (ص 141) .

17) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 339) .

18) صحيح البخاريّ : سورة النّور (3 : 167) .

19) سورة : المائدة . آية : 107 .

20) شرح شواهد المغني للسّيوطيّ (2 : 538) .

21) ديوان الخنساء (ص 28) .

22) **عاتكة بنت زيد بن عمرو** : شاعرة فصيحة صحابيّة . لها جمال وكمال وتمام في عقلها ومنظرها وجزالة في رأيها . تزوّجت بعبدالله بن أبي بكر الصّديق فلمّا مات من السّهم الذي أصابه بالطّائف خطبها عمر بن الخطاب فتزوجت به ، فلمّا قتل خطبها الزّبير بن العوّام فتزوّجها ، فلما قتل عنها بوادي السّباع تزوّجها الحسين بن عليّ عليه السلام ، فلمّا قتل بكربلاء كانت أوّل من رفع خدّه عن التّراب ثمّ تأيّمت بعده . انظر : شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (1 : 460) .

23) شرح ديوان الحماسة للتبريزيّ (1 : 460) .

24) شرح المفصّل (9 : 91) .

25) المصدر السّابق نفسه (9 : 91) .

26) البيت لنُصيب بن رباح . انظر : الكتاب (2 : 147) وشرح المفصّل (9 : 92) ولسان العرب (6 : 4969) .

الشّاهد فيه : « ليمن اللّه » حيث يكثر اقتران (ايمن) بلام الابتداء .

وهناك شاهد آخر وهو : (ايمن) بهمزة وصل ، فدلّ ذلك على أنّ (ايمن) مفرد وليس بجمع ، إذ لو كان جمعًا لكانت همزته همزة قطع .

27) شرح المفصّل (9 : 92) .

28) قائله مجهول . انظر : الكتاب (3 : 61) والأصول (1 : 346) وشرح جمل الزّجّاجيّ (1 : 532) .

الشّاهد فيه : « أمانة اللّه » برفع (أمانة) على الابتداء ، وإضمار الخبر ،

والتّقدير : أمانة اللّهِ لازمة لي . ويروى بنصب (أمانة) على تقدير حذف حرف الجرّ ، وبلوغ الفعل المضمر ، والتّقدير : أحلف بأمانة اللّه .

29) شرح المفصّل (9 : 92) .

30) المصدر السّابق نفسه (9 : 92 - 93) .

31) شرح الكافية الشّافية (2 : 834) .

32) سورة : الحجر . آية : 72 .

33) شرح الكافية الشافية (2 : 877 - 878) .

34) المصدر السّابق نفسه (2 : 878 - 880) .

35) الرّضي : هو رضيّ الدّين محمد بن الحسن الاستراباذي . ولقبه نجم الأئمّة . صاحب شرح الكافية لابن الحاجب ، وشرح الشّافية لابن الحاجب أيضًا . وجاء الأوّل مرجعًا في علم النّحو ، والثّاني في علم الصّرف . ويُرجَّح أنّه شيعيّ فقد حرص في تمثيله لبعض القواعد أن يبرز هذا الاعتقاد عنده . توفّي سنة 688 هـ . انظر : بغية الوعاة للسّيوطيّ (1 : 567) ومقدّمه شرح الكافية (1 : 6 - 8) .

36) سورة : الأحزاب . آية : 72 .

37) سورة : الشّمس . آية : 1 .

38) شرح الكافية (4 : 304 - 305) .

39) المصدر السّابق نفسه (4 : 305) .

40) هامش شرح بن عقيل (1 : 252) .

41) همع الهوامع (4 : 260) .

42) انظر : الكتاب (3 : 104) والمقتضب (2 : 324) وشرح جمل الزّجّاجيّ (1 : 531) .

43) انظر : تفصيل الخلاف بين البصريين والكوفيّين في المسألة التّاسعة والخمسين من كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف (1 : 404) .

44) شرح المفصّل (9 : 90) .

45) المصدر السّابق (9 : 93) .

46) شرح جمل الزّجّاجيّ (1 : 522) .

47) تفسير البحر المحيط (5 : 94) .

48) **المبرّد** : هو محمد بن يزيد بن عبدالأكبر بن عمير الثّمالي الأزدي البصريّ أبو العبّاس النّحويّ اللغويّ الأديب . وكان إمام العربيّة ببغداد في زمانه وإليه انتهى علمها بعد طبقة الجرميّ والمازنيّ . ولد سنة 210 هـ بالبصرة . وإنّما لقّب بالمبرّد لأنّه لمّا صنّف المازنيّ كتاب الألف واللام سأله عن دقيقه وعويصه فأجابه بأحسن جواب ، فقال له المازنيّ : قمْ فأنت المبرّد أي المثبت للحقّ . وله من التّصانيف : الكامل في الأدب ، والمقتضب في النّحو ، والرّوضة ، والمقصور والممدود ، ومعاني القرآن ، وغير ذلك . تُوفّي سنة 285 هـ في خلافة المعتَضد . انظر : معجم الأدباء (5 : 479) وبغية الوعاة للسّيوطيّ (1 : 269) .

49) المقتضب (2 : 335) .

50) سورة : النّور . آية : 53 .

51) سورة : ص . آية : 82 .

52) قائله عمرو بن يربوع بن حنظلة وهو شاعر جاهلي . انظر : الحيوان (1 : 186) والخصائص (2 : 21) وشرح المفصّل (9 : 101) وشرح الكافية الشّافية (2 : 862) .

الشّاهد فيه : « بك » حيث دخلت باء القسم على المضمر ، والفعل مضمر .

اللغة : أوضع : أسرع في السّير . والبكر : الفتيّ من الإبل .

المعنى : يدعو لديار أهلها بأن تسلم من أذى البرق والسّيل ، ويقسم بحياتها أنّه لن يكون مع هذا البرق غيم ولا سيل يؤذيان .

53) قائله مجهول . انظر : شرح الكافية الشّافية (2 : 862) .
الشّاهد فيه : « بك أقسم » حيث دخلت باء القسم على المضمر ، والفعل ظاهر .

54) قائله مجهول . انظر : شرح الكافية الشافية (2 : 861) .
الشّاهد فيه : « كعبةَ اللّه » بنصب (كعبةَ) على تقدير حذف حرف الجرّ ، وبلوغ الفعل المضمر ، والتقدير : أحلف بكعبة اللّه .

55) قائله قُريبة الأعرابية . انظر : شرح الكافية الشّافية (2 : 873) ولسان العرب : مادّة (ق ع د) (5 : 3690) .
الشّاهد فيه : « قعيدكِ » حيث نُصب المقسم به وجوبًا على المصدريّة .
وهناك شاهد آخر وهو : نصب ما بعد (قعيد) وهو (ربَّ النّاس) على المفعوليّة .
اللغة : المأوى : المكان الذي يلجأ إليه ، والمعصِّب : الرّجل الفقير .

56) قائله امرؤ القيس . انظر : ديوان امرىء القيس (ص 125) والمقتضب (2 : 326) والخصائص (2 : 284) وشرح المفصّل (9 : 104) وشرح جمل الزّجّاجيّ (1 : 533) وشرح الكافية (4 : 315) ومغني اللبيب (2 : 171) .
الشّاهد فيه : « يمين اللّه » برفع (يمين) على الابتداء جوازًا ، وإضمار الخبر ، أي : يمين اللّه قسمي ، أو ما أقسم به ، أو لازمه لي . ويروى بالنّصب على إضمار فعل ، والتّقدير : أحلف بيمين اللّه ، وذلك على تقدير حذف حرف الجرّ .
وهناك شاهد آخر هو : « أبرح » على جواز حذف النّافي (لا) ، والتقدير : لا أبرح .

57) سورة : الحجر . آية : 72 .

58) قائله امرؤ القيس . انظر : ديوان امرىء القيس (ص 100) برواية أخرى ، وشرح الكافية (4 : 318) .
الشّاهد فيه : « أقسم » حيث استُغني بذكر القسم عن ذكر المقسم به .

59) شرح الكافية (4 : 318) .

60) انظر : شرح الكافية الشّافية (2 : 882) وشرح الكافية (4 : 317) .

61) لا يعرف قائله . انظر : شرح الكافية الشّافية (2 : 882) وارتشاف الضّرب (2 : 495) وهمع الهوامع (4 : 257) .

الشّاهد فيه : « جير ليعلمن » حيث استُغني عن ذكر المقسم به بـ (جير) .

62) ارتشاف الضّرب (2 : 494) .

63) انظر : شرح جمل الزّجاجي (1 : 533) وارتشاف الضّرب (2 : 495) .

64) **ابن هشام** : هو عبداللّه بن يوسف بن أحمد بن عبداللّه بن هشام الأنصاري الشيخ جمال الدّين الحنبليّ النّحويّ الفاضل أبو محمد . ولد سنة 708 هـ . انفرد بالفوائد الغريبة والمباحث الدّقيقة والاستدراكات العجيبة والتّحقيق البارع والاطّلاع المفرِط والاقتدار على التّصرّف في الكلام . قال ابن خلدون : « مازلنا ونحن بالمغرب نسمع أنّه ظهر بمصر عالم بالعربيّة ، يقال له : ابن هشام ، أنحى من سيبويه » . وكان كثير المخالفة لأبي حيّان ، شديد الانحراف عنه . له من التّصانيف : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، والتّوضيح على الألفيّة ، وشرح التّسهيل ، وشرح شذور الذهب ، وشرح قطر النّدى ، وغير ذلك . توفّي سنة 761 هـ . انظر : بغية الوعاة للسّيوطيّ (2 : 68 - 69) .

65) مغني اللبيب (1 : 120) .

66) هامش الإنصاف في مسائل الخلاف (1 : 400 - 401) .

67) قائله الأعشى . انظر : ديوان الأعشى (ص 275) والإنصاف في مسائل الخلاف (1 : 401) ومغني اللبيب (1 : 150) .

الشاهد فيه : « عوض لا نتفرّق » حيث استُغني بـ (عوض) عن ذكر المقسم به .

68) مغني اللبيب (1 : 151) .

69) ارتشاف الضّرب (2 : 494) .

70) انظر : شرح جمل الزّجّاجي (1 : 533) وارتشاف الضّرب (2 : 495) .

71) ارتشاف الضّرب (2 : 494) .

72) قائله مجهول . انظر : شرح الكافية الشّافية (2 : 882) .

الشّاهد فيه : « لا جرم » حيث استُغني بـ (لا جرم) عن ذكر المقسم به .

73) معاني القرآن (2 : 8) .

74) انظر : معاني القرآن للفرّاء (2 : 9) .

الشّاهد فيه : « لاذا جرم » حيث وصلت من أوّلها بـ (ذا) .

اللغة : هدر البعير : ترديد صوته في حنجرته . والمعنّى : فحل الإبل الذي حبس أو رغب عن ضرابه . والشّقاشيق جمع شقشقة وهي كالرّئة تخرج من فم البعير إذا هاج . واللّهم : الذي يلتهم كلّ شيء .

المعنى : يفتخر أنّه من كلاب ، وأنّه سيصول في أقرانه كما يصول الفحل الهائج .

75) هامش المقتضب (2 : 351) .

76) سورة : الأنبياء . آية : 57 .

77) **الخليل** : هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم أبو عبد الرحمن الفراهيديّ . صاحب العربيّة والعروض ، وسيّد الأدباء في علمه وزهده . قال السّيرافيّ : « كان الغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النّحو وتعليله » . وهو أستاذ الأصمعيّ وسيبويه ، وكلمّا قال سيبويه : « وسألته » أو « قال » من غير أن يذكر قائله قصد الخليل . له من التّصانيف : الإيقاع ، والجمل ، والعروض ، والعين في اللغة ، وغير ذلك . توفّي سنة 160 هـ ، وقيل : 170 هـ . انظر : معجم الأدباء (3 : 300) وبغية الوعاة للسّيوطيّ (1 : 557) .

78) الكتاب (3 : 496 - 497) .

الشّاهد فيه : « للّه » حيث دخلتْ اللام على اسم اللّه في القسم بمعنى التّعجّب .

وهناك شاهد آخر هو : « يبقى » على جواز حذف (لا) النّافية من الفعل المضارع (يبقى) ؛ لأن المضارع وقع مقسمًا عليه .

اللغة : الحيد : اعوجاج في قرن الوعل أي التّيس الجبليّ . والمشمخرّ : الجبل الشّامخ . والظّيّان : ياسمين البرّ ، والآس : الرّيحان .

المعنى : إنّ الأيّام تُفني بمرورها كلّ حيّ حتّى الوعل المتحصّن بشواهق الجبال . انظر : المقتضب (2 : 323) وإيضاح الشّعر (ص 66) وأمالي ابن الشّجري (2 : 140) . وشرح المفصّل (9 : 99 - 100) .

79) الكتاب (3 : 499) .

يقول ابن يعيش : « يعني لا تقول : « لدن زيدًا مال » أي أنّ بعض الأشياء تختصّ بموضع لا تفارقه » . انظر : شرح المفصّل (9 : 100) .

80) سورة : البقرة . آية : 135 .

81) المقتضب (2 : 317 - 318) .

رُوي البيت برواية أخرى بتمامه :

وبلدةٍ ليس بها أنيسُ ... إلا اليعافيرُ وإلا العيسُ

قائله : جران العود .

الشّاهد فيه : « وبلدٍ » حيث أبدلتْ الواو من (ربَّ) .

اللغة : اليعافير جمع يعفور : وهو ولد الظّبية وولد البقرة الوحشيّة أيضًا . والعيس جمع أعيس والأنثى عيساء : إبل بيض يخالط بياضها شقرة . انظر : الكتاب (2 : 322) والمقتضب (4 : 414) والإنصاف في مسائل الخلاف (1 : 271) .

82) سورة : الأنبياء . آية : 57 .

83) المقتضب (2 : 319) .

84) المصدر السّابق نفسه (2 : 323) .

85) ابن السّرّاج : هو محمد بن السّريّ بن سهل أبوبكر بن السّرّاج البغداديّ النّحويّ . أحد العلماء المذكورين وأئمّة النّحو المشهورين ، وإليه انتهت الرّياسة في النّحو بعد المبرّد . أخذ عنه أبو القاسم الزّجّاجيّ ، والسّيرافيّ ، والفارسيّ ، والرّمّانيّ . يُقال : مازال النّحو مجنونًا حتّى عَقَلَهُ ابن السّرّاج بأصوله . له من المصنّفات : الأصول في النّحو ، وشرح كتاب سيبويه ، والاشتقاق ، والشّعر والشّعراء ، وغير ذلك . تُوفّي سنة 316 هـ في خلافة المقتدر . انظر : معجم الأدباء (5 : 341 - 343) وبغية الوعاة للسّيوطيّ (1 : 109 - 110) .

86) سورة : الأنبياء . آية : 57 .

87) الأصول (1 : 430) .

88) المصدر السّابق نفسه (1 : 431) .

89) شرح جمل الزّجّاجي (1 : 523) .

90) انظر : مغني اللبيب (1 : 105) والجنى الدّاني في حروف المعاني (ص 45) .

91) انظر : مغني اللبيب (1 : 106) والجنى الدّاني في حروف المعاني (ص 45) .

92) قائله غويّة بن سلمى بن ربيعة . انظر : شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (1 : 415) والخصائص (2 : 21) وشرح المفصّل (9 : 101) .

الشّاهد فيه : « بك » حيث دخلت باء القسم على الضمير .

93) تقدّم في الهامش رقم (52) .

94) انظر : مغني اللبيب (1 : 106) والجنى الدّاني في حروف المعاني (ص 45) .

95) قائله قيس بن الملوّح . انظر : شرح المفصّل (9 : 102) وشرح الكافية (4 : 308) .

الشّاهد فيه : « بدينك هل ضممت إليك ليلى ؟ » حيث استعملت باء القسم في قسم السّؤال .

96) الجنى الدّاني في حروف المعاني (ص 45) .

97) شرح الكافية (4 : 300) .

98) انظر معاني الحروف للرمّاني (ص 45) وشرح المفصّل (8 : 34) وشرح الكافية (4 : 300) والجنى الدّاني في حروف المعاني (ص 154) .

99) سورة : الليل . آية : 1 - 2 .

100) شرح الكافية (4 : 306 - 307) .

101) شرح المفصّل (9 : 99) .

102) مغني اللبيب (1 : 115) .

103) حاشية الأمير على مغني اللبيب (1 : 106) .

104) سورة : الأنبياء . آية : 57 .

105) الكشّاف (3 : 122) .

106) سورة : يوسف . آية : 91 .

107) سورة : الأنبياء . آية : 57 .

108) شرح المفصّل (9 : 99) .

109) معاني الحروف للرّمّانيّ (ص 46) .

110) انظر : شرح المفصّل (9 : 99) وشرح الكافية (4 : 30) ومغني اللبيب (1 : 314) .

111) تقدّم في الهامش رقم (78) .

112) شرح جمل الزّجّاجيّ (1 : 525) .

113) شرح المفصّل (9 : 100) .

114) انظر : شرح جمل الزّجّاجيّ (1 : 524) ، وشرح الكافية الشّافية (2 : 865) .

115) شرح جمل الزّجّاجيّ (1 : 523) .

116) شرح المفصّل (9 : 95) .

117) سورة : الأنعام . آية : 112 - 113 .

118) انظر : معاني القرآن للأخفش (1 : 362) وشرح جمل الزّجّاجيّ (1 : 525)

ومغني اللبيب (2 : 479) . وقد رُوي البيت برواية أخرى هي :

إذا قالَ : قَدْني قلتُ : آليتُ حَلْفةً لِتُغنيَ عنّي ذا إنائِكَ أجمعَا

وقائله : حُريث ابن عنّاب الطّائيّ .

الشّاهد فيه : « لِتغنيَ » بكسر اللام ، للتّعليل . حيث استشهد به الأخفش على إجابة القسم بلام كي .

اللغة : قدني : حسبي . وآليتُ : أي حلفتُ أن تشرب جميع ما في إنائك .

انظر : شرح شواهد المغني للسّيوطيّ (2: 559) .

119) انظر : شرح المفصّل (9 : 96) وشرح الكافية (4 : 312) .

120) شرح المفصّل (9 : 96) .

121) شرح الكافية (4 : 308) .

122) الكسائيّ : هو عليّ بن حمزة بن عبدالله بن عثمان أبو الحسن . إمام الكوفيّين في النّحو واللغة ، وأحد القرّاء السّبعة المشهورين . وقيل له الكسائيّ لأنّه أحرم في كساء ، وقيل لغير ذلك . وله من التّصانيف : معاني القرآن ، والقراءات ، والنّوادر : الكبير ، الأوسط ، الأصغر ، واختلاف العدد ، والمصادر ، وغير ذلك . توفّي بالرّيّ هو ومحمد بن الحسن الفقيه في يوم واحد ، فقيل : اليوم ذَهَب الفقه والعربيّة ، وذلك سنة 182هـ .

انظر : معجم الأدباء (4 : 87) وبغية الوعاة للسّيوطيّ (2 : 162) .

123) همع الهوامع (2 : 166) .

124) شرح شذور الذّهب (ص 206) .

125) سورة : المنافقون . آية : 1 .

126) سورة : الأنفال . آية : 41 .

127) سورة : آل عمران . آية : 18 .

128) انظر : شرح الكافية (4 : 342) ومغني اللبيب (1 : 228) وهمع الهوامع (2 : 117) .

129) شرح الكافية الشافية (2 : 843) .

130) شرح الكافية (4 : 311) .

131) أمالي ابن الشّجريّ (2 : 556) .

132) انظر : معاني الحروف للرّمّاني (ص 44) وأسرار العربيّة (ص 145) وشرح الكافية (4 : 269) .

133) شرح الكافية (4 : 311) .

134) أمالي ابن الشّجريّ (2 : 527) .

135) شرح الكافية الشّافية (2 : 843) .

136) مغني اللبيب (1 : 242) .

137) سورة : يس . آية : 40 .

138) سورة : الصّافّات . آية : 47 .

139) شرح الكافية (4 : 311) .

140) الرّمّانيّ : هو عليّ بن عيسى بن عليّ بن عبدالله أبو الحسن الرّمّاني . وكان يُعرف أيضاً بالإخشيديّ ، وبالورّاق ، وبالرّمّاني أشهر . كان إمامًا في علم العربيّة ، علّامة في الأدب ، في طبقة الفارسيّ والسّيرافيّ معتزليًا . ولد سنة 276 هـ . أخذ عن الزّجّاج وابن السّرّاج وابن دُريد . وله من التّصانيف : تفسير القرآن المجيد ، والحدود : الأكبر والأصغر ، والاشتقاق : الكبير والصّغير ، ومعاني الحروف ، وشرح سيبويه ، وشرح أصول ابن السّرّاج ، وغير ذلك . توفي سنة 384 هـ في خلافة القادر بالله . انظر : معجم الأدباء (4 : 191) . وبغية الوعاة للسّيوطيّ (2 : 180) .

141) سورة : الملك . آية : 20 .

142) معاني الحروف للرّمّانيّ (ص 79) .

143) مغني اللبيب (1 : 23) .

144) انظر : معاني القرآن للفرّاء (1 : 66) وشرح المفصّل (9 : 96) وشرح الكافية الشّافية (2 : 843) وشرح الكافية (4: 311) .

145) شرح الكافية الشّافية (2 : 839) .

146) شرح الكافية (4 : 444) .

147) انظر : الكشّاف (2 : 113) ومغني اللبيب (1 : 174) .

148) مغني اللبيب (1 : 175) .

149) شرح جمل الزّجّاجي (1 : 526) .

150) مغني اللبيب (1 : 172) .

151) المقتضب (2 : 335) .

152) شرح الكافية الشّافية (2 : 840) .

153) المصدر السّابق نفسه (2 : 840) .

154) شواهد التّوضيح والتّصحيح (ص 166) .

* ورد الحديث في موطّأ الإمام مالك : كتاب الجهاد (ص 306) بثبوت اللام مع الفعل (وددتُ) ونصّ الحديث : « والذي نفسي بيده لَوَدِدْتُ أنّي أقاتلُ في سبيل اللّه فأقتلُ ، ثمّ أحيا فأقتلُ ، ثمّ أحيا فأقتلُ » . أمّا نصّ الحديث في صحيح البخاري : كتاب الجهاد والسّير (باب تمنّي الشّهادة) (2 : 137) فهو :

﴿ والذي نفسي بيدِه لَوَدِدْتُ أنّي أقْتَلُ في سبيل اللّه ثم أحْيَا ، ثمّ أقْتَلُ ثمّ أحْيَا ، ثمّ أقْتَلُ ثمّ أحْيَا ، ثمّ أقْتَلُ ﴾ .

* أمّا البيت فقائله مجهول . ولم أقف عليه في كتاب لغويّ ولا أدبيّ . الشّاهد فيه : « هان » حيث استشهد به ابن مالك على وقوع الفعل الماضي جواب قسم ، عاريًا من (قد) واللام ؛ للضّرورة الشّعريّة .

155) سورة : البروج . آية : 1 - 4 .

156) مغني اللبيب (2 : 171) .

157) انظر : معاني القرآن للأخفش (1 : 24) والإنصاف في مسائل الخلاف (1 : 252) .

158) انظر : شرح جمل الزّجّاجيّ (1 : 530) وشرح الكافية (4 : 311) .

159) قائله زيد الفوارس . انظر : شرح ديوان الحماسة (1 : 217) وشرح الكافية الشّافية (2 : 837) وشرح الكافية (4 : 312) .

الشّاهد فيه : « ليردّني » حيث انفردت اللام لكون المقسم عليه حالاً .

160) قائله الكميت بن معروف . انظر : معاني القرآن للفرّاء (1 : 65) وشرح الكافية الشّافية (2 : 837) وشرح الكافية (4 : 312) .

الشّاهد فيه : « ليعلم » حيث انفرد المضارع المثبت الواقع مقسمًا عليه باللام لدلالته على الحال .

161) شرح الكافية الشّافية (2 : 835) .

162) شرح جمل الزّجّاجيّ (1 : 528) .

163) شرح المفصّل (9 : 97) .

164) انظر : المقتضب (2 : 337) وشرح المفصّل (9 : 43) .

165) انظر : شرح المفصّل (9 : 39) وشرح الكافية (4 : 484) .

166) انظر : أمالي ابن الشّجري (2 : 142) والإنصاف في مسائل الخلاف (2 : 653) وشرح المفصّل (9 : 40) .

167) المقتضب (2 : 333) .

168) شرح الكافية الشّافية (2 : 836) .

169) شرح الكافية (4 : 311) .

170) قائله عامر بن الطّفيل . انظر : إيضاح الشّعر (ص 65) وشرح الكافية الشّافية (2 : 837) . وشرح الكافية (4 : 305) ومغني اللبيب (2 : 742) .

الشّاهد فيه : « أثأرنّ » حيث قلّ خلوّ المضارع المستقبل الواقع مقسمًا عليه من اللا اكتفاءً بالنّون . واستشهد به ابن هشام على حذف (لام) لأفعلنّ .

171) قائله المؤمّل المحاربيّ . انظر : شرح الكافية (4 : 313) .

الشّاهد فيه : « لا عذّبتهم » على أنّ المقسم عليه إذا كان ماضيًا منفيًا بـ (لا) انقلب إلى معنى المستقبل .

172) قائله مجهول . انظر : شرح الكافية الشّافية (2 : 844) .

الشّاهد فيه : « ماذدناكم » حيث انتفى الماضي الواقع مقسمًا عليه بـ (ما) النّافية لفظًا ومعنًى .

173) سورة : البقرة . آية : 145 .

174) انظر : شرح الكافية الشّافية (2 : 844) وتفسير البحر المحيط (1 : 605) .

يقول أبو حيّان : « ونظير هذا التركيب في المثبت قوله تعالى : ﴿ ولئن أرسلنا ريحًا فرأوه مصفرًا لظلّوا من بعده يكفرون ﴾ التّقدير : « ليظلُنّ » أوقع الماضي المقرون باللام جوابًا للقسم المحذوف ، ولذلك دخلت عليه اللام موقع المستقبل ، فهو ماضٍ من حيث اللفظ مستقبل من حيث المعنى ؛ لأنّ الشّرط قيد فيه كما ذكرنا . وجواب الشّرط في الآيتين محذوف سدّ مسدّه جواب القسم ، ولذلك أتى فعل الشّرط ماضيًا في اللفظ ، لأنّه إذا كان الجواب محذوفًا وجب مضيّ فعل الشّرط لفظًا إلاّ في ضرورة الشّعر ، فقد يأتي مضارعًا » .

175) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 607) .

التّبر : فتات الذّهب . والوفْر : المال الكثير . والطِّمر : الثّوب الخلق البالي . وحزت : ملكت من الحيازة ، والضّمير في « أرضها » يرجع إلى « دنياكم » .

176) مغني اللبيب (2 : 409) .

177) شرح المفصّل (8 : 107) .

178) **أبو عليّ الفارسيّ** : هو الحسن بن أحمد بن عبدالغفّار بن سليمان

الفارسيّ . واحد زمانه في علم العربيّة . كان كثير من تلامذته يقول : هو فوق المبرّد . وبرع من طلبته جماعة كابن جنّي . أقام بحلب مدّةً ، وخدم سيف الدّولة بن حمدان . ومن تصانيفه : الحجّة ، والتّذكرة ، والمسائل : الحلبيّة ، البغداديّة ، القصْريّة ، البصريّة ، الشّيرازيّة ، العسكريّة ، الكرمانية ، وغير ذلك . توفّي ببغداد سنة 377 هـ في أيام الطّائع للّه . انظر : معجم الأدباء (2 : 413) وبغية الوعاة للسّيوطيّ (1 : 496) .

179) سورة : يوسف . آية : 85 .

180) المسائل الحلبيّات (ص 267) .

* البيت الأوّل قائله : عاتكة بنت زيد الصحابيّة .

والشّاهد فيه : « لا تنفكّ » حيث جاز أن يصدّر به المقسم عليه لمّا كانت (لا) محمولة على النفي لفظًا لا معنى .

* والبيت الثّاني قائله : النّابغة الذّبيانيّ .

والشّاهد فيه : « لمَا » حيث جُعلتْ (ما) النّافية بمنزلة الموصولة .

انظر : ديوان النّابغة (ص 101) وسرّ صناعة الإعراب (1 : 377) .

181) شرح الكافية (4 : 312) .

182) **الأصمعيّ** : هو عبدالملك بن قُريب بن عبدالملك بن أصمع أبو سعيد الأصمعيّ البصريّ اللغويّ . أحد أئمّة اللغة والغريب والأخبار والملح والنّوادر . له من التّصانيف : غريب القرآن ، الأمثال ، الاشتقاق ، الأضداد ، معاني الشّعر ، نوادر العرب ، وغير ذلك . توفّي سنة 215 هـ ، وقيل : 216 هـ . انظر : بغية الوعاة للسّيوطيّ (2 : 112 - 113) .

183) شرح الكافية الشّافية (2 : 848) .

وقد رُوي البيت برواية أخرى هي :

واللّهِ لنْ يصلوا إليك بجمعهمْ حتّى أوسَّدَ في التّرابِ دفينَا

وقائله : أبو طالب عمّ النّبيّ ﷺ .

الشّاهد فيه : « لن يصلوا » حيث استشهد به ابن مالك على تلقّي القسم بـ (لن) وهو أمر في غاية الغرابة . انظر : مغني اللبيب (1 : 285) وشرح شواهد المغني للسّيوطيّ (2 : 686) .

184) انظر : الكتاب (4 : 222) والأصول (2 : 211) وشرح المفصّل (8 : 107) ومغني اللبيب (1 : 242) .

185) انظر : أمالي ابن الشّجريّ (1 : 363) وشرح جمل الزّجّاجيّ (1 : 530) .

186) انظر : الأصول (1 : 435) والمسائل الحلبيّات (ص 267) .

187) أمالي ابن الشّجريّ (1 : 363) .

188) انظر : الكتاب (3 : 104) وشرح المفصّل (9 : 97) وشرح الكافية الشّافية (2 : 845) وشرح الكافية (4 : 316) .

189) قائله مالك بن خويلد الخُناعيّ الهذليّ . انظر : إيضاح الشّعر (ص 66) ولسان العرب : مادّة (ب ق ل) (1 : 329) .

الشّاهد فيه : « يبقى » حيث جاء بالفعل المنفيّ مجرّدًا من النّافي ، وسوّغ الحذف أنّه لا يلتبس بالفعل الموجب ، إذْ لو كان موجبًا لجاء معه بـ (اللام ، والنّون) .

اللغة : مبتقل : يريد حمار وحش . ويقال : ابتقل أي رعى البقل . جَونُ السَّراة : أسود الظّهر . ورباعٍ : ألقى رباعيته ، وهي السّنّ التي بين الثّنيّة والنّاب . غرد : أي في صوته .

190) إيضاح الشّعر (ص 66 - 67) .

191) **ابن جنّي** : هو عثمان بن جنّي أبو الفتح النّحويّ . من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنّحو والتّصريف ، وصنّف في ذلك كتبًا فاق بها المتقدّمين ، وأعجز المتأخّرين . ولمّا مات أبو عليّ الفارسيّ تصدّر ابن جنّي مكانه

ببغداد . له من المصنّفات : الخصائص في النّحو ، سرّ الصّناعة ، اللمّع في النّحو ، المحتسب في شرح الشّواذّ ، وغير ذلك . توفّي سنة 392 هـ .

انظر : معجم الأدباء (3 : 461) وبغية الوعاة للسّيوطيّ (2 : 132) .

192) اللُّمَّع في العربيّة (ص 241) .

193) شرح جمل الزّجّاجيّ (1 : 520) .

194) ارتشاف الضّرب (2 : 475) .

195) همع الهوامع (4 : 241) .

196) مغني اللبيب (2 : 466) .

197) المصدر السّابق نفسه (2 : 467) .

198) المصدر السّابق نفسه (2 : 670) .

199) حاشية الأمير علي مغني اللبيب (1 : 98) .

200) سورة : المنافقون . آية : 1 .

201) البرهان في علوم القرآن (3 : 45) .

202) النّحو الوافي (2 : 460) .

203) انظر : مغني اللبيب (2 : 467) والنّحو الوافي (1 : 337) .

204) الإيضاح للقزوينيّ (ص 18) .

205) النّحو الوافي (1 : 337) .

206) انظر : الإيضاح للقزوينيّ (ص 135) وشرح المختصر للتفتازانيّ (1 : 99) وأساليب بلاغيّة (ص 107) .

207) انظر : اللغة العربيّة معناها ومبناها (ص 113 و 244) والعلامة الإعرابيّة بين القديم والحديث (ص 108) .

208) الكتاب (3 : 105 - 106) .

209) السّيرافيّ : هو الحسن بن عبدالله المرزبانيّ أبو سعيد السّيرافيّ النّحويّ

القاضي . وسيراف بُليد على ساحل البحر من أرض فارس . وكان أبوه مجوسيًا اسمه بهزاد ، فسمّاه أبو سعيد عبدالله . وكان أبو سعيد يدرس ببغداد القرآن والقراءات ، وعلوم القرآن ، والنّحو ، واللغة ، والفرائض . له من التّصانيف : شرح كتاب سيبويه ، الإقناع في النّحو ، شواهد سيبويه ، الوقف والابتداء ، صناعة الشّعر والبلاغة ، وغير ذلك . توفّي سنة 368 هـ في خلافة الطّائع للّه . انظر : معجم الأدباء (2 : 505) وبغية الوعاة للسّيوطيّ (1 : 507) .

210) هامش الكتاب (3 : 106) .

211) شرح المفصّل (9 : 101) .

212) قائله ابراهيم بن هرمة . انظر : شرح المفصّل (9 : 101) وشرح جمل الزّجّاجيّ (1 : 521) .

الشّاهد فيه : « بالله ربُّك » على أنّه ليس بقسم لكونه غير محتمل للصّدق والحنث .

213) انظر : الهامش رقم (95) .

214) لا يعرف قائله . انظر : شرح المفصّل (9 : 102) وشرح جمل الزّجّاجي (1 : 522) .

الشّاهد فيه : « أباللّه هل لي في يميني من عقد ؟ » على أنّ ظاهره ومراده القسم ، ولكنّه عند التّحقيق ليس بقسم ؛ لكون الجملة لا تحتمل الصّدق والحنث .

215) شرح جمل الزّجاجيّ (1 : 521 - 522) .

وقد ساق ابن عصفور أدلّة المانعين بقوله : « ويدلّك على أنّ قولك : باللّهِ هل قام زيد ؟ وباللّه إن قام زيد فأكرمه ، وأشباهه ، ليس بقسم ثلاثة أشياء :

أحدها : أنّه لم يجيء في كلام العرب وقوع الحرف الخاصّ بالقسم نحو

التـــاء والواو مـــوقع البـــاء ، فلم يقـــولوا : تاللّهِ هل قـــام زيد ؟ ولا : واللّهِ إنْ قام زيد فأكرمه .

ثانيهـا : أنّهم إذا أظهـــروا الفعل الذي يتعلّق به الباء لم يكن من أفعال القسم ، لا يقال : أقسمُ باللّهِ هلْ قام زيد ؟

ثالثهـا : أنّ القسم لا يخلو من حنث أو برّ ، ولا يصحّ ذلك إلاّ فيما يصحّ اتّصافه بالصّدق والكذب » . انظر : هامش شرح المفصّل (9 : 102) .

216) شرح المفصّل (9 : 100 - 101) .

217) قائله الأحوص الأنصاري . انظر : الكتاب (1 : 323) والمقتضب (2 : 328) .

الشّاهد فيه : « عمّرتك اللّه إلاّ ما ذكرت لنا » على ورود (عمّرتك اللّه) في القسم الطّلبيّ . و (ما) في البيت زائدة . وذو سلَم : موضع بالحجاز .

218) شرح الكافية الشّافية (2 : 868 - 869) .

219) قائله متمّم بن نويرة . انظر : شرح اختيارات المفضّل للتبريزيّ (3 : 1184) وشرح الكافية (1 : 311) .

الشّاهد فيه : « قعيدك ألا تسمعيني ملامة » على ورود (قعيدك) في قسم السّؤال .

والمعنى : أسألك باللّه مستحلفًا أن تكفّي الملام عنّي ، وألا تنكئي قرح قلبي .

220) شرح الكافية (4 : 308) .

221) مغني اللبيب (1 : 106) .

222) النّحو الوافي (2 : 466) .

223) ثعلب : أحمد بن يحيى بن يسار الشّيباني أبو العبّاس ثعلب النّحوي اللغويّ . إمام الكوفيّين في النّحو واللغة . ولد سنة 200 هـ . له من الكتب : المصُون في النّحو ، واختلاف النّحويّين ، ومعاني القرآن ، ومعاني الشّعر ،

وحدّ النّحو ، والوقف والابتداء ، وغير ذلك . توفّي سنة 291 هـ في خلافة المكتفي ابن المعتضد ، ودُفن في مقابر باب الشّام . انظر : معجم الأدباء (2 : 55) وبغية الوعاة للسّيوطيّ (1 : 396) .

224) سورة : آل عمران . آية : 195 .

225) تفسير البحر المحيط (3 : 152) .

226) سورة : النّحل . آية : 41 .

227) تفسير البحر المحيط (5 : 478) .

228) سورة : العنكبوت . آية : 69 .

229) تفسير البحر المحيط (7 : 155) .

230) مغني اللبيب (2 : 466) .

231) المصدر السّابق نفسه (2 : 466 - 467)

232) المصدر السّابق نفسه (2 : 440 و 464) .

233) شرح الكافية (4 : 305) .

234) **أبو البقاء العكبريّ** : عبدالله بن الحسين بن عبدالله بن الحسين محبّ الدّين أبو البقاء العكبريّ البغداديّ الضّرير النّحويّ الحنبليّ . ولد سنة 538 هـ ببغداد . له من المصنّفات : إعراب القرآن ، وإعراب الحديث ، وإعراب الشّواذّ ، واللّباب في علل البناء والإعراب ، وشرح الحماسة ، وشرح المقامات ، وغير ذلك . توفّي سنة 616 هـ . انظر : بغية الوعاة للسّيوطيّ (2 : 38) .

235) سورة : آل عمران . آية : 195 .

236) التّبيان في إعراب القرآن (1 : 322) .

237) سورة : النّحل . آية : 41 .

238) التّبيان في إعراب القرآن (2 : 796) .

239) سورة : آل عمران . آية : 81 .

240) سورة : الأحزاب . آية : 60 .

241) سورة : المائدة . آية : 73 .

242) التّبيان في إعراب القرآن (1 : 275 - 276) .

243) مغني اللبيب (2 : 468) .

244) المصدر السّابق نفسه (2 : 468 - 469) .

245) النّحو الوافي (2 : 29 - 30) .

246) مغني اللبيب (1 : 245) .

247) قائله لبيد . انظر : الكتاب (3 : 110) ومغني اللبيب (2 : 461) وشرح شواهد المغني (2 : 828) .

الشّاهد فيه : « علمت لتأتينَّ منيّتي » حيث إنّ (علمتُ) أجري مجرى القسم لإفادته تحقيق الشّيء وتأكيده .

اللغة : المنيّة : الموت . وطاش السّهم : إذا عدل عن الرّمية ، أي أنّها لا تخطىء من حضر أجلُه .

248) شرح المفصّل (9 : 22) .

249) المصدر السّابق نفسه (7 : 57) .

250) شرح الكافية (4 : 460 - 461) .

251) معاني القرآن للفرّاء (1 : 65) .

252) شرح جمل الزّجّاجيّ (1 : 529) .

253) معاني القرآن للفرّاء (1 : 68) .

254) انظر : معاني القرآن للفرّاء (1 : 67) وشرح الكافية الشّافية (2 : 891) وشرح الكافية (4 : 455) .

الشّاهد فيه : « أصُمْ » حيث إنّه جاء جوابًا مجزومًا لـ (إنْ) الشّرطيّة مع تقدّم القسم المشعر به اللام الموطّئة ، وهو قليل خاصّ بالشّعر .

255) معاني القرآن للفرّاء (1 : 67) .

256) قائله الأعشى . انظر : معاني القرآن للفرّاء (1 : 68) وشرح الكافية الشّافية (2 : 889) وشرح الكافية (4 : 456) .

الشّاهد فيه : « لا تلفنا » على أنّ الشّرط قد يُجاب مع تقدّم القسم عليه ، وهو قليل خاصّ بالشّعر .

اللغة : مُنيت : بُليت . عن غبّ معركة ، الغبّ : العاقبة . ننتفل : نتبرّأ .

257) سورة : الحشر . آية : 12 .

258) انظر : معاني القرآن للفرّاء (1 : 69) وشرح جمل الزّجّاجي (1 : 529) وشرح الكافية (4 : 457) .

الشّاهد فيه : « لا يزلْ » على أنّه يجوز قليلاً في الشّعر اعتبار الشّرط وإلغاء القسم مع تصدّره .

اللغة : تدلج مضارع أدلج : أي سار الليل كلّه . البيت : أراد به جماعة من أقاربه .

المعنى : حلفتُ له : إن سافرتَ بالليل أرسلتُ جماعة من أهلي يسيرون أمامك يحرسونك إلى أن تصل إلى مأمنك .

259) معاني القرآن (1 : 68 - 69) .

260) شرح الكافية (4 : 458) .

261) شرح الكافية الشّافية (2 : 888) .

262) مغني اللبيب (1 : 255) .

263) شرح المفصّل (9 : 4) .

264) معاني الحروف للرّمّاني (ص 77) .

265) انظر : شرح جمل الزّجّاجي (1 : 529) وتفسير البحر المحيط (1 : 605) .

266) التّبيان في إعراب القرآن (1 : 39) .

267) السّهيليّ : هو عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد أبو القاسم السّهيليّ الخثعميّ الأندلسيّ . كان عالمًا بالعربيّة واللغة والقراءات ، نحويًا متقدّمًا ، أديبًا ، عالمًا بالتّفسير وصناعة الحديث ، حافظًا للرّجال والأنساب ، عارفًا بعلم الكلام والأصول ، صاحب اختراعات واستنباطات . له من التّصانيف : الرّوض الأنف ، وشرح الجمل ، والتّعريف والإعلام بما في القرآن من الأسماء والأعلام ، ونتائج الفكر في النّحو ، وغير ذلك . توفّي سنة 581 هـ . انظر : بغية الوعاة للسّيوطيّ (2 : 81) .

268) نتائج الفكر (ص 150) .

269) مغني اللبيب (1 : 255) .

270) انظر : أمالي ابن الشّجريّ (2 : 83) ومغني اللبيب (1 : 271) .

271) انظر : شواهد التّوضيح والتّصحيح (ص 71) وتفسير البحر المحيط (1 : 571) وارتشاف الضّرب (2 : 484) .

272) سورة : التّوبة . آية : 42 .

273) تفسير البحر المحيط (5 : 47) .

274) المصدر السّابق نفسه (1 : 503) .

275) نتائج الفكر (ص 348) .

276) انظر : التّبيان في إعراب القرآن (1 : 101) وارتشاف الضّرب (2 : 489) .

277) شواهد التّوضيح والتّصحيح (ص 179) .

278) شرح المفصّل (9 : 22) .

279) مغني اللبيب (1 : 271) .

280) انظر : معاني الحروف للرّمّاني (ص 132) وإيضاح الشّعر (ص 103) والتّبيان في إعراب القرآن (1 : 72) ومغني اللبيب (1 : 272) .

281) شرح المفصّل (9 : 22 - 23) .

282) شواهد التّوضيح والتّصحيح (ص 65 - 67) .

283) انظر : أمالي ابن الشّجريّ (2 : 510) وتفسير البحر المحيط (1 : 24) .

284) مغني اللبيب (1 : 235) .

285) المصدر السّابق نفسه (1 : 235) .

286) سورة : الأعراف . آية : 23 .

287) معاني القرآن للأخفش (1 : 323) .

288) تفسير البحر المحيط (4 : 282) .

289) مغني اللبيب (1 : 236) .

290) سورة : المائدة . آية : 73 .

291) تفسير البحر المحيط (3 : 544) .

292) مغني اللبيب (2 : 468) .

293) سورة : آل عمران . آية : 81 .

294) الكشّاف (1 : 379) .

295) معاني القرآن (1 : 225) .

296) مغني اللبيب (1 : 235) .

297) سورة : الأعراف . آية : 18 .

298) الكشّاف (2 : 94) .

299) تفسير البحر المحيط (4 : 278) .

300) مغني اللبيب (1 : 235) .

قائله مجهول .

الشّاهد فيه : « لمتى » حيث دخلت اللام الموطّئة على (متى) الشّرطيّة كما دخلت على (إنْ) . انظر : شرح شواهد المغني للسّيوطي (2 : 607) .

301) سورة : النّور . آية : 13 .

302) مغني اللبيب (1 : 235 - 236) .

قائله : ذو الرّمّة ، وقيل : عبدٌ راعٍ .

الشّـــاهد فيه : « فلإنْ » حيث دخلت اللام الموطّئـة على (إنْ) لشبهها بـ (إنّ) وهو أمر غريب .

اللغة : الجِزّة بالكسر : ما يجزّ من صوف الشّاة في كلّ سنة .

انظر : البيان والتّبيين (3 : 344) وشرح شواهد المغني للسّيوطيّ (2 : 607) .

303) المصدر السّابق نفسه (1 : 236 - 237) .

* البيت الأوّل قائله : ذو الرّمّة .

الشّاهد فيه : « لئن » حيث استشهد به ابن هشام على أنّ اللام فيه زائدة وليست موطّئة ، لأنّ الشّرط قد أجيب بالجملة المقرونة بالفاء « فللموت أروح » .

اللغة : التّباريح : الشّدائد ، يقال برح به . انظر : الكامل في اللغة والأدب (2 : 19) وشرح شواهد المغني للسّيوطيّ (2 : 609) .

* أمّا البيت الثّاني فقائله : امرأة من عقيل .

الشّاهد فيه : « لئن » حيث استشهد به ابن هشام على أنّ اللام فيه زائدة وليست موطئة ، لأنّ الشّرط قد أجيب بالفعل المجزوم (أصمْ) . انظر : معاني القرآن للفرّاء (1 : 67) وشرح الكافية الشافية (2 : 891) وشرح الكافية للرضي (4 : 455) وشرح شواهد المغني للسّيوطي (2 : 610) .

* أمّا البيت الثّالث فقائله عمر بن أبي ربيعة .

الشّاهد فيه : « لئن » حيث استشهد به ابن هشام على أنّ اللام فيه زائدة وليست موطّئة ، لأنّ الجواب قد حذف مدلولاً عليه بما قبل (إنْ) ، فلو كان هناك قسم مقدّر لزم الإجحاف بحذف جوابين .

اللغة : ألممْ : أي زرْ . وأفِد البين : دنا وقرب . والثّواء : الإقامة .

انظر : ديوان عمر بن أبي ربيعة (ص 109) وشرح شواهد المغني للسّيوطيّ (2 : 611) .

304) المصدر السّابق نفسه (1 : 234) .

305) انظر : مغني اللبيب (2 : 517) وهامش شرح ابن عقيل (1 : 212) .

306) انظر : شرح المفصّل (9 : 99) وأسرار العربيّة للأنباري (ص 276) .

307) سورة : الليل . آية : 1 .

308) سورة : الأنبياء . آية : 57 .

309) مغني اللبيب (2 : 515) .

310) أسرار العربيّة (ص 275) .

311) المتلمّس : هو جرير بن عبدالمسيح من بني ضُبيعة بن ربيعة بن نزار ، وهو خال طرفة بن العبد ، وكان طرفة قد هجاه . والمتلمّس من شعراء الجاهليّة المقلّين ، وضعه ابن سلّام في الطّبقة السّابعة من شعراء الجاهليّة . وكان ينادم عمرو بن هند ملك الحيرة ، وهو الذي كان كتب له إلى عامل البحرين مع طرفة بقتله . وسمّي المتلمّس بقوله :

فهذا أوانُ العِرْضِ حَيَّ ذُبابُهُ زنابيرُهُ والأزرقُ المتلمِّسُ

انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 104) وشرح ديوان الحماسة للتبريزيّ (1 : 267) .

312) قائله المتلمّس . انظر : الكتاب (1 : 38) وأيمان العرب في الجاهليّة (ص 38) وشرح شواهد المغني (1 : 294) .

الشّاهد فيه : « اليتَ حبَّ العراق » حيث حذف الجار (على) ونصب المجرور (حبَّ) مع وجود الفعل (آليتَ) .

313) مغني اللبيب (2 : 742) .

314) سورة : النّمل . آية : 21 .

315) سورة : آل عمران . آية : 152 .

316) سورة : الحشر . آية : 12 .

317) شرح الكافية (4 : 318) .

318) مغني اللبيب (2 : 742) .

319) انظر : شرح المفصّل (9 : 94) والبرهان في علوم القرآن (3 : 217) .

320) انظر : المقتضب (2 : 317) والبرهان في علوم القرآن (3 : 133) .

321) شرح المفصّل (9 : 103) .

322) الإنصاف في مسائل الخلاف (1 : 393) .

323) **ذو الرُّمّة** : هو غيلان بن عُقبة بن بُهيش من بني صعب ، ويكنّى أبا الحارث . وإنّما سُمّي ذا الرّمة بقوله في الوتد :

لم يَبْقَ منها أبَدَ الأبيدِ غيرُ ثلاثٍ ماثلاتٍ سُودِ

وغيرُ مرضوخ القَفَا موتودِ أشعثَ باقي رُمّةِ التّقليدِ

وكان ذو الرّمة أحد عشّاق العرب المشهورين بذلك وصاحبته مَيّة وكانت من أجمل النّساء . وكان كثير الأخذ من غيره . وكان له إخوة يقولون الشّعر منهم : هشام وأوفى ومسعود . سُئل جرير عن شعره فقال : أبعارُ غِزلان ، ونُقط عَرُوس.توفّي سنة 117 هـ . انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 356) وشرح شواهد المغني للسّيوطيّ (2 : 617) .

324) قائله ذو الرّمة . انظر : الأصول (1 : 432) وشرح المفصّل (9 : 104).

الشّاهد فيه : « اللّهَ » حيث نصب اسم اللّه تعالى لمّا أسقط حرف الجرّ ووصل الفعل المقدّر .

اللغة : السّوانح من الظّباء ما أخذ عن ميامن الرّامي ، فلم يمكّنه رميه حتّى ينحرف له فيتشاءم به . ومن العرب من يتيمّن به لأخذه في الميامن . وقد جعله ذو الرّمّة مشؤومًا لمخالفة قلبها وهواها لقلبه وهواه .

325) انظر الهامش رقم (28) .

326) الكتاب (3 : 497 - 498) .

قائله : العنبريّ .

الشّاهد فيه : « جدّاء » حيث جُرَّ على إضمار (رُبَّ) بعد الواو .

اللغة : الجدّاء : الفلاة ، من الجدّ وهو القطع . والسُّماة : جمع سامٍ ، وهو الصّائد . والرّبيب : ما تربّب من الوحش فيها .

انظر : الكتاب (2 : 163) ولسان العرب : مادّة (ج د د) (1 : 562) .

327) سورة : الأعراف . آية : 155 .

328) المقتضب (2 : 320) .

329) شرح جمل الزّجّاجيّ (1 : 532 - 533) .

330) الإنصاف في مسائل الخلاف (1 : 396) .

331) شرح الكافية (4 : 304) .

332) الكتاب (3 : 499 - 500) .

قائله : زهير بن أبي سلمى .

الشّاهد فيه : « ها لعمر اللّه ذا » حيث فُصل بين (ها) التّنبيه وبين (ذا) الإشاريّة بقوله : « لعمر اللّه » .

اللغة : تعلّم : اعلمْ ، وهو هنا فعل جامد (ملازم للأمر) . اقصد بذرعك ، أي كنْ قصداً في أمرك ولا تتعدّ طورك . تنسلك : تدخل . انظر : المقتضب (2 : 322) وشرح الكافية (4 : 302) وهمع الهوامع (1 : 263) .

333) انظر : شواهد التّوضيح والتّصحيح (ص 167) وشرح الكافية (4 : 303) .

334) شرح الكافية (4 : 303) .

335) المصدر السّابق نفسه (4 : 303) .

336) المقتضب (2 : 321) .

337) شرح الكافية (4 : 304) .

338) المصدر السّابق نفسه (4 : 304) .

339) شرح المفصّل (9 : 94) .

البيت الأول قائله : المسيّب بن علس : الشّاهد فيه : « فأقسمُ » استشهد به ابن يعيش على حذف المقسم به اجتزاءً بدلالة الفعل عليه . انظر : مغني اللبيب (1 : 42) وشرح شواهد المغني (1 :109) .

340) تفسير البحر المحيط (5 : 94) .

341) سورة : يوسف . آية : 85 .

342) شرح المفصّل (9 : 97 - 98) .

343) شرح الكافية (4 : 315 - 316) .

قائله : خليفة بن براز وهو شاعر جاهليّ . الشّاهد فيه : جواز حذف حرف النّفي من (تنفكّ) في غير القسم لعدم اللبس بالإيجاب للزوم النّفي إيّاها . انظر : المصدر السّابق نفسه (4 : 196) .

344) مغني اللبيب (2 : 732 - 733) .

* لم أقف للبيتين على نسبة .

الشّاهد : « نسيتك » حيث يقلّ حذف (لا) النّافية في جواب القسم إذا كان المنفيّ ماضيًا . انظر : شرح شواهد المغني للسّيوطيّ (2 : 931) .

345) همع الهوامع (4 : 249) .

346) سورة : الشّمس . آية : 1 .

347) سورة : الشّمس . آية : 9 .

348) سورة : البروج . آية : 1 .

349) سورة : البروج . آية : 4 .

350) شرح المفصّل (9 : 93) .

351) شرح جمل الزّجّاجيّ (1 : 530) .

352) سورة : الفجر . آية : 1 - 2 .

353) سورة : الفجر . آية : 6 .

354) شرح الكافية (4 : 316 - 317) .

355) انظر : المسائل الحلبيّات (ص 257) والبرهان في علوم القرآن (3 : 2) وتفسير البحر المحيط (8 : 302) ومغني اللبيب (2 : 446) .

356) الخصائص (1 : 336) .

357) المصدر السّابق نفسه (1 : 342) .

358) انظر : الخصائص (1 : 338) وارتشاف الضّرب (2 : 372) وهمع الهوامع (4 : 50) .

359) البرهان في علوم القرآن (3 : 62) .

360) سورة : ص . آية : 84 - 85.

361) الكشّاف (4 : 108) .

362) تفسير البحر المحيط (7 : 392 - 393) .

363) مغني اللبيب (2 : 449) .

364) سورة : الواقعة . آية : 75 - 77 .

365) الكشّاف (4 : 468) .

366) البيان في غريب إعراب القرآن (2 : 418) .

367) مغني اللبيب (2 : 450) .

368) انظر : ديوان النّابغة (ص 83) ومغني اللبيب (2 : 449) وشرح شواهد المغني (2 : 816) .

369) انظر : إيضاح الشّعر (ص 301) والإنصاف في مسائل الخلاف (2 : 373) ومغني اللبيب (2 : 800) .

370) شرح الكافية (4 : 316) .

371) المسائل الحلبيّات (ص 143 و 258) .

372) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 156) .

373) المسائل الحلبيّات (ص 146) .

374) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 308) .

375) المصدر السّابق نفسه (ص 714) .

376) مغني اللبيب (2 : 448) وشرح شواهد المغني (2 : 813) .

البيتان قائلهما : كثيّر عزّة .

الشّاهد : « وإنّي – وتهيامي بعزّة ... – لكالمرتجي » حيث اعتُرض بالقسم بين ما أصله المبتدأ والخبر .

اللغة : التُّهيام : بفتح أوّله ، مصدر للمبالغة من الهيام كالجنون من العشق .

377) مغني اللبيب (2 : 448) .

378) رؤبة : هو رؤبة العجّاج ، واسم أبيه عبدالله بن رؤبة بن لبيد بن صخر التّميميّ ، ويكنّى أبا الجحاف . شاعر مخضرم . عدّه الجمحيّ في الطبقة التّاسعة من شعراء الإسلام ، وقال : رؤبة أكثر شعرًا من أبيه . وعن خلف الأحمر قال : سمعت رؤبة يقول : ما في القرآن أعرب من قوله : « فاصدع بما تؤمر » . توفّي سنة 145 هـ . انظر : شرح شواهد المغني للسّيوطيّ (1 : 49 و 54 - 55) .

379) مغني اللبيب (2 : 448) .

قائله : رؤبة بن العجّاج .

الشّاهد فيه : « إنّي – وأسطارٍ سطرن سطرًا – لقائلٌ » حيث اعتُرض بالقسم بين اسم إنّ وخبرها .

اللغة : أسطار جمع سطر : وهو الخطّ والكتابة . انظر : شرح شواهد المغني (2 : 812) .

380) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 142) .

381) المصدر السّابق نفسه (ص 141) .

382) مغني اللبيب (2 : 450) .

قائله : جرير .

الشّاهد فيه : « الذي – وأبيك – يعرف » حيث اعتُرض بالقسم بين الموصول وصلته . انظر : ديوان جرير (ص 325) وشرح شواهد المغني للسّيوطيّ (2 : 817) .

383) المسائل الحلبيّات (ص 145) .

384) مغني اللبيب (2 : 451) .

385) الإنصاف في مسائل الخلاف (2 : 435) .

386) مغني اللبيب (2 : 800) .

387) شرح الكافية (4 : 445) .

388) المثل السّائر (3 : 48) .

389) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 431) .

390) المصدر السّابق نفسه (ص 445) .

391) مغني اللبيب (2 : 171) .

* البيت الأوّل قائله : أخو يزيد بن عبدالله البجليّ .

الشّاهد فيه : « قدْ – واللّه – أوطأت » حيث اعتُرض بالقسم بين (قدْ) والفعل . انظر : شرح شواهد المغني للسّيوطيّ (1 : 488) .

* أمّا البيت الثّاني فقائله : مجهول .

الشّاهد فيه : « فقدْ – واللّه – بيّن » حيث اعتُرض بالقسم بين (قدْ) والفعل . انظر : شرح شواهد المغني للسّيوطيّ (1 : 489) .

392) شرح الكافية (4 : 316) .

قائله : عمر أبو دهماء .

الشّاهد فيه : « فلا – وأبي دهماءَ – زالتْ » حيث اعتُرض بالقسم بين حرف النّفي (لا) ومنفيّه . انظر : مغني اللبيب (2 : 453) وشرح الكافية (4 : 196) وشرح شواهد المغني للسّيوطيّ (2 : 820) .

393) مغني اللبيب (2 : 800) .

قائله : حسّان بن ثابت .

الشّاهد فيه : « إذنْ – واللّهِ – نرميهم » حيث استشهد به على إعمال (إذنْ) مع الفصل بينها وبين الفعل بالقسم . انظر : ديوان حسّان بن ثابت (ص 22) وشرح شواهد المغني للسّيوطيّ (2 : 970) .

394) المصدر السّابق نفسه (1 : 21) .

395) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 278) .

396) شرح الكافية (4 : 316) .

397) المصدر السّابق نفسه (4 : 457 - 458) .

398) المقتضب (2 : 355) .

399) شرح المفصّل (9 : 93) .

400) شرح الكافية (4 : 98) .

401) المصدر السّابق نفسه (4 : 96 - 97) .

* البيت الأوّل قائله : جرير البجليّ .

الشّاهد فيه : « إنّك إنْ يُصْرَعْ أخوك تُصْرَعُ » استشهد به على رفع جواب الشّرط مع كون فعل الشّرط مضارعًا ، وخُرّج على أنّه ليس بالجواب بل خبر (إنّ) . وجملة الشّرط وقعتْ حشوًا بين (إنّ) وخبرها ، والجواب محذوف لدلالة الخبر عليه . انظر : المقتضب (2 : 70) وأمالي ابن الشجريّ (1 : 125) ومغني اللبيب (2 : 633) وشرح شواهد المغني للسّيوطيّ (2 : 897) .

* أمّا البيت الثّاني فقائله : عبدالرحمن بن حسّان ، وقيل : لكعب بن مالك .

والبيت بتمامه :

منْ يفعل الحسناتِ اللّهُ يشكرُهَا والشّرُّ بالشّرِ عند اللّهِ مثلانِ

الشّاهد فيه : « اللّه يشكرها » استشهد به على أنّها جملة اسميّة وقعت جواب الشّرط ، وحذفت منها الفاء ضرورة .

انظر : أمالي ابن الشّجريّ (1 : 124) ومغني اللبيب (1 : 68) وشرح شواهد المغني (1 : 178) .

402) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 382) .

403) المقتضب (2 : 355) .

404) الكشّاف (1 : 13) .

405) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 763) .

406) أضواء على دعاء كميل (ص 360) .

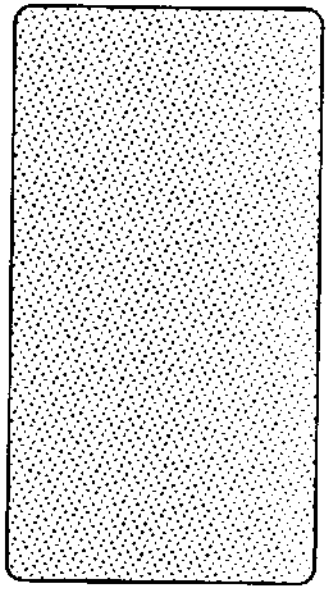
407) شرح الكافية الشّافية (2 : 862) .

408) شرح الكافية (4 : 460 - 461) .

409) أسرار العربيّة (ص 160 - 162) .

410) شرح الكافية (4 : 460) .

الفصل الرّابع



دلالة القسم

المبحث الأوّل : الدّلالة المعجميّة .

المبحث الثّاني : الدّلالة الصّوتيّة والصّرفيّة .

المبحث الثّالث : الدّلالة التّركيبيّة (النّحويّة) .

المبحث الرّابع : الدّلالة الأسلوبيّة (البلاغيّة) .

الفصل الرّابع
دلالة القسم
المبحث الأوّل
الدّلالة المعجميّة

تأخذ الدّلالة المعجميّة بعدين عند الدّراسة :

الأوّل : دراسة ألفاظ القسم ، وهي دراسة نلمّ فيها بجزئيات المعاني .

الثّاني : دراسة التطوّر الدّلاليّ الحاصل في هذه الألفاظ وفاءً بحقّ المعاني النّامية أو المتطوّرة .

« ذلك بأنّ للألفاظ حياة وتاريخاً كما لكل كائن آخر حياة وتاريخ . فهي تبدأ ذات مدلول بسيط ساذج ، ثم يتطوّر هذا المدلول مع تطوّر الحياة الإنسانيّة ، وتتشقّق المعاني وتتفرّع كما تتفرّع الصّيغ بالاشتقاق ، وكلّها راجعة إلى ذلك الأصل الأوّل ، محتفظة بإشارة منه عظمتْ أو قلّتْ »[1] .

وقد أورد اللغويّون العرب مدلولات متشعّبة ومتعدّدة لألفاظ القسم يكاد يضلّ الباحث في إرجاعها إلى أصل من الأصول . بيد أنّ اللغويّ أحمد بن فارس يكاد يكون منقذاً للباحث في هذا الشّأن . فقد حاول في كتابه « معجم مقاييس اللغة » كشف السّتار عن المعنى الأصليّ في جميع صيغ المادّة ، وسمّى هذه المعاني الأصول والمقاييس .

وفي دراستنا لألفاظ القسم بنوعيه الصّريح وغير الصّريح ، سنسلك السّبيل الأدنى والأصل الأقرب إلى معنى القسم ؛ لإيجاد الوجه الجامع والعلاقة الرّابطة بين دلالة ذلك اللفظ وبين القسم في دلالته المعنويّة . وقد يبدو أحياناً ذلك الرّبط واهناً : وذلك لخفاء أصل ذلك اللّفظ من الحيثيّة الحسّيّة أو التّجريديّة ، فنسعى جاهدين لأن نتصيّد وجهاً لهذا التّوافق الدّلاليّ ولو تكلّفاً .

أولاً : ألفاظ القسم الصّريح :

(القســم) :

يقول ابن فارس : « القاف والسين والميم أصلان صحيحان ، يدلّ أحدهما على جمال وحسن ، والآخر على تجزئة شيء »[2] .

ويقول الزّمخشريّ : « وأقسم باللّه قسماً باطلاً وأقساماً باطلة ، وقاسمهما : حلف لهما ، وتقاسموا باللّه : تحالفوا . ومن المجاز : قلبه متقسّم . ووجه مقسّم : مُعْطَى كلّ شيء منه قِسْمَه من الحسن فهو متناسب . ورجل قسيم وسيم ، بيّن القَسَـام والقَسامة . وكأنّه قسيمة عطّار وهي جونة حسنة منقوشة يكون فيها العطر . وضرب أنفه فَقَسمَه أي قطعه نصفين . وقَسَم الأرض قَطَعَها »[3] .

ويقول ابن منظور : « والتّقسيم التّفريق ، وقَسَمَهم الدّهر يَقسمهم فتقسّموا أي فرّقهم فتفرّقوا . والقَسَمُ بالتحريك : اليمين ، والجمع أقسام . وقد أقسم باللّه واستقسمه به وقاسمه : حلف له . وتقاسم القوم : تحالفوا . والقَسَامة : الجماعة يُقسمون على الشّيء أو يشهدون . والقَسامة : اليمين كالقسم . والقَسامة : الحُسْن . ورجل قسيم ومُقسَّم إذا كان جميلاً . ورجل مقسَّم الوجه أي جميل كلّه ، كأنّ كلّ موضع منه أخذ قِسْماً من الجمال . والقسيمة المرأة الجميلة . وقيل : هي طلوع الفجر . وسُمّي السَّحَر قسيمة لأنّه يقسم بين الليل والنهار . وأصل القَسَام الحسن »[4] .

يتضح من هذا التّحديد اللغويّ أنّ مادّة (قسم) تدلّ على أصلين :

الأوّل : الحسن والجمال . فالقسم يعطى أوائل الكلام نضارة ورونقاً فتلمع الأقسام في قسمات الكلام على الأكثر كالغرّة البارقة . وأمّاالذي جاء في تضاعيف الكلام فإنّما هو قليل ومثاله كمجيء المطلع في تضاعيف القصيدة . وليس في كل قسم تزيين ولكنّه لمّا كان ممّا يُستفتح به

الكلام جُعل سبباً لتزيين الفواتح فيملأ العين بحسنه وجماله في طلائع الخطاب[5] .

الثّاني : التّجزئة والقطع . والقطع يستعمل لنفي الرّيب والشبهة ، ثم اختصّ القسم بشدّة الفصل بالقول فأصبح لا يراد به إلاّ التّوكيد والإشهاد والجزم المحض .

(الحلف) :

يقول ابن فارس : « الحاء واللام والفاء أصل واحد ، وهو الملازمة »[6] .

ويقول ابن منظور : « الحِلْفُ والحَلِفُ القسم . والحلف : اليمين ، وأصلها العقد بالعزم والنيّة ، فخالف بين اللّفظين تأكيداً لعقده ، وإعلاماً أنّ لغو اليمين لا ينعقد تحته . وأصل الحِلْف : المعاقدة والمعاهدة على التّعاضد والتّساعد والاتّفاق . وحالف فلان بَتَّهُ وحُزْنَه أي لازمه »[7] .

من هذا العرض اللغويّ يتّضح أنّ مادة (حلف) تدلّ على أصل واحد – كما يرى ابن فارس – وهو الملازمة . والقسم إلزام النّفس بشيء ، فيصبح عهداً وعقداً ينعقد بالعزم والنيّة . غير أنّي أستحبّ ما ذهب إليه أبو هلال العسكريّ[8] والفراهيّ أنّ أصل الحلف القطع[9] .

وقد أورد أبو هلال العسكريّ تفريقاً بين القسم والحلف انطلاقاً من التّخصيص الدّلاليّ بقوله : « إنّ القسم أبلغ من الحلف ؛ لأنّ معنى قولنا : أقسم باللّه ، صار ذا قسم باللّه ، والقسم النّصيب ، والمراد أنّ الذي أقسم عليه من المال وغيره ، قد أحرزه ودفع عنه الخصم باللّه . والحلف من قولك : سيف حليف أي قاطع ماضٍ ، فإذا قلت : حلف باللّه فكأنّك قلت : قطع المخاصمة باللّه ، فالأوّل أبلغ ؛ لأنّه يتضمّن معنى الآخر مع دفع الخصم ، ففيه معنيان : إحراز الشّيء بحقّه ، ودفع الخصومة عنه . وقولنا : حلف ، يفيد معنى واحداً ، وهو قطع المخاصمة فقط .

وذلك أنّ من أحرز الشّيء باستحقاق في الظّاهر ، فلا خصومة بينه وبين أحد فيه ، وليس كل من دفع الخصومة في الشّيء فقد أحرزه »[10] .

(اليمين) :

يقول ابن فارس : « الياء والميم والنّون كلمات من قياس واحد . فاليمين : يمين اليد . ويقال : اليمين : القوّة . واليمين : الحَلِف ، وكلّ ذلك من اليد اليمنى . وسُمّي الحَلِف يميناً لأنّ المتحالفين كأنّ أحدهما يَصْفِقُ بيمينه على يمين صاحبه »[11] .

ويقول الزّمخشريّ : « قيل للحَلِف : اليمين ؛ لأنّهم كانوا يتماسحون بأيمانهم فيتحالفون . ويمين اللّه ، وايمن اللّه ، وايم اللّه ، وليمن اللّه لأفعلنّ . واستيمنته : استحلفته »[12] .

يقول ابن منظور : « اليمين في كلام العرب على وجوه : يقال لليد اليمنى : يمين . واليمين : القوّة والقدرة . واليمين : الحقّ . واليمين : المنزلة . واليمين : نقيض اليسار ، والجمع أيمان وأيمن ويمائن . واليمين : الحلف والقسم ، أنثى ، والجمع أيمن وأيمان . وقال بعضهم : قيل للحلف يمين باسم يمين اليد ، وكانوا يبسطون أيمانهم إذا حلفوا وتحالفوا وتعاقدوا وتبايعوا »[13] .

من الواضح أنّ هذه المادّة اللغوية تدلّ في أصل استعمالها على يمين اليد . وقد ارتبط القسم بسلوك عند أعراب الجاهليّة وهو : أنّهم إذا تحالفوا ضرب كل امرىء يمينه على يمين صاحبه . والعرب تُسمّي باسم الشّيء إذا كان مجاوراً له أو كان منه بسبب . فنقلت هذه المادة للقسم لمّا اقترنت به عند العقود والعهود ، فكثر ذلك حتّى سُمّي القسم يميناً .

(الألِيّة) :

يقول ابن فارس : « الهمزة واللام وما بعدهما في المعتلّ أصلان متباعدان : أحدهما الاجتهاد والمبالغة ، والآخر التّقصير ، والثّاني خلاف ذلك الأوّل »[14] .

يقول ابن منظور : « والألْو : التّقصير ، والألْو : المنع ، والألْو : الاجتهاد ، والألْو : الاستطاعة ، والألْو : العطيّة . وألاَ وألَّى وتألَّى إذا اجتهد . وألاَ يألو إذا فتر وضَعُفَ .

والألْوَة ، والألِيَّة على فعيلة ، والألِيَّا ، كلّه : اليمين ، والجمع ألايا . آلى يؤلي إيلاء : حلَفَ . وآلى من نسائه شهراً ، أي حلف لا يدخل عليهن ، وإنّما عدّاه بـ (من) حملاً على المعنى ، وهو الامتناع من الدّخول ، وهو يتعدّى بـ (من) . وتألّى يتألّى تألّيًا ، وائتلى يأتلي ائتلاءً ، والائتلاء : الحلِف »[15] .

من هذا التّحديد اللغويّ لمادّة (ألو) يتّضح أنّها تدلّ على أصلين متخالفين : أحدهما الاجتهاد ، والآخر التّقصير . ولا شكّ أن القسم يناسبه الأصل الأوّل لما في الاجتهاد من معنى الإلزام الذي يؤدّي بدوره إلى معنى التّوكيد الذي جاء لأجله القسم .

(الألْت) :

يقول ابن فارس : « الهمزة واللام والتّاء كلمة واحدة تدلّ على النّقصان ، يقال : ألِتَه يألِتُه أي نقصه »[16] . يقول ابن منظور : « الألْت : الحلِفُ . والألْت : القسم . والألْت : النَّقص . والألتة : اليمين الغموس . وألت عليه : طلب منه حلِفًا أو شهادة يقوم له بها . وألَتَهُ يميناً يألِتُه ألْتًا إذا أحلفه . تقول العرب : ألَتُكَ باللّه لمّا فعلتَ كذا ، معناه : نشدتك باللّه . وألَتَه أيضاً : حبسه عن وجهه وصرفه »[17] .

نقول : لقد شاع وضْع هذا اللّفظ ضمن الألفاظ الجارية مجرى القسم ، ووجه العلاقة بين المعنى الأصليّ ومعنى القسم أنّ الأوّل مأخوذ من نقصان الحقّ فيحتاج إلى تصديق وتوثيق والقسم توكيد وتحقيق ، فأصبح دالا بذلك على معنى القسم بخروجه عن المعنى الأصليّ . وإنّما وضعناه هنا ضمن ألفاظ القسم الصّريح لوروده بمعنى (حلف) بشكل مباشر كما صرّح بذلك ابن منظور ، وكذلك هي في الاستعمال العربيّ منذ عصر الجاهليّة ، ومنه قولهم : « ألته يميناً ، يألته ألْتًا »[18] .

ثانيًا : ألفاظ القسم غير الصّريح :

أوّلاً : الأفعال الجارية مجرى القسم :

(أبَى)

يقول ابن فارس : « الهمزة والباء والياء يدلّ على الامتناع »[19] . ويقول ابن منظور : « أبى فلان يأبى أي امتنع . ورجل أبيّ : ذو إباء شديد إذا كان ممتنعاً . وتأبّى عليه تأبّياً إذا امتنع عليه . والإباء : أشدّ الامتناع . وأبيتَ اللَّعْنَ معناه : أبيت أن تأتي من الأمور ما تُلعَنُ عليه وتُذَمّ بسببه . وعنده دراهم لاتُؤبى أي لا تنقطع »[20] .

يتّضح من هذا التّحديد اللغويّ أنّ المعنى الأصليّ لهذا اللّفظ هو الامتناع . وفي القسم امتناع إذ هو إلزام النّفس بشيء يمنعها أن تأتي أمراً ما تُذَمُّ بسببه أو تلعن عليه ، فشابه بهذه الدّلالة كلمة القسم ، فأصبح دالا بذلك على معناه بخروجه عن المعنى الأصليّ .

(أَخَذَ عليه) :

يقول ابن فارس : « الهمزة والخاء والذّال أصل واحد تتفرّع منه فروع متقاربة في المعنى . أمّا أخذ فالأصل حَوْز الشيء وجَبْيُه وجمعه . قال الخليل : هو خلاف العطاء ، وهو التّناول »[21] . يقول ابن منظور : « أخذتُ الشّيء أخذاً : تناولته . والإخاذة : الضّيعة يتخذها الإنسان لنفسه ، وكذلك الإخاذ ، وهي أيضاً أرض يحوزها الإنسان لنفسه أو السّلطان . وتَخِذْتُ مالاً أي كسبته »[22] .

يتّضح من هذا التّحديد اللغويّ أنّ المعنى الأصليّ لهذا اللّفظ هو التّناول ، وفي التّناول معنى الامتلاك والحوز . وهذا المعنى يلتقي مع القسم في أحد معانيه الفرعيّة وهو الحظّ والنّصيب . ولو أمعنّا النّظر في عبارة سيبويه الآتية لوجدنا بغيتنا : وهي : « أخذ عليه لا يفعل ذلك أبداً »[23] . فحرف الجرّ هو الذي جعل في الفعل (أخذ) معنى اليمين .

(أذِنَ) :

يقول ابن فارس : « الهمزة والذّال والنّون أصلان متقاربان في المعنى ، متباعدان في اللّفظ ، أحدهما أذُنُ كلّ ذي أذُن ، والآخر العِلْم ؛ وعنهما يتفرّع الباب كلّه . فأمّا التّقارب فبالأذن يقع علم كلّ مسموع . والأصل الآخر العلم والإعلام . تقول العرب : قد أذِنْتُ بهذا الأمر أي عَلِمْتُ . وآذنني فلان أعلمني . والمصدر الأذْن والإيذان . فأمّا قوله تعالى : ﴿ وإذْ تأذّن ربّكم لئن شكرتم لأزيدنّكم ﴾[24] فقال الخليل : التّأذُّن من قولك : لأفعلنّ كذا ، تريد به إيجاب الفعل، أي سأفعله لا محالة . وأوضح منه قول الفرّاء : تأذّن ربُّكم : أعْلَمَ ربّكم »[25] .

يقول ابن منظور : « أذِنَ بالشّيء : عَلِمَ . وآذنه الأمر وآذنه به : أعلمه . وأذّنت : أكثرت الإعلام بالشّيء . والأذان : الإعلام . وتأذّن ليفعلنّ أي أقسم . وقوله عزّ وجلّ : ﴿ وإذْ تأذّن ربّك ﴾[26] قيل : تأذّن تألّى ، وقيل تأذّن أعلم . تأذّنتُ لأفعلنّ كذا وكذا ، يُراد به إيجاب الفعل ، وقد آذن وتأذّن بمعنى ، كما يقال : أيقن وتيقّنَ »[27] .

يتّضح من هذا التّحديد اللغويّ أنّ أذن بمعنى علم وبمعنى استمع أيضاً . والأذن والأذان العلم والإعلام ، وآذن وتأذّن بمعنى أعلم . وبالطّبع فإنّ في العلم والإعلام إشهاداً، وفي الإشهاد إلزام وإيجاب وتيقّن وإيقان ، ومن المعروف أنّ الفعل شهد وعلم يستعملان في القسم .

(أصَرَ) :

يقول ابن فارس : « الهمزة والصّاد والرّاء أصل واحد يتفرّع منه أشياء متقاربة . فالأصر الحبس والعطف وما في معناهما . وتفسير ذلك أنّ العهد يقال له إصر ، والقرابة تسمّى آصرة ، وكل عقد وقرابة وعهد إصْرٌ . فامّا قولهم : إنّ العهد الثقيل إصر فهو من هذا ؛ لأنّ العهد والقرابة لهما إصْرٌ ينبغي أن يُتَحمّل . ويقال : أصَرْتُهُ إذا حبستَه »[28] . يقول ابن منظور : « رُويَ عن ابن

عبّاس : ﴿ ولا تحمل علينا إصـــراً ﴾[29] ، قـال : عهداً لا نفي به وتعذّبنا بتركه ونقضــه . وقولـه : ﴿ وأخذتم على ذلكم إصـري ﴾[30] ، قـال : ميثـاقي وعهدي . يقـال : إنّ الإصر أن يَحلِفَ بطلاق أو عَتَاق أو نذر . وأصل الإصر : الثِّقْل والشّدّ لأنّها أثقل الأيمان وأضيقها مخرجاً ، يعني أنّه يجب الوفاء بها ولا يُتعوّض عنها بالكفّارة . وما كان عن يمين وعهد فهو إصر ، وأصله من الضّيق والحبس »[31] .

من هذا العرض اللغويّ يتّضح أنّ الوجه الجامع بين الإصر والقسم أنّ كليهما عهد وعقد وميثاق ينبغي الوفاء به فلا يُترك ولا يُنقض . وأصل ذلك اللّفظ يؤكّد ويوجد تلك العلاقة ، فالإصر حبس وتقييد ، والقسم تقييد وإلزام لصاحبه ينبغي تحمّله . ومن ذلك قول الجاهليّين : « أصَرَ ليكونَنَّ ذاك »[32] . فصار دالا بذلك على معنى القسم بخروجه عن المعنى الأصليّ .

(بَدَعَ) :

يقول ابن فارس : « الباء والدّال والعين أصلان : أحدهما ابتداء الشّيء وصنعه لا عن مثال ، والآخر الانقطاع والكَلال »[33] . يقول ابن منظور : « أبدع يميناً : أوجبها . وأبدع بالسّفر وبالحجّ : عزم عليه »[34] .

من الواضح أنّ الذي يقرّبنا إلى معنى اليمين إنّما هو الأصل الأوّل لا الثّاني ؛ لأنّ في العزم على الحجّ أو السّفر والشّروع فيه تأكيداً وإيجابًا على النّفس يشبه تقييد النّفس باليمين وإلزامها به ، فصار دالا بهذا التّشابه على معنى القسم بخروجه عن المعنى الأصليّ .

(بَدَا) :

يقول ابن فارس : « الباء والدّال والواو أصل واحد ، وهو ظهور الشّيء . يقال : بدا الشّيءُ يبدو إذا ظهر ، فهو بادٍ »[35] . يقول ابن منظور : « بَدَا الشّيء يبدو بدواً وبداءً : ظهر . وأبديتُه أنا : أظهرتُه . وكانت العرب تمدح بهذه اللّفظة

فيقولون للرّجل الحازم : ذو بَدَوات ، أي ذو آراء تظهر له فيختار بعضاً ويسقط بعضاً »[36] .

يتّضح من هذا التّحديد اللغويّ أنّ المعنى الأصل لهذا اللّفظ هو ظهور الشّيء وإعلامه ، وبالطّبع فإنّ في الإعلام علماً وإشهاداً ، وفي الإشهاد إلزام وإيجاب . ومن المعروف أنّ الفعل علم وشهد يستعملان في القسم ، فصار دالا بذلك على معنى القسم بخروجه عن المعنى الأصليّ . ويُحمَل عليه قوله تعالى : ﴿ ثمّ بَدَا لهم من بعدِ ما رأوُا الآياتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حتى حين ﴾[37] .

(بلا) :

يقول ابن فارس : « الباء واللام والواو والياء أصلان : أحدهما إخلاق الشّيء ، والثّاني نوع من الاختبار ، ويحمل عليه الإخبار أيضاً . وممّا يُحمل على هذا الباب قولهم : أبليتُ فلاناً عُذراً أي أعلمته وبيّنته فيما بيني وبينه ، فلا لومَ عليّ بعد »[38] . يقول ابن منظور : « أبليتُ فلاناً يميناً إذا حلفتَ له بيمين طيّبتَ بها نفسه . ويقال : أبلى فلانٌ إذا اجتهد في صفة حرب أو كرَم . وأبليتُ الرّجلَ : أحلفته . وابتلى هو : استحلفَ واستعرفَ . وأبلى الرجلَ : حلّفَ له ، قال :

وإنّي لأبلي النّاسَ في حبِّ غيرِها ... فأمّا على جُمْلٍ فإنّيَ لا أبْلي

أي أحلفُ للناس إذا قالوا : هل تحبّ غيرَها أنّي لا أحبّ غيرها ، فأمّا عليها فإنّي لا أحلف . والابتلاء : الاختبار بيمين كان أو غيرها . ويقال : أبلى اللّه فلانٌ إذا حلف . قال الرّاجز :

فَأوْجِعِ الجَنْبَ وأعْرِ الظَّهْرا ... أوْ يُبْلِيَ اللّهَ يَميناً صَبْرا

ويقال : ابتليتُ أي استحلفتُ »[39] .

يتّضح من هذا التّحديد اللغويّ أنّ الأصل الثّاني هو الذي يؤدي إلى معنى اليمين ؛ لأنّ في اليمين ابتلاءً واختباراً واستخباراً ، ولهذا يقال : أبليتُ فلاناً

يميناً ، إذا عرضت عليه اليمين لتبلوه بها . فيصبح دالا بذلك على معنى القسم بخروجه عن المعنى الأصليّ .

(تَـمَّ) :

يقول ابن فارس : « التّاء والميم أصل واحد منقاس ، وهو دليل الكمال . يقال : تمَّ الشّيءُ إذا كَمَلَ وأتممتُه أنا »[40] . يقول ابن منظور : « والتَّمُّ الشّيء التّامّ . وقمرٌ تَمَامٍ وتِمامٍ إذا تَمَّ ليلة البدر . وتَمَّ على الشّيء : أكمله . والتّميم : التّامّ الخلق . والتّميم : الشّادّ الشّديد . يقال : تِمٌّ و تَمٌّ بمعنى التّامّ »[41] .

من الواضح أنّ هذا اللّفظ يدلّ على الكمال والاتّصال ؛ والدّليل على ذلك مقلوب التّاء والميم : مَتَّ ، الذي يدلّ على معنى التّوصّل . وأعتقد أنّ هذا الاتّصال والكمال هو الذي يؤدّي إلى معنى اليمين حينما يتطور بها المعنى ؛ لأنّنا نقول : « أقسم باللّه ، وأصله أنّه وصل باللّه تعالى إلى قسم من الأقسام حلف به ، ثم كثر هذا واتّسع »[42] . ويحمل عليه في الدّلالة على معنى القسم قوله تعالى : ﴿ وتمّتْ كلمةُ ربِّك لأملأنَّ جهنَّمَ من الجِنّة والنّاس أجمعين ﴾[43] .

(حلَطَ) :

يقول ابن فارس : « الحاء واللام والطّاء أصل واحد : وهو الاجتهاد في الشّيء بحلف أو ضجَر . ويقال : أحلط إذا اجتهد وحلف . قال ابن أحمر :

فكُنّا وهم كابنَيْ سُباتٍ تفرّقا ... سِوًى ثم كانا مُنْجِداً وتَهامِيَا

فألقى التّهامي منهما بلَطَاتِهِ ... وأحْلَط هذا : لا أريمُ مَكانيا »[44] .

يقول ابن منظور : « حلَطَ حلْطاً وأحْلَطَ واحتلط : حَلَفَ ولَجَّ وغَضِبَ واجتهد . أحْلط الرّجلُ في اليمين إذا اجتهد . والاحتلاط : الاجتهاد في مَحْكٍ ولجاجة . الحُلُطُ : المقسمون على الشّيء »[45] .

يتّضح من هذا العرض اللغويّ أنّ المعنى الأصليّ لهذا اللّفظ الاجتهاد في

الشّيء . ثمّ صار إلى معنى الإلزام الذي أدّى بدوره إلى معنى التّوكيد فأصبح دالا على معنى القسم .

(خَافَ) :

يقول ابن فارس : « الخاء والواو والفاء أصل واحد يدلّ على الذُّعْر والفزَع »[46] . يقول ابن منظور : « الخوف : الفزع ، خافه يخافه خوفاً وخيفة ومخافة . ورجلٌ خافٌ أي شديد الخوف . والخوف : العلم ، وبه فَسَّرَ اللِّحْيانيّ قوله تعالى : ﴿ فمن خاف من مُوصٍ جَنَفًا أو إثمًا ﴾[47] ، ﴿ وإنِ امرأةٌ خافتْ من بعْلها نُشوزاً أو إعراضاً ﴾[48] .

من الغريب أن تكون هناك علاقة بين هذا اللّفظ الدّالّ على الذّعر والفزع في أصل معناه وبين القسم ولو تكلّفاً . وقد عقّب ابن مالك على هذا اللّفظ في قوله ﷺ : « أُمِرْتُ بالسِّواك حَتَّى خِفْتُ لأدْرَدَنَّ » بقوله : « فأجرى (خفت) مُجرى القسم »[49] . نقول : لمّا تأكّد المخوف منه أجري مجرى القسم تضميناً ، فإجراء الخوف مجرى القسم يختلف عن وجود معنى في أصله يحمل معنى القسم ؛ لأنّ الإجراء تضمين أو ما يشبه التّضمين .

(سَبَأَ) :

يقول ابن فارس : « سَبَأ فلانٌ على يمين كاذبة ، إذا مرّ عليها غير مكترث »[50] . يقول ابن منظور : « و سَبَأ على يمين كاذبة يَسْبَأ سَبْأً : حَلَفَ »[51] .

لم يرجع ابن فارس هذه المادّة إلى أصل من الأصول ، فقد اكتفى بذكر أربعة معان مختلفة لها ، وما أوردته هو أحد تلك المعاني . أمّا ابن منظور فقد أورد معنى الحلف إضافة إلى ما أورده ابن فارس ، فصار بذلك واضح الدّلالة على معنى القسم .

(سَمَطَ) :

يقـول ابن فـارس : « السّين والميم والطّاء أصل يدلّ على ضمّ شيء إلى شيء وشدّه به . فالسَّميط : الآجُرُّ القائم بعضُه فوقَ بعض . والسِّمْط : القلادة ؛ لأنّها منظومة مجموع بعضُها إلى بعض »[52] .

يقول ابن منظور : « سَمَطْتُ الرّجلَ يميناً على حقّي أي استحلفته ، وقد سَمَط هو على اليمين يَسْمُطُ أي حلف . ويقال : سَبَطَ فلانٌ على ذلك الأمر يميناً ، وسَمَطَ عليه ، بالباء والميم ، أي حَلَفَ عليه . وقد سَمَطْتَ يا رَجُلُ على أمر أنت فيه فاجرٌ ، وذلك إذا وكَّدَ اليمينَ وأحْلَطها »[53] . يتّضح من هذا العرض اللغويّ أنّ المعنى الأصليّ لهذا اللّفظ هو الضّمّ والاتّصال . وأعتقد أنّ هذا المعنى يؤدي إلى معنى اليمين حينما يتطوّر بها المعنى . وقد سبق أن قلنا : إنّ في القسم وصلاً عندما نقول مثلاً : أقسم باللّه . فصار دالا بذلك على معنى القسم بخروجه عن المعنى الأصليّ .

(شَهِدَ) :

يقـول ابن فـارس : « الشّـين والهـاء والدّال أصـل يدلّ على حضـور وعلم وإعلام »[54] . يقول ابن منظور : « والشّهادة خبر قاطع ، تقول منه : شهد الرّجل على ذلك . وقولهم : اشْهَدْ بكذا أي احلف . وأصل الشّهادة : الإخبار بما شاهده . وقوله تعالى : ﴿ فشهادةُ أحدِهم أربعُ شهادات باللّه ﴾[55] ، الشّهادة معناها اليمين هـهنا »[56] .

يتّضح من هذا العرض اللغويّ أنّ المعنى الأصليّ لهذا اللّفظ العلم والخبر القاطع الذي لا يدع مجالاً للرّيبة والشّكّ ، فجرى مجرى القسم فيما يراد به من التّوكيد والتّصديق والتّوثيق . قال الزّركشيّ : « إنّهم جعلوا قوله تعالى : ﴿ واللّهُ يشهد إنّ المنافقين لكاذبون ﴾[57] قسماً وإن كان فيه إخبار ، إلاّ أنّه لمّا جاء توكيداً للخبر سُمّي قسماً »[58] .

(صَبَرَ) :

يقول ابن فارس : « الصّاد والباء والرّاء أصول ثلاثة : الأوّل الحبْس ، والثّاني أعالي الشّيء ، والثّالث جنس من الحجارة . يُقال صَبرْتُ نفسي على ذلك الأمر ، أي حبستها . وصبرتُ الإنسانَ ، إذا حلّفته باللّه جَهْدَ القَسَم »[59] . يقول ابن منظور : « وأصل الصّبر : الحَبْسُ ، وكل من حبس شيئاً فقد صَبَرَهُ . تقول : صَبَرْتُ يمينَهُ أي حلّفتُهُ . وصَبَرْتُ الرّجلَ إذا حلّفته صبراً . وصَبَرَهُ : أحلفه يمين صَبْرٍ . ويمينُ الصّبر : التي يُمسكك الحَكَمُ عليها حتّى تحلف ، وقد حلف صَبْراً »[60] .

من الواضح أنّ الذي يقرّبنا إلى معنى اليمين إنّما هو الأصل الأوّل أي الحبْس والإلزام . ووجه العلاقة أنّ الصّبر حبس النّفس عند الجزع أو المصيبة أو غيرها ، فهو تقييد وإلزام ، واليمين لازمة لصاحبها من جهة عدم النّقض أو التّرك . والإلزام يؤدي بدوره إلى معنى التّوكيد . فصار دالا على القسم بخروجه عن المعنى الأصليّ .

(عزم عليه) :

يقول ابن فارس : « العين والزّاء والميم أصل واحد صحيح يدلّ على الصّريمة والقَطْع . يقال : عزَمتُ أعزمُ عزماً . ويقولون : عزمتُ عليك إلاّ فعلتَ كذا ، أي جعلتُه أمراً عَزْماً ، أي لا مثنويّة فيه . قال الخليل : العَزْم : ما عُقِد عليه القلبُ من أمر أنت فاعله ، أي متيقّنه . ويقال : ما لفلانٍ عزيمةٌ ، أي ما يَعزِم عليه ، كأنّه لا يمكنه أن يَصْرِمَ الأمر ، بل يختلط فيه ويتردّد »[61] .

يقول ابن منظور : « العزم : الجِدُّ . وفي الحديث : لِيَعْزِمَ المسألةَ ، أي يَجِدُّ فيها ويقطعها . وعَزَمَ عليه ليفعلنّ : أقسَمَ . وَعزمتُ عليكَ أي أمرتُكَ أمراً جدًّا ، وهي العَزْمَة »[62] .

يتّضح من هذا العرض اللغويّ لهذا اللّفظ أنّه يدلّ في أصل معناه على الصّرامة والحزم والقطع والجدّ والمضيّ في الأمر بحيث لا يدع مجالاً للشكّ والتّردد ، فجرى مجرى القسم فيما يراد به من الجزم والبتّ والتّوكيد . يقول الزّمخشريّ : « يقول الرّجل : أشهدُ وأشهد باللّه ، وأعزِمُ باللّه ، في موضع أقسم وأولي »[63] .

(عَلِمَ) :

يقول ابن فارس : « العين واللام والميم أصل صحيح واحد ، يدلّ على أثر بالشّيء يتميّز به عن غيره »[64] .

يقول ابن منظور : « عَلِمْتُ الشّيءَ أعلَمُه عِلْماً : عَرَفْتُه . والعَلامة والعَلَمُ : شيء يُنْصَبُ في الفلوات تهتدي به الضّالّة . والمعْلم : ما جُعل علامةً وعَلَمًا للطُّرق والحدود . ومعْلم الطّريق : دلالته ، وكلُّه راجعٌ إلى الوَسْم والعِلْم . والمعْلم : الأثر يُستدلّ به على الطّريق ، وجمعه المعالم »[65] .

يتّضح من العرض اللغويّ لهذه المادّة أنها تدلّ على أثر يتّسم ويتميّز به الشّيء . ووجه العلاقة بينها وبين القسم : أنّ العلامة شاهد على تميّز هذا الشّيء ، والشّاهد عالم ، والعالم متيقّن ، والعلم والتّيقّن توكيد وشهادة كالقسم ويُحمل عليه قول لبيد :

ولقد علمتُ لتأتينّ منيّتي ... إنّ المنايا لا تَطيشُ سهامُها[66]

(عَهِدَ) :

يقول ابن فارس : « العين والهاء والدّال أصلُ هذا الباب عندنا دالٌّ على معنًى واحد ، قد أومأ إليه الخليل . قال : أصله الاحتفاظ بالشّيء وإحداثُ العهد به »[67] . يقول ابن منظور : « العهد : الموثق واليمين يَحلِف بها الرّجلُ ، تقول : عليَّ عهدُ اللّه وميثاقُه ، وأخذتُ عليه عهْدَ اللّه وميثاقَه ، وتقول : عليه عهْد اللّه لأفعلنَّ كذا . وتقول : عاهدتُ اللّهَ ألا أفعلَ كذا وكذا . والتّعهّد : التّحفّظ

بالشّيء وتجديد العهد به . والمعاهدة والاعْتهاد والتّعاهد والتّعهّد واحد ، وهو إحداث العهد بما عهدته »[68] .

يتّضح من هذا العرض اللغويّ أنّ المعنى الأصليّ لهذا اللّفظ الاحتفاظ بالشّيء وتجديد العهد به . وهو أحد المعاني الأصليّة لكلمة (الحلف) ، فأصل الحلف المعاقدة والمعاهدة والتّساعد والاتّفاق . والحِلْف : العهد بين المتحالفين . فدلالته على القسم ليست عن طريق المشابهة ، ولكنّها أصل فيه مثل الحلف ، كما أنّ اشتراكهما في المعنى الحسّيّ وهو المطر أو الغيث هو أحد أوجه العلاقة بينهما . ويحمل عليه في الدّلالة على القسم قول الشّاعر :

أرى مُحْرِزاً عاهدتُهُ لَيُوَافِقَنْ فكانَ كَمَنْ أغريتُهُ بخلافِ[69]

(قضى) :

يقول ابن فارس : « القاف والضّاد والحرف المعتلّ أصل صحيح يدلُّ على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته »[70] . يقول ابن منظور : « قال أهل الحجاز : القاضي معناه في اللغة القاطع للأمور المحكم لها . وقد تكرّر في الحديث ذكر القضاء ، وأصله القطع والفصل . يقال : قضى يَقضي قضاءً فهو قاضٍ ، إذا حَكَمَ وفَصَلَ . وقضاء الشّيء : إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه »[71] .

يتّضح من هذا العرض اللغويّ لهذا اللّفظ أنّه يدلّ على إحكام الأمر والفصل فيه والقطع به . فشابه بهذه الدّلالة معنى القسم فيما يراد به من القطع والجزم والفصل والتّوكيد . فصار دالا بهذا التّشابه على معنى القسم بخروجه عن المعنى الأصليّ . ويُحمَل عليه في الدّلالة على القسم قوله تعالى : ﴿ وقَضَينا إلى بني إسرائيلَ في الكتابِ لَتفسدنَّ في الأرضِ مرّتين ﴾[72] .

(كَتَب) :

يقول ابن فارس : « الكاف والتّاء والباء أصل صحيح واحد يدلّ على جمع شيء

إلى شيء »[73] . يقول ابن منظور : « الكاتب العالم ، قال اللّه تعالى : ﴿ أم عندهم الغيبُ فهم يكتبون ﴾[74] . وفي كتابه إلى أهل اليمن : قد بعثتُ إليكم كاتباً من أصحابي ، أراد عالماً سُمِّي به لأنّ الغالب على من كان يعرف الكتابة ، أنّ عنده العلم والمعرفة . والكتاب : الفَرْضُ والحُكْم والقَدَر . الكُتْبَةُ : الخُرْزة المضمومة بالسّير . والكَتْبُ : الجَمْعُ »[75] .

من الواضح أنّ المعنى الحسّيّ لهذه المادّة يدلّ على الضّمّ والجمع والاتّصال . وبهذا أمكن لها أن تشابه معنى القسم في دلالته المعنويّة . ومن ذلك في الدّلالة على القسم قوله تعالى : ﴿ كتب اللهُ لأغلبنّ أنا ورسلي ﴾[76] . ولو أنّنا نظرنا إلى هذه المادّة من سبيل آخر ، لوجدنا أنّ كَتَبَ بمعنى علِمَ ، وفي العلم إشهاد وتيقّن وإيقان . ومن المعلوم أنّ الفعل علِمَ يستعمل في القسم ، وبذلك نقترب من معنى القسم كثيراً .

(نَـجَـدَ) :

يقول ابن فارس : « النّون والجيم والدّال أصل واحد يدلّ على اعتلاء وقوّة وإشراف »[77] .

ويقول ابن منظور : « نَجَدَ نَجْداً أي جَهَدَ جَهْداً . والنَّجْدة : الشِّدّة . ولاقى فلانٌ نَجْدةً أي شِدّة : وليس من شِدّة النّفْس ولكنّه من الأمر الشّديد . واستنجده فأنجده : استغاثه فأغاثه . والإنجاد : الإعانة . واستنجده : استعانه . وأنجده : أعانه ، وأنجده عليه : كذلك أيضاً . وقول مُهَلْهِلٍ :

تَنَجَّدَ حِلْفاً آمِناً فأمِنْتُهُ ... وإنّ جَديراً أن يكونَ ويَكْذِبا

تنجّد أي حلف يميناً غليظة »[78] .

يتّضح من هذا العرض اللغويّ أنّ هذه المادّة تدلّ على قوّة الأمر وشدّته وغلظته . وفي التّشديد توكيد ، فشابه بهذه الدّلالة معنى القسم في دلالته المعنويّة .

(نَشَدَ) :

يقول ابن فارس : « النّون والشّين والدّال أصل صحيح يدلّ على ذكر شيء وتنويه . ونَشَدَ فلانٌ فلاناً قال : نشدتُك اللّهَ ، أي سألتك باللّه . وتلخيصه : ذكّرتك اللّه تعالى . وأمّا نشدتُ الضّالّة ، يعني طلبتها »[79] . ويقول ابن منظور : « نَشَدَ الضالّةَ يَنْشُدُها نِشْدَةً ونِشْداناً طَلَبَهَا وعَرَّفَها . ونشدتُك اللّهَ نَشْدة ونِشدة ونِشداناً استحلفتُك باللّه ، وأنشُدُكَ باللّهِ إلاّ فعلتَ : أستحلفك باللّه . يقال : نشدتُك اللّهَ وأنشدُكَ اللّه ، وباللّه ، وناشدتُك اللّهَ ، وباللّه ، أي سألتك وأقسمتُ عليك »[80] .

يتّضح من هذا التّحديد اللغويّ لهذه المادّة أنّها تدلّ على الطّلب والتّعريف . فنشد الضّالّة أي طلبها وعرّفها ، والنّاشد هو الطالب والمعرّف . وهذا الطلب يتضمّن السّؤال عنها على سبيل التّوكيد ، والقسم توكيد ، ولهذا استُخدمت في القسم .

(نَفَلَ) :

يقول ابن فارس : « النّون والفاء واللام أصل صحيح يدلّ على عطاء وإعطاء »[81] . ويقول ابن منظور : « والنّافلة : العطيّة عن يد . والنّفل والنّافلة : عطيّة التّطوّع من حيث لا يجب . ورجل كثير النّوافل ، أي كثير العطايا والفواضل . والنّوفل : العطيّة . والنّوفل : الرجل الكثير العطاء . يقال : نفّلتُه فنَفَلَ ، أي حلّفتُه فحلف . ونَفَلَ وانتفل إذا حلف . وأنفل له : حلف »[82] .

من الواضح أنّ المعنى الحسّي لهذه المادّة على ما توجبه اللغة يدلّ على العطاء عن يمين اليد . والقسم اليمين « وأصل اليمين أنّهم كانوا إذا تحالفوا وتعاقدوا تصافقوا بأيمانهم ، ولذلك قيل أعطاه صفقة يمينه على هذاالأمر »[83] . فلمّا كان هناك توافق دلاليّ في أصل المعنى استُخدمت في الدّلالة على القسم .

(وَثِقَ) :

يقول ابن فارس : « الواو والثّاء والقاف كلمة تدلّ على عقد وإحكام . ووثّقتُ

الشَّيءَ : أحكمته . والميثاق : العهد المحكم »[84] . يقول ابن منظور : « والوثيقة : الإحكام في الأمر . والموثق والميثاق : العهد . والمواثقة : المعاهدة . تقول : واثقتُه باللّه لأفعلنَّ كذا وكذا . وأخذ الأمر بالأوثق ، أي الأشدّ الأحكم . وتواثقنا على الإسلام ، أي تحالفنا وتعاهدنا »[85] .

يتّضح من هذا التّحديد اللغويّ أنّ المعنى الأصل لهذا اللّفظ يدلّ على عهد وعقد وإحكام . وهو أحد المعاني الأصليّة لكلمة الحلف . فأصل الحلف المعاقدة والمعاهدة على التّعاضد والتّساعد ، فصار دالا بهذه الدّلالة المعنويّة على معنى القسم . ومنه قول الشّاعر :

واثقتُ مَيَّةَ لا تَنفكُّ مُلْغيةً قَوْلَ الوُشاةِ فما ألغتْ لهم قِيْلاً[86]

(وَذَمَ) :

يقول ابن فارس : « الواو والذال والميم : كلمة تدلّ على تعليق شيء بشيء »[87] . ويقول ابن منظور : « أوذمَ الشّيء : أوجبه . وأوذم على نفسه حَجًّا أو سفراً : أوجبه . وأوذم اليمينَ وونّمها وأبدعها ، أي أوجبها »[88] .

من الواضح أنّ المعنى الذي يقرّبنا إلى اليمين إنّما هو الإيجاب والإلزام . فمعنى أوذم اليمينَ أو بالحجّ أو بالسّفر : أوجبه ، وأوذم عليه النّذر : ألزمه نفسه . وفي الإلزام إيجاب على النّفس يشبه تقييد النّفس باليمين ، فصار دالا بذلك على معنى القسم بخروجه عن المعنى الأصليّ .

(وَعَدَ) :

يقول ابن فارس : « الواو والعين والدّال : كلمة صحيحة تدلّ على ترجية بقول »[89] . ويقول ابن منظور : « الميعاد والمواعدة : وقت الوعد وموضعه . والموعد : العهد . ويقال للدّابّة والماشية إذا رُجِيَ خيرُها وإقبالها : واعد »[90] .

يتّضح من هذا التّحديد اللغويّ لهذا اللّفظ أنّه يدلّ على العهد ، وهو أحد المعاني الأصليّة لكلمة الحلف . فدلالته على القسم ليست عن طريق المشابهة ، ولكنّها أصل فيه مثل الحلف . ويحمل عليه في الدّلالة على القسم قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللّهُ الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لَيستخلفنَّهم في الأرض ﴾[91] .

ثانيًا : الأسماء والمصادر الجارية مجرى القسم :

(الإلُّ) :

يقول ابن فارس : « والهمزة واللام في المضاعف ثلاثة أصول :

اللمعان في اهتزاز ، والصوت ، والسّبب يحافَظ عليه »[92] .

ويقول ابن منظور : « والإلُّ : الحِلْف والعهد . والإلُّ : الجار . والإلّ : القرابة . وقيل : الإلّ الأصل الجيّد . والإلّ : اللّهُ عزّ وجلّ . وكلّ اسم في العرب آخره إلّ أو إيل فهو مضاف إلى اللّه عزّ وجلّ . والإلّ : الرّبوبيّة »[93] .

ومن الواضح أنّ المعنى الأقرب إلى معنى القسم في دلالته المعنويّة إنّما هو الحلف والعهد من بين تلك المعاني . وربّما تكون الإلّ في دلالتها الأصليّة : اللّه أو الرّبّ ، بدلالة خواتيم الأسماء المنقولة من اللغة السّاميّة إلى اللغة العربيّة مثل : إسرائيل وجبرائيل وإسماعيل . فعندما نقول : بإلّ لأفعلنّ يعني : أقسم باللّه لأفعلنّ ، وغير خفيّ بأنّ الحلف باللّه كان رأسَ الأيمان عند العرب ، لأنّ أكثرهم كان على ملّة الحنيفيّة إرث أبي الأنبياء إبراهيم ، وهي ملّة التّوحيد .

(أمانةُ اللّه) :

يقول ابن فارس : « الهمزة والميم والنّون أصلان متقاربان : أحدهما الأمانة التي هي ضدّ الخيانة ، ومعناها سكون القلب ، والآخر التّصديق »[94] . ويقول ابن منظور : « والأمانة : ضدّ الخيانة . والأمانة تقع على الطّاعة والعبادة والوديعة والثّقة والأمان . واتّفق أهل العلم من اللّغويّين وغيرهم أنّ الإيمان معناه التّصديق .

وآمَن بالشّيء : صَدَّقَ وأمِنَ كَذِبَ من أخبره »[95] .

من الواضح أنّ الأصل الأقرب إلى معنى القسم إنّما هو الثّاني الدّالّ على التّصديق . والوجه الجامع أنّ التّصديق تحقيق وتوثيق وتوكيد كالقسم كما أنّ الأصل الأوّل قريب إلى معنى القسم أيضاً ، ففي الأمانة حفظ وإلزام وإيجاب على النّفس يشبه تقييد النّفس باليمين وإلزامها به . فالأصلان متدانيان في الدّلالة على القسم والثّاني أدنى .

(أجِدّكَ) :

يقول ابن فارس : « الجيم والدّال أصول ثلاثة : الأوّل العظمة ، والثّاني الحظّ ، والثّالث القطع . وليس ببعيد أن يكون الجدّ في الأمر والمبالغة فيه من هذا ؛ لأنّه يَصْرمه صريمة ويعزمه عزيمة . ومن هذا قولك : أجِدّكَ تفعل كذا ، أي أجِداً منك ، أصريمةً منك ، أعزيمةً منك . قال الأعشى :

أجِدَّكَ لم تسمعْ وَصَاةَ محمّدٍ نبيِّ الإلهِ حينَ أوْصَى وأشْهدا

وقال :

أجِدَّكَ لم تَغتمِضْ ليلةً فَترقُدَها مَعَ رُقَّادِهَا »[96] .

ويقول ابن منظور : « الجَدُّ : أبو الأب وأبو الأمّ ، والجمع أجداد وجدود . والجِدّ : إنّما هو الاجتهاد في العمل . والجَدّ : الحظّ والسّعادة والغنى . والجُدّ : شاطىء النّهر . وجَدَّ الشّيء يجُدُّه جَدًا : قطعه . والجِدّ : نقيض الهزل . وأجِدَّكَ وأجَدَّكَ معناهما : مالَكَ أجِدًا منك ونصبهما على المصدر . ومعناهما واحد ، ولا يُتكلّم به إلاّ مضافاً . وأجِدَّكَ معناه : أبجدٌ هذا منك ، ونصبهما بطرح الباء . ومن قال : أجِدَّك ، بكسر الجيم ، فإنّه يستحلفه بجدّه وحقيقته ، وإذا فَتَح الجيم استحلفه بجَدّه وهو بخته . قال ثعلب : ما أتاك في الشّعر من قولك : أجِدَّكَ فهو بالكسر ، فإذا أتاك بالواو وجَدَّك فهو مفتوح . قال سيبويه : أجدًا مصدر ، كأنّه

قال : أجِدّاً منك ، ولكنّه لا يُستعمل إلاّ مضافاً »[97] .

يتّضح من هذا العرض اللغويّ : أنّ المستعمل مع الواو يكون مقصوداً به القسم صراحة ، والواو هي واو القسم ، ويكون المراد هو القسم بالجَدّ أو الحظّ أو الرّزق . أمّا المكسور فهو من الجدّ في الأمر ضدّ الهزل ، فيكون بمعنى الاجتهاد . وفي هذه الحالة فالأكثر استعماله مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف كما قال بعضهم ، والتّحقيق على أنّه منصوب على نزع الخافض فيكون مشابهاً لـ (أحقّا) ، ومن هنا يكون فيه معنى القسم .

(لا جَرَمَ) :

يقول ابن فارس : « الجيم والرّاء والميم أصل واحد يرجع إليه الفروع . فالجرْم القطْع . وجَرَمَ أي كسب . والجُرْم والجريمة : الذّنب ؛ لأنّه كسب ، والكسب اقتطاع . وقالوا في قولهم : « لا جَرَمَ » هو من قولهم : جَرَمْتُ أي كسبت . والجارم : الكاسب »[98] . يقول ابن منظور : « الجَرْم : القطْع . جَرَمه يجرِمُه جَرْماً : قطعه . يقال : تَجَرَّمَ ذلك القَرْنُ أي انقضى وانصرم ، وأصله من الجَرْم القطْع . ولا جَرَمَ أي لا بدّ ولا محالة ، وقيل : معناه حقّا . والعرب تقول : لا جَرَمَ لآتينَّكَ ، لا جَرَمَ لقد أحسنت ، فتراها بمنزلة اليمين . قال الفرّاء : لا جرم كلمة كانت في الأصل بمنزلة لا بدّ ولا محالة فجرت على ذلك وكثُرت حتّى تحوّلت إلى معنى القسم ، وصارت بمنزلة حقّا ، فلذلك يُجاب عنها باللام كما يُجاب بها عن القسم »[99] . إذنْ (لا جرم) كانت في الأصل بمنزلة لا بدّ ولا محالة ، فكثرت وجرت على ذلك حتّى صارت بمعنى القسم للتّأكيد الذي فيها ، فهي بمنزلة حقّا ، فلذلك تُجاب بما يُجاب به القسم .

(جَيْرِ) :

يقول ابن فارس : « الجيم والياء والرّاء : كلمة واحدة جَيْرِ بمعنى حقّا »[100] .

ويقول ابن منظور : « جَيْرِ : بمعنى أجلْ ، وجَيْرِ : بمعنى اليمين ، يقال : جَيْرِ لا

أفعلُ كذا وكذا . وبعضهم يقول : جَيْرَ بالنّصب معناها : نعَمْ وأجَلْ . الجوهري[101] : قولهم : جَيْرِ لا آتيك ، بكسر الرّاء ، يمين للعرب ومعناها حقًا . والجِير : الجِصُّ »[102] . يقول الرّضيّ : « ويقوم مقام الجملة القسميّة أيضاً بعضُ حروف التّصديق ، وهو (جير) بمعنى (نَعمْ) ، والجامع أنّ التّصديق توكيد وتوثيق كالقسم ، تقول : جير لأفعلنّ ، كأنّك قلت : واللّه لأفعلنّ ، وهي مبنيّة على الكسر ، وليست اسماً بمعنى (حقًا) »[103] .

يتّضح من ذلك أنّ (جير) سواء أكانت حرفاً بمعنى (نَعَمْ) أم اسماً بمعنى (حقًا) ، فهي في موضع القسم للتّأكيد الذي فيها .

(حَرَامُ اللّه) :

يقول ابن فارس : « الحاء والرّاء والميم أصل واحد ، وهو المنع والتّشديد »[104] . ويقول ابن منظور : « الحرام : نقيض الحلال . والحُرْمُ ، بالضّمّ : الإحرام بالحجّ . والإحرام : مصدر أحْرَمَ الرّجلُ يُحرم إحرامًا إذا أهَلَّ بالحجّ أو العمرة وباشر أسبابهما وشروطهما ، والأصل فيه المنع . والحُرْمة : ما لا يحلّ لك انتهاكه . والمحارم : ما لا يحلّ استحلاله . وأحرم الرّجل إذا صار في حُرَمِهِ من عهد أو ميثاق هو له حرمة من أن يُغارَ عليه . والحُرْمَة : الذّمّة . ويقال للحالف : مُحرِم لتحرُمه به ، ومنه قول الحسن في الرجل يُحْرِمُ في الغضب أي يحْلِفُ . والحُرمة : المهابة . وقال العُقيليّون : حرامُ اللّه لا أفعل ذلك ، ويمينُ اللّه لا أفعل ذلك ، معناهما واحد »[105] .

يتّضح من التّحديد اللغويّ لهذه المادّة أنّه إذا كان الأصل هو المنع والتّشديد ، فيقال في المعنى الحسّي : أحرم الرّجل بالحجّ والعمرة ، منع نفسه أو امتنع عليه مباشرة ما كان له حلالاً من قبل كالطّيب والنّكاح والصّيد وغير ذلك . ويقال في المعنويّ : أحرم الرّجل ، صار ذا حرمة أي ذمّة وعهد وميثاق . فالمحرم إذنْ من شدّد على نفسه بهذا التّحرّم ، والتّشديد توكيد كالقسم .

(حقًا) :

يقول ابن فارس : « الحاء والقاف أصل واحد ، وهو يدلّ على إحكام الشّيء وصحّته . فالحقّ نقيض الباطل . ويقال : حَقَّ الشّيءُ وَجَبَ . ويُقال : ثوب محقَّق ، إذا كان محكم النّسج . والأحقّ من الخيل : الذي لا يعْرَق ؛ وهو من الباب ؛ لأنّ ذلك يكون لصلابته وقوّته وإحكامه . والحاقّة : القيامة ؛ لأنّها تحقّ بكل شيء . وتقول : حقًا لا أفعل ذلك ، في اليمين »[106] . يقول ابن منظور : « الحقّ : نقيض الباطل ، وجمعه حقوق وحِقاق . وفي حديث التلبية : لبيك حقًا حقًا ، أي غير باطل ، وهو مصدر مؤكّد لغيره . وأحققتُ الأمر إحقَاقًا إذا أحكمتَه وصحّحته . والحقّ من أسماء اللّه عزّ وجلّ . وأحققتُ الشّيءَ أي أوجبتُه . والحقّ : اليقين بعد الشّكّ . ومن أيمانهم : لَحَقٌّ لأفعلنّ . قال الجوهريّ : وقولهم : لَحَقٌّ لا آتيك هو يمين للعرب يرفعونها بغير تنوين إذا جاءت بعد اللام ، وإذا أزالوا عنها اللام قالوا : حقًا لا آتيك . والحقّ : المِلْك »[107] .

يتّضح من هذا التّحديد اللغويّ أنّ هذه المادّة تدل على إحكام أمر وتحقيقه ، بحيث لا يعرض له شكّ ولا شبهة تقدح في تصديقه . فصارت دالّة على معنى القسم ؛ لأنّ التّحقيق والتّصديق واليقين توكيد ، وهو الغرض الذي جاء لأجله القسم .

(الذِّمّة) :

يقول ابن فارس : « الذّال والميم في المضاعف أصل واحد يدلّ كلّه على خلاف الحمد . يقال : ذَمَمْتُ فلاناً أذُمُّه ، فهو ذميم ومذموم ، إذا كان غير حميد . ومن هذا الباب الذَّمّة ، وهي البئر القليلة الماء . فأمّا العهد فإنّه يُسمّى ذِماماً لأنّ الإنسان يُذَمُّ على إضاعته منه . وأهل الذِّمّة : أهل العقْد »[108] . ويقول ابن منظور : « الذَّمُّ : نقيض المدح . وأذَمَّهُ : وجده ذميماً مذموماً . والمَذَمَّة ،

الملامة . والذّامّ جميعاً : العيب . وبئر ذَمَّة وذميم وذميمة : قليلة الماء ، لأنّها تُذَمّ . وإنّ راحلتَه أذَمَّتْ ، أي انقطع سيرُها ، كأنّها حملتْ النّاسَ على ذمّها . والذِّمام والمذَمَّة : الحقّ والحُرْمة . والذِّمّة والذِّمام بمعنى العهد والأمان والضّمان والحُرمة والحقّ ، وسُمِّيَ أهلُ الذِّمة ذِمَّة لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم . وفي التّنزيل العزيز : ﴿ لا يَرْقُبونَ في مؤمن إلا ولا ذِمَّةً ﴾[109] ، الذِّمة : العهد ، والإلّ : الحلف »[110] .

إذنْ الواضح من هذا التّحديد اللغويّ أنّ الأصل يدلّ على الذّمّ وهو خلاف الحمد والمدح ، ولا يكون إلاّ عند إضاعة الذّمام والمذمّة أي الحقّ والحرمة . وعلى ذلك يكون هذا الأصل مأخوذاً من المعنى الحسّي : الذَّمَّة وهي البئر القليلة الماء ، أو إذمام الرّاحلة . وكلاهما يؤدي إلى الذّمّ ، فهما مذمومتان لضياع فائدتهما فليس لهما حرمة الذِّمام . وحُرْمة الذِّمام هي حقّ وعهد ، ومن هنا جاء استعمالها في القسم . ومنه قول ليلى الأخيليّة :

تُساورُ سَوّاراً إلى المجْدِ والعُلاَ ... وفي ذِمَّتي لئنْ فعلتَ لَيَفْعَلاَ[111]

(لَعمرُ اللّهِ ، وعَمْرَكَ اللّهَ) :

يقول ابن فارس : « العين والميم والرّاء أصلان صحيحان ، أحدهما يدلّ على بقاء وامتداد زمان ، والآخر على شيء يعلو من صوت أو غيره . فالأوّل العُمْر وهو الحياة ، وهو العَمْر أيضاً . وقول العرب : لعمرك ، يحلف بعمره أي حياته . فأمّا قولهم : عَمْرَكَ اللّه ، فمعناه : أعمّرك اللّهَ أن تفعل كذا ، أي أذكّرك اللّهَ ، تحلّفه باللّه وتسأله طولَ عمره . ويقال : عَمِرَ النّاس : طالت أعمارُهم . ومن الباب عِمارة الأرض ، وهي عامرة معمورة . والاسم والمصدر العُمْران . واستعمر اللّهُ تعالى النّاسَ في الأرض ليعمروها »[112] . يقول ابن منظور : « العَمْرُ والعُمُرُ والعُمْر : الحياة . والعرب تقول في القسم : لعمري ولعمرُك ، يَرفعونه بالابتداء ، ويُضمرون الخبر ، كأنّه قال : لعمرك قسمي أو يميني أو ما أحلف به . وقيل :

العمْر ههنا الدِّين ، وأيّاً كان فإنّه لا يُستعمل في القسم إلا مفتوحاً . وفي التّنزيل العزيز : ﴿ لعمرك إنّهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾[113] ، لم يُقرأ إلاّ بالفتح . قال الجوهريّ : معنى لعمرُ اللّهِ وعَمْرَ اللّهِ أحلف ببقاء اللّه فكأنّك قلت : بتعميركَ اللّهَ ، أي بإقرارك له بالبقاء ، وقول عُمَرَ بنِ أبي ربيعة :

أيّهـا المُنكِحُ الثُّـريَّا سُـهـيـلاً عَـمْـرَكَ اللّهَ ! كـيفَ يجـتـمـعـانِ ؟

يريد : سألتُ اللّهَ أن يُطيل عُمْرَكَ ، لأنّه لم يُرد القسم بذلك . وعمْـرَكَ اللّهَ مثل نشـدتُك اللّهَ . وقـال المبرِّد في قـوله عَمْـرَكَ اللّهَ : إنْ شئتَ جعلتَ نصبه بفعل أضمرتَه ، وإن شئت نصبتَه بواو حذَفْتَه : وعمْرِكَ اللّهَ ، وإنْ شئتَ كان على قولك : عمّرتُك اللّه تعميراً ، ونشدتُكَ اللّهَ نشيداً ثمّ وَضَعْتَ عَمْرَكَ في موضع التّعمير ، وأنشد فيه :

عَـمَّـرتُكِ اللّهَ إلاّ مـا ذكَـرْتِ لنا هـلْ كُنْتِ جَـارَتَنَا أيّامَ ذِي سَلَمِ

يريد : ذكّرتُكِ اللّهَ . وعَمْرَكَ اللّهَ بَيِّعاً ، أي أسـألُ اللّه تعميرَك ، وأن يُطيل عُمْرَكَ ، وبَيِّعاً منصوب على التّمييز ، أي عَمَّرَكَ اللهُ من بَيِّع . ولعمرُ إلهكَ ، هو قسم ببقاء اللّه ودوامه . وقالوا : عَمْرَكَ اللّهَ افعل كذا إلا فعلت كذا وإلا ما فعلت ، بالنّصب ، وهو من الأسماء الموضوعة موضع المصادر المنصوبة على إضمار الفعل المتروك إظهاره ، وأصله من عمّرتك اللّه تعميراً ، فحذفت زيادته فجاء على الفعل . وأعمِّرُك اللّه أن تفعل كذا ، كأنّك تُحلّفه باللّه وتسأله بطول عُمْره ، قال :

عَـمَّـرتُكَ اللّهَ الجليلَ فـإنّني ألوي عليكَ لو أنّ لُبَّكَ يهـتـدي

الكسائيّ : عَمْرَكَ اللّهَ لا أفعلُ ذلك ، نَصَبَ على معنى عَمَرْتُك اللّهَ ، أي سألتُ اللّهَ أن يُعمِّرَك ، كأنّه قال : عَمَّرْتُ اللّهَ إيّاك . قال : ويقال إنّه يمينٌ بغير واو وقد يكون عَمْرَ اللّهِ ، وهو قبيح . والعُمْرة : طاعة اللّه عزّ وجلّ . والعُمْرة في الحجّ معروفة ،

وقد اعتمرَ ، وأصله من الزّيارة . ويقال للاعتمار : القَصْد . واعتمرَ الأمْرَ : أمَّهُ وقَصَدَ له »[114] .

يتّضح من هذا التّحديد اللغويّ أنّ المعنى الأصليّ يدلّ على الحياة والبقاء والدّوام .

أمّا قولهم : لَعَمْرُ اللّهِ ، فمعناه : لَحياتُهُ ، وقيل : لَدينُهُ . فعلى المعنى الأوّل هو قسم ببقاء اللّه ودوامه ، فكأنّك قلت : بتعميرك اللّه ، أي بإقرارك له البقاء ، والإقرار تصديق وتوكيد كالقسم . وعلى المعنى الثّاني هو قسم بدين اللّه ، وفي الدّين إيجاب وإلزام يشبه تقييد النّفس باليمين وإلزامها بها . فدلّ بذلك على معنى القسم بخروجه عن المعنى الأصليّ . وأمّا قولهم : عَمْرَكَ اللّهَ ، فمعناه : سألتُ اللّه أن يطيل عمرك ، وهو مثل نشدتك اللّه . فهو طلب يتضمّن السّؤال على سبيل التّوكيد ، والقسم توكيد ، ولهذا استُخدمت في القسم .

(عَوْضُ) :

يقول ابن فارس : « العين والواو والضّاد كلمتان صحيحتان ، إحداهما تدلّ على بدل للشّيء ، والأخرى على زمان . فالأولى : العِوَض ، تقول : عوّضته من هبته خيراً . واعتاضني فلان ، إذا جاء طالباً للعِوَض والصِّلة . والكلمة الأخرى : قولهم عَوْضُ ، واخْتُلِفَ فيها ، فقال قوم : هي كلمة قسم . وذُكر عن الخليل أنّه قال : هو الدّهر والزّمان : عَوْضُ لا يكونُ ذلك ، أي أبداً . ثم قال الخليل : لو كان عَوْضُ اسماً للزّمان لجرى بالتّنوين ، ولكنّه حرف يراد بها القسم ، كما أنّ أجَلْ ونَعَمْ ونحوهما لمّا لم يتمكّنْ حُمِلَ على غير الإعراب . وقال الأعشى :

رَضِيعَيْ لِبَانٍ ثديَ أمٍّ تَقَاسَمَا بأسحَمَ داجٍ عَوْضُ لا نتفرَّقُ »[115] .

ويقول ابن منظور : « العِوَضُ : البَدَل ، والجمع أعواض . والمستقبَلُ : التّعويض . وتعوّض منه واعتاض : أخذ العِوَضَ ، واعتاضه منه واستعاضه

وتعوّضه ، كلّه : سأله العِوَض . قال الجوهريّ : عوضُ معناه الأبَد وهو للمستقبَل من الزّمـــان ، كمـا أنّ قطّ للمـاضي من الزّمـان ، لأنّك تقـول : عـوضُ لا أفـارقُك ، تريد : لا أفـارقُك أبداً . وقـيل : هو بمعنى قسم ، يُقـال : عـوضُ لا أفـعله ، يحلف بالدّهر والزّمـان . وقـيل : عَـوْضُ في بيت الأعـشى اسمُ صنمٍ . ومـن كلامـهم : لا أفـعله عـوض العـائضين ، ولا دهر الدّاهرين ، أي لا أفـعله أبداً . قـال ابن جنّي : ينبـغي أن تعلم أنّ العِوَض من لفظ عَوْضُ الذي هو الدّهر ، ومـعناه أنّ الدّهر إنّمـا هو مرور النّهار واللّيل والتقاؤهما وتصرّم أجزائهما ، وكلّما مضى جزء منه خَلَفَهُ جزء آخر يكون عـوضـــاً منه ، قال : فلـهذا كان العِوَضُ أشـــدّ مـخالفةً للمعوَّض منه من البدل . وعِيـاض : اســـم رَجُل ، وكلّه راجع إلى مـعنى العـوض الذي هو الخَلَفُ »[116] .

يتّـضح من هذا التّـحديد اللغـويّ أنّ عَوْضُ في الأصل هـو الأبد للمسـتقـبل من الزّمـان ، فإذا قلت : عَوْضُ لا أفارقُك ، فأنت تريد : لا أفارقك أبداً ، والبتّة ، ففيه من التّأكيد ما يفيد فـائدة القسم[117] ، فصـار دالا بتلك الفائدة على معناه بخروجه عن المعنى الأصليّ .

(قِعْدَكَ اللّهَ ، وقَعيدَكَ اللّهَ) :

يقـول ابن فـارس : « القـاف والعين والدّال أصل مـطّرد منقـاس لا يُـخلف ، وهو يُضاهِي الجلوس وإن كان يُتكلّم في مواضعَ لا يُتكلّم فيها بالجلوس . فأمّا قولهم : قـعيدك اللّه ، وقـعدك اللّه ، في مـعنى القسم »[118] . يقـول ابن منظور : « القعـود : نقيض القيام . والقعيد الذي يصاحبك في قعودك ، وقعيدا كلّ امرىء : حافظاه عن اليمـين وعن الشّمـال . وفي التّنزيل : ﴿ عن اليمين وعن الشّمـال قـعيـد ﴾[119] . وقـعيـــدة الرّجل : امـرأته . والقـعيـد : ما أتاك من ورائك من ظَبْي أو طائر يُتَطيّر منه . والقـعيـد : الجراد الذي لـم يستوِ جناحـاه بعـد . وامـرأة قـاعد إذا قـعدتْ عن المحيض . والقاعدة : أصل الأسّ . والقواعد أسـاطين البناء التي تَعْمِدُهُ . والقُعْدُد :

الجَبان اللّئيم القاعد عن الحرب والمكارم . والقُعْدُدُ : القُرْبى . وقَعَدَ فلانٌ يشتُمُني بمعنى طَفِق وجَعَلَ . وقَعيدكَ اللّهَ لا أفعلُ ذلك ، وقِعْدَكَ ، قال متمّم بن نويرة :

قعيدَك ألّا تُسمعيني مَلامَةً ولا تَنْكَئِي قَرْحَ الفُؤادِ فَيَيجعَا

وقيل : قِعْدَكَ اللّه ، وقعيدَك اللّه ، أي كأنّه قاعد معك يحفظ عليك قولَكَ . قال الكسائيّ : يُقال : قِعدَكَ اللّهَ أي اللّهُ مَعَكَ . وقال ثعلب : قِعْدَك اللّهَ وقعيدك اللّه ، أي نشدتُكَ اللّهَ . وقال : إذا قلت : قعيدكما اللّهَ جاء معه الاستفهامُ واليمينُ ، فالاستفهام كقوله : قعيدكما اللّه ألمْ يكنْ كذا وكذا ؟ والقسم : قعيدَك اللّهَ لأكرمنَّك ، وقال أبو عبيد[120] : عُلْيا مُضر تقول : قعيدَكَ لَتفعلنَّ كذا ، قال : القعيد الأب ، وقيل : القعيد المُقاعد ، وأنشد بيت الفرزدق :

قَعيدَ كُمَا اللّهَ الذي أنتما لهُ ألمْ تسمعَا بالبيضتين المناديا ؟

يقول : أينما قَعَدْتَ فأنت مُقَاعد للّه ، أي هو معك . قال الجوهريّ : هي يمين للعرب وهي مصادر استُعملت منصوبةً بفعل مضمر ، والمعنى بصاحبِك الذي هو صاحبُ كلّ نجوى ، كما يقال : نشدتُك اللّهَ . قال ابن برّي[121] في ترجمة وَجَعَ في بيت مُتمِّم بن نُويرة :

قَعيدكِ ألاّ تُسمعيني مَلامَةً

قال : قعيدكِ اللّهَ ، وقِعْدَكِ اللّه استعطاف وليس بقسم ، كذا قال أبو عليّ ؛ قال : والدّليل على أنّه ليس بقسم كونه لم يُجَبْ بجواب القسم . وقَعيدَك اللّهَ بمنزلة عَمْرَكَ اللّهَ في كونه ينتصب انتصاب المصادر الواقعة موقع الفعل ، فَعَمْرَكَ اللّهَ واقع موقع عَمَّرَك اللّهُ ، أي سألتُ اللّهَ تعميرك ، وكذلك قِعْدَكَ اللّهَ تقديره : قَعَّدتُكَ اللّه ، أي سألتُ اللّهَ حِفْظك من قوله تعالى : ﴿ عن اليمين وعن الشّمال قعيد ﴾[122] أي حفيظ »[123] . يقول النّجيرميّ : « قِعْدك لا أفعل ذاك ، وقعيدك .... » ، ومعناها : أخْصَبَ اللّه بلادك حتى تكون مقيماً فيها قاعداً غير منتجع »[124] . يقول الرّضيّ

في كلام مفصّل عن : عمرك اللّهَ وقعدك اللّه : « وأكثر ما يستعملان في قسم السّؤال ، فيكون جوابهما ما فيه الطّلب كالأمر والنّهي . وقد ذكر الجوهريّ استعمال قعدك وعمرك في القسم الذي لا سؤال فيه ، قال : يقال : قعدك لا آتيك وكذا قعيدك ، وقعدك اللّه لا آتيك وقعيدك اللّه لا آتيك ، وعمر اللّه ما فعلت كذا ، وعمرك اللّه ما فعلت كذا . والأصل عند سيبويه : عمّرتك اللّه تعميراً ، فحذف الزّوائد من المصدر وأقيم مقام الفعل مضافاً إلى المفعول به الأوّل ، وكذا قعدك اللّه تقديراً . ومعنى عمّرتك : أعطيتك عُمْراً بأن سألت اللّه أن يعمّرك ، فلمّا ضُمّن عَمْر معنى السّؤال تعدّى إلي المفعول الثّاني ، أعني « اللّه » ، وكذا قعّدتك اللّه وإن لم يستعمل ، أي جعلتك قاعداً متمكّناً بالسّؤال من اللّه . ويجوز ألا يكون انتصابهما على المصدر ، ويكون التّقدير : أسأل اللّه عمرك ، أي أسأل اللّه تعميرك ، وأسأل اللّه قعدك ، أي تقعيدك وتمكينك ، على حذف الزّوائد ، وأسأل ، متعدّ إلى مفعولين . أو يكون المعنى : أسأل بحقّ تعميرك اللّه ، أي اعتقادك بقاءه وأبديّته ، وبتقعيدك اللّه ، أي نسبتك إيّاه إلى القعود أي الدّوام والتّمكّن . فيكون انتصابهما بحذف حرف القسم ، نحو : اللّهَ لأفعلنّ ، وهما مصدران محذوفا الزّوائد مضافان إلى الفاعل ، و« اللّه » مفعول به للمصدرين . ويجوز أن يكون معنى : قعدك اللّهَ : بحقّ قعدك أي قعيدك ، أي ملازمك العالم بأحوالك وهو اللّه ، فاللّه عطف بيان لقعدك ، ويؤيّد هذا التّأويل قولهم : قعيدك اللّه بمعناه ، فالقعد والقعيد بمعنى المُقاعد ، كالحِلف والحليف ، فعلى هذا مذهب سيبويه ، وهو أنّ نصبهما على المصدر ، وعلى تأويلهما بأسأل تعميرك وتقعيدك ، ليس معنى القسم ظاهراً فيهما ، مع أنهّما لا يستعملان إلا في القسم ، إلا أن يقال : لمّا كانا للدّعاء للمخاطب جريا مجرى السّؤال ، لأنّه قد يُبتدأ السّؤال بالدّعاء للمسئول ، كأنّه قيل : طوّل اللّه عمرك ، افعل لي كذا وكذا »[125] .

يتّضح من هذا التّحديد اللغويّ بأنّ القعد والقعيد بمعنى المُقاعد أي المصاحب

والملازم لك في قعودك . فإذا قلت : قعيدك اللّه أو قعدك اللّه لا أفعل ذلك ، فمعناه : سألتك باللّه المصاحب لك في قعودك الملازم لك فهو معك . وقيل المعنى : نشدتك اللّه . فهما مصدران معناهما الطّلب المتضمّن للسّؤال على سبيل التّوكيد ، والقسم توكيد ، ولهذا استعملا في القسم .

(أكْتَعُ) :

يقول ابن فارس : « الكاف والتّاء والعين كلمات غير موضوعة على قياس ، وليست من الكلام الأصيل . يقولون : الكُتَع : الرّجل اللّئيم . ويقولون : كَتَع بالشّيء : ذَهَبَ به . وما بالدّار كَتيعُ ، أي ما فيها أحد . وكَتَعَ فلانٌ في أمره : شَمَّرَ . وجاء القومُ أجمعونَ أكتعونَ على الإتباع »[126] . ويقول ابن منظور : « وأكتعُ : ردف لأجمعَ ، لا يُفْرَدُ منه ولا يُكسّر ، والأنثى كتْعاء ، وهي تُكسَّر على كُتْع ولا تُسلّم ، وقيل : أكتع كأجمع ليس بردْف وهو نادر . ورأيت الماء جَمْعًا كَتْعاً ، واشتريتُ هذه الدّارَ جَمْعَاءَ كتْعَاءَ ، ورأيتُ إخوانَك جُمَعَ كُتَعَ ، ورأيتُ القومَ أجمعينَ أكتعينَ أبصعينَ أبتعينَ ، تُؤكّدُ الكلمةُ بهذه التّواكيد كلّها ، ولا يُقدَّم كُتَع على جُمَع في التّأكيد ، ولا يُفرد لأنّه إتباع له ، ويقال : إنّه مأخوذ من قولهم : أتى عليه حَوْلٌ كَتيعٌ ، أي تامٌّ . وحكَى ابن الأعرابيّ : لا والذي أكْتَعُ به أي أحْلِفُ »[127] . يقول النجيرمي : « وقال ابن الأعرابيّ : لا والذي أكتع له أي أحلف به . ومعنى أكتع : أوْكَد لأنّه وكّد قوله باليمين من قولهم : أجمعون أكتعون »[128] .

يتجلّى من العرض اللغويّ المتقدّم : أنّه إذا كانت هذه الحروف باجتماعها لا تُعدّ من الكلام الأصيل ، فالمترتّب على ذلك أنّه ليس لها أصل حسّيّ نقلت منه إلى دلالة معنويّة . وإذا كانت لا تُفرد من كلمة أجْمَع لأنّها إتباع لها ، فهذا معناه أنّها توكيد للتّوكيد ، ومن هنا ربّما يكون قد أشربتْ معنى القسم .

(نَحْباً) :

يقول ابن فارس : « النّون والحاء والباء أصلان : أحدهما يدلّ على نذْر أو ما أشبهه من خَطَر أو إخطار شيء ، والآخر على صوت من الأصوات . فالأوّل : النّحْب : النّذْر . وسارَ فلانٌ على نَحْب إذا جهد ، فكأنّه خاطر على شيء فجدَّ . وقد كان التّنحيب في العرب وهو كالمخاطرة ، تقول : إن كان كذا فلك عليّ كذا وإلا فلي عليك ، وجاء الإسلام بالنّهي عنه . وكذا النَّحْب : الموت ، كأنّه نذْر يَنْذُرُهُ الإنسان يَلزمه الوفاء به ، ولا بدّ له منه »[129] . يقول ابن منظور : « النَّحْبُ والنَّحيبُ : رفْع الصّوت بالبكاء . والنّحب : الخطر العظيم . والنّحب : المراهنة . والنّحب : الهمّة ، والنّحب : البرهان . والنّحب : الحاجة . والنّحب : السُّعال . والنّحب : النّوم . والنّحب : السِّمَن ، والنّحب : الشّدّة . والنّحب : القِمار . والنّحب : النّذر . والنّحب : الموت . وفي التّنزيل العزيز : ﴿ فمنهم من قضى نحبه ﴾[130] ، وقيل معناه : قُتلوا في سبيل اللّه فأدركوا ما تمّنوا ، فذلك قضاء النّحب . وقال الزّجّاج[131] والفرّاء : فمنهم من قضى نحبه ، أي أجله . وقيل : فمنهم من قضى نحبه ، أي قضى نذْره ، كأنّه ألزم نفسه أن يموت فوفّى به ، والنّحب : النّفْس . ويقال : سار سَيْراً مُنَحَّبًا ، أي قاصداً لا يُريد غيره ، كأنّه جعل ذلك نذْراً على نفسه لا يريد غيره . والمُنحَّب : الرّجل . قال الأزهريّ[132] : يقول : إن لم أبْلُغْ مكان كذا وكذا ، فلَكَ يميني . قال ثعلب : هذا رجل حلَفَ إن لم أغلبْ قطعتُ يَدِي ، كأنّه ذهب به إلى معنى النّذر »[133] .

يتّضح من هذا التّحديد اللغويّ أنّ حقيقة هذا اللّفظ على ما توجبه اللغة النَّذْرُ . وعلى ذلك فمعنى قوله تعالى : ﴿ فمنهم من قضى نحبه ﴾[134] أي قضى نذره ، كأنّه ألزم نفسه أن يموت فوفّى به . والنّحب الموت أيضاً ، كأنّه نذر ينذره الإنسان يَلزمه الوفاء به ، فلا مناص له منه . وفي النّذر إيجاب وإلزام النّفْس بشيء يشبه تقييدها باليمين وإلزامها به ، ومن هنا جاء استعماله في القسم .

(نَـذْراً) :

يقول ابـن فـارس : « النّون والذّال والرّاء كلمـة تدلّ على تخويف أو تخـوّف . منه الإنذار : الإبلاغ ، ولا يكاد يكون إلاّ فـي التّـخـويف . وتـنـاذروا : خَـوَّفَ بعـضُـهُمْ بعضاً . ومـنه النَّذْر وهو أنّه يَخَـاف إذا أخْلَفَ . والنَّـذْر أيضـاً : مـا يجب كـأنّه نُذِرَ أي أوْجِبَ »[135] . ويقـول ابن منظور : « النَّذْر : النّحب ، وهو مـا يَنْذُرُهُ الإنسـانُ فيجعله على نفسه نَحْباً واجباً . وإنّما قيل له نَذْرٌ لأنّه نُذِرَ فيـه ، أي أوْجَبَ ، من قـولك : نـذرتُ على نفـسي ، أي أوجـبتُ . وأنذره بـالأمـر إنذاراً ونُذْراً : أعلمـه . والمُنذر : المُعْلِم الذي يُعرِّف القـوم بما يكـون قد دَهَمَـهُمْ من عـدوّ أو غـيره ، وهو المـخوِّف أيضـاً ، وأصل الإنذار : الإعلام . ومن أمـثال العرب : قـد أعْذَرَ مَنْ أنْذَرَ ، أي من أعلمك . وأنذره أيضـاً : خـوّفـه وحـذّره . والإنـذار : الإبلاغ ، ولا يكون إلاّ في التّخويف . والنّذير : المحذّر »[136] .

يبـدو من هذا العـرض اللغـويّ أنّ هذا اللّفظ يدلّ على الإيجـاب والإلزام . فـعندمـا تقـول : نذرتُ على نفسي نذراً ، فـمعناه : أوجبتُ على نفسي أمـراً وألزمـتـهـا به . فـهو تأكيد لـلأمر وتحـذير وتخويف عـن التّهـاون به بعـد إيجابه ولزوم الوفـاء به ، فدلّ بذلك على معنى القسم .

(يَقِيْناً) :

يقـول ابن فـارس : « اليـاء والقاف والنّون : اليَقَن واليقين : زوال الشّكّ . يـقـال : يَقِنْتُ ، واسـتـيـقـنتُ ، وأيقنتُ »[137] . ويقـول ابن منظور : « الـيـقين : العلم وإزاحـة الشّكّ وتحـقيق الأمـر . وقد أيقن يُوقن إيقـاناً ، فهـو مُوقن ، ويَقِنَ يَيْقَنُ يَقَناً ، فـهو يَقِنٌ . والـيـقـين : نقـيـض الشّكّ . ورجل يَقِنٌ ويَقَنٌ : لا يسـمـع شـيـئـاً إلا أيقـنه . والموقونة : الجارية المَصُونة المخدّرة »[138] .

يتجلّى من هذا العرض أنّ هذا اللّفظ يدلّ على تحقيق الأمر وتوثيقه والجزم به ، بحيث لا يدع مجالاً للشكّ والارتياب ، وهو المعنى الذي جاء لأجله القسم . ومنه قول الشّاعر :

وَيَقـــيناً لأشـــربنَّ بِمَـــاءٍ وَرَدُوْهُ فـعـاجـلاً وتَبِـيَّـه[139]

صفوة القول فيما تقدّم :

إنّ التطوّر الدّلاليّ بالانتقال من المجال المحسوس إلى المجال المجرّد يرتبط بالاستعارة والتّشبيه . فعندما تنتقل دلالة ألفاظ القسم بنوعيه الصّريح وغير الصّريح من الاستعمال الحسّيّ إلى الاستعمال المعنويّ ، تستند إلى مسوّغات التّشابه . فلفظ (القسم) أصل لأنّه أدلّ على معنى الفصل والجزم والتّوكيد ، وألفاظ القسم غير الصّريح فروع عن ذلك الأصل ، تلتقي معه في مسار الحسّ أو التّجريد ، أو هما معاً . وقد تلتقي مع ألفاظ القسم الصّريح – أعني الحلف ، واليمين ، والألِيّة ، والألت – بوجه من الوجوه السّابقة . فتتحوّل المعاني اللغويّة إلى معانٍ اصطلاحيّة عن طريق القصد والتّوسّع في الاستعمال . يقول د. فايز الدّاية في معرض كلامه عن انتقال الدّلالة : « فهي لا تنكمش فيتضاءل المحيط الذي تتحرّك فيه بعد اتّساع وعموم ، ولا يتحوّل مجالها من ضيق وخصوصيّة إلى تعميم وشمول لما ليس له من قبل ، فاللّفظ يتّخذ سبيلاً يجتاز فيه ما بين نقطة تداوله ومعناه الأوّل إلى نقطة أخرى يجري استعماله فيها ، ولا يشترط هنا التّقفية على آثار المرحلة الأولى ، بل يقوم احتمال تعايش الدّلالتين إلى جانب احتمال طغيان الدّلالة المتطوّرة على سابقتها . وممّا يُلحظ في حالات التّطوّر الدّلاليّ في العربيّة أنّ عمليّة التّغيّر أو التّحوّر يرافقها في الأغلب نشاط اشتقاقيّ ، وذلك تبعاً للبنية العامّة للغة . فالأصول تتنامى بالتّفريع ، ومع هذا التّشقيق يتّسع التّدقيق اللغويّ والتّعبير »[140] .

فألفاظ القسم الصّريح قد كثر استعمالها للقسم بحيث إنّه لا يُلتفت إلى أصول معانيها ، والتي تراوحت بين : الملازمة ، ويمين اليد ، والاجتهاد والمبالغة ، والنّقصان . ثم رأينا كيف أنّ (القسم) الذي جوهره التّوكيد والإشهاد قد استقرّ وارتبط بهذه الأصول ، ولا شكّ أنّ مرجعيّة ذلك الاستقرار هو التّطوّر اللغويّ الذي طرأ على طبيعة الاستخدام لهذه الكلمات . وينبغي لنا أن ندرك أنّ (القسم) مصدر غير جارٍ على (أقسم) إذْ قياسه (إقسام) . و (الحلف) و (الألِيّة) و (الألت) استُعمل منها الفعل (حلف) و (آلى) و (ألت) . أمّا (اليمين) فليس منها فعل جارٍ ، ولا غيره .

أمّا **ألفاظ القسم غير الصّريح** أفعالاً كانت أو أسماء أو مصادرَ فالغالب فيها أنّها ضارعت كلمة (القسم) في أصل معناه وهو القطع والفصل أو الحسن والجمال في أحد معانيها الأصليّة أو في المعنى العامّ لتلك الألفاظ ، وقد سوّغت هذه المضارعة إلحاقها بالقسم . أمّا الألفاظ التي لم ينسحب عليها معنى القطع والفصل أو الحسن فقد سوّغ إلحاقها بالقسم توافقها والقسم في أحد معانيه الأخرى ، أو توافقها وألفاظ القسم الصّريح سواء كان في المعنى العامّ لتلك الألفاظ أو في أحد معانيها الأخرى ، أو كونها دالّة على أمر يكثر مجيء القسم لأجله .

ونجد أنّ ألفاظ القسم غير الصّريح لمّا تضمنّت معنى القسم ، وصار القصد منها أيضاً تحقيق الخبر وتوكيده وإزالة الشّكّ عن المخاطب فجرْت مجرى القسم في إفادتها ذلك ، سُمّيت قسماً ، ونُزّلتْ في التّحقّق منزلة القسم .

هوامش المبحث الأوّل

1) يوم الدّين والحساب (ص 25) .

2) معجم مقاييس اللغة : مادّة (ق س م) (5 : 86) .

3) أساس البلاغة : مادّة (ق س م) (2 : 251) .

4) لسان العرب : مادّة (ق س م) (5 : 3628) .

5) انظر : إمعان في أقسام القرآن (ص 53) .

6) معجم مقاييس اللغة : مادّة (ح ل ف) (2 : 97) .

7) لسان العرب : مادّة (ح ل ف) (2 : 963) .

8) أبو هلال العسكريّ : هو الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيي بن مهران ، أبو هلال اللغويّ العسكريّ . كان موصوفًا بالعلم والفقه ، والغالب عليه الأدب والشّعر . وكان يتبزّز احترازًا من الطّمع والدّناءة والتّبذّل . له من التّصانيف : كتاب صناعتي النّظم والنّثر ، والتّلخيص في اللغة ، والفرق بين المعاني ، وأعلام المعاني في معاني الشّعر ، وشرح الحماسة ، وغير ذلك ، توفّي سنة 395 هـ . انظر : معجم الأدباء لياقوت الحمويّ (2 : 562) وبغية الوعاة للسّيوطيّ (1 : 506) .

9) انظر : الفروق اللغويّة (ص 366) وإمعان في أقسام القرآن (ص 21) .

10) الفروق اللغويّة (ص 366) .

11) معجم مقاييس اللغة : مادّة (ي م ن) (6 : 158) .

12) أساس البلاغة : مادّة (ي م ن) (2 : 563) .

13) لسان العرب : مادّة (ي م ن) (6 : 4967) .

14) معجم مقاييس اللغة : مادّة (أ ل و) (1 : 127) .

15) لسان العرب : مادّة (أ ل و) (1 : 117) .

16) معجم مقاييس اللغة : مادّة (أ ل ت) (1 : 130) .

17) لسان العرب : مادّة (أ ل ت) (1 : 106) .

18) أيمان العرب في الجاهليّة (ص 31) .

19) معجم مقاييس اللغة : مادّة (أ ب ي) (1 : 45) .

20) لسان العرب : مادّة (أ ب ي) (1 : 14) .

21) معجم مقاييس اللغة : مادّة (أ خ ذ) (1 : 68) .

22) لسان العرب : مادّة (أ خ ذ) (1 : 36) .

23) الكتاب (3 : 106) .

24) سورة : إبراهيم . آية : 7 .

25) معجم مقاييس اللغة : مادّة (أ ذ ن) (1 : 75) .

26) سورة : الأعراف . آية : 167 .

27) لسان العرب : مادّة (أ ذ ن) (1 : 51) .

28) معجم مقاييس اللغة : مادّة (أ ص ر) (1 : 110) .

29) سورة : البقرة . آية : 286 .

30) سورة : آل عمران . آية : 81 .

31) لسان العرب : مادّة (أ ص ر) (1 : 86) .

32) أيمان العرب في الجاهليّة (ص 28) .

33) معجم مقاييس اللغة : مادّة (ب د ع) (1 : 209) .

34) لسان العرب : مادّة (ب د ع) (1 : 229) .

35) معجم مقاييس اللغة : مادّة (ب د و) (1 : 212) .

36) لسان العرب : مادّة (ب د و) (1 : 234) .

37) سورة : يوسف . آية : 35 .

38) معجم مقاييس اللغة : مادّة (ب ل و) (1 : 292) .

39) لسان العرب : مادّة (ب ل و) (1 : 355) .

* لم أقف للبيتين على نسبة .

40) معجم مقاييس اللغة : مادّة (ت م م) (1 : 339) .

41) لسان العرب : مادّة (ت م م) (1 : 447) .

42) أيمان العرب في الجاهليّة (ص 34) .

43) سورة : هود . آية : 119 .

44) معجم مقاييس اللغة : مادّة (ح ل ط) (2 : 97) .

45) لسان العرب : مادّة (ح ل ط) (2 : 963) .

46) معجم مقاييس اللغة : مادّة (خ و ف) (2 : 230) .

47) سورة : البقرة . آية : 182 .

48) سورة : النّساء . آية : 128 . انظر : لسان العرب : مادّة (خ و ف) (2 : 1290) .

49) شرح الكافية الشّافية (2 : 857) .

لم أجدْ هذا الحديث في كتب الصّحاح ولا المسانيد . انظر : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النّبويّ (مادّة خوف) و (مادّة درد) .

50) معجم مقاييس اللغة : مادّة (س ب أ) (3 : 131) .

51) لسان العرب : مادّة (س ب أ) (3 : 1908) .

52) معجم مقاييس اللغة : مادّة (س م ط) (3 : 101) .

53) لسان العرب : مادّة (س م ط) (3 : 2093) .

54) معجم مقاييس اللغة : مادّة (ش هـ د) (3 : 221) .

55) سورة : النّور . آية : 6 .

56) لسان العرب : مادّة (ش هـ د) (4 : 2348) .

57) سورة : المنافقون . آية : 1 .

58) البرهان في علوم القرآن (3 : 45) .

59) معجم مقاييس اللغة : مادّة (ص ب ر) (3 : 329) .

60) لسان العرب : مادّة (ص ب ر) (4 : 2391) .

61) معجم مقاييس اللغة : مادّة (ع ز م) (4 : 308) .

62) لسان العرب : مادّة (ع ز م) (4 : 2932) .

63) تفسير الكشّاف (4 : 538 - 539) .

64) معجم مقاييس اللغة : مادّة (ع ل م) (4 : 109) .

65) لسان العرب : مادّة (ع ل م) (4 : 3082) .

66) الرّواية في الدّيوان :

صـــادفْنَ منها غِرَّةً فأصـــبنها إنَّ المنايـــا لا تطيـــشُ ســـهامُها

بيد أنّ سيبويه روى الشّطر الأوّل في كتابه « ولقد علمت لتأتينّ منيتي » .

انظر : الدّيوان (ص 171) والكتاب (3 : 110) .

67) معجم مقاييس اللغة : مادّة (ع هـ د) (4 : 167) .

68) لسان العرب : مادّة (ع هـ د) (4 : 3148) .

69) شرح الكافية الشّافية (2 : 858) .

قائله مجهول .

اللغة : غَرِيَ بالشيء : أُولع به ، وكذلك أُغري به .

70) معجم مقاييس اللغة : مادّة (ق ض ي) (5 : 99) .

71) لسان العرب : مادّة (ق ض ي) (5 : 3665) .

72) سورة : الإسراء . آية : 4 .

73) معجم مقاييس اللغة : مادّة (ك ت ب) (5 : 158) .

74) سورة : الطّور . آية : 41 .

75) لسان العرب : مادّة (ك ت ب) (5 : 3816) .

76) سورة : المجادلة . آية : 21 .

77) معجم مقاييس اللغة : مادّة (ن ج د) (5 : 391) .

78) لسان العرب : مادّة (ن ج د) (6 : 4345) .

البيت قائله : مهلهل بن ربيعة .

اللغة : تنجّد : حلف يمينًا غليظة . وجدير بكذا ولكذا أي خليق له .

انظر : الدّيوان (ص 21) .

79) معجم مقاييس اللغة : مادّة (ن ش د) (5 : 429) .

80) لسان العرب : مادّة (ن ش د) (6 : 4421) .

81) معجم مقاييس اللغة : مادّة (ن ف ل) (5 : 455) .

82) لسان العرب : مادّة (ن ف ل) (6 : 4509) .

83) أيمان العرب في الجاهليّة (ص 34) .

84) معجم مقاييس اللغة : مادّة (و ث ق) (6 : 85) .

85) لسان العرب : مادّة (و ث ق) (6 : 4764) .

86) شرح الكافية الشّافية (2 : 858) .

قائله : مجهول .

اللغة : وثق به ثقةً وموثقًا : ائتمنه . والميثاق والموثق : العهد .

87) معجم مقاييس اللغة : مادّة (و ذ م) (6 : 99) .

88) لسان العرب : مادّة (و ذ م) (6 : 4806) .

89) معجم مقاييس اللغة : مادّة (و ع د) (6 : 125) .

90) لسان العرب : مادّة (و ع د) (6 : 4871) .

91) سورة : النّور . آية : 55 .

92) معجم مقاييس اللغة : مادّة (أ ل ل) (1 : 18) .

93) لسان العرب : مادّة (أ ل ل) (1 : 111) .

94) معجم مقاييس اللغة : مادّة (أ م ن) (1 : 133) .

95) لسان العرب : مادّة (أ م ن) (1 : 140) .

96) معجم مقاييس اللغة : مادّة (ج د د) (1 : 406) .

البيتان قائلهما : الأعشى . انظر : ديوان الأعشى (ص 119 و 187) .

97) لسان العرب : مادّة (ج د د) (1 : 560) .

98) معجم مقاييس اللغة : مادّة (ج ر م) (1 : 445) .

99) لسان العرب : مادّة (ج ر م) (1 : 604) .

100) معجم مقاييس اللغة : مادّة (ج ي ر) (1 : 498) .

101) **الجوهريّ** : هو إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ ، أبو نصر الفارابيّ صاحب الصّحاح . وهو ابن أخت أبي إسحاق الفارابيّ صاحب ديوان الأدب . وكان الجوهريّ هذا من أعاجيب الزّمان ذكاءً وفطنةً وعلمًا ، وأصله من بلاد التّرك من فاراب . وهو إمام في علم اللغة والأدب ، وهو مع ذلك من فرسان الكلام في الأصول ، له من التّصانيف : كتاب في العروض ، والصّحاح في اللغة ، والمقدّمة في النّحو ، وغير ذلك . توفّي سنة 393 هـ ، وقيل : في حدود 400 هـ . انظر : معجم الأدباء لياقوت الحمويّ 2 : 205 وبغية الوعاة للسّيوطيّ (1 : 446) .

102) لسان العرب : مادّة (ج ي ر) (1 : 737) .

103) شرح الكافية (4 : 317) .

104) معجم مقاييس اللغة : مادّة (ح ر م) (2 : 45) .

105) لسان العرب : مادّة (ح ر م) (2 : 844) .

106) معجم مقاييس اللغة : مادّة (ح ق ق) (2 : 15) .

107) لسان العرب : مادّة (ح ق ق) (2 : 939) .

108) معجم مقاييس اللغة : مادّة (ذ م م) (2 : 345) .

109) سورة : التّوبة . آية : 10 .

110) لسان العرب : مادّة (ذ م م) (3 : 1516) .

111) الشّعر والشّعراء (ص 296) .

112) معجم مقاييس اللغة : مادّة (ع م ر) (4 : 140) .

113) سورة : الحجر . آية : 72 .

114) لسان العرب : مادّة (ع م ر) (4 : 3099) .

* البيت الأوّل قائله : عمر بن أبي ربيعة .

الثّريّا : صاحبة عمر وحبيبته . وسهيل : هو سهيل بن عبدالعزيز بن مروان ، تزوّج الثّريا في غفلة من عمر . والثّريّا : أيضًا نجم يطلع من جهة الشّام . وسهيل : كوكب يطلع من جهة اليمن .

انظر : ديوان عمر بن أبي ربيعة (ص 416) .

* والبيت الثّاني قائله : الأحوص الأنصاريّ .

اللغة : ذو سلم : جبل قريب من المدينة .

انظر : الدّيوان (ص 152) .

* أمّا البيت الثّالث فقائله : مجهول .

115) معجم مقاييس اللغة : مادّة (ع و ض) (4 : 188) .

انظر : ديوان الأعشى (ص 275) .

116) لسان العرب : مادّة (ع و ض) (4 : 3170) .

117) شرح الكافية (4 : 317) .

118) معجم مقاييس اللغة : مادّة (ق ع د) (5 : 108) .

119) سورة : ق . آية : 17 .

120) **أبو عبيد** : هو القاسم بن سلّام . إمام أهل عصره في كلّ فنٍّ من العلم . أخذ عن أبي زيد وأبي عبيدة وابن الأعرابيّ والكسائيّ والفرّاء . وكان فاضلاً في

دينه وعلمه ، ربّانيًا مفتيًا في القرآن والفقه والأخبار والعربيّة ، حسن الرّواية ، صحيح النّقل . له من التّصانيف : كتاب غريب المصنَّف ، وغريب الحديث ، وغريب القرآن ، ومعاني القرآن ، والأمثال السّائرة ، وغير ذلك . توفّي بمكّة في خلافة المعتصم سنة 223 هـ ، أو 224 هـ . انظر : معجم الأدباء لياقوت الحمويّ (4 : 592) وبغية الوعاة للسّيوطيّ (2 : 253) .

121) **ابن برّيّ** : هو عبدالله بن برّي بن عبد الجبّار أبو محمد المصريّ النّحويّ اللغويّ الأديب . كان قيّمًا بالنّحو واللغة والشّواهد ، ثقةً . ولد سنة 499 هـ بمصر . صنّف : اللّباب في الرّدّ على ابن الخشّاب ، وحواشٍ على الصّحاح ، والرّدّ على الحريريّ في درّة الغوّاص . توفّي سنة 582 هـ . انظر : معجم الأدباء لياقوت الحمويّ (3 : 448) وبغية الوعاة للسّيوطيّ (2 : 34) .

122) سورة : ق . آية : 17 .

123) لسان العرب : مادّة (ق ع د) (5 : 3686) .

* البيت الأوّل قائله : متمّم بن نويرة .

اللغة : قعيدك : نشدتك ، وأصله الحافظ . ويقال : قعيدك اللّه ، وقعْدك اللّهَ ، أي : أذكّرك اللّه الحافظ لك . انظر : شرح اختيارات المفضّل للتّبريزيّ (3 : 1184) .

* أمّا البيت الثّاني فقائله : الفرزدق . انظر : الدّيوان (ص 654) .

124) أيمان العرب في الجاهليّة (ص 25) .

125) شرح الكافية (1 : 311 - 313) .

126) معجم مقاييس اللغة : مادّة (ك ت ع) (5 : 157) .

127) لسان العرب : مادّة (ك ت ع) (5 : 3820) .

128) أيمان العرب في الجاهليّة (ص 30) .

129) معجم مقاييس اللغة : مادّة (ن ح ب) (5 : 404) .

130) سورة : الأحزاب . آية : 23 .

131) **الزَّجَّاج** : هو إبراهيم بن السّريّ بن سهل أبو إسحاق النّحويّ . كان من أهل الدّين والفضل . وكان تلميذًا للمبرّد وأستاذًا لأبي عليّ الفارسيّ . له من التّصانيف : معاني القرآن ، والاشتقاق ، وفعلتُ وأفعلتُ ، وما ينصرف وما لا ينصرف ، وشرح أبيات سيبويه ، وغير ذلك . توفّي سنة 311 هـ . انظر : معجم الأدباء لياقوت الحمويّ (1 : 82) وبغية الوعاة للسّيوطيّ (1 : 411) .

132) **الأزهريّ** : هو محمّد بن أحمد الأزهر بن طلحة بن نوح الأزهريّ أبو منصور اللغويّ الأديب الشّافعيّ ، ولد سنة 282 هـ ، أخذ عن نفطويه ، وابن السّرّاج . صنّف : التّهذيب في اللغة ، والتّقريب في التّفسير ، وعلل القراءات ، وتفسير ألفاظ كتاب المزنيّ ، وتفسير إصلاح المنطق ، وغير ذلك . توفّي سنة 370 هـ ، انظر : معجم الأدباء لياقوت الحمويّ (5 : 112) وبغية الوعاة للسّيوطيّ (1 : 19) .

133) لسان العرب : مادّة (ن ح ب) (6 : 4362) .

134) سورة : الأحزاب . آية : 23 .

135) معجم مقاييس اللغة : مادّة (ن ذ ر) (5 : 414) .

136) لسان العرب (6 : 4390) .

137) معجم مقاييس اللغة : مادّة (ي ق ن) (6 : 157) .

138) لسان العرب : مادّة (ي ق ن) (6 : 4964) .

139) شرح الكافية الشّافية (2 : 855) .

قائله : مجهول .

اللغة : التئيّة : التّلبّث والتّؤدة .

140) علم الدّلالة العربيّ (ص 314 - 315) .

المبحث الثّاني
الدّلالة الصّوتيّة والصّرفيّة

أوّلا – الدّلالة الصّوتيّة :

أوّلاً : أحرف القسم صفةً ومخرجًا :

قدّم علماء اللغة القدماء توصيفًا لحروف العربيّة صفةً ومخرجًا . ويبدو ذلك مفصّلاً في كتبهم كما في « الكتاب » لسيبويه ، و « سرّ صناعة الإعراب » لابن جنّي ، و « شرح المفصّل » لابن يعيش ، و « الممتع في التّصريف » لابن عصفور ، و « شرح الشّافية » للرّضيّ وغيرها من كتب العربيّة . وفي ظلّ الدّراسة الصّوتيّة لأحرف القسم سأعرض جملة من أقوالهم وآرائهم معقّبًا ذلك بما قاله المحدثون في ضوء الدّراسة الصّوتيّة الحديثة تسهيلاً للمقارنة بين معالجة القدماء والمحدثين لتلك الأصوات في عصور مختلفة ، ولنر إلى أي حدّ يكون الاختلاف أو الاتّفاق بين السّابق واللاحق .

(أ) باء القسم :

اتّفق علماء اللغة القدماء والمحدثون في تحديد صوت الباء صفةً ومخرجًا :

فأمّا القدماء فقد ذهبوا إلى أنّ مخرجها ممّا بين الشّفتين ، يقول سيبويه : « وممّا بين الشّفتين مخرج الباء »[1] . وقد تبعه ابن جنّي وابن يعيش وابن عصفور والرّضي مردّدين العبارة ذاتها[2] .

أمّا المحدثون فقد حدّدوا المخرج تحديدًا دقيقًا مشيرين إلى وضع الأوتار الصّوتيّة ، يقول د. كمال بشر : « عند النّطق بالباء يقف الهواء الصّادر من الرّئتين وقوفًا تامًا عند الشّفتين : إذْ تنطبق هاتان الشّفتان انطباقًا كاملاً ، ويضغط الهواء مدّة من الزّمن ، ثم تنفرج الشّفتان فيندفع الهواء فجأة من

الفم محدثًا صوتًا انفجاريًا ، ويتذبذب الوتران الصّوتيّان أثناء النّطق »[3] .

ويقول د. رمضان عبد التّوّاب : « أمّا الباء فيتم نطقه بضم الشّفتين ورفع الطّبق ، ليغلق ما بين الحلق والتّجويف الأنفيّ ، مع ذبذبة الأوتار الصّوتيّة »[4] .

وكما اتّفقوا في مخرجها اتّفقوا كذلك في صفاتها . فالقدماء يعدّونها صوتًا مجهورًا شديدًا منفتحًا ، يقول سيبويه : « فأمّا المجهورة فالهمزة ، والألف ، .... ، والباء »[5] ، ويقول ابن جنّي : « الباء حرف مجهور »[6] . وأمّا الشّدّة فيقول سيبويه : « ومن الحروف الشّديد وهو الذي يمنع الصّوت أن يجري فيه . وهو الهمزة ، .... ، والباء »[7] ، ويقول ابن جنّي : « فالشّديدة ثمانية أحرف ، وهي : الهمزة ، ... ، والباء ، ويجمعها في اللفظ : « أجدت طبقك »[8] . كما يقرّر ابن يعيش بأنّ الباء « صوت شديد »[9] . وأمّا الانفتاح فيقول سيبويه : « فأمّا المطبقة فالصّاد ، والضّاد ، والطّاء ، والظّاء ، والمنفتحة كلّ ما سوى ذلك من الحروف ، لأنّك لا تطبق لشيء منهن لسانك ، ترفعه إلى الحنك الأعلى »[10] ويقول ابن جنّي : « فالمطبقة أربعة ، وهي : الضّاد ، والطّاء ، والصّاد ، والظّاء ، وما سوى ذلك فمفتوح غير مطبق »[11] . ويقول ابن عصفور : « فالمطبقة أربعة أحرف : الطّاء ، والظّاء ، والصّاد ، والضّاد . وباقي الحروف منفتح . والإطباق أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مُطْبِقًا له . والانفتاح ضدّ ذلك »[12] .

أمّا المحدثون فقد ذهبوا المذهب نفسه في تحديد الصفات ، ولكن أحيانًا باصطلاحات مغايرة ، يقول د. كمال بشر : « فالصّوت المجهور إذن هو الصّوت الذي تتذبذب الأوتار الصّوتيّة حال النّطق به » . « والأصوات الصّامتة المجهورة في اللغة العربيّة كما ننطقها اليوم هي : الباء ،

والجيم ، .... » . « فالبـــاء إذن صوت شفويّ انفجاريّ مجهور »[13] .

ويقول د. أحمـــد مختار عمر : « المجهور ، ويشـــمل اثنين وعشرين صـــوتًا هي : ثلاثة أصوات وقفيّـــة (انفجاريّة) هي الباء والدّال والضّاد ، و .... »[14] . ويقول د. رمضان عبد التّوّاب : « أمّا الباء فهي صوت شديد مجهور مرقّق »[15] .

(ب) واو القسم :

اتّفق علماء الأصوات القدماء في تحديد صوت الواو مخرجًا . فقد قرّروا أنّ مخرجهـا ممّا بين الشّفتين ، يقول سيبويه : « وممّا بين الشّفتين مخرج الواو »[16] . ويقول ابن جنّي : « وممّا بين الشّفتين مخرج الواو »[17] ، كما يقرّر ابن عصفور القول ذاته : « ومن بين الشّفتين مخرج الواو »[18] . وشذّ عن هذا الاتّفاق ابن يعيش قائلاً : « إلا أنّ الواو من الجوف لأنّها تهوي من الفم لما فيها من اللّين »[19] .

أمّا المحدثون فلهم في مخرج الواو مذاهب ، فمنهم من ذهب مذهب القدامى وقال بأنّ مخرجها ممّا بين الشّفتين ، ومنهم من ذهب إلى أنّ مخرجها من أقصى الحنك ، ومنهم من ذهب إلى أنّ مخرجها طبقيّ لا شفويّ . فقد قرّر د. تمّام حسّان وآخرون بأنّ مخرج الواو من الشّفتين وهو القول الأغلب[20] .

أمّا د. كمال بشر فيقول : « أمّا عدّ الواو شفويّة فهذا قول يحتاج إلى تكملة : إذ البحوث الحديثة تثبت أنّ الواو (في نحو : ولد) تخرج من أقصى الحنك أي من منطقة الكاف أو ما يقرب منها ، مع اتخاذ الشّفتين وضعًا معيّنًا . ولكنّ ذلك لا يكفي مسوّغًا لعدّها شفويّة . وإنْ أردنا أن نجمع بين هاتين الجهتين يمكن القول بأنّ الواو حنكيّة – قَصِيّة (أي من أقصى الحنك) شفويّة »[21] . ويقول د . أحمد مختار عمر في معرض كلامه عن الطّبق اللّيّن

مع مؤخّر اللسان : « ويسمّى الصّوت حينئذ طبقيًا . ويتمّ في هذا المخرج إنتاج نصف العلّة الواو ، عن طريق رفع مؤخّر اللسان في اتجاه منطقة الطبق الليّن بشكل يسمح بمرور الهواء ، ولكن مع احتكاك طفيف »[22] .

أمّا صفتها فقد أجمع القدماء والمحدثون على أنّها صوت مجهور يجمع بين الشّدّة والرّخاوة ليّن منفتح ، يقول سيبويه في صفة الجهر : « فأمّا المجهورة فالهمزة ، و .... ، والواو »[23] . ويقول ابن جنّي في الصّفة المتوسّطة : « والحروف التي بين الشّديدة والرّخوة ثمانية أيضًا ، وهي : الألف ، و .... ، والواو ، ويجمعها في اللفظ « لم يروعنا »[24] .

ويقول ابن عصفور : « والذي بين الشّديدة والرّخوة : هو الذي لا يجري الصّوت في موضعه عند الوقف ، ولكن يعرض له أعراض توجب خروج الصّوت باتّصاله بغير مواضعها . وأمّا الياء والواو فلأنّ مخرجهما اتّسع لهواء الصّوت ، فجرى لذلك الصّوت بعض جري »[25] .

أمّا صفة اللّين فيقول فيها سيبويه : « ومنها (الليّنة) ، وهي الواو ، والياء ، لأنّ مخرجهما يتّسع لهواء الصّوت أشدّ من اتّساع غيرهما »[26] . كما ذهبوا إلى أنّ الواو « صوت منفتح »[27] .

أمّا المحدثون فقد قرّروا الصّفات السّابقة ذاتها ، يقول د. كمال بشر : « فالواو إذنْ صوت صامت (أو نصف حركة) من أقصى اللسان مجهور نحو الواو في « ولد » ، ويمكن وصفه بأنّه شفويّ كذلك »[28] . ويقول د. رمضان عبد التّوّاب : « وأمّا الواو ، فإنّنا نعني بها هنا ضمن الأصوات الصّامتة ، الواو في مثل : « واحد » أو « ولد » ونحو ذلك . وهو صوت مجهور ، بينه وبين صوت الضّمّة الخالصة (وهو من

الأصوات المتحرّكة) فرق بسيط جدًا »[29] . كما قرّر د. تمام حسّان ذات الصّفات من الجهر والتّوسّط والتّرقيق واللّين في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها[30] .

(جـ) تاء القسم :

اتّفق اللغويّون العرب القدماء والمحدثون على وصف صوت التّاء من ناحية المخرج والصّفة معًا . فمن ناحية المخرج اتّفقوا على أنّها صوت ممّا بين طرف اللسان وأصول الثّنايا ، يقول سيبويه في كتابه : « وممّا بين طرف اللسان وأصول الثّنايا مخرج التّاء »[31] . وقد نقل ابن جنّي كلام سيبويه هذا بنفس اللّفظ ودون أي تغيير فيه[32] . ويقول ابن يعيش : إنها من « مابين طرف اللسان وأصول الثّنايا وهي نطعيّة لأنّ مبدأها من نطع الغار الأعلى وهو وسطه يظهر فيه كالتّحزيز »[33] .

أمّا من ناحية الصّفة فقد اتّفقوا كذلك على كونها مهموسة شديدة منفتحة ، يقول سيبويه : « وأمّا المهموسة فالهاء ، و .... ، والتّاء »[34] ، ويقول ابن جني : « فالمهموسة عشرة أحرف ، وهي الهاء ، و ..... ، والتّاء ويجمعها في اللفظ قولك : « سَتَشْحَثُكَ خَصفه »[35] . وأمّا صفة الشّدّة فيقول سيبويه : « ومن الحروف الشّديد وهو الذي يمنع الصّوت أن يجري فيه . وهو الهمزة ، و ... ، والتّاء »[36] . كما قرّروا في اتّفاقهم على أنّ التاء صوت منفتح .

أمّا المحدثون فقد كانوا أكثر دقّة في وصف المخرج ، وقد ذهبوا إلى ذات الصّفات ، يقول د. كمال بشر : « يقف الهواء وقوفًا تامًا حال النّطق بالتّاء عند نقطة التقاء طرف اللسان بأصول الثّنايا العليا ومقدّم اللثّة . ويضغط الهواء مدّة من الزّمن ، ثم ينفصل فجأة تاركًا نقطة الالتقاء فيحدث صوت

انفجاريّ . ولا تتذبذب الأوتار الصّوتيّة حال النّطق بالتّاء . فالتّاء إذن صوت أسنانيّ لثويّ انفجاريّ مهموس »[37] . ويقول د. أحمد مختار عمر في حديثه عن الأسنان واللثّة مع حدّ اللسان وطرفه : « ويُسمَّى الصّوتَ حينئذ أسنانيًا لثويًا ، ويتمّ في هذا المخرج إنتاج صوت التّاء (انفجاريّ) »[38] . ويقول د. رمضان عبد التّوّاب : « وأمّا التّاء فهي نظير الدّال المهموس ، أي أنّها صوت شديد مهموس مرقّق ، ينطق بأن تلتصق مقدّمة اللسان باللثّة والأسنان العليا ، التصاقًا يمنع مرور الهواء ورفع الطّبق ليسدّ التّجويف الأنفيّ ، مع عدم ذبذبة الأوتار الصّوتيّة ، وبقاء مؤخّرة اللسان في وضع أفقيّ ، ثم يزال السّدّ بانخفاض مقدّمة اللسان ، فيندفع الهواء المحبوس إلى الخارج »[39] .

(د) لام القسم :

وصف اللغويّون العرب القدماء مخرج اللام وصفًا تبدو فيه دقّة وبراعة ، يقول ابن جنّي : « ومن حافّة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الضّاحك والنّاب والرّباعيّة والثّنيّة مخرج اللام »[40] . وقد حذا ابن جنّي في هذا التّوصيف كلّ من ابن يعيش وابن عصفور ، فردّدا اللفظ نفسه دونما تغيير فيه[41] .

أمّا من ناحية الصّفة فقد أجمعوا على أنّها صوت مجهور يجمع بين الشّدّة والرّخاوة منحرف . يقول سيبويه : « فأمّا المجهورة فالهمزة ، و ... ، واللام »[42] . وأمّا صفة التّوسّط فيقول فيها ابن جنّي : « والحروف التي بين الشّديدة والرّخوة ثمانية أيضًا ، وهي : الألف ، و ... ، واللام ، ويجمعها في اللفظ (لم يروعنّا) »[43] . وأمّا صفة الانحراف فيقول فيها

سيبويه : « ومنها المنحرف ، وهو حرف شديد جرى فيه الصّوت لانحراف اللسان مع الصّوت ، ولم يعترض على الصّوت كاعتراض الحروف الشّديدة وهو اللام . وإن شئت مددت فيهاالصّوت . وليس كالرّخوة ؛ لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه . وليس يخرج الصّوت من موضع اللام ولكن من ناحيتيّ مستدقّ اللسان فويق ذلك »[44] .

أمّا المحدثون فقد اتّفقوا في صفته على أنّه صوت جانبيّ مجهورواختلفوا في وصف مخرجه : فمنهم من قال بأنّ صوت اللام لثويّ ، ومنهم من قال بأنّه أسنانيّ لثويّ ، يقول د. كمال بشر في معرض كلامه عن الأصوات الجانبيّة : « ويمثّلها في العربيّة صوت اللام . وهو يتكوّن بأن يعتمد طرف اللسان على أصول الأسنان العليا مع اللثّة ، بحيث توجد عقبة في وسط الفم تمنع مرور الهواء منه ، ولكن مع ترك منفذ لهذا الهواء من جانبيّ الفم أو من أحدهما . وهذا هو معنى الجانبيّة ، وتتذبذب الأوتار الصّوتيّة عند النّطق به . فاللام صوت أسنانيّ لثويّ جانبيّ مجهور . وقد أصاب العرب في تسميته بالصّوت المنحرف »[45] . بينما يقرّر د. تمّام حسّان وآخرون أنّ مخرج هذا الصّوت لثويّ[46] . يقول د. أحمد مختار عمر في معرض حديثه عن اللثّة مع طرف اللسان : « ويُسمَّى الصّوتُ حينئذ لثويًا . ويتمّ في هذا المخرج إنتاج صوت اللام الجانبيّة المرقّقة واللام الجانبيّة المفخّمة اللتّين يتمّ نطقهما عن طريق اتّصال طرف اللسان باللثّة اتّصالاً محكمًا يمنع مرور الهواء من الأمام ، ولكن يسمح بمروره إمّا من أحد جانبيّ اللسان ، أو من كلا الجانبين (جانبيّ) »[47] . ويقول د. رمضان : « أمّا اللام فإنّها صوت جانبيّ مجهور ، يُنطق بأن يتّصل طرف اللسان باللثّة ويرتفع الطّبق ، فيسدّ المجرى الأنفيّ عن طريق اتّصاله بالجدار الخلفيّ للحلق ، هذا مع

حدوث ذبذبة في الأوتار الصّوتيّة . ومعنى أنّه صوت جانبيّ ، أنّ أحد جانبيّ اللســـــان ، أو كليهما يسمح للهواء الخـــارج من الرّئتين بالمرور بينه وبين الأضـــراس ، في الوقت الذي لا يمكنه فـيـــه المرور من وسط الفم ، لحيلولة طرف اللســـان المتّصل باللثّة دون ذلك . والأصل في صوت اللام التّرقيق »[48] .

(هـ) (مُنْ) القسم :

هذا الحـرف القسـميّ مكوّن من صـوتين : الأوّل الميم ، والآخـر النّون ، وبينهما تقارب شديد على ما سنرى في وصف علماء الأصوات لهما صفةً ومخرجًا :

صوت الميم :

اتّفق علماء الأصوات القدماء والمحدثون على وصف صوت الميم صفةً ومخرجًـا : فمن ناحية المخرج اتّفقوا على أنّها صوت شفويّ ، يقول سيبويه : « وممّا بين الشّفتين مخرج الميم »[49] . وقد ردّد ابن جنّي كلام سيبويه بنفس اللفظ دونما أي تغيير فيه[50] . ويقول ابن يعيش : « وممّا بين الشّفتين مخرج الميم والباء إلا أنّ الميم ترجع إلى الخياشـيم بما فيها من الغنّة فلذلك تسـمعها كالنّون »[51] . أمّا من ناحية الصّـفة فقد اتّفقوا على كونها مجهـورة أنفيّة تجمع بين الشّدّة والرّخاوة ، يقول سيبويه : « فأمّا المجهورة ، فالهمزة ، و ... ، والميم »[52] ، وأمّا صفة التّوسّط فيقول فيها ابن جنّي : « والحـروف التي بين الشّديدة والرّخوة ثمانية أيضًا ، وهي : الألف ، و ... ، والميم ، ويجمعها في اللفظ (لم يروعنا) »[53] ، وأمّا كونها أنفيّة فيقول فيها سيبويه : « ومنها (حرف شديد) يجري معه الصّوت لأنّ ذلك الصّوت غنّة من الأنف ، فإنّما تخرجه من

أنفك واللسان لازم لموضع الحرف ، لأنّك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصّوت ، وهو النّون ، وكذلك الميم » [54] .

أمّا المحدثون فقد ذهبوا إلى ذات القول صفةً ومخرجًا ولكن بوصف أكثر دقّة يدخل فيه وضع الأوتار الصّوتيّة ، يقول د. كمال بشر : « تنطبق الشّفتان انطباقًا تامًا عند النّطق به ، فيحبس الهواء حبسًا تامًا في الفم ، ولكن بخفض الحنك اللّين (الحنك الأقصى) فيتمكّن الهواء الخارج من الرّئتين من المرور عن طريق الأنف بسبب ما يعتريه من ضغط ، ويتذبذب الوتران الصّوتيّان عند النّطق بالميم . فالميم إذن صوت شفويّ أنفيّ مجهور » [55] . ويقول د. أحمد مختار عمر : « وفي حالة قفل الشّفتين مع إنزال الطّبق اللّين ليسمح للهواء بالمرور من تجويف الأنف ، ينتج صوت الميم (أنفيّ) » [56] .

صوت النّون :

يقول سيبويه : « ومن حافّة اللّسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثّنايا مخرج النّون » [57] ، غير أنّ ابن يعيش ذهب إلى أنّ مخرجها من خلف اللسان لا من طرفه ، يقول : « ومن خلف اللسان بينه وبين ما فُويق الثّنايا مخرج النّون » [58] .

أمّا صفتها فقد اتّفق القدماء من علماء الأصوات على وصفها بأنّها مجهورة ، تجمع بين الشّدّة والرّخاوة ، أنفيّة . يقول سيبويه : « فأمّا المجهورة فالهمزة ، و ..... ، والنّون » [59] ، كما قرروا على أنّها بين الرّخوة والشّديدة . وأمّا الأنفيّة فيقول فيها ابن عصفور : « وأمّا النّون والميم فيجري معهما الصّوت في الأنف لأنّ الغنّة صوت ، ولا يجري في الفم لأنّ اللسان لازم لموضع الحرف من الفم » [60] .

أمّا المحدثون فقد اتّفقوا في الصّفة فوافقوا القدماء ، واختلفوا في تحديد المخرج : فذهب بعضهم إلى أنّ النّون صوت لثويّ وهو المذهب الأغلب ، وذهب بعضهم إلى أنّ مخرجها أسنانيّ لثويّ . يقول د. كمال بشر : « يعتمد طرف اللسان على أصول الأسنان العليا مع اللثّة ويخفض الحنك اللّين فيتمكّن الهواء الخارج من الرّئتين من المرور عن طريق الأنف ، ويتذبذب الوتران الصّوتيّان حال النّطق به . فالنّون صوت أسنانيّ لثويّ أنفيّ مجهور »[61] .

أمّا د. أحمد مختار عمر في معرض كلامه عن اللثّة مع طرف اللسان : « ويُسمَّى الصّوت حينئذ لثويًا . ويتمّ في هذا المخرج إنتاج النّون الأنفيّة التي يتمّ نطقها عن طريق اتّصال طرف اللسان باللثّة اتّصالاً محكمًا يمنع مرور الهواء ، وتخفيض الطّبق اللّين ليسمح بمرور الهواء من تجويف الأنف (أنفيّ) »[62] . ويقول د. رمضان عبد التّوّاب في حديثه عن الأصوات اللثويّة مقدّمًا وصفًا شاملاً لهذا الصّوت صفةً ومخرجًا ومفرّقًا بين الصّوتين الأنفيّين : « أمّا النّون فهو صوت أنفيّ مجهور ، يتمّ نطقه بجعل طرف اللسان متّصلاً باللثّة ، مع خفض الطّبق ليفتح المجرى الأنفيّ ، وإحداث ذبذبة في الأوتار الصّوتيّة . ومعنى الأنفيّة في هذا الصّوت ، أنّ الهواء الخارج من الرّئتين يمرّ في التّجويف الأنفيّ محدثًا في مروره نوعًا من الحفيف ، وهي بهذا الوصف كالميم تمامًا ، غير أنّ الفرق بينهما أنّ طرف اللسان مع النّون يلتقي باللثّة ، فيمتنع مرور الهواء عن طريق الفم ، بعكس الميم ، فإنّ الذي يمنع مرور الهواء من الفم معهما ، هما الشّفتان »[63] .

(و) **ها القسم :**

اتّفق علماء اللغة القدماء والمحدثون في تحديد صوت الهاء صفةً ومخرجًا : فأمّا القدماء فقد ذهبوا إلى أنّ مخرجها من أقصى الحلق ، يقول سيبويه : « فللحَلْق منها ثلاثة . فأقصاها مخرجًا : الهمزة والهاء والألف »[64] . وقد تبعه في ذلك اللغويّون العرب كابن يعيش وابن عصفور والرّضي[65] .

أمّا المحدثون فقد حدّدوا المخرج تحديدًا دقيقًا يدخل فيه وضع الأوتار الصّوتيّة ، يقول د. كمال بشر : « تتكوّن الهاء العربيّة عندما يتّخذ الفم الوضع الصّالح لنطق حركة (كالفتحة مثلاً) ويمرّ الهواء خلال الانفراج الواسع النّاتج عن تباعد الصّوتين بالحنجرة محدثًا صوتًا احتكاكيًا يرفع الحنك اللّين ، فلا يمرّ الهواء من الأنف ولا تتذبذب الأوتار الصّوتيّة »[66] .

ويقول د. أحمد مختار عمر في معرض كلامه عن تجويف الحنجرة : « ويُسمَّى الصّوت حينئذ حنجريًا أو (مزماريًا) . ويتمّ في هذا المخرج إنتاج صوتين هما :

(أ) الهمزة ، عن طريق غلق فتحة المزمار ، ثمّ فتحها فتحًا فجائيًا (انفجاريّ) .

(ب) الهاء ، عن طريق تضييق المجرى بصورة تسمح بمرور الهواء مع احتكاك (استمراريّ) »[67] .

وكما اتّفقوا في مخرجها اتّفقوا كذلك في صفاتها . فالقدماء يعدّونها صوتًا مهموسًا رخوًا منفتحًا ، يقول سيبويه : « وأمّا (المهموسة) فالهاء ، و ... »[68] . وأمّا الرّخاوة فيقول : « ومنها (الرّخوة) وهي : الهاء ، و ... »[69] . وأمّا الانفتاح فيقول أيضًا : « فأمّا المُطْبَقة فالصّاد ، والضّاد ، والطّاء ، والظّاء . والمنفتحة : كلّ ما سوى ذلك من الحروف »[70] . وقد تبعه في هذه الصّفات اللغويّون العرب كابن يعيش وابن عصفور والرّضي[71] .

أمّا المحدثون فقد ذهبوا المذهب نفسه في تحديد صفات ذلك الصّوت ، يقول د. كمال بشر : « فالهاء إذنْ صوت حنجريّ احتكاكيّ مهموس »[72] .

ويقول د. رمضان عبدالتّوّاب : أمّا الهاء فإنّها صوت رخو مهموس مرقّق »[73] ، وقد عزا د. رمضان إلى د. تمّام حسّان أنّ صوت الهاء

مجهور ، كما عزا أيضًا إلى د. إبراهيم أنيس أنّ الهاء عادة صوت مهموس يُجهر به في بعض الظّروف اللغويّة الخاصّة »[74] .

وفيما يلي جدول مخارج حروف القسم وصفاتها على النّحو الذي شرحه القدماء والمحدثون :

مخارج حروف القسم وصفاتها حسب رأي القدماء	مخارج الحروف	الصّفات											
		شديد				رخو				ما بين الشّديد والرّخو			
		مجهور		مهموس		مجهور		مهموس		مجهور			
		منفتح	مطبق	منفتح	مطبق	منفتح	مطبق	منفتح	مطبق	منحرف	أنفي	لين
	ما بين الشّفتين	ب									م	و
	ما بين طرف اللّسان وأصول الثّنايا			ت								
	ما بين طرف اللّسان وفُويق الثّنايا										ن	
	ما بين أدنى حافّة اللّسان إلى منتهى طرفه وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فُويق الضّاحك والنّاب والرّباعيّة والثنيّة									ل		
	أقصى الحلق						هـ					

مخارج حروف القسم وصفاتها حسب رأي المحدثين	مخارج الحروف	الصّفات										
		شديد				رخو				متوسّط		
		مجهور		مهموس		مجهور		مهموس		مجهور		
		مرقّق	مفخّم	مرقّق	مفخّم	مرقّق	مفخّم	مرقّق	مفخّم	جانبي	أنفي	لين
	شفويّ	ب									م	و
	أسنانيّ لثويّ			ت								
	لثويّ									ل	ن	
	حنجريّ							هـ				

وفي ضوء هذه الدّراسة تتّضح لنا الأمور التّالية :

أوّلاً : أبدلتْ واو القسم (الفرع) من باء القسم (الأصل) لأمرين :

أحدهما لفظيّ (صوتي) ، والآخر معنويّ . أمّا السّبب اللفظيّ فلأنّ مخرجهما من الشّفتين فلمّا تقاربا في المخرج كانت أولى من غيرها . وأمّا السّبب المعنويّ فلأنّ الباء للإلصاق ، والواو للاجتماع ، والشّيء إذا لاصق الشّيء فقد اجتمع معه . وقد ذكر النّحاة هذين الأمرين في كتبهم [75] .

ثانيًا : أبدلتْ تاء القسم (فرع الفرع) من واو القسم (فرع الأصل) لأمرين :

أحدهما لفظيّ (صوتيّ) ، والآخر صرفيّ . وقد أشار ابن جنّي إلى الأول بقوله : « وكانت التّاء قريبة المخرج من الواو لأنّها من أصول الثّنايا ، والواو من الشّفة ، فأبدلوها تاء » [76] . وأمّا الأمر الصرفيّ فقد أشار إليه النّحاة في كتبهم ، يقول ابن جنّي : « قد أبدلت التاء من الواو فاءً إبدالاً صالحًا ، وذلك نحو « تُجاه » وهو فُعال من الوجه . وتُراث : فُعال من وَرِث . وتقيّة : فعيلة من وَقيت . ومثله التّقوى ، هو فعْلى منه ، وكذلك تُقاة : فُعَلة منها . وتوراة عندنا : فَوْعَلة من وَرِيَ الزّند ، وأصلها وَوْرَيَة ، فأبدلت الواو الأولى تاءً ، وذلك أنّهم لو لم يبدلوها تاء لوجب أن يبدلوها همزة لاجتماع الواوين في أوّل الكلمة . ومن ذلك « تُخمة » أصلها : وُخَمة لأنّها فُعَلَة من الوخامة ، وتكأة ؛ لأنّها فُعلة من تَوكّأت . وتُكْلان : فُعْلان من توكّلت . وتيقور : فيعول من الوقار ، أصله : وَيْقُور . وقالوا رجل تُكَلة ، أي : وُكلة ، وهو فُعَلة من وكل يكِلُ .

وعلى هذا أبدلوا التّاء من الواو في القسم ، وخصّوا بها اسم الله تعالى لأنّها فَرع فرع ، فَخُصّ بها الأشهر » [77] .

ثالثا : أمّـا (مُنْ) بضمّ الميم فـإنّه يتكوّن من صوتين يختلفـان في المخرج ويتّفقـان اتفاقًـا تامًـا في الصّفـات ، فـالميم والنّون صـوتان متوسّطان مجهـوران أنفيّان ، وضمُّ صوت الميم مختصّ بالقسم ، ولا يدخل إلا على الرّبّ ، فيقال : مُنْ ربّي لأفعلنّ . وقد أبدل هذا الصّوت من الأصل (باء) القسم ، ومن الفرع (واو) القسم :

أمّـا إبدالهـا من البـاء فلقرب مـخرجي الصّوتين ، إذ المخرج من الشّفتين ، يقول ابن جنّي : يقال : « بنات مخْر ، وبنات بخْر ... » فهذا يدلك على أنّ الميم في مَخْرٍ بدل من الباء في بخْر . وأخبرنا أبو عليّ أيضـــاً يرفعه بإسناده إلى أبي عمرو الشّـيبـانيّ قال : « يقال : مـازلت راتمًا على هذا وراتبًا ، أي مقيمًا » فـالظّاهر من أمر هذه الميم أن تكون بدلاً من باء راتب . وقرأت على أبي عليّ بإسناده إلى يعقوب ، قال : يقـال : رأيته من كَثَبٍ ومن كَثَمٍ » ثمّ إنّا رأيناهم يقـولون : قـد أكثب لك الأمـر إذا قَـرُبَ ، ولم نرهم يقولون : قد أكثم ، فالباء على هذا أعمّ تصرّفًا من الميم ، فالوجه لذلك أن تكون البـاء هي الأصل للمـيم [78] . ويشـير ابن جنّي إلى إبدال صوت الميم من الواو بقوله :

« أمّا إبدالها من الواو فقولهم : فَمٌ ، وأصله : فَوْهٌ بوزن سَوْطٍ ، فحذفت الهاء تخفيفًا فصار التّقدير : (فَوْ) ، فلمّا بقي الاسم على حرفين الثّاني منهما حرف لين كرهوا حذفه للتّنوين ، فيجحفوا به ، فأبدلوا من الواو ميمًا لقرب الميم من الواو ؛ لأنّهما شفهيّتان ، وفي الميم هُوِيٌّ في الفم يضارع امتداد الواو » [79] .

وإذا كـانت الميم بدلاً من الأصل (البـاء) ومن الفـرع (الواو) لاتفـاق

المخرج ، إذْ هذه الأصوات الثّلاثة جميعًا ممّا بين الشّفتين ، جاز إدراجها في مصافّ أصوات القسم وساغ حمل الجزء (النّون على الجزء (الميم) للاتّفاق في الصّفة ، فهو من باب حمل النّظير على النّظير .

وذكر صاحب « رصف المباني » نكتة صوتيّة جديرة بالاهتمام نقلها صاحب الجنى الدّاني في كتابه وهي : « أنّ « عَنْ » يجوز في نونها الإدغام والإظهار مع راء (رَبّ) . وعلّل جواز الإظهار بأنّ نونها لمّا سكّنت تخفيفًا ، جاز إظهارها دلالة على أصل التّحريك »[80] . وبعبارة واضحة نقول : إنّ الذي يبرّر هذا الإدغام هو قرب المخرج مع اتّحاد في الصّفة ، لأنّ كلاً منهما صوت لثويّ ، متوسّط بين الشّدّة والرّخاوة .

رابعًا : أمّا (اللام) فقد حُملتْ في القسم على (التّاء) لأمرين :

أحدهما : من النّاحية الصّوتيّة قرب المخرجين : لأنّ كلا الصّوتين من طرف اللّسان والثّنايا . وبتعبير أدقّ لأنّ صوت اللاّم لثويّ ، وصوت التّاء أسنانيّ لثويّ ، والتّقارب بينهما غير خفيّ .

والآخر : الدّلالة على القسم والتعجّب معًا ، والاختصاص باسم الله تعالى[81] .

خامسًا: أمّا (الهاء) فهي عوض من (الواو) ، وإنّما ورثتْ ضمن حروف القسم توسّعًا وتكثيرًا للحروف لكثرة استعمال القسم . يقول الزّمخشريّ : « وتحذف الواو ويعوّض منها حرف التّنبيه في قولهم : لا ها اللّه ذا »[82] . ويشرح ابن يعيش ما سبق بقوله : « وقالوا : « إيْ ها اللّهِ » والمراد : إيْ واللّهِ ، فحذفوا الواو وعوّضوا منه ها التّنبيه »[83] . وإنّما أبدلت الهاء من الواو لأنّهم قد أبدلوها في نحو : « ياهناهُ » كما يذهب البصريّون . أمّا الكوفيّون وبعض البصريّين فيذهبون إلى أنّ الهاء فيه للسّكْت[84] . يقول ابن الشّجريّ[85] : يا هَنَاهُ ، لم يستعملوا هذه اللّفظة

في غـيـر النّداء ، ... ، ولا يقـال : هذا هنـاهُ ، ولا مـررتُ بهـناهِ ، وإنّمـا يكْنُون بـهـذه الكلمـة عن اسم نكرة ، كمـا يكنُون بفـلان عن الاسم العَلَم ، وهـي مع ذلك كلمة ذمّ ، قال امرؤ القيس :

وقـــد رابَنِي قـــولُهـــا يـاهَنَـا ه وَيْحَكَ ألْحـــقْتَ شَـــرًا بشـــرّ

فمعنى يا هَنَاهُ : يا رجلَ سُوء . واختلف البصريّون في أصل تركيب هذه الكلمة ووزنها :

فذهـب بعضـهم إلى أنّ أصلها هَنَاوٌ ، فَعَالٌ من هَنَوْت ، فـأبدلوا من الواو الهـاءَ . وذهب بعضـهم إلى أنّ الهـاء في قـولهم : يـاهَنَـاهُ ، هـاءُ السّكْت ، وهذا قول ضعيف جدًا ؛ لأنّ هاء السّكْت لا تُحرّك في حال السَّعَة[85] .

ثانيًا : الدّلالة الصّوتيّة لموادّ القسم الصّريح :

يقول ابن جنّي في باب (إمسـاس الألفاظ أشباه المعاني) : « فأمّا مقابلةالألفاظ بما يشـاكل أصـواتهـا من الأحداث فبـاب عظيم واسـع ، ونهج مُتْلئبّ عند عـارفيـه مأمـوم . وذلك أنّهم كثيرًا مـا يجعلون أصـوات الحروف على سمت الأحداث المعبّر بها عنهـا ، فيعدّلونها بهـا ويحتذونهـا عليهـا . وذلك أكثر ممّا نقدّره ، وأضـعاف مـا نسـتشعره »[87] . ويقـول أيضًا معقّبًا بعد أمثلة سـاقهـا شاهدًا على صحّة مقـالتـه : « فـهـذا ونحـوه أمـر إذا أنت أتيـتـه من بابه ، وأصـلحت فكرك لتناوله وتأمّله ، أعطاك مقادتـه ، وأركبك ذروتـه ، وجلا عليك بهجاته ومحاسـنه . وإن أنت تناكرته ، وقلت : هذا أمر منتشر ، ومذهب صعب موعِر ، حرمت نفسك لذّته ، وسددت عليها باب الحُظْوة به .

نعمْ ، ومن وراء هذا مـا اللّطف فيـه أظهـر ، والحكمة أعلى وأنصع . وذلك أنّهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبَّر عنها بها

ترتيبَهَا ، وتقديم ما يضاهي أوّل الحدث ، وتأخير ما يضاهي آخره ، وتوسيط ما يضاهي أوسطه ، سَوْقًا للحروف على سمْت المعنى المقصود ، والغرض المطلوب »[88] .

وانطلاقًا من إشارات ابن جنّي في أنّ العرب جعلت هذا الكلام عبارات عن هذه المعاني ، وكلّما ازدادت العبارة شبهًا بالمعنى كانت أدلّ عليه ، وأشهدَ بالغرض فيه . فاختيارهم هذه الأصوات أو تلك للدّلالة على معنى من المعاني لم يكن اعتباطًا ، وإنّما كان حذوًا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث . وسنحاول في هذا المجال الصّوتيّ أن نربط أصل المعنى بالصّوت ، موضّحين أسباب اجتماع أصوات معيّنة في هذا الفعل أو ذاك من أفعال القسم في نسق صوتيّ متلائم صفة ومخرجًا .

وسأقصر التّحليل الدّلاليّ على أصوات الموادّ الأصول أو ما أطلق عليه علماء النّحو القسم الصّريح . أمّا أفعال القسم غير الصّريح وأسماؤه ومصادره فإنّها لا تظهر دلالتها على القسم إلا في المستوى التّركيبيّ .

(أ) دلالة مادّة (قسم) :

قدّموا القاف لأنّها حرف شديد مفخّم ، وهو « أعرف حروف القلقلة وأشهرها لشدّة الصوت فيها أكثر من غيرها »[89] . فالقاف تشبّه بصوتها بدء القطع وأوّله ، ثم يليه إصدار صوت القطع فيعبّر عنه بالسّين بما فيها من الصّفير والتّرقيق ، فهو أقوى لصنعتها وأدلّ على المعنى الذي أريد بها . ولكون صوت الميم شفويًا أضحى التّعبير عن عمليّة القطع وانتهائها جليًا . ولو تجاوزوا في مرادهم عمليّة القطع إلى ما هو أبعد لقالوا : (قصم) ، « فالقصْم أقوى فعلاً من القسْم ؛ لأنّ القصم يكون معه الدّقّ ، وقد يُقسم بين الشّيئين فلا يُنكأ أحدهما ، فلذلك خصّت بالأقوى الصّاد ، وبالأضعف السّين »[90] . وليس هناك فرق بين السّين والصّاد من النّاحية

الصّوتية إلا في أنّ الثّانية مطبقة .

وإذا ما أمعنا النّظر في الصّفة والمخرج في هذه الأصوات الثّلاثة وجدنا أنّه قد توسّط صوت رخو مهموس ، وهو السّين ، صوتين مجهورين أحدهما شديد انفجاريّ وهو القاف ، والآخر متوسط بين الشّدّة والرّخاوة وهو الميم .

وإذا صرفنا النّظر عن الدّقّة في وصف المخرج الصّوتي نجد أن مخارج الحروف ثلاثة ، فأخذوا من كلّ مخرج صوتًا : القاف من الحلق ، وقد وصفها القدماء بأنّها « من أقصى اللّسان وما فوقه من الحنك الأعلى »[91] أمّا المحدثون فقالوا : بأنّها صوت حلقوميّ (لهويّ)[92] . والسّين من اللّسان ، وقد وصفها القدماء بأنّها « ممّا بين طرف اللّسان وفُويق الثّنايا »[93] ، أمّا المحدثون فقالوا : بأنّها صوت أسنانيّ لثويّ[94] . والميم من الشّفتين ، وقد وصفها القدماء بأنّها « ممّا بين الشّفتين »[95] ، أمّا المحدثون فقد ذهبوا المذهب عينه بأنّها صوت شفويّ[96] .

* وبذلك يتّضح لنا أنّ مادة (قسم) تحمل دلالةً على معنى القطع .

(ب) **دلالة مادة (حلف) :**

جعلوا الحاء لرقّتها (أي إنحاف ذات الحرف عند النّطق به) ، وصحلها (أي البحّة في الصّوت) شبيهة بحدّة السّنان ونفاذه في الجسم المستهدف ، والسّنان إذا ولج في الجسم انحرف جانبًا في حيّز ما فعبّروا عن ذلك باللام وما فيه من صفة الانحراف الجانبيّ ، ثم كانت الفاء ذات المخرج الشّفويّ لتعبّر عن الحدّة والنّفاذ والقطع .

أمّا من ناحية الصّفة فقد توسّط صوت اللام المجهور المتوسّط بين الشّدّة والرّخاوة صوتين رخوين مهموسين مرقّقين ، وبذلك تتّحد الأصوات الثّلاثة

في هذا الفعل ترقيقًا وهو أدلّ على معنى الحدّة . وبنظرة إلى الحيّز الصّوتيّ نجد أنّهم أخذوا من كلّ مخرج صوتًا : فالحاء من الحلق ، وقد وصفها القدماء بأنّها « من أوسط الحلق »[97] ، أمّا المحدثون فقالوا : إنّها صوت حلقيّ[98] . واللام من اللّسان ، وقد وصفها القدماء بأنّها « من حافّة اللّسان من أدناها إلى منتهى طرف اللّسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فُويق الضّاحك والنّاب والرّباعيّة والثّنيّة »[99] ، أمّا المحدثون فقالوا : إنّها صوت لثويّ[100] . والفاء من الشّفتين ، وقد وصفها القدماء بأنّها « من باطن الشّفة السّفلى وأطراف الثّنايا العُلى »[101] ، أمّا المحدثون فقد وصفوها بقولهم : إنّها صوت شفويّ أسنانيّ[102] .

* وبذلك يتجلّى لنا أن مادّة (حلف) تحمل دلالةً على معنى الحدّة والقطع .

(جـ) **دلالة مادّة (ألو) :**

استعمل العرب الهمزة لكونها صوتًا شديدًا انفجاريًا تعبيرًا عن صفة الاجتهاد والاستطاعة ، فقدّموه لما فيه من قوّة ودفع إذ مخرجه من أقصى الحلق والحنجرة ، فهو أشهدُ بالغرض وأدلُّ على ذلك المعنى . وعقّبوا الهمزة بصوت اللام لينحرف المسار جانبًا عن الصّفة السّابقة فينتقل إلى صفة ضدّ ، وهي الوهن والتّقصير فكانت الواو بما فيها من صفة اللّين والعلّة وموقع الطّرف إذ طرف الشّيء أضعف من أوّله وأوسطه ، والرّديف التّابع ليس له تمكّن الأوّل والقلب . وكأنّهم خصّوا معنى الاجتهاد بصوت الهمزة لقوّته ، والمعنى المضادّ الوهن والتّقصير بالواو لضعفه .

وبنظرة إلى الصّفة الصّوتيّة لهذه الأصوات نجد أنّه تقدّم صوت شديد مجهور وهو الهمزة صوتين مجهورين متوسّطين بين الشّدّة والرّخاوة ، فاتّحدت الأصوات الثّلاثة جهرًا . وكون الصّوتين التّاليين دون الصّوت الأوّل في صفة الشّدّة أوفقَ للغرض المنشود والمعنى المقصود . وحذوًا لأصوات المادّتين

المتقدّمتين من حيث الحيّز الصّوتيّ نجد أنّهم أخذوا من كل مخرج حرفًا : فالهمزة من الحلق ، وقد وصفها القدماء بأنّها « من أقصى الحلق »[103] أمّا المحدثون فقالوا : إنّها صوت حنجريّ[104] . واللام من اللّسان ، وقد وصفها القدماء بأنّها « من حافّة اللّسان من أدناها إلى منتهى طرف اللّسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فُويق الضّاحك والنّاب والرّباعيّة والثّنيّة »[105] ، أمّا المحدثون فقالوا : إنّها صوت لثويّ[106] . والواو من الشّفتين ، وقد وصفها القدماء بأنّها « ممّا بين الشّفتين »[107] ، وقد ذهب المحدثون المذهب نفسه فقالوا : إنّها صوت شفويّ[108] .

* وبذلك يتّضح لنا أنّ مادّة (ألو) تدلّ على أصلين :

أحدهما : الاجتهاد والاستطاعة .

والآخر : التّقصير والوهن .

(د) **دلالة مادّة (يمن) :**

قدّموا صوت الياء لما فيه من الدّلالة على اليد اليمنى ، فتذبذبُ الأوتار الصّوتيّة عند النّطق به محدثة صفة الجهر وما فيه من قوّة وقدرة ، ولمّا كان مفاد يمين اليد : المعاهدة والمعاقدة عقّبوا ذلك بالميم الصّوت الشّفويّ المعبّر عن ذلك ، وبذلك تحصل الغاية والنّهاية فكانت النّون متطرّفة ، والتّطرّف يؤذن بالانتهاء .

وبنظرة متأنّية إلى الصّفة نلحظ أنّ الأصوات الثّلاثة اتّحدت في صفتي : الجهر والتّوسّط بين الشّدّة والرّخاوة . أمّا من حيث المخرج فقد وصف القدماء من علماء الأصوات صوت الياء بأنّه « من وسط اللّسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى »[109] ، أمّا المحدثون فقالوا : إنّه صوت غاريّ[110] .

أمّا صوت الميم فقد وصفه القدماء بأنّه « ممّا بين الشّفتين »[111] ، وقد ذهب المحدثون إلى ذات الوصف فقالوا : إنّه صوت شفويّ[112] . أمّا صوت النّون فقد وصفه القدماء بأنّه « من طرف اللّسان بينه وبين ما فُويق الثّنايا »[113] أمّا المحدثون فقد قالوا : إنّه صوت لثويّ[114] .

* وبذلك يبدو لنا أنّ مادّة (يمن) تدلّ على اليد اليمنى حيث القوّة والقدرة .

(هـ) دلالة مادّة (ألت) :

تدلّ هذه المادّة على النّقصان ، والنّقص لا يحصل إلا إذا كان التّمام والقوّة والكثرة ، ومن هنا قدّموا الهمزة لكونها صوتًا انفجاريًا شديدًا مجهورًا إذْ مخرجه من أقصى الحلق حيث الحنجرة ، وفي الجهر القوّة والتّمام حيث رفع الصّوت وعلوّه . وعقّبوا الهمزة بصوت اللام (المنحرف) لينحرف المسار عن الصّفة السّابقة وينحسر عنها إلى صفة ضدّ وهي النّقصان ، فكانت التّاء لكونها صوتًا مهموسًا ، وفي الهمس الضّعف والنّقص حيث إخفاء الصّوت وانحساره .

وقد أشبهت مادّة (ألت) مادّة (ألو) في الصّوتين الأوّل والأوسط وتخلّفتْ بصوت التّاء . وبنظرة إلى الحيّز الصّوتيّ لذلك الصّوت نجد أنّ القدماء قالوا : إنّ مخرجه « ممّا بين طرف اللّسان وأصول الثّنايا »[115] . أمّا المحدثون فقالوا : إنّه صوت أسنانيّ لثوي[116] . أمّا ناحية الصّفة فقد وصفه القدماء والمحدثون بأنّه صوت شديد مهموس مرقّق (منفتح)[117] .

* وبذلك يتّضح لنا أنّ مادّة (ألت) تحمل دلالةً على النّقصان .

ثانيًا – الدّلالة الصّرفيّة :

وينتهي بنا الحديث عن الدّلالة المعجميّة إلى الحديث عن الدّلالة الصّرفيّة القائمة على دراسة البنية اللفظيّة واشتقاقاتها ، فالدّلالة الصّرفيّة تقوم على أمرين :

الأوّل :دراسة التّغيير الذي يصيب صيغة الكلمة وبنيتها ، لإظهار ما في حروفها من أصالة أو زيادة أو حذف ، أو صحّة أو إعلال أو إبدال .

والثّاني:دراسة تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة كالتّصغير والتّكسير والتّثنية والجمع والاشتقاق[118] . فهذان الأمران مدار اهتمام الصّرفيّين في دراساتهم . وكما وضّح علماء اللغة المعاني اللغويّة لألفاظ القسم بنوعيه ، وشرحوا دلالات الاستعمال لكلّ لفظ منها ، وتناولوا تطوّر المعاني اللغويّة إلى دلالات اصطلاحيّة ، كذلك عالجوا تلك الألفاظ والبنى معالجة صرفيّة انطلاقًا من المادّة الأصليّة وما يتولّد عنها من اشتقاقات وفروع . ويمكن النّظر في الدّلالة الصّرفيّة لألفاظ القسم من مناحٍ عديدة ، من أهمّها :

أوّلاً : فعل القسم :

ويمكن تناوله من خلال النّقاط التّالية :

(أ) **التّجرّد والزّيادة** : فأفعال القسم إمّا مجرّدة أو مزيدة ، أمّا الأفعال المجرّدة فقد انحصرت في الثّلاثيّ المجرّد ، ولم يرد رباعيّ مجرّد ، وهي واحد وعشرون فعلاً :

1) حلف	8) سبأ	15) أصر
2) شهد	9) عهد	16) بدا
3) علم	10) نفل	17) خاف
4) نشد	11) سمط	18) صبر
5) كتب	12) حلط	19) ألت
6) وعد	13) عزم	20) أبى
7) قضى	14) تمّ	21) أخذ

ولا دلالة لهذه الأفعال المجرّدة سوى التّوكيد والجزم بالقول أصالةً نحو : (حلف ، وألت) ، أو تنزيلاً كما هو الحال في أفعال القسم غير الصّريح . أمّا الأفعال المزيدة فقد انحصرت في الصّيغ السّبع التّالية :

(1) **فَعّلَ** : وفعلاها الواردان : (عمّر ، ونفّل) ، والمعنى المستفاد من هذه الزّيادة الدّعاء للشّيء ، أي تحلّفه على سبيل السّؤال والطّلب ، والتّكثير والمبالغة .

(2) **أَفْعَلَ** : وأفعالها الواردة : (أقسم ، أنفل ، أوذم ، أبدع ، أحلط ، وأبلى) وقد جاءت الهمزة الزّائدة لأحد معنيين :

أحدهما : المبالغة في المعنى .

والآخر : الصّيرورة .

فمعنى : (أقسمتُ) أي بالغت في قسمي وهو التوكيد والفصل بالقول ، أو صرت ذا قسم .

(3) **فَاعَلَ** : وأفعالها الواردة : (قاسم ، آلى ، ناشد ، عاهد ، واثق) وقد جاءت هذه الزّيادة لأحد معنيين :

أحدهما : الدّلالة على المشاركة نحو قوله تعالى : ﴿ وقاسمهما إنّي لكما لمن النّاصحين ﴾ [119] يقول الزّمخشريّ : « فإن قلت : المقاسمة أن تقسم لصاحبك ويقسم لك ، تقول : قاسمت فلانًا حالفته ، وتقاسما تحالفا . ومنه قوله تعالى : ﴿ تقاسموا باللّه لنبيتنّه ﴾ . قلت : كأنّه قال لهما : أقسم لكما إنّي لمن النّاصحين ، وقالا له :

أتقسم باللّه إنّك لمن النّاصحين ، فجعل ذلك مقاسمة بينهم ، أو أقسم لهما بالنّصيحة وأقسمَا له بقبولها » [120] .

والآخر : أن تكون بمعنى (فعل) المجرّدة نحو : (عاهد بمعنى عهد ، وناشد بمعنى نشد ، و واثق بمعنى وثق) .

(4) **تَفَعَّلَ** : وأفعالها الواردة : (تألّى ، وتأذّن ، وتنجّد) . وتأتي هذه الزّيادة لأحد معنيين :

أحدهما : الدّلالة على التّكثير والمبالغة والاجتهاد في الحلف .

والآخر : الدّلالة على الصّيرورة ، بمعنى صار صاحب كذا .

(5) **تَفَاعَلَ** : وفعلاها الواردان : (تقاسم ، وتحالف) والمعنى المستفاد من هذه الزّيادة هو المشاركة .

(6) **اِفْتَعَلَ** : وأفعالها الواردة : (ائتلى ، واحتلط ، وانتفل) وقد جاءت هذه الزّيادة لأحد معنيين :

أحدهما : المبالغة في المعنى ، نحو : (ائتلى) أي بالغ في الائتلاء .

والآخر : أن تكون (افتعل) بمعنى (فعل) نحو : (احتلط بمعنى حلط ، وانتفل بمعنى نفل) .

(7) **اِسْتَفْعَلَ** : وأفعالها الواردة : (استقسم ، واستحلف ، واستشهد ، واستيمن) . وقد جاءت هذه الزّيادة لأحد معنيين :

أحدهما : السّؤال والطّلب .

والآخر : أن تكون (استفعل) بمعنى (فعل) نحو : (استشهد بمعنى شهد) .

أمّا صيغ الزّيادة التي لم يرد عليها فعل من الأفعال التي تدلّ على معنى القسم فهي :

1) اِنْفَعَلَ . 2) اِفْعَلَّ . 3) اِفْعَوْعَلَ . 4) اِفْعَوَلَّ .

5) اِفْعَالَّ . 6) تَفَعْلَلَ . 7) اِفْعَلَلَّ 8) اِفْعَنْلَلَ .

نستنتج من العرض المتقدّم ما يلي :

أوّلاً : إنّ أفعال القسم إمّا مجرّدة أو مزيدة ، وقد انحصرت المجرّدة في الثّلاثيّ ، وانحصرت المزيدة في سبعة أوزان هي :

1) فعَّل . 2) أفعَل . 3) فاعَل . 4) تفعَّل .

5) تفاعَل . 6) افتعَل . 7) استفعَل

فليس كلّ صيغ الزّيادة صالحة للدّلالة على القسم ، وقد يكون مرجع ذلك إلى الثّقل الصّوتيّ .

ثانيًا: لا يلزم في كلّ فعل قسميّ مجرّد أن يستعمل له مزيد ، والعكس صحيح أي : لا يلزم في كلّ فعل مزيد أن يكون له فعل مجرّد دالاً على معنى القسم ، ولا يلزم في ما استعمل له صيغ الزّيادة أن يستعمل له صيغ الزّيادة لفعل آخر .

ثالثاً : إنّ مقولة النّحاة المشهورة : « إنّ زيادة المبنى تدلّ على زيادة المعنى » صادقة على بعض صيغ الزّيادة ، وغير صادقة على بعضها الآخر ، فقد وردتْ بعض صيغ الزّيادة بمعنى الثّلاثيّ المجرّد (فَعَلَ) ، فلم يكن هناك فائدة معنويّة ترجى من هذه الزّيادة ، فأصبح التّزيّد والتّجرّد في الدّلالة سيّان ، ولهذا ينبغي لنا ألاّ ننساق وراء هذه المقولة ونعمّمها على كلّ مثال فيه هذه الزّيادة ؛ وذلك لعدم اطّرادها في كلّ أفعال العربيّة .

ثانيًا : فصّل الصّرفيّون القول في المشتقّات داخل المادة الواحدة

، ولا سيّما المصدر لكونه أصل الاشتقاق كما يذهب البصريّون ، وأودّ هنا التّفريق بين دلالة المصدر واسم المصدر في الاستخدام العربيّ ، وربط ذلك بالقسم :

المصدر واسم المصدر :

أمّا المصدر : فهو الاسم الدّالّ على مجرّد الحدث الجاري على الفعل غير مرتبط بزمن من الأزمنة الثّلاثة : الماضي والحال والمستقبل[121] . وأمّا اسم المصدر : فهو الاسم الدّالّ على الحدث بواسطة دلالته على لفظ المصدر وليس بجارٍ على الفعل[122] . وقد نقل السّيوطيّ عن ابن النّحاس[123] تفريقًا دلاليًا بين المصدر واسم المصدر بقوله : « الفرق بينهما أنّ المصدر في الحقيقة هو الفعل الصّادر عن الإنسان وغيره ، كقولنا : إنّ (ضربًا) مصدر في قولنا : يعجبني ضرب زيد عمرًا ، فيكون مدلوله معنى ، وسمّوا ما يعبّر عنه مصدرًا مجازًا نحو (ض ر ب) في قولنا : إنّ (ضربًا) مصدر منصوب إذا قلت : ضربت ضربًا ، فيكون مسمّاه لفظًا . واسم المصدر اسم للمعنى الصّادر عن الإنسان وغيره كـ (سبحان) المسمّى به التّسبيح الذي هو صادر عن المسبّح لا لفظ (ت س ب ي ح) بل المعنى المعبّر عنه بهذه الحروف ومعناه البراءة والتّنزيه »[124] .

كما نقل السّيوطيّ أيضًا عن ابن الحاجب[125] تفريقًا لفظيًا بقوله : « إنّ المصدر : الذي له فعل يجري عليه كالانطلاق في انطلق ، واسم المصدر : هو اسم المعنى وليس له فعل يجري عليه كالقهقرى فإنّه لنوع من الرّجوع ولا فعل له يجري عليه من لفظه »[126] .

فنحو : حلفًا ، وعهدًا ، ونذرًا ، وإيلاءً ، وتألّيًا ، وائتلاءً ، وغيرها ، مصادر لدلالتها على الحدث الذي هو الفعل الصّادر والحاصل من الفاعل وهو الحالف ، ولكونها جارية على أفعالها . فمدلول المصدر نفس الحدث الواقع من الفاعل ، والحدث الذي تدلّ عليه هذه المصادر إنّما هو التّوكيد والفصل بالقول . وأمّا نحو : (قَسَمًا) فاسم مصدر لدلالته على الحدث بواسطة دلالته على لفظ المصدر ، لكونه غير جارٍ على فعله . فمدلول اسم المصدر هو لفظ المصدر ، فـ (قَسَمًا) يدلّ على لفظ (إقسامًا) الدّالّ على الفعل الصادر والحاصل من الحالف . وإنّما

عدل عن المصدر الأصليّ إلى اسمه جريًا على عادة العرب ، كما قيل في (الكلام) و (السّلام) : اسمان للمصدر الأصليّ اللذان هما (التّكليم) و (التّسليم)[127] .

وقد جاء في القرآن الكريم اسم المصدر دالاً على مصدره فمن ذلك :

قوله تعالى : ﴿ واللّهُ أنبتكمْ من الأرض نباتًا ﴾[128] .

وقوله تعالى : ﴿ واذكر اسمَ ربِّكَ وتبتّلْ إليه تبتيلا ﴾[129] .

ومن ورود اسم المصدر في الشّعر العربيّ قول الشّاعر :

قسمًا لَحِينَ تَشِبُّ نيرانُ الوَغَى يُلْفَى لَدَيَّ شفاءُ كلِّ غليلِ[130]

وقول الأحوص الأنصاريّ[131] :

إنّي لأمنحكَ الصُّدودَ وإنّني قسمًا إليكَ مع الصُّدودِ لأميلُ[132]

وقول الشّاعر :

أليّةً لَيَحيقنْ بالمسيء إذا ما حُوسِبَ النّاسُ طرًا سوءُ ما عَمِلا[133]

وقول الشّاعر :

ويقينًا لأشربنَّ بماءٍ وَرَدُوهُ فعاجلاً وتَئِيَّه[134]

وهكذا يتّضح أنّ (المصدر ، واسم المصدر) يتّفقان في دلالتهما على المعنى المجرّد المتمثّل في التّوكيد والفصل بالقول ، ويختلفان في الدّلالة الحاصلة من البناء الصّرفيّ والنّسق الصّوتيّ الخاصّ بهما .

ثالثًا : أمّا الإعلال في البنية والذي يجمعه – كما يقول ابن الحاجب – القلب والحذف والإسكان[135] ، فإنّنا نعرض بعضًا من ألفاظ القسم التي اعتراها هذا التغيير لندرك من خلاله مدى تغيّر الدّلالة بعد الإعلال :

أوّلاً : تألّيًا ، وميثاقًا :

وتقلب فيهما الواو ياءً إذا انكسر ما قبلها بشرط سكونها وإفرادها في

غير الطّرف مثل (ميثاقًا) ، أمّا في الطّرف فتقلب ياء أيضًا حتّى لو تحرّكت مثل (تألّيًا) . وإنما جاء هذا القلب من (موثاقًا) و (تألّوا) إلى (ميثاقًا) و (تألّيًا) قصدًا إلى التّخفيف .

ثانيًا : آلى إيلاءً :

يقول الرّضيّ : « وأمّا إذا كانت الواو والياء المتحرّكتان المفتوح ما قبلهما في آخِر الكلمة فإنهمّا تقلبان ألفًا ، ..... هذا ولمناسبة القلب آخِر الكلمة أعلّ الواو والياء أخيرًا هذا الإعلال ، وإنْ كان قبلهما ألف ، بشرط كون الألف زائدة ، لأنّها إذنْ في حكم العدم ، وذلك نحو : كساء ورداء »[136] . فأصل : آلى إيلاءً آلوَ إيلاوًا ، قُلبت الواو ألفًا لتحرّكها وانفتاح ما قبلها ؛ لكون الفتحة مناسبة للألف ، ولا يمنع من ذلك الألف الزائدة في المصدر (إيلاء) .

ثالثًا : أَخَذَ عليه :

يقول الرّضيّ في معرض كلامه عن قلب الواو همزة إذا كانت فاءً : (وقال بعض النّحاة : أصل (أَخَذَ) (وَخَذَ) بدلالة اتّخذ كاتّصل »[137] . يقول المحقّقون : يريد أنّ بعض النّحاة لما رأى أنّ العرب تقول : (اتّخذ) بمعنى (أخذ) ، والمقرّر عندهم : أنّ الهمزة لا تقلب تاء ، تحلّل من ذلك بأن ذكر أنّ (أخذ) أصله (وخذ) . فـ (اتّخذ) ليس من المقلوب عن الهمزة ، ولكنه عن الواو ، وهو رأي غير سديد ؛ لأنّ (اتّخذ) يجوز أنْ يكون ثلاثيّه المجرّد (تخذ) بدليل قول جندب بن مرّة الهذليّ :

تَخِذْتُ غُرارَ إثْرهُمُ دليلاً ... وفرُّوا في الحجازِ ليعجزوني

وإذا كانت محتملة لهذا الوجه وهو وجه لا شذوذ فيه سقط الاستدلال بها على ما ذكره ، وقد قرئ قوله تعالى : ﴿ لو شئت لَتَخِذْتَ عليه أجرًا ﴾[138] .

رابعًا : ايْمُنُ اللّه :

يقول الرّضيّ في معرض كلامه عن الجمع بين إعلالين : « وقولهم : لا يجمع بين إعلالين في كلمة واحدة فيه نظر ؛ لأنّهم يجمعون بين أكثر من إعلالين في كلمة ، .... واضطرب في هذا المقام كلامهم .... وقال أبو عليّ : المكروه منه أن يكون الإعلالان على التّوالي ، أمّا إذا لم يكن كذلك كما تقول في : (ايْمُنُ اللّه) مُنُ اللّهِ ، بحذف الفاء ، ثم تقول بعد استعمالك مُنُ اللّهِ كثيرًا : مُ اللّهِ ، فليس ذلك بمكروه »[139] .

يقول الزّمخشريّ : « ولكثرة القسم في كلامهم أكثروا التّصرّف فيه ، وتوخّوا ضروبًا من التّخفيف من ذلك : حذف الفعل في : باللّه ، والخبر في : لعمرك وأخواته والمعنى : لعمرك ما أقسم به ، ونون ايمن وهمزته في الدّرج »[140] .

ولكنّ السّؤال : هل حذف النّون من (ايمن اللّه) يُعدّ إعلالاً بالحذف كما يذهب إلى ذلك أبو عليّ ؟ نعم ، فالحذف نوعان :

(أ) حذف قياسيّ : وهو ما كان لعلّة تصريفيّة مثل : قُلْ ، ويَعِدُ ، وظَلْتُ في ظَلَلْتُ ، ويَقَرْنَ في يَقْرَرْنَ .

(ب) وحذف غير قياسيّ (اعتباطيّ) : وهو ما كان لغير علّة تصريفيّة مثل : يد ، ودم . ومن غير القياس ما حدث في (ايمن اللّه) من حذف همزته ونونه .

وهكذا ندرك أنّ دلالة تغيير هذه الحروف لطلب الخفّة لكثرتها في الكلام . فبما أنّ القسم كثير الدّوران في اللّسان العربيّ ، وهذه الحروف كثيرة أيضًا في الكلام العربيّ ، فالنتيجة إذن أنّ هذه الكثرة المشتركة تستوجب ثقلاً صوتيًا في الاستعمال ، فيُؤتى بذلك التّغيير قصدًا إلى الاستخفاف وطردًا لذلك الاستثقال .

هوامش المبحث الثّاني

1) الكتاب (4 : 433) .

2) انظر : سرّ صناعة الإعراب (1 : 48) و شرح المفصّل (10 : 125) والممتع في التّصريف (2 : 670) وشرح الشّافية (3 : 254) .

3) علم اللغة العامّ : الأصوات العربية (ص 101) .

4) المدخل إلى علم اللغة (ص 42) .

5) الكتاب (4 : 434) .

يقول الرّضيّ : « والجهر : رفع الصّوت ، والهمس : إخفاؤه ، وإنّما يكون مجهورًا لأنّك تشبع الاعتماد في موضعه ، فمن إشباع الاعتماد يحصل ارتفاع الصّوت ، ومن ضعف الاعتماد يحصل الهمس والإخفاء » . انظر : شرح الشّافية (3 : 258) .

6) سرّ صناعة الإعراب (1 : 119) .

7) الكتاب (4 : 434) .

يقول الرّضيّ : « والحروف الشّديدة (أَجِدُكَ قَطَبْتَ) ونعني بالشّديد ما إذا أسكنته ونطقت به لم يجر الصّوت » . ويقول أيضًا : « والفرق بين الشّديدة والمجهورة أنّ الشّديدة لا يجري الصّوت عند النّطق بها ، بل إنّك تسمع به في آن ثمّ ينقطع ، والمجهورة لا اعتبار فيها بعدم جري الصّوت ، بل الاعتبار فيها بعدم جري النّفس عند التّصويت بها » . انظر : شرح الشّافية (3 : 260) .

8) سرّ صناعة الإعراب (1 : 61) .

9) شرح المفصّل (10 : 129) .

10) الكتاب (4 : 436) .

يقول الرّضيّ : « قوله : « المطبقة ما ينطبق معه الحنك على اللسان » لأنّك ترفع اللسان إليه فيصير الحنك كالطّبق على اللّسان ، فتكون الحروف التي تخرج بينهما مطبقًا عليها » . ويقول أيضًا : « قوله : « والمنفتحة بخلافها لأنّه ينفتح ما بين اللّسان والحنك عند النّطق بها » . انظر : شرح الشّافية (3 : 262) .

11) سرّ صناعة الإعراب (1 : 61) .

12) الممتع في التّصريف (2 : 674) .

13) علم اللغة العامّ : الأصوات العربيّة (ص 88 و 101) .

يقول د. كمال بشر : « تتكون الأصوات الانفجاريّة – بقطع النّظر عن اللغة المعيّنة – بأن يحبس مجرى الهواء الخارج من الرّئتين حبسًا تامًا في موضع من المواضع . وينتج عن هذاالحبس أو الوقف أن يضغط الهواء ثمّ يطلق سراح المجرى الهوائيّ فجأة ، فيندفع الهواء محدثًا صوتًا انفجاريًا . فهذه الأصوات باعتبار الحبس أو الوقف يمكن تسميتها « بالوقفات » ولكنّها باعتبار الانفجار تُسمَّى الأصوات الانفجاريّة » . ويقول أيضًا في معرض كلامه عن تقسيم العرب القدامى للأصوات : « الأصوات الشّديدة ، وهي ما تقابل تلك الأصوات التي سمّيناها هنا انفجاريّة أو وقفات » . انظر : علم اللغة العامّ : الأصوات العربيّة (ص 98) .

14) دراسة الصّوت اللغويّ (ص 324) .

15) المدخل إلى علم اللغة (ص 42) .

16) الكتاب (4 : 433) .

17) سرّ صناعة الإعراب (1 : 38) .

18) الممتع في التّصريف (2 : 670) .

19) شرح المفصّل (10 : 125) .

20) انظر : اللغة العربيّة معناها ومبناها (ص 79) و المدخل إلى علم اللغة لـ د. رمضان عبدالتّوّاب (ص 43) .

21) علم اللغة العامّ : الأصوات العربيّة (ص 95) .

22) دراسة الصّوت اللغويّ (ص 318) .

23) الكتاب (4 : 434) .

24) سرّ صناعة الإعراب (1 : 61) .

يقول الرّضيّ : « وإنّما جعل حروف (لمَ يَرُوعُنَا) بين الشّديدة والرّخوة لأنّ الشّديدة هي التي ينحصر الصّوت في مواضعها عند الوقف ، وهذه الأحرف الثّمانية ينحصر الصّوت في مواضعها عند الوقف ، لكن تعرض لها أعراض توجب خروج الصّوت من غير مواضعها » . انظر : شرح الشّافية (3 : 260) .

25) الممتع في التّصريف (2 : 673) .

26) الكتاب (4 : 435) .

27) انظر : شرح المفصّل (10 : 129) والممتع في التّصريف (2 : 674) .

28) علم اللغة العامّ : الأصوات العربيّة (ص 133) .

يقول د. كمال بشر في كلامه عن أنصاف الحركات : « يُطلق هذا المصطلح على تلك الأصوات التي تبدأ أعضاء النّطق بها من منطقة حركة من الحركات ، ولكنّها تنتقل من هذا المكان بسرعة ملحوظة إلى مكان حركة أخرى . ولأجل هذه الطّبيعة الانتقاليّة أو الانزلاقيّة ، ولقصرها وقلّة وضوحها في السّمع إذا قيست بالحركات الصّرفة ، اعتبرت هذه الأصوات أصواتًا صامتة ، لا حركات ، بالرّغم ممّا فيها من شبه واضح بالحركات ، وعندنا في العربيّة من هذا النّوع صوتان هما الواو والياء في : ولد ، يترك ، حوض ، بيت . والحقيقة أنّ هذه الأصوات من حيث النّطق الصّرف تقترب من الحركات في صفاتها ، ولكنّها في التّركيب الصّوتيّ للغة تسلك مسلك الأصوات الصّامتة ، ومن هنا كانت تسميتها بأنصاف حركات ويجوز

تسميتها بأنصاف صوامت ، ولكن المصطلح الأوّل هو المشهور » . انظر : علم اللغة العامّ : الأصوات العربيّة (ص 132-133) .

29) المدخل إلى علم اللغة (ص 43) .

30) اللغة العربيّة معناها ومبناها (ص 79) .

31) الكتاب (4 : 433) .

32) سرّ صناعة الإعراب (1 : 47) .

33) شرح المفصّل (10 : 125) .

يقول ابن منظور : « والنُّطْع والنِّطَع والنَّطَعة : ما ظهر من غار الفم الأعلى ، وهي الجِلْدة الملتزِقة بعظْم الخُلَيقاء فيها آثار كالتّحزيز ، وهناك موقع اللّسان في الحنك ، والجمع نُطُوع لا غير » . انظر : لسان العرب : مادّة (ن ط ع) (6 : 4461) .

34) الكتاب (4 : 434) .

35) سرّ صناعة الإعراب (1 : 60) .

36) الكتاب (4 : 434) .

يوصف أيضًا صوت التّاء بأنّه مهتوت ، يقول الرّضيّ : « وإنّما سُمِّي التّاء مهتوتًا لأنّ الهتَّ سَرْدُ الكلام على سرعة ، فهو حرف خفيف لا يصعب التكلّم به على سرعة » . انظر : شرح الشّافية (3 : 264) .

37) علم اللغة العامّ : الأصوات العربيّة (ص 101) .

38) دراسة الصّوت اللغويّ (ص 316) .

39) المدخل إلى علم اللغة (ص 46) .

40) سرّ صناعة الإعراب (1 : 47) .

41) انظر : شرح المفصّل (10 : 125) والممتع في التّصريف (2 : 669) .

42) الكتاب (4 : 435) .

43) سرّ صناعة الإعراب (1 : 61) .

44) الكتاب (4 : 435) .

يقول الرّضيّ : « وإنّما سُمّي اللام منحرفًا لأنّ اللسان ينحرف عند النّطق به ، ومخرجه من اللسان – أعني طرفه – لا يتجافى عن موضعه من الحنك ، وليس يخرج الصّوت من ذلك المخرج بل يتجافى ناحيتها مستدقّ اللسان ، ولا تعترضان الصّوت ، بل تخلّيان طريقه ، ويخرج الصّوت من تينك النّاحيتين » . انظر : شرح الشّافية (3:263-264) .

45) علم اللغة العامّ : الأصوات العربيّة (ص 129) .

46) اللغة العربيّة معناها ومبناها (ص 79)

47) دراسة الصّوت اللغوي (ص 316-317) .

48) المدخل إلى علم اللغة (ص 47-48) .

49) الكتاب (4:433) .

50) سرّ صناعة الإعراب (1:48) .

51) شرح المفصّل (10:125) .

52) الكتاب (4:434) .

53) سرّ صناعة الإعراب (1:61) .

54) الكتاب (4 : 435) .

55) علم اللغة العامّ : الأصوات العربيّة (ص 130) .

56) دراسة الصّوت اللغويّ (ص 315) .

57) الكتاب (4 : 433) .

58) شرح المفصّل (10 : 125) .

59) الكتاب (4 : 434) .

60) الممتع في التّصريف (2 : 673) .

61) علم اللغة العامّ : الأصوات العربيّة (ص 130) .

62) دراسة الصّوت اللغويّ (ص 316) .

63) المدخل إلى علم اللغة (ص 49) .

64) الكتاب (4 : 433) .

يقول د. كمال بشر عن تقسيم العرب القدامى للأصوات : « لعلّهم أطلقوا الحلق على منطقة أوسع من تلك المنطقة التي نسمّيها نحن اليوم بالحلق والمحصورة بين الحنجرة وأقصى الحنك . أو بعبارة أخرى ، ربّما أطلقوا المصطلح « الحلق » على تلك المنطقة الكبيرة التي تشمل :

1- الحنجرة .

2- الحلق .

3- وأقصى الحنك ، على ضرب من التّوسّع والمجاز » .

انظر : علم اللغة العامّ : الأصوات العربيّة (ص 123) .

65) انظر : شرح المفصّل (10 : 124) والممتع في التّصريف (2 : 668) وشرح الشّافية (3 : 251) .

66) علم اللغة العامّ : الأصوات العربيّة (ص 122) .

67) دراسة الصّوت اللغويّ (ص 319) .

68) الكتاب (4 : 434) .

69) المصدر السّابق نفسه (434:4) .

يقول الرّضيّ : « والرّخوة : ما يجري الصّوت عند النّطق بها » . ويقول أيضًا : « وهذا القائل ظنّ أنّ الرّخاوة تنافي الجهر ، وليس بشيء ؛ لأنّ الرّخاوة أن يجري الصوت بالحرف عند إسكانه كالنّبْر ، والجهر : رفع الصّوت بالحرف : سواء جرى الصّوت ، أو لم يجر ، وعلامته عدم جري النّفَس » . انظر : شرح الشّافية (260:3) .

70) المصدر السّابق نفسه (436:4) .

71) انظر : شرح المفصّل (129:10) والممتع في التّصريف (674,672,671:2) وشرح الشّافية (262,260,259:3) .

72) علم اللغة العامّ : الأصوات العربيّة (ص 122) .

73) المدخل إلى علم اللغة (ص 58) .

74) المصدر السّابق نفسه (ص 59) .

75) انظر : سرّ صناعة الإعراب (144:1) واللّباب في علل البناء والإعراب (375:1) والجنى الدّانيّ في حروف المعاني (ص 154) .

76) سرّ صناعة الإعراب (148:1) .

77) المصدر السّابق نفسه (146-145:1) .

78) المصدر السّابق نفسه (425-423:1) .

79) المصدر السّابق نفسه (414-413:1) .

80) الجنى الدّانيّ في حروف المعاني (ص 321) .

81) مغني اللبيب (214,115:1) .

82) شرح المفصّل (105:9) .

83) المصدر السّابق نفسه (106:9) .

84) شرح الشّافية (225:3) .

85) **ابن الشّجريّ** : هو هبة اللّه بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن عبداللّه ابن أبي الحسن بن عبداللّه الأمين بن عبداللّه بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ﷺ ، أبو السّعادات المعروف بابن الشّجريّ البغداديّ . ولد سنة 450 هـ . كان أوحد زمانه وفرد أوانه في علم العربيّة ومعرفة اللغة وأشعار العرب وأيّامها وأحوالها ، متضلّعًا من الأدب ، كامل الفضل . صنّف : الأماليّ ، كتاب الحماسة ضاهى به حماسة أبي تمّام ، وشرح التّصريف الملوكيّ ، وشرح اللُّمَع لابن جنّي ، وغير ذلك . توفّي سنة 542 هـ .

انظر : معجم الأدباء لياقوت الحمويّ (592:5) وبغية الوعاة للسّيوطيّ (324:2) .

86) أمالي ابن الشّجريّ (337:2-338) .

انظر : ديوان امرىء القيس (ص 70) .

87) الخصائص (159:2) .

88) المصدر السّابق نفسه (164:2) .

89) الوافي في شرح الشّاطبيّة في القراءات السّبع (ص 392) .

90) الخصائص (163:2) .

91) الكتاب (433:4) .

92) اللغة العربيّة معناها ومبناها (ص 79) .

93) الكتاب (433:4) .

94) اللغة العربيّة معناها ومبناها (ص 79) .

95) الكتاب (4 : 433) .

96) اللغة العربيّة معناها ومبناها (ص 79) .

97) الكتاب (433:4) .

98) اللغة العربيّة معناها ومبناها (ص 79) .

99) سرّ صناعة الإعراب (47:1) .

100) اللغة العربيّة معناها ومبناها (ص 79) .

101) الكتاب (433:4) .

102) اللغة العربيّة معناها ومبناها (ص 79) .

103) الكتاب (433:4) .

104) اللغة العربيّة معناها ومبناها (ص 79) .

105) سرّ صناعة الإعراب (47:1) .

106) اللغة العربيّة معناها ومبناها (ص 79) .

107) الكتاب (433:4) .

108) اللغة العربيّة معناها ومبناها (ص 79) .

109) الكتاب (433:4) .

110) اللغة العربيّة معناها ومبناها (ص 79) .

111) الكتاب (433:4) .

112) اللغة العربيّة معناها ومبناها (ص 79) .

113) سرّ صناعة الإعراب (47:1) .

114) اللغة العربيّة معناها ومبناها (ص 79) .

115) الكتاب (433:4) .

116) اللغة العربيّة معناها ومبناها (ص 79) .

117) انظر : الكتاب (434:4) واللغة العربيّة معناها ومبناها (ص 79) .

118) معجم مصطلحات النّحو العربيّ (ص 248) .

119) سورة : الأعراف . آية : 21 .

120) تفسير الكشّاف (95:2) .

121) انظر : شرح الكافية (399:3) وأوضح المسالك وهامشه (200:3) .

122) انظر : شرح الكافية (399:3) وأوضح المسالك وهامشه (200:3) .

123) **ابن النّحّاس** : هو محمد بن إبراهيم بن محمّد بن أبي نصر أبو عبدالله بهاء الدّين بن النّحّاس النّحويّ شيخ الدّيار المصريّة في علم اللّسان ، ولد سنة 627 هـ . كان مشهورًا بالدّين والصّدق والعدالة ، مع اطّراح الكلفة ، حسن الأخلاق ، وله صورة كبيرة في صدور النّاس ، معروفًا بحلّ المشكلات والمعضلات ، غير متزوّج ، لم يصنّف شيئًا إلاّ ما أملاه شرحًا لكتاب « المقرّب » . نُقل عنه قوله : إنّ الحرف معناه في نفسه ، على

خلاف قول النّحاة قاطبة : إنّ معناه في غيره . تُوفّي سنة 698 هـ . انظر : بغية الوعاة للسّيوطيّ (1:13-14) .

124) الأشباه والنّظائر (2:234) .

125) **ابن الحاجب** : هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس جمال الدّين أبو عمرو بن الحاجب الكرديّ المقرىء النّحويّ المالكيّ الأصوليّ الفقيه ، ولد سنة 570 هـ – أو 571 هـ بإسنا من الصّعيد . كان فقيهًا مناظرًا مفتيًا مبرّزًا في عدّة علوم ، متبحّرًا ثقة دينًا ، ورعًا متواضعًا ، صنّف : في الفقه مختصرًا ، وفي الأصول مختصرًا ، وفي النّحو : الكافية وشرحها ونظمها ، والوافية وشرحها ، وفي التّصريف : الشّافية وشرحها ، وغيرها ، تُوفّي بالإسكندريّة سنة 646 هـ . انظر : بغية الوعاة للسّيوطيّ (2:134-135) .

126) الأشباه والنّظائر (2:235) .

127) انظر : البرهان في علوم القرآن (2:410) .

128) سورة : نوح . آية : 17 .

129) سورة : المزمّل . آية : 8 .

130) شرح الكافية الشّافية (2:836) .

131) **الأحوص الأنصاريّ** : هو الأحوص بن محمد بن عبدالله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاريّ ، شاعر إسلاميّ مفلق مجيد ، جعله ابن سلام في الطّبقة السّادسة من شعراء الإسلام ، وكان الأحوص يرمي بالأُبْنة والزّنا ، وشُكي إلى عمر بن عبدالعزيز فنفاه من المدينة إلى قرية من قرى اليمن على ساحل البحر ، فدخل إليه عدّة من الأنصار فكلّموه فيه وسألوه أن يردّه إلى المدينة ، انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 351) وشرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (1:73) .

132) انظر : الدّيوان (ص 118) .

(133) شرح الكافية الشّافية (854:2) .

(134) المصدر السّابق نفسه (855:2) .

(135) انظر : شرح الشّافية (66:3) .

(136) المصدر السّابق نفسه (100:3) .

(137) المصدر السابق نفسه (79:3) .

(138) سورة : الكهف . آية : 77 . انظر : هامش شرح الشّافية (79:3-80) .

(139) شرح الشّافية (93:3-94) .

(140) انظر : شرح المفصّل (93:9) .

المبحث الثّالث
الدّلالة التّركيبيّة (النّحويّة)

أوّلاً – دلالة الحروف التي يتصدّر بها القسم :

أفاض علماء النّحو والتّفسير والبلاغة في هذه الأحرف بآرائهم بدقّة تنطوي على الكثير من المعاني والدّلالات . فكثيراً ما كان يجنح القسم إلى التّصدّر بهذه الأحرف على جهة التّأكيد . ودخولها قبل القسم كان شائعًا في لسان العرب ؛ لأنّه غالبًا ما تكون فائدتها توكيد المقسم عليه وتحقيقه ، فتكون بذلك سندًا للقسم الذي يصبّ مجيئه في الفائدة ذاتها .

فعندما تلتقي الفائدة الحاصلة من القسم ، والفائدة العارضة ممّا يتصدّر به القسم ، تتضاعف درجة التّأكيد والتّسديد ، ويزداد بها الكلام فصاحةً وتثبيتًا . ولا يجوز خلوّها من الفوائد اللّفظيّة والمعنويّة معًا ، وإلاّ لَعُدّتْ عبثًا ، ولا يجوز ذلك في أفصح الكلام وأبلغه ، ولا سيّما في لغة التّنزيل . وقد تجتمع الفائدتان في حرف ، وقد تنفرد إحداهما عن الأخرى . وكونها أوّل الكلام وفي صدر القسم ، يدلّ على قوّة الاعتناء والاهتمام بها ، لأهميّة الموقع (الرّتبة) والأسلوب . والتّركيب القسميّ كفيل بتفسير وجه العناية والجهة التي تحويها .

وفيما يلي نورد خلاصة الآراء ولبابها التي أوردها النّحويّون والمفسّرون والبلاغيّون لطرافتها وفائدتها ولطف تجدّد نماذج اللغة فيها ، مذيّلين تلك الآراء ببعض النّماذج التّطبيقيّة استكمالاً للفائدة .

النّموذج الأوّل : (لا) وجملة المقسم به :

أوّلاً – (لا) وفعل القسم :

كثر الكلام في (لا أقسمُ) والخلاف في (لا) ، والخلاف في قراءاتها في مواضع من التّنزيل وسأعرض لموضعين : الأول منهما يكون في تضاعيف السّورة ، والثاني في صدرها موضّحًا ما يكتنفهما من آراء النّحويّين والمفسّرين :

الأوّل : قوله تعالى : ﴿ **فلا أقسمُ بمواقع النّجوم وإنّه لقسم لو تعلمون عظيم إنّه لقرآن كريم** ﴾ [1] .

جاء في المحتسب : « هذا فعل الحال ، وهناك مبتدأ محذوف أي : لأنا أقسم ، فدلّ على ذلك أنّ جميع ما في القرآن من الأقسام إنّما هو على حاضر الحال لا وعد الأقسام . وكذلك حُملت (لا) على الزّيادة في قوله : ﴿ فلا أقسم بمواقع النّجوم ﴾ ونحوه . نعم ولو أريدَ الفعل المستقبل للزمت فيه النّون فقيل : لأقسمنّ ، وحذف هذه النّون هنا ضعيف جدًا » [2] . ويقول الزّمخشريّ : « (فلا أقسم) معناه : فأقسم . و (لا) مزيده مؤكّدة مثلها في قوله : ﴿ لئلاّ يعلم أهل الكتاب ﴾ . وقرأ الحسن : فلا أقسم ، ومعناه : فلأنا أقسم ، (اللام) لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر وهي : أنا أقسم ، ولا يصحّ أن تكون (اللام) لام القسم لأمرين :

أحدهما : أنّ حقّها أن يُقرن بها النّون المؤكّدة والإخلال بها ضعيف قبيح .

والثاني : أنّ (لأفعلنّ) في جواب القسم للاستقبال ، وفعل القسم يجب أن يكون للحال » [3] .

ويرى ابن مالك بأنّ (لا) فيها وجهان : النّفي والزّيادة ، يقول : « وقيل في (لا) من قوله : ﴿ فلا أقسم بمواقع النّجوم ﴾ وشبهه : إنّها نفي لقول الكافرين المخالف لما أقسم عليه ، فحذف المنفيّ وبقي حرف النّفي كما يُفعل في الجواب . وقيل : (لا) زائدة للتّوكيد ، ولا يمنع من ذلك التّقديم ؛ لأنّ ما قبل وما بعد في حكم جملة واحدة » [4] .

الثّاني : قوله تعالى : ﴿ **لا أقسمُ بيوم القيامة ولا أقسمُ بالنّفس اللوّامة** ﴾ [5] .

قال الفرّاء : « ولا يُبتدأ بجحد ثم يُجعل صلة يراد به الطّرح ؛ لأنّ هذا لو جاز لم يعرف خبر فيه جحد من خبر لا جحد فيه . ولكنّ القرآن جاء بالرّدّ على الذين أنكروا : البعث ، والجنّة ، والنّار ، فجاء الإقسام بالرّدّ عليهم في كثير من الكلام مبتدأ منه ، وغير المبتدأ كقولك في الكلام : لا واللّه لا أفعل ذاك ، جعلوا (لا) وإن

رأيتها مبتدأة ردًا لكلام قد كان مضى ، فلو ألقيت (لا) ممّا يُنوى به الجواب لم يكن بين اليمين التي تكون جوابًا ، واليمين التي تُستأنف فرق . ألا ترى أنّك تقول مبتدئًا : واللّه إنّ الرّسول لحقّ ، فإذا قلت : لا واللّه إنّ الرّسول لحقّ ، فكأنّك أكذبت قومًا أنكروه ، فهذه جهة (لا) مع الإقسام ، وجميع الأيمان في كلّ موضع ترى فيه (لا) مبتدأ بها وهو كثير في الكلام »[6] .

وجاء في المحتسب : « عن الحسن أنّه قال : أقسم بالأولى ولم يقسم بالثّانية ، وينبغي أن تكون هذه اللام (لام) الابتداء أي : لأنا أقسم بيوم القيامة ، وحذف المبتدأ للعلم به ، فهذا هو الذي ينبغي أن تُحمل عليه هذه القراءة ولا ينبغي أن يكون أراد النّون للتّوكيد ؛ لأنّ تلك تختصّ بالمستقبل لأنّ الغرض إنّما هو الآن مُقسم لا أنّه سيُقسم فيما بعد ، ولذلك حملوه على زيادة (لا) وقالوا : معناه : أقسم بيوم القيامة أي : أنا مقسم الآن ، ولأنّ حذف النّون هنا ضعيف خبيث »[7] .

وقد أورد ابن الشّجريّ إنكارًا لبعض النّحاة يرجّح أن تكون (لا) نافية لا زائدة ، يقول : « أنكر بعض النّحويّين أن تكون (لا) زائدة في قوله تعالى : ﴿ لا أقسمُ بيوم القيامة ﴾ ! قال : لأنّ كون الحرف زائدًا يدلّ على اطّراحه ، وكونه أوّل الكلام يدلّ على قوّة العناية به ، فكيف يكون مطّرحًا معنيًا به في حالة واحدة ؟ وإذا قبح الجمع بين اطّراح الشّيء والعناية به بطل كون (لا) في هذه الآية زائدة ، وجعلناها نافية ردًا على من جحد البعث وأنكر القيامة ، وكأنّه قيل : لا ، ليس الأمر على ما تقوّلتموه من إنكاركم ليوم القيامة »[8] .

هذا وقد أجاب أبو العباس – كما ينقل شارح المفصّل – عن الاستفهام الذي بدا لبعض النّحاة الذين ذهبوا إلى أنّ الزّائد من هذا الضّرب إنّما يقع بين كلامين أو بعد كلام ، بقوله : « إنّ مجاز القرآن كلّه مجاز واحد بعد ابتدائه وإنّ بعضه يتّصل ببعض ، فإنّما جاز أن تكون حروف النّفي صلة على طريق التّأكيد لأنّه بمنزلة نفي النّقيض في نحو قولك : ما جاءني إلاّ زيد ، فهو إثبات قد نُفي فيه النّقيض وحقّق المجيء لـ (زيد) ، فكأنّه قيل : لا أقسم إلاّ بيوم القيامة »[9] .

وقد أورد صاحب المغني تفصيلاً وافيًا بيّن فيه وجه النّفي في (لا) وفائدة الزّيادة بقوله : « وكما اختلف في (لا) في هذا البيت أنافية أم زائدة كذلك اختلف فيها في مواضع من التّنزيل ، أحدها : قوله تعالى : ﴿ لا أقسمُ بيوم القيامة ﴾ فقيل : هي نافية ، واختلف هؤلاء في منفيّها على قولين :

أحدهما : أنّه شيء تقدّم ، وهو ما حُكي عنهم كثيرًا من إنكار البعث ، فقيل لهم : ليس الأمر كذلك ثم استؤنف القسم . قالوا : وإنّما صحّ ذلك لأنّ القرآن الكريم كلّه كالسّورة الواحدة ، ...

والثّاني : أنّ منفيّها أقسمُ ، وذلك على أن يكون خبرًا لا إنشاءً ، واختاره الزّمخشريّ قال : والمعنى في ذلك : أنّه لا يُقسم بالشّيء إلاّ إعظامًا له ، .....

وقيل : هي زائدة . واختلف هؤلاء في فائدتها على قولين :

أحدهما : أنّها زيدت توطئةً وتمهيدًا لنفي الجواب والتّقدير : لا أقسم بيوم القيامة لا يُتركون سدًى ، ... وردّ بقوله تعالى : ﴿ لا أقسمُ بهذا البلد ﴾ فإنّ جوابه مثبت وهو ﴿ لقد خلقنا الإنسان في كبد ﴾ ومثله ﴿ فلا أقسمُ بمواقع النّجوم ﴾ الآية .

والثّاني : أنّها زيدت لمجرّد التّوكيد وتقوية الكلام ، ... وردّ بأنّها لا تُزاد لذلك صدرًا ، بل حشوًا ، .... وذلك لأنّ زيادة الشّيء تفيد اطّراحه ، وكونه أوّل الكلام يفيد الاعتناء به ، قالوا : ولهذا نقول بزيادتها في نحو : ﴿ فلا أقسمُ بربّ المشارق والمغارب ﴾ ﴿ فلا أقسمُ بمواقع النّجوم ﴾ لوقوعها بين الفاء ومعطوفها ، بخلاف هذه ، وأجاب أبو عليّ بما تقدّم من أنّ القرآن الكريم كالسّورة الواحدة »[10] .

تقول بنت الشّاطىء ضمن تأمّلها في هذه الظّاهرة الأسلوبيّة : « وجمهرة المفسّرين يكتفون هنا بالقول أنّ (لا أقسم) معناها : أقسم ، زيدت (لا) للتّأكيد :

دون إشارة إلى المقتضى البيانيّ للعدول عن (أقسم) إلى (لا أقسم) أو إيضاح وجه تأكيد القسم ، بنقيضه وهو النّفي ! على أنّ الشّيخ محمد عبده ، لم يفته الوقوف عندها ليقول : « إنّ (لا أقسم) عبارة من عبارات العرب في القسم ، يراد به تأكيد الخبر ، كأنّه في ثبوته وظهوره لا يحتاج إلى قسم . ويقال : إنّه يُؤتى بها في القسم إذا أريد تعظيم المقسَم به ، كأنّ القائل يقول : إنّي لا أعظّمه بالقسم لأنّه عظيم في نفسه . والمعنى في كلّ حال على القسم » .... ونستقرىء كلّ مواضع الاستعمال القرآنيّ لهذا الأسلوب في نفي القسم فنجد :

* أنّه لم يُستعمل « لا أقسم » إلاّ حين يكون الفعل مسندًا إلى اللّه تعالى .

* أنّ فعل القسم لم يأتِ في القرآن كلّه مسندًا إلى اللّه ، إلاّ مع « لا » النّافية .

وهذا الاستقراء صريح الدّلالة على أنّه سبحانه ليس في حاجة إلى القسم ، وأنّ نفي الحاجة إلى القسم تأكيد له . ومن مألوف استعمالنا أن نقول : لا أوصيك بفلان ، تأكيدًا للتّوصية . كما نقول : بغير يمين ، تأكيدًا للثّقة التي لا نحتاج معها إلى يمين »[11] . فتذهب بنت الشّاطىء إلى أنّ (لا) نافية ، وأنّ النّفي هنا حقيقيّ وهو لتأكيد القسم .

ثانيًا - (لا) والمقسم به :

سأعرض لآراء النّحاة والمفسّرين عن هذا النّموذج من خلال موضع في التّنزيل :

قال تعالى : **﴿ فلا وربّك لا يؤمنون حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا ممّا قضيتَ ويسلّموا تسليما ﴾**[12] .

يقول الزّمخشريّ : « (فلا وربّك) معناه : فوربّك ، كقوله تعالى : ﴿ فوربّك لنسألنّهم ﴾ و (لا) مزيدة لتأكيد معنى القسم ، كما زيدتْ في (لئلا يعلم) لتأكيد وجود العلم . و (لا يؤمنون) جواب القسم . فإن قلت : هلاّ زعمت أنّها زيدت لتظاهر (لا) في (لا يؤمنون) ؟ قلت : يأبى ذلك استواء النّفي والإثبات فيه ، وذلك قوله : ﴿ فلا أقسمُ بما تُبصرون وما لا تُبصرون إنّه لقول رسول كريم ﴾ »[13] .

فصاحب الكشّاف يرى أنّ فائدة زيادة (لا) مجرّد تأكيد معنى القسم وتقوية الكلام ، لا أنّها زيدت توطئةً لنفي المقسم عليه لورود المقسم عليه مع هذا النّموذج مثبتًا في مواضع من التّنزيل .

ويقول الطّبرسيّ : « (لا) دخلت في أول الكلام لأنّها ردّ لكلام ،فكأنّه قيل : فليس الأمر كما تزعمون أنّهم آمنوا وهم يخالفون حكمه ، ثم استأنف القسم فقال : وربّك لا يؤمنون . وقيل : إنّ لا هنا توطئة للنّفي الذي يأتي فيما بعد ؛ لأنّ ذكر النّفي في أوّل الكلام وآخره أوكد ، فإنّ النّفي يقتضي أن يكون له صدر الكلام ، وقد اقتضى القسم أن يكون النّفي في الجواب »[14] .

وقال أبو البركات الأنباريّ : « ﴿ فلا وربّك لا يؤمنون ﴾ تقديره : فلا يؤمنون وربّك لا يؤمنون ، فأخبر أوّلا ، وكرّره بالقسم ثانيًا ، فاستغنى بذكر الفعل في الثّاني عن ذكره في الأوّل »[15] . وقال أبو البقاء : « (فلا وربّك) فيه وجهان :

أحدهما : أنّ (لا) الأولى زائدة ، والتّقدير : فوربّك لا يؤمنون . وقيل : الثانية زائدة ، والقسم معترض بين النّفي والمنفيّ .

والوجه الآخر : أنّ (لا) نفي لشيء محذوف تقديره : فلا يفعلون ، ثم قال : وربّك لا يؤمنون »[16] . وقال الرّضيّ : « وجاءت قبل (المقسم به) كثيرًا للإيذان بأنّ جواب القسم منفيّ نحو : لا واللّه لا أفعل . وجاءت قبل (أقسمُ) قليلاً وعليه حُمل قوله تعالى : ﴿ لا أقسمُ بيوم القيامة ﴾ »[17] .

هذا فقد ورد هذا النّموذج القسميّ بكثرة وافرة في اللغة العربيّة :

فمن أيمان العرب النّثرية قولهم[18] :

« لا والذي شقّ الرّجال للخيل ، والجبال للسّيل » .

« لا والذي شقهنّ خمسًا من واحدة » .

« لا والذي سمك السّماء » .

« لا والذي كلّ الشّعوب تدين له » .

« لا والذي نادى الحجيج له » .

« لا وفالق الإصباح ، وباعث الأرواح » .

« لا وفاطر الأشباح » .

« لا وربّ النّور والظّلام » .

« لا وربّ الحلّ والحرام » .

ويقول الأعشى :

فـــلا وأبيك لا نُعطيك منهـــا طوال حـــيـــاتِنَا إلاّ سِنَانَا [19]

ويقول حاتم الطّائيّ :

فـــلا وأبيك مـــا يظلُّ ابن جـــارتي يطوفُ حواليْ قِدْرِنا ، ما يَطورُها [20]

وجاء في صحيح البخاريّ : « قيل يا رسول اللّه : لأنتَ أحبُّ إليَّ من كلّ شيء إلاّ من نفسي ، فقال الرّسول ﷺ : [لا والذي نفسي بيده حتّى أكون أحبَّ إليك من نفسك] [21] .

وجاء في نهج البلاغة : « لا والذي أمسينا منه في غُبْرِ ليلةٍ دهماءَ ، تَكْشِرُ عن يوم أغرَّ ، ما كان كذا وكذا » [22] .

ويقول حسّان بن ثابت :

فـــلا واللّه مـــا تدري هُذيلٌ أمحضٌ مـاء زمزمَ أم مشوبُ [23] ؟

ويقول عبداللّه الجعديّ :

فـــلا وأبيك مـــا أعطي صـــديقي مُكاشـــرتي وأمنعُـــهُ تِلادي [24]

النّموذج الثّاني : (أمَا) وجملة المقسم به :

(أما) بفتح الهمزة وتخفيف الميم ، جعلها سيبويه بمنزلة (ألاَ) الاستفتاحيّة ، ومفيدة للتّحقيق كـ (قدْ) : « وتقول : أمَا واللّه أنّه ذاهبٌ ، كأنّك قلت : قد علمتُ

واللّه أنّه ذاهبٌ . وإذا قلت : أمَا واللّه إنّه ذاهبٌ ، كأنّك قلت : ألا إنّه واللّه ذاهبٌ »[25] .

ويقول الزّمخشريّ : « و (ألا) مركّبة من همزة الاستفهام وحرف النّفي ، لإعطاء معنى التّنبيه على تحقّق ما بعدها ، والاستفهام إذا دخل على النّفي أفاد تحقيقًا كقوله : (أليس بقادر ؟) ولكونها في هذا المنصب من التّحقيق ، لا تكاد تقع الجملة بعدها إلاّ مصدّرة بنحو ما يتلقّى به القسم . وأختها التي هي (أمَا) من مقدّمات اليمين وطلائعها »[26] .

ويقول ابن الشّجريّ : « وقالوا : أمَ واللّه لأفعلنّ ، وهذه (ما) المزيدة للتّوكيد ركّبوها مع همزة الاستفهام واستعملوا مجموعها على وجهين :

أحدهما : أن يُراد معنى حقًا في قولهم : أمَا واللّه لأفعلنّ .

والآخر : أن تكون افتتاحًا للكلام بمنزلة (ألا) ، وأكثر ما يُحذف ألفُها إذا وقع بعدها القسم »[27] . وجاء في شرح المفصّل ما مفاده أنّها منبّه يشير إلى تحقيق المقسم عليه : « وإدخال (أما) على حرف القسم كأنّه ينبّه المخاطب على استماع قسمه وتحقيق المقسم عليه ، وقد تكون بمعنى حقًا »[28] . ويرى الرّضيّ أنّ فائدتها المعنويّة توكيد مضمون الجملة ، يقول : « اعلم أنّ (ألا) و (أما) حرفا استفتاح يُبتدأ بهما الكلام ، وفائدتهما المعنويّة توكيد مضمون الجملة ، وكأنّهما مركّبتان من همزة الإنكار وحرف النّفي ، والإنكار نفي ، ونفي النّفي إثبات ، ركّب الحرفان لإفادة الإثبات والتّحقيق فصارا بمعنى (إنّ) إلاّ أنّهما غير عاملين ، يدخلان على الجملة خبريّةً كانت أو طلبيّةً . وتدخل (ألا) كثيرًا على النّداء و (أما) كثيرًا على القسم ، وقد تبدل همزة (أما) هاءً وعينا ، نحو : هَمَا وعَمَا . وقد جاءت (أما) بمعنى حقًا »[29] .

ويقول صاحب المغني : « (أما) بالفتح والتّخفيف على وجهين :

أحدهما : أن تكون حرف استفتاح بمنزلة (ألا) ، وتكثر قبل القسم كقوله :

أما والذي أبكى وأضحك ، والذي أمات وأحيا ، والذي أمره الأمرُ

وقد تُبدل همزتها هاء أو عينًا قبل القسم ، وكلاهما مع ثبوت الألف وحذفها .

والوجه الثاني : أن تكون بمعنى حقًا أو أحقًا »[30] .

صفوة القول المستفادة من أقوال النّحاة تتمثّل في النّقاط التّالية :

- تدخل (أمّا) كثيرًا على القسم لإفادة أمرين :

الأوّل : تنبيه المخاطب على استماع القسم .

والثّاني: توكيد مضمون جملة المقسم عليه وتحقيقه .

- لكونها بهذا القدر من التّوكيد والإثبات والتّحقيق ، لا يكاد يقع الكلام بعدها إلاّ مصدّرًا بالقسم الذي جاء للغرض نفسه ، فتعدّدت عناصر التّوكيد للدلالة على أنّ الشّيء كائن وواقع لا محالة .

- كثيرًا ما تجيء (أمّا) قبل القسم ، وكثيرًا ما تجيء (ألا) قبل النّداء ، والاستفتاح والتّنبيه فيهما متلازمان : فالأوّل بيان للموقع اللفظيّ ، والثّاني بيان للوجه المعنويّ .

- أشار النّحاة إلى وجه آخر لـ (أما) وهو أن تكون بمعنى « حقًا » ، نقول : حتّى في ذلك الوجه المقصود تحقيق مضمون المقسم عليه كالمقصود بـ (إنّ) و (قد) .

هذا وقد ورد هذا النّموذج القسميّ بكثرة في اللغة العربيّة :

قال حاتم الطّائيّ :

أمّا والذي لا يعلم الغيبَ غيرُهُ ويُحيي العظامَ البيضَ وهي رميمُ

لقدْ كنتُ أطوي البطن والزّاد يُشتهى مخافةَ يومًا أنْ يُقالَ : لئيم[31]

وقال الرّسول ﷺ : « أمَا والذي نفسي بيده لأقضينّ بينكما بكتاب اللّه »[32] .

وقال ﷺ أيضًا : « أمَا واللّه لوددت أنّ اللّه ألحقني بمن هو خير لي منكم »[33] .

وقال عمر رضي اللّه عنه : « أمَا والذي نفسي بيده ، لا أسأل أحدًا شيئًا ، ولا يأتيني من غير مسألةٍ شيءٌ إلاّ أخذتُهُ »[34] .

وجاء في نهج البلاغة : « أمَا واللّه لَوددتُ أنَّ لي بكم ألْفَ فارسٍ مِنْ بني فراس بنِ غَنْمٍ »[35] .

وجاء في نهج البلاغة : « أمَا واللّه لقد كنتُ أكره أنْ تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب »[36] .

وجاء في النّهج أيضًا : « أمَا والذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة ، لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود النّاصر ، وما أخذ اللّه على العلماء أن لا يقارّوا على كظّة ظالم ولا سغب مظلوم ، لألقيت حبلها على غاربها ، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها »[37] .

وقال ابن عبّاس رضي اللّه عنه : « أمَا واللّه لو بعثني مكانه لاعترضت له في مدارج نفسه ناقضًا لما أبرمَ ، ومبرمًا لما نقض »[38] .

وقال حسّان بن ثابت :

أمَا وأبيك لو لبّثت شيئًا ... لألحقك الفوارس بالجليلِ[39]

وقال الشّاعر :

أمَا والذي لو شاء لم يخلقِ النّوى ... لئن غبتَ عن عيني لَمَا غبتَ عن قلبي[40]

النّموذج الثّالث : (كلاّ) وجملة المقسم به :

يقول الرّمّاني : « وهي تأتي على ضربين :

أحدهما : أن تكون ردعًا ونفيًا .

والثّاني : أن تكون بمعنى قولك : حقًا ، إلاّ أنّك تكسر بعدها (إنّ) بخلاف قولك : حقًا ؛ لأنّ (كلاّ) حرف ، و (حقًا) مصدر ، وما بعد (كلاّ) مستأنف مبتدأ ، وأصلها الرّدع والزّجر »[41] .

ويقول صاحب الإنصاف : « فأمّا قولهم : « كلاّ لأنطلقنّ » فإنّما أقسموا بها ؛ لأنّهم أجروها مجرى حقّ، والحقّ معظّم في النّفوس، بخلاف الظنّ الذي فيه معنى الشّكّ »[42] .

ويقول أبو البقاء : « وهي حرف معناه الزّجر عن قول منكر يتقدّمها ، وقيل : هي بمعنى حقًا »[43] . ويقول الرّضيّ : « وإذا كانت بمعنى حقًا ، فالمقصود تحقيق الجملة كالمقصود بـ (إنّ) »[44] . ويقول ابن هشام : « وهي عند سيبويه والخليل والمبرّد والزّجّاج وأكثر البصريّين حرف معناه الرّدع والزّجر ، لا معنى لها عندهم إلاّ ذلك ، حتّى إنّهم يجيزون أبدًا الوقف عليها ، والابتداء بما بعدها ، وحتّى قال جماعة منهم : متى سمعت كلاّ في سورة فاحكم بأنّها مكيّة ؛ لأنّ فيها معنى التّهديد والوعيد ، وأكثر ما نزل ذلك بمكّة ؛ لأنّ أكثر العتوّ بها »[45] . « ورأى الكسائيّ وأبو حاتم[46] ومن وافقهما أنّ معنى الرّدع والزّجر ليس مستمرًا فيها ، فزادوا فيها معنى ثانيًا يصحّ عليه أن يوقف دونها ويبتدأ بها ، ثمّ اختلفوا في تعيين ذلك المعنى على ثلاثة أقوال :

أحدها : للكسائيّ ومتابعيه ، قالوا : تكون بمعنى حقًا .

والثّاني : لأبي حاتم ومتابعيه ، قالوا : تكون بمعنى ألا الاستفتاحيّة .

والثّالث : للنّضْر بن شميل[47] والفرّاء ومنْ وافقهما ، قالوا : تكون حرف جواب بمنزلة إيْ ونَعَمْ ، وحملوا عليه ﴿ كلاّ والقمر ﴾ فقالوا : معناه إي والقمر »[48] .

هذا وقد ورد هذا النّموذج القسميّ في اللغة العربيّة بكثرة :

قال تعالى : **﴿ كلاّ والقمر والليل إذْ أدبر والصّبح إذا أسفر إنّها لإحدى الكبر ﴾**[49] .

قال الزّمخشريّ : « (كلاّ) إنكار بعد أن جعلها ذكرى أن تكون لهم ذكرى ؛ لأنّهم لا يتذكّرون ، أو ردع لمن ينكر أن تكون إحدى الكبر نذيرًا . (إنّها لإحدى الكبر)

جواب القسم ، أو تعليل لـ (كلا) ، والقسم معترض للتّوكيد »[50] .

وقال الرّاغب : « (كلاّ) ردع وزجر وإبطال لقول القائل ، وذلك نقيض (إيْ) في الإثبات »[51] .

ويقول الطّبرسيّ : « (كلاّ) أي حقًا ، وقيل : معناه ليس الأمر على ما يتوهّمونه من أنّهم يمكنهم دفع خزنة النّار وغلبهم »[52] .

وقال تعالى : ﴿ **كلا لينبذنّ في الحطمة وما أدراك ما الحطمة** ﴾[53] .

يقول الزّمخشريّ : « (كلاّ) ردع له عن حسبانه »[54] .

ويقول الطّبرسيّ : « ثمّ قال سبحانه (كلاّ) أي لا يخلده ماله ولا يبقى ، وقيل : معناه ليس الأمر كما حسب ، وقيل : معناه حقًا »[55] .

ويقول الرّضيّ : « وقد يقوم مقام القسم حقًا ، ويقينًا ، وقطعًا ، وما أشبهها نحو : حقًا لأفعلنّ ، وكذا (كلاّ) إذا لم يكن ردعًا نحو ﴿ **كلاّ لينبذنّ في الحطمة** ﴾[56] .

وقال تعالى : ﴿ **كلاّ لئن لم ينته لنسفعًا بالنّاصية** ﴾[57] .

قال الزّمخشريّ : « (كلاّ) ردع لمن كفر بنعمة اللّه عليه بطغيانه »[58] .

وقال الطّبرسيّ : « ثم قال سبحانه (كلاّ) أي لا يعلم ذلك »[59] .

وجاء في صحيح البخاريّ : « بينما غلام يحطّ رحلاً لرسول اللّه ﷺ إذا سهم عائر فقتله ، فقال النّاس : هنيئًا له الجنّة ، فقال الرّسول ﷺ : « كلاّ والذي نفسي بيده إنّ الشّملة التي أخذها يوم خيبر من المعالم لم تُصبها المقاسم لتشتعلُ عليه نارًا »[60] .

والذي يتجلّى أنّ (كلاّ) حرف ردع وزجر ، والمقسم عليه تعليل للرّدع على وجه الاستئناف ، كأنّ قائلاً يقول : لِمَ لا يكون مصيره الجنّة ؟ فقال : إنّ الشّملة إلخ ، أي ليس الأمر كما تظنّون .

وجاء في نهج البلاغة : « لمّا قُتل الخوارج قيل له : يا أمير المؤمنين ، هلك القوم

بأجمعهم ! فقال : « كلا واللّه إنّهم نُطف في أصلاب الرّجال وقرارات النّساء ، كلّما نجم منهم قرن قُطع حتّى يكون آخرُهم لصوصًا سلاّبين »[61] .

فقد تصدّر القسم بـ (كلاّ) على طريق الرّدّ والرّدع والنّفي ، أي ليس الأمر كما تظنّون وتتوهّمون . فأنكر واستبعد مقالة من حكم بهلاكهم جميعًا ، وقرّر وجودهم وأكّده : أنّهم في أصلاب الرّجال وقرارات النّساء المكنّى بها عن الأرحام .

وجاء في نهج البلاغة أيضًا : « ولقد بلغني أنّكم تقولون : عليٌّ يكذبُ ! قاتلكم اللّه فعلى من الكذب ؟ أعلى اللّه ؟ فأنا أوّل من آمن به ! أم على نبيّه ؟ فأنا أوّل من صدّقه ! كلا واللّه ولكنّها لهجة غبتم عنها ولم تكونوا من أهلها ، ويلُ أمّه كيلاً بغير ثمنٍ ! لو كان له وعاء (ولتعلمنّ نبأه بعد حين) »[62] .

فقد تصدّر القسم بحرف الرّدّ والرّدع والتّنبيه (كلا) أي : ليس الأمر كذلك ، فهو ردّ لتكذيبهم وإثبات لضعف عقولهم عن إدراك الكلام وتحصيل منافعه ، وردع عن الافتراء والتّقوّل ، وتنبيه على الخطأ والضّلال الذي أنتم به . والآية التي خُتم بها الكلام مفصحة عن مقصوده ، وقيل : المعنى ليظهرنّ لك حقيقة ما أقول بعد حين[63] .

وقال الأعشى :

كلا يمينُ اللّهِ حتّى تُنزلوا ... من رأس شاهقةٍ إلينا الأسْوَدَا

لَنُقاتلنّكم على ما خَيّلَتْ ... ولنجعلنّ لمنْ بغى وتمرّدَا[64]

وقال حسّان بن ثابت :

كلاّ وربّ الرّاقصاتِ إلى منًى ... والجائبينَ مخارمَ الأطوادِ

حتّى نُبيلَ الخيلَ في عرصاتكمْ ... ونَوُوبَ بالملكاتِ والأولادِ[65]

النّموذج الرّابع : (بلى) وجملة المقسم به :

قال سيبويه : « وأمّا (بلى) فتوجب به بعد النّفي ، وأمّا (نعم) فعِدة وتصديق »[66] . ويقول الفرّاء : « وُضعت (بلى) لكلّ إقرار في أوّله جحد ، ووُضعت (نعم) للاستفهام الذي لا جحد فيه ، فبلى بمنزلة (نعم) إلا أنّها لا تكون إلاّ لما في أوّله جحد » ، ويقول أيضاً : « أرادوا أن يرجعوا عن الجحد ويقرّوا بما بعده فاختاروا (بلى) ؛ لأنّ أصلها كان رجوعًا محضًا عن الجحد »[67] . ويؤكّد هذا المعنى أبو البقاء بقوله : « (بلى) حرف يُثبتُ به المجيبُ المنفيّ قبله ، تقول : أما جاء زيد ؟ فيقول المجيب : بلى ، أي : قد جَاء . ولهذا يصحّ أن تأتي بالخبر المثبت بعد (بلى) ، فتقول : بلى قد جاء . فإنْ قلت في جواب النّفي : نعمْ ، كان اعترافًا بالنّفي ، وصحّ أنْ تأتي بالنّفي بعده ، كقوله : ما جاء زيد ؟ فتقول : نعمْ ، ما جاء »[68] .

ويؤكد صاحب المغني أنّ (بلى) مختصّة بالنّفي سواء أكان ذلك النّفي مقرونًا بالاستفهام أم متجرّدًا منه ، يقول[69] : « (بلى) حرف جواب ، وتختصّ بالنّفي ، وتفيد إبطاله سواء كان مجرّدًا نحو (زعم الذين كفروا أنْ لنْ يُبعثوا قلْ بلى وربّي)[70] أم مقرونًا بالاستفهام حقيقيًا كان نحو : أليس زيد بقائم ؟ فتقول : بلى ، أو توبيخيًا نحو (أيحسب الإنسان أنْ لنْ نجمع عظامه ؟)[71] ، أو تقريريًا نحو ﴿ ألمْ يأتكم نذير ؟ قالوا بلى ﴾[72] .

وغير خفيّ أنّ حرف الجواب ينوب عن جملة سابقة ، وقد تذكر هذه الجملة على سبيل التّوكيد ، يقول ابن الشّجريّ : « و (لا) إنّما تقع في الجواب نائبة عن جملة ، وكذلك كلّ حرف جوابيّ ، نحو (بلى) و (نَعَمْ) يقوم مقام جملة ، فإذا قال القائل : ألمْ أكرمْك ؟ قلت : بلى ، فالتّقدير : بلى ، قد أكرمتني ، وإنْ قلت : لا ، فالتّقدير : لا ، لم تكرمْني ، فالحرف الجوابيّ ينوب عن هذ الجملة ، وربّما جيء بها مذكورةً بعده توكيدًا[73] .

هذا وقد ورد هذا النّموذج القسميّ بكثرة في اللغة العربيّة :

قال تعالى : ﴿ **ولو ترى إذْ وقفوا على ربّهم قال أليس هذا بالحقّ ؟ قالوا بلى وربّنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون** ﴾ (74) .

وقال تعالى : ﴿ **وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربّي لتأتينّكم** ﴾ (75) .

يقول الزّمخشريّ : « قولهم (لا تأتينا السّاعة) نفي للبعث وإنكار لمجيء السّاعة ، أو استبطاء لما قد وُعدوه من قيامها على سبيل الهزء والسّخرية كقولهم : (متى هذا الوعد ؟) . أوجب ما بعد النفي بـ (بلى) على معنى : أنّ ليس الأمر إلاّ إتيانها ، ثم أعيد إيجابه مؤكّدًا بما هو الغاية في التّوكيد والتّشديد ، وهو التّوكيد باليمين باللّه عزّ وجلّ ، ثم أمدّ التّوكيد القسميّ إمدادًا بما أنبع المقسم به من الوصف بما وُصف به ، إلى قوله (ليجزي) لأنّ عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وشدّة ثباته واستقامته ؛ لأنّه بمنزلة الاستشهاد على الأمر ، وكلّما كان المستشهد به أعلى كعبًا وأبين فضلاً وأرفع منزلة كانت الشّهادة أقوى وآكد ، والمستشهد عليه أثبت وأرسخ » (76) .

وقال تعالى : ﴿ **ويوم يُعرَض الذين كفروا على النّار أليس هذا بالحقّ ؟ قالوا بلى وربّنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون** ﴾ (77) .

وقال تعالى : ﴿ **زعم الذين كفروا أن لن يُبعثوا قل بلى وربي لتُبعثنّ ثم لتُنبؤُنّ بما عملتم وذلك على اللّه يسير** ﴾ (78) .

يقول الزّمخشريّ : « و (بلى) إثبات لما بعد (لن) وهو البعث » (79) .

ويؤكّد أبو حيّان مقالة الزّمخشري بقوله : « و (بلى) إثبات لما بعد حرف النّفي » (80) .

وجاء في صحيح البخاريّ : « **قالوا : يا رسول اللّه ، تلك منازل الأنبياء لا يبلُغُها غيرُهُمْ ، قال ﷺ : « بلى والذي نفسي بيده ، رجال آمنوا باللّه وصدّقوا المرسلين** » (81) .

وجاء في نهج البلاغة : « **فلمّا نهضت بالأمر نكثت طائفة ، ومرقتْ أخرى ، وقسط آخرون ، كأنّهم لم يسمعوا كلام اللّه حيث يقول : ﴿ تلك الدّار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًا في الأرض ولا فسادًا والعاقبة للمتّقين ﴾ بلى واللّه لقد سمعوها ووعوها ولكنّهم حليتْ الدّنيا في أعينهم وراقهم زبرجها** »[82] .

فقد تصدّر القسم بحرف الجواب (بلى) لتنقض النّفي المتقدّم وترفعه وتبطله وهو « لم يسمعوا » . فدخولها في الكلام رجوع عن الجحد وإقرار بما بعده .

وقالت فاطمة بنت الأحجم الخزاعيّة :

إخـــوتي لا تَبْـــعَـــدُوا أبدًا ... وبلى واللّهِ قـــدْ بَعِـــدُوا[83]

وقال آخر :

أحـــبًّـــا على حبّ وأنت بخـــيلةٌ ... وقـــد زعـــمـــوا أنْ لا يُحَبَّ بخـــيلُ

بلى والذي حَجَّ الملبّـــون بيـــتَـــهُ ... ويُشْفَى الهوى بالنَّيلِ وهو قليلُ[84]

النّموذج الخامس : (إيْ) وجملة المقسم به :

يقول المبرّد : « وتقول : إي واللّه لأفعلنّ . وإن شئت قلت : إي اللّه لأفعلنّ ، إنّما تريد : (إي) التي في معنى (نَعَمْ) كما قال : **﴿ قل إي وربّي إنّه لحقّ ﴾**[85] ، فتصل المقسم به ؛ لأنّ (إي) جواب ، والقسم بعدها مستأنف . ولو كانت بدلاً من حروف القسم لم تجتمع هي وهو ، ألا ترى أنّك تقـــول : إي واللّه لأفعلنّ »[86] .

وقد جـــاء في شـــرح المفصّل تأييدٌ للقول السّـــابق : « (إيْ) حرف يُجـــاب به كـ (نعم) و (جير) ، ولا يستعمل إلاّ في القسم ، وليست عوضًا عن حروف القسم إنّما هي جواب لمن سأل عن الخبر »[87] .

ويقول الرّضيّ : « لا شكّ في غلبة استعمالها مسبوقة بالاستفهام ، وذكر بعضهم

أنّها تجيء لتصديق الخبر أيضًا . ولا يُستعمل بعد (إي) فعل القسم ، ولا يكون المقسم به بعدها إلاّ الربّ ، واللّه ، ولعمري . تقول : إي واللّه ، وإي اللّهَ بحذف حرف القسم ، ونصب (اللّه) ، وإي ها اللّه ذا ، وإي وربّي ، وإي لعمري »[88] .

وقد فصّل ابن هشام القول في الأغراض التي تجيء من أجلها بقوله : « (إيْ) بالكسر والسكون – حرف جواب بمعنى (نَعَمْ) ، فيكون لتصديق المخبر ، ولإعلام المستَخبر ، ولوعد الطالب ، فتقع بعد « قام زيد » و « هل قام زيد ؟ » و « اضربْ زيدًا » ونحوهن كما تقع (نَعَمْ) بعدهن . وزعم ابن الحاجب أنّها إنّما تقع بعد الاستفهام نحو : ﴿ ويستنبئونك أحقٌّ هو ؟ قل إي وربّي إنّه لحقّ ﴾ ولا تقع عند الجميع إلاّ قبل القسم »[89] .

فحاصل مقالة النّحاة في هذا الحرف الذي يتصدّر القسم يتمثّل في النّقاط التّالية :

- (إيْ) حرف جواب للسّائل عن الخبر بمعنى (نَعَمْ) .
- لا تقع إلاّ قبل القسم ، والقسم بعدها مستأنف .
- يغلب استعمالها مسبوقة بالاستفهام ، فموقعها بعده .
- تتنوّع الأغراض التي تجيء من أجلها (إيْ) ، وأهمّها تصديق الخبر والتّصديق توثيق وتوكيد كالقسم .
- ليست عوضًا من حرف القسم عند حذْفه ونصْب المقسم به ، بدليل اجتماعها معه ، ولا يجوز الجمع بين العوض والمعوّض منه .

هذا وقد ورد هذا النّموذج القسميّ في اللغة العربيّة بقلّة :

قال تعالى : **﴿ ويستنبؤنك أحقٌ هو ؟ قل إي وربّي إنّهُ لحقٌ وما أنتم بمعجزين ﴾**[90] .

قال الزّمخشريّ : « (أحقّ هو) وهو استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء . و (إيْ) بمعنى (نَعَمْ) في القسم خاصّة ، كما كان (هل) بمعنى (قد) في الاستفهام خاصّة . وسمعتهم يقولون في التّصديق : إيْوَ فيصلونه بواو القسم ولا

ينطقون به وحده »[91] .

وقال الرّاغب : « و (إيْ) كلمة موضوعة لتحقيق كلام متقدّم نحو : ﴿ إيْ وربّي إنّه لحقّ ﴾[92] .

ويقول أبو حيّان الأندلسيّ : « وأمر تعالى نبيّه أن يقول مجيبًا لهم (قلْ إي وربّي) أي : نعمْ وربّي ، و (إي) تستعمل في القسم خاصّة ، كما تستعمل (هلْ) بمعنى (قدْ) فيه خاصّة . وقال ابن عطيّة : هي لفظة تتقدّم القسم ، وهي بمعنى نعمْ ، ويجيء بعدها حرف القسم ، وقد لا يجيء ، تقول : « إي ربّي ، إي وربّي » انتهى . وقد كان يكتفي في الجواب بقوله : إي وربّي إلا أنّه أكّد بإظهار الجملة التي كانت تضمر بعد قوله : (إي وربّي) مسوقة مؤكّدة بإنّ واللام ، مبالغة في التّوكيد في الجواب »[93] .

وسئل الرّسول ﷺ عن بعض الأمارات في آخر الزمان :

فقال ﷺ : « **إيْ وربّي ، ﴿ وليمحّص اللّه الذين آمنوا ويمحق الكافرين ﴾** »[94] .

فـ (إيْ) حرف جواب بمعنى (نَعَمْ) في القسم على وجه الخصوص ، جاء تصديقًا وتحقيقًا لكلام متقدّم في أسلوب استفهام ، وقد اكتفى في الجواب بقوله : إيْ وربّي ، دلالةً على أنّ الأمر كائن لا محالة .

النّموذج السّادس : (أجَلْ) وجملة المقسم به :

يقول ابن يعيش : « وأمّا (أجَلْ) فأمرها كأمر (نَعَمْ) في التّصديق . قال الأخفش : إلاّ أنّ استعمال (أجلْ) مع غير الاستفهام أفضل »[95] . ويؤكّد هذاالقول الرّضيّ بقوله : « و (أجلْ) و (جيرِ) و (إنّ) تصديق للخبر سواء كان الخبر موجبًا أو منفيًا ، ولا تجيء بعد ما فيه معنى الطّلب كالاستفهام والأمر وغيرهما ، وحكى الجوهريّ عن الأخفش أنّ (نعمْ) أحسن من (أجلْ) في الاستفهام ، و (أجلْ) أحسن من (نعمْ) في الخبر ، فجوّز على ما ترى مجيئها في الاستفهام

أيضًا »[96] . ويذهب صاحب المغني المذهب ذاته مع شيء من التّفصيل بقوله : « (أجلْ) بسكون اللام – حرف جواب مثل (نَعَمْ) فيكون تصديقًا للمخبر ، وإعلامًا للمستخبر ، ووعداً للطّالب ، فتقع بعد نحو : (قام زيد) ونحو (أقام زَيد ؟) ونحو (اضرب زيدًا) وقيّد المالقي الخبر بالمثبت ، والطّلب بغير النّهي ، وقيل : لا تجيء بعد الاستفهام . وعن الأخفش هي بعد الخبر أحسنُ من (نعمْ) ، و (نعمْ) بعد الاستفهام أحسن منها . وقيل : تختصّ بالخبر »[97] .

نخلص من هذا العرض المتقدّم إلى ما يلي :

أنّ (أجلْ) حرف جوابيّ جاء لتصديق الخبر ، ولتحقيق الطّلب . وبهذا المجيء يلتقي مع الغرض الذي جاء لأجله القسم وهو إرادة معنى التّوكيد .

هذا وقد ورد هذا النّموذج القسميّ في اللغة العربيّة بقلّة :

قال الجاحظ : « مَرَّ غيلان بن خرشة الضّبيّ مع عبدالله بن عامر على نهر أمّ عبدالله الذي يشقّ البصرة ، فقال عبدالله : ما أصلحَ هذا النّهرَ لأهل هذا المصر ! فقال غيلان : « (أجلْ) والله أيّها الأمير ، يعلّمُ القومُ صبيانَهم فيه السّباحة ، ويكونُ لسقياهم ومسيلِ مياههم ، وتأتيهم فيه ميرتُهم »[98] .

وقال الجاحظ أيضًا : « ثمّ مرّ غيلان يساير زيادًا على ذلك النّهر وقد كان عادى ابنَ عامر ، فقال زياد : ما أضرَّ هذا النّهرَ بأهل هذا المِصرِ ! قال غيلان : « (أجلْ) والله أيّها الأمير ، تنزُّ منه دورهم ، وتغرق فيه صبيانهم ، ومن أجله يكثر بعوضهم »[99] .

فقد جاء حرف الجواب (أجلْ) في الموضعين السّابقين تحقيقًا لأسلوب التعجّب ، وهو ضرب من الإنشاء غير الطلبيّ . وهو الغرض ذاته الذي جاء من أجله القسم .

ثانيا – دلالة أفعال القسم الصّريح :

النّموذج الأوّل : مادّة (قسم)

ورد فعل القسم في النّموذج مسندًا إلى الفاعل (المُقْسِم) حالة كونه :

– مفردًا متكلّمًا بصيغة المضارع (أُقْسِمُ) .

– مفردًا متكلّمًا بصيغة الماضي (أقْسَمْتُ) .

– مفردًا غائبًا أو جمعًا اسمًا ظاهرًا بصيغة الماضي (أقْسَمَ) .

– جمعًا غائبًا بصيغة الماضي (أقْسَمُوا) .

– جمعًا مخاطبًا بصيغة الماضي (أقْسَمْتُمْ) .

– مفرد غائبًا أو جمعًا اسمًا ظاهرًا بصيغة المضارع (يُقْسِمُ) .

– مثنّى غائبًا بصيغة المضارع (يُقْسِمَانِ) .

– مفردًا غائبًا بصيغة الماضي للدّلالة على المشاركة (قَاسَمَ) .

– جمعًا غائبًا بصيغة الماضي للدّلالة على المشاركة (تَقَاسَمُوا) .

ولنأخـذ بعض الأمثلة لهذا النّموذج نجلّي من خلالها الدّلالة التّركيبيّة :

أوّلاً : جاء في نهج البلاغة : « **وأقسمُ باللّهِ إنّه لولا بعض الاستبقاء لوصلت إليك منّي قوارع : تقرع العظم ، وتهلس اللحم** »(100) .

فقوله : « أقسمُ باللّه » معناه صار ذا قسم مستعينًا باللّه . وإنّما دخل حرف القسم الكلام لضرب من الاختصار ، فهو نائب عمّا هو أكثر منه وهو : الوصل والاستعانة . فقد أغنت باء القسم عن قوله : أقسمُ مستعينًا باللّه . ويكون حرف القسم تارة كالجزء من فعل القسم ، وتارة كالجزء من الاسم المقسم به :

أمّا وجه اعتداده كجزء من فعل القسم (أقسمُ) فمن حيث كونه معدّيًا

وموصلاً له . وأمّا وجه اعتداده كجزء من المقسم به (اللّه) فمن حيث كان مع ما جرّه في موضع نصب ، وهذا يقضي له بكونه جزءًا ممّا بعده أو كالجزء منه ، بدليل أنّك تعطف على مجموعهما بالنّصب كما تعطف على الجزء الواحد في نحو قولك : ضربتُ زيدًا وعمرًا ، وذلك قولك : أقسمُ باللّهِ ورسولَهُ ، كما نقول في غير القسم : مررتُ بزيد وعمرًا ، ورغبت فيكَ وجعفرًا ، ونظرتُ إليكَ وسعيدًا [101] .

وإنّما جاء فعل القسم مضارعًا ؛ لأنّ الغرض إنّما هو الآن مُقسم ، فالقسم إنّما هو على حاضر الحال ، وقصدًا لإحضاره في الذّهن حتّى كأنّ المُقسِم مشاهَد حالة الإخبار بالقسم [102] .

ولا شكّ أنّ ضمير الحاضر المتكلّم والمخاطب أقوى من ضمير الغيبة ، وهذا يفسّر كثرة الفعلين : أقسمُ وأقسمتُ . .

ثانيًا: قال حاتم الطّائيّ :

فأقسمتُ لا أمشي إلى سرّ جارة مدى الدّهر مادام الحمام يغرّدُ [103]

فقوله : « أقسمتُ » معناه صار ذا قسم . وقد حُذف الاسم المقسم به تخفيفًا لكثرة استعماله .

وقد دلّ العقل على حذفه ، وقد تدلّ العادة على تعيينه . ولا شكّ أنّ المقسم به هو (اللّه) لكونه على رأس الأقسام عند العرب . وإنّما عُبِّر عن القسم بصيغة الماضي ، والقسم حالي الزّمن قصدًا للمبالغة في توكيد الجواب وتحقيقه وتصديقه ، حتّى كأنّه أصبح كائنًا لا محالة ، وصار ماضيًا ثمّ أنت تخبر عنه [104] .

ثالثاً: قول العرب : « **أقسمتُ عليك لتفعلنّ** » .

وقولهم : « **أقسمتُ عليك إلاّ فعلتَ ولمّا فعلتَ** » .

فالمتكلّم في التّعبير الأوّل مخبر عن فعل المخاطب أنّه يفعله ومقسم عليه .

فـإذا لم يفـعله فـهـو كـاذب ؛ لأنّه لم يـوجـد خـبـره على مـا أخـبـر بـه . فـالقـسم خبريّ وقد أجيب باللام .

أمّا في التّعبير الثّاني فـالمتكلّم طالب منه سائل ، ولا يلزمه فـيه تصديق ولا تكذيب . فـالقـسم استـعطافيّ وقـد يجـاب بـ (إلاّ) أو (لمّـا) الاستـثنائيّة ، فتُقسم على المخاطب مستعطفًا متقرّبًا إليه [105] .

النّموذج الثاني : مادّة (حلف)

ورد فعل الحلف في هذا النّموذج مسندًا إلى الفاعل (الحالف) حالة كونه :

- مفردًا متكلّمًا بصيغة الماضي (حلفتُ) .
- جمعًا غائبًا بصيغة المضارع (يحلفون) .
- مفردًا غائبًا (مؤنّثًا) بصيغة الماضي (حلفتْ) .
- مفردًا غائبًا بصيغة الماضي (حَلَفَ) .
- مفردًا مخاطبًا بصيغة الماضي (حلفتَ) .
- مفردًا مخاطبًا بصيغة المضارع (تحلفُ) .
- مفردًا غائبًا بصيغة المضارع (يحلفُ) .
- مثنّى غائبًا بصيغة المضارع (يحلفان) .
- جمعًا غائبًا بصيغة المضارع المؤكّد بنون التّوكيد (يَحْلِفُنَّ) .
- مفردًا متكلّمًا بصيغة المضارع (أحلفُ) .
- مثنّى غائبًا بصيغة الماضي للدّلالة على المشاركة (تحالفا) .
- جمعًا غائبًا بصيغة الماضي (حلفوا) .

ولنعرض بعض الأمثلة لهذا النّمـوذج نجلّي من خلالها الدّلالة التّركيبية :

أوّلاً – يقول امرؤ القيس :

أوّلاً – يقول امرؤ القيس :

حلفتُ لهـا بـاللّه حلفـةَ فـاجـرٍ لناموا فما إنْ منْ حديثٍ ولا صالي (106)

فقوله : « حلفتُ باللّه » معناه أخذ على نفسه عهدًا مستعينًا باللّه . وإنّما عبّر عن الحلف بلفظ الماضي قصدًا للمبالغة في توكيد الجواب وتحقيقه وتوثيقه . وممّا زاد الكلام توكيدًا وتسديدًا مجيء المصدر النوعيّ (حلفة فاجر) ليبيّن نوع ذلك الحلف ويجلّي هويّة الحالف ، وقد سيقتْ جملة المقسم به لتوكيد جملة المقسم عليه (لناموا) وإنّما جيء باللام وحدها دون (قد) لكون الجواب ماضيًا متصرّفًا مثبتًا بعيدًا من الحال (107) .

ثانيًا – قال تعالى : ﴿ **وليحلفنّ إنْ أردنا إلاّ الحسنى واللّه يشهد إنّهم لكاذبون** ﴾ (108) .

فقد تزامن كون فعل القسم (وليحلفنّ) جوابًا للقسم ، وهذا يفسّر كون فعل القسم مؤكّدًا بالنّون ، يقول أبو حيّان : « والقسم قد يكون جوابًا للقسم ، كما قال تعالى : ﴿ وليحلفنّ إنْ أردنا إلاّ الحسنى ﴾ فاللام في (وليحلفنّ) جواب قسم ، وهو قسم لكنه لمّا لم يكن حلفهم حالاً بل مستقبلاً لزمت النّون ، وهي مخلّصة المضارع للاستقبال » (109) .

وقد سيقت جملة المقسم به لتوكيد معنى الحصر المستفاد من (إنْ) النّافية و (إلاّ) الاستثنائية فلا غاية لحلفهم سوى إرادة الحسنى كما يزعمون ، وفي الحصر قصر وتوكيد .

دلالة القسم والحلف في الاستعمال القرآنيّ :

يقول الفراهيّ : « قد تبيّن عند علماء اللّسان أنّ في الألفاظ المترادفة فروقًا ولكل منها معنى خاصًا وحدًا محدودًا . وقد وجد علماء العربيّة في القرآن من هذه الفروق ما لا ينتبه له إلاّ النّاقد المتتبّع كاستعماله (الرّياح) في موضع النّفع و (الرّيح) في موضع الضّرر ، وكاستعماله (الإمطار) في موقع العذاب ، فمن هذا الباب مراعاة

الفرق بين كلمات القسم بحيث يشير بذلك إلى بعض خصائصها . وقد ذكرنا في الفصل الثّامن عشر أنّ القسم ربّما يهين قدر المرء ، ويُذهب بشرفه فانظر كيف ينبّه القرآن على هذا الأمر باستعماله كلمة (الحلف) لدناءتهم وكذبهم في اعتذارهم ، وما جاءت هذه الكلمة في سائر القرآن إلاّ حيث يشنّع لما فيها من قلّة المبالاة بشرف النّفس والنّزوع إلى ما يلقيها في الكذب والإلحاح ، ولذلك لمّا أراد النّابغة الغلوّ في تضرّعه عند النّعمان بن المنذر قال :

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً ... وليس وراء اللّه للمرء مذهبُ (110)

فأفصح عن غاية الاستكانة ، وهذا أبلغ بيّنة في إظهار الخشية والتّذلّل » (111) .

وتقول بنت الشّاطىء : « وفي لفظ « أقسمُ » هنا ملحظ ذو بال . فقد يبدو من السّهل هنا أن نفسّر أقسمُ بلفظ أحلفُ ، وليس في استعمال العرب لهما ما يمنع من تفسير أحدهما بالآخر ، فالنّابغة يقول في اعتذاره للنّعمان :

* حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً *

وقال الأعشى :

* حلفتُ بربّ الرّاقصات إلى منًى *

وقال شاس بن عبدة ، أخو علقمة الفحل :

* حلفتُ بما ضمّ الحجيج إلى منًى *

وفي القاموس : حلف أي أقسم ....

لكنّ استقراء الكلمتين يمنع هذا التّرادف : فلقد جاءت مادّة « حلف » في القرآن الكريم في ثلاثة عشر موضعًا ، كلّها بغير استثناء ، في مقام الحنث باليمين . .... أمّا القسم فيغلب مجيئه في الأيمان الصّادقة . .... وأمام هذا الاستعمال القرآنيّ ، لا يهون أن نفسر القسم بالحلف ، وصنيع القرآن فيهما يلفت إلى فرق دقيق بين اللّفظين المقول بترادفهما ، فرق يؤيّده فقه العربيّة ، فاختلاف مادّتي اللّفظين يؤذن

باختلاف مدلول كلّ منهما ، وبين حَلَفَ و حَنَثَ من القرب ، ما ليس بين حَلَفَ و قَسَمَ ، ممّا يبعد أن يكونا سواء »[112] .

النّموذج الثّالث : مادّة (ألو)

ورد فعل الإيلاء في هذا النّموذج مسندًا إلى الفاعل حالة كونه :

- مفردًا متكلّمًا بصيغة الماضي (آليتُ) .
- مفردًا غائبًا أو اسمًا ظاهرًا بصيغة الماضي الخماسي (تألّى) .
- مفردًا غائبًا أو اسمًا ظاهرًا بصيغة الماضي (آلى) .
- مفردًا متكلّمًا بصيغة المضارع (أولي) .
- جمعًا غائبًا بصيغة الماضي (آلوا) .

ولنأخذ بعض الأمثلة لهذا النّموذج نوضّح بها الدّلالة التّركيبيّة :

أوّلاً – يقول المتلمّس :

آليتَ حبَّ العراق الدّهر أطعمُهُ والحبُّ يأكلُهُ في القرية السّوسُ[113]

فقوله : « آليتَ » قسم على ترك الفعل « أطعمه » . وإنّما جاز حذف (لا) من المضارع المنفيّ ؛ لأنه لا يشكل بالإيجاب ، لأنّ الإيجاب يحتاج إلى (لام ، ونون) . يقول النّجيرميّ : « فإذا قيل : آلى يفعلُ ، وآليتُ أفعلُ ، فهو قسم على ترك الفعل : لأنّ اليمين بمنزلة النّفي للفعل حتّى يأتي باللام التي هي آلة القسم ، كقولك : آليتُ لأفعلنّ »[114] .

ومن الغريب في هذا النّموذج نصب المجرور (حَبَّ العراق) مع حذف حرف الجرّ ووجود الفعل ! وعندما نعيد التّركيب إلى أصله الأول نجد : آليتَ على حَبِّ العراق لا أطعمه . بخلاف الفعلين « أقسمُ ، وأحلفُ » فلا يجوز حذف حرف الجرّ مع وجود أحدهما ونصب المجرور (المقسم به) .

ثانيًا – قال تعالى : ﴿ **للذين يؤلون من نسائهم تربّص أربعة أشهر فإن فاءوا فإنّ اللّه غفور رحيم** ﴾ [115] .

فقوله : « آليت من » قدْ تعدّى الفعل بـ (مِنْ) والأصل أن يتعدّى بـ (على) ، والسّبب في ذلك أنّه ضُمّن فعل الإيلاء معنى الامتناع والبعد ، والفعل امتنع يُعدّى بـ (مِنْ) . يقول الزّمخشريّ : « فإن قلت : كيف عدّى بـ (مِنْ) وهو معدّى بـ (على) ؟ قل : قد ضُمِّن في هذا القسم المخصوص معنى البعد ، فكأنّه قيل : يبعدون من نسائهم مؤلين أو مقسمين » [116] . ويقول ابن هشام : « أي يمتنعون من وطء نسائهم بالحلف ، فلهذا عدّى بـ (مِنْ) » [117] .

وإنّما قلنا في مثل هذا التّركيب بأنّ التّضمين في الفعل (يؤلون) لا في الحرف (مِنْ) ؛ لأنّ التّوسّع في الأفعال أكثر من الحروف [118] .

النّموذج الرّابع : مادّة (ألت)

وقد ورد هذا النّموذج في موضع فريد أسند فيه الفعل (ألَتَ) إلى المفرد متكلّمًا بصيغة الماضي ، وهو **قول العرب : « ألتُك باللّهِ لمّا فعلتَ كذا »** [119] .

فمعنى قولهم : « ألتُك باللّه » نشدتك مستعينًا باللّه ، فهو قسم سؤال وطلب ، و (لمّا) في (لمّا فعلت) لنقض معنى النّفي الذي تضمّنه القسم ، فكأنّ القول : ما أنشدك إلاّ فعلك ، وإنّما جاء ماضيًا لقصد المبالغة في الطّلب حتّى كأنّ المخاطب فعَل ما تطلبه وتنشده ، وصار ماضيًا ثمّ أنت تخبر عنه .

ثالثًا – دلالة أفعال القسم غير الصّريح :

النّموذج الأوّل : مادّة (شهد)

وقد ورد فعل الشّهادة في هذا النّموذج مسندًا إلى الفاعل حالة كونه :

– مفردًا متكلّمًا بصيغة المضارع (أشهدُ) .

– مفردًا متكلّمًا بصيغة الماضي (شَهدتُ) .

- مفردًا غائبًا أو اسمًا ظاهرًا بصيغة الماضي (شَهِدَ) .

- جمعًا متكلّمًا بصيغة المضارع (نشهدُ) .

- مفردًا غائبًا بصيغة المضارع (يشهد) .

- مفردًا أو جمعًا غائبًا أو اسمًا ظاهر بصيغة المضارع (تَشهدُ) .

- جمعًا متكلّمًا بصيغة المضارع السّداسي الدّالّ على الطلب (نستشهد) .

ولنأخذ المثال التّالي لهذا النّموذج نوضّح به الدّلالة التّركيبيّة :

قال تعالى : **﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنّك لرسول اللّهِ واللّهُ يعلم إنّك لرسوله واللّهُ يشهد إنّ المنافقين لكاذبون ﴾** (120) .

فمعنى قول المنافقين « نشهد » نحلف فهو يمين كاذبة ، ومعنى قوله تعالى : ﴿ واللّه يشهد ﴾ يقسم فهو يمين صادقة . وقد جرى فعل الشّهادة مجرى الحلف لأنّه جاء توكيدًا للخبر « لَرسولُ اللّه » في الأوّل ، و « لَكاذبون » لأن القسم يؤكّد ويسدّد الخبر دون المبتدأ . فعندما نقول : « أقسم إنّ زيدالمنطلق » فالقسم يؤكّد الانطلاق دون زيد . وقد وجب كسر (إنّ) في وجود اللام المعلّقة . فاللام من « لَرسولُ اللّه » و « لَكاذبون » معلّقة لفعل الشّهادة ، أي مانعة له من التّسلّط على لفظ ما بعدهما ، فصار لما بعدها حكم الابتداء . وقد تضاعفت درجة التّوكيد والتّسديد بدخول اللام على خبر (إنّ) المكسورة ، ففائدتهما توكيد مضمون جملة المقسم عليه . وقد قلنا سالفاً : إنّ فعل الشّهادة من التّعبيرات التي تعدّدت وتطوّرت دلالتها القسميّة في الجاهليّة والإسلام : فقد انتقل من التّأكيد القضائيّ إلى التّأكيد اللغويّ إلى التّأكيد الاستدلاليّ .

النّموذج الثّاني : مادة (علم)

ورد فعل العلم في هذا النّموذج مسندًا إلى الفاعل حالة كونه :

- مفردًا غائبًا بصيغة المضارع (يعلم) .

- مفردًا اسمًا ظاهرًا بصيغة الماضي (علم) .

- مفردًا متكلّمًا بصيغة الماضي (علمتُ) .

ولنعرض هذين المثالين لهذا النّموذج نوضّح بهما الدّلالة التركيبيّة :

أوّلاً- قال تعالى : ﴿ **واللّه يعلم إنّك لرسوله** ﴾ [121] .

فقوله « يعلم » جرى مجرى القسم لأنّه توكيد للخبر « لَرسوله » . وقد علّقت اللام فعل العلم أي : منعته من التّسلّط على لفظ ما بعده ، فصار لما بعدها حكم الابتداء ، فلذلك وجب كسر (إنّ) . وقد تعاضد المؤكّدان (إنّ ، واللام) في توكيد مضمون جملة المقسم عليه ، فتضاعفت درجة التّوكيد والتّسديد .

ثانيًا-قال لبيد :

ولقد علمتُ لتأتينّ منيّتي إنّ المنايا لا تطيش سهامها [122]

فقد تزامن وقوع « ولقد علمتُ » قسمًا ومقسمًا عليه . أمّا كونه قسمًا فلإفادته توكيد المقسم عليه « لتأتينّ منيّتي » وتحقيقه وتوثيقه . وأمّا كونه مقسمًا عليه فلتلقّيه باللام و (قدْ) لقسم مقدّر إمّا بقولنا : علمتُ ، أو أقسمتُ ، أو واللّه .... يقول السّيوطي : « وعلمتُ فيه محتملة لوجهين :

أحدهما : أن تكون معلّقة واللام جواب قسم مقدّر ، وجملتا القسم والجواب في موضع نصب بالفعل المعلّق .

والثّاني : أن تكون أجريت لإفادتها تحقيق الشّيء وتأكيده مجرى القسم ، فتخرج حينئذ عن طلب المفعولين ويتلقّى بما يتلقّى به القسم . وعلى هذا فلا قسم مقدّر ، والجملة لا محلّ لها كسائر الجمل التي يجاب بها القسم » [123] .

فالعرب تضمّن أفعال القلوب معنى القسم لإفادتها التّحقيق فتجاب بما يجاب به القسم [124] .

النّموذج الثّالث : مادّة (أخذ)

لنستوضح الدّلالة التّركيبيّة من خلال المثالين التّاليين :

أولاً – قال تعالى : ﴿ **وإذْ أخذنا ميثاقكم لا تَسفكون دماءكم ولا تُخرجون أنفسكم من دياركم ثمّ أقررتم وأنتم تشهدون** ﴾ [125] .

قوله ﴿ أخذنا ميثاقكم ﴾ جرى مجرى القسم في إفادة التّوكيد والتّحقيق ؛ لأنّ أخذ الميثاق عقد ولا يكون إلاّ باليمين والعهد . ولمّا كان أخذ الميثاق بمنزلة القسم والاستحلاف أجيب بما يُجاب به القسم وهو قوله : ﴿ لا تسفكون دماءكم ﴾ . والشّهادة على الإقرار بأخذ الميثاق يؤيّد ويؤكّد أن يتنزّل هذا التّعبير منزلة القسم . وقد أسبغ القسم غير الصّريح « أخذنا ميثاقكم » على الكلام دلالات ومعاني ما كانت لتوجد لو جاء القسم صريحًا ، فهو جملة فعليّة مفيدة تامّة مكوّنة من : فعل ماضٍ هو (أخذ) وفاعل هو (اللّه سبحانه) ، ومفعول به هو (ميثاقكم) ، ويضاف إلى ذلك ما يدلّ عليه هذا التّعبير من الإقرار والإشهاد والإلزام .

ثانيًا – يقول عمرو بن كلثوم :

أخذْنَ على بعولتهنّ عهدًا ... إذا لاقوا كتائب مُعلمينا

ليستلبنّ أفراسًا وبيضًا ... وأسْرَى في الحديد مُقرّنينا [126]

فـ (على) من قوله : (أخذْن على ...) متعلّقة بـ (أخذ) وجاز تعلّقها به حملاً على المعنى ، لا بموجب اللفظ ، لأنّ حقّ اللفظ أن يقال : (أخذْن عهدًا) دون متعلّق ، ولكنّه لمّا كان مضمّنًا معنى (آلى) جيء بـ (على) وجرى مجرى القسم في إفادة التّوكيد والتّحقيق فكان جوابه (ليستلبنّ) . وعلى ذلك يُخرّج قوله تعالى : ﴿ ألم تعلموا أنّ أباكم قد أخذ عليكم موثقًا من اللّه ﴾ [127] والمقسم عليه محذوف . وقد قدّره الطّبرسيّ : « لتأتنّني به » [128] . وبذلك يتّضح قول سيبويه : « أخذ

عليه لا يفعل ذلك أبدًا » . يقول سيبويه مفصّلاً القول في ذلك : « واعلم أنّك إذا أخبرت عن غيرك أنّه أكّد على نفسه أو على غيره فالفعل يجري مجراه حيث حلفتَ أنت ؛ وذلك قولك : أقسمَ ليفعلنّ ، واستحلفه ليفعلنّ ، وحلف ليفعلنّ ذلك ، وأخذ عليه لا يفعل ذلك أبدًا . وذاك أنّه أعطاه من نفسه في هذا الموضع مثل ما أعطيت أنت من نفسك حين حلفتَ »[129] .

النّموذج الرّابع : مادّة (نشد)

وقد ورد الفعل في هذا النّموذج مسندًا إلى الفاعل حالة كونه :

- مفردًا متكلّمًا بصيغة المضارع (أنْشُدُ) .
- مفردًا متكلّمًا بصيغة الماضي (نشدتُ) .
- مفردًا متكلّمًا بصيغة الماضي الرّباعيّ (ناشدتُ) .

ونستوضح الدّلالة التّركيبيّة لهذا النّموذج من خلال معالجة النّحاة له :

يقول أبو علي الفارسيّ : « وقالوا : نشدتك اللّه إلاّ فعلتَ ، للطّلب ، لمّا كان المعنى ما أسألك إلاّ فعلك »[130] . ويقول ابن مالك : وأصل (نشدتك اللّه) : طلبت منك باللّه ، ثم ضُمّنَ معنى (استحلفتُ) مخصوصًا بالطّلب . والمستحلف عليه بعده مصدّر بـ (إلاّ) ، أو (لمّا) بمعناها ، أو باستفهام ، أو أمر ، أو نهي[131] . ويقول الرّضيّ : « وقولهم : نشدتك اللّه ، من قولهم : نشدته كذا فنشده أي ذكّرته فتذكّر ، فنشد المتعدّي إلى واحد مطاوع للأوّل المتعدّي إلى اثنين ، والمعنى : ذكّرتك اللّه بأن أقسمت عليك به ، وقلت لك : باللّه لتفعلنّ ، أو يكون نشدت بمعنى طلبت ، أي نشدتُ لك اللّه ، كقوله تعالى : ﴿ أبغيكم إلهًا ﴾[132] أي أبغي لكم ، أي طلبت لك اللّه من بين جميع ما يُقسِم به النّاس ، لأقسمَ به تعالى عليك . ومعنى إلاّ فعلت : إلاّ فعلك ، و (إلاّ) لنقض معنى النّفي الذي تضمّنه القسم ، لأنّك إذا حلّفت غيرك باللّه قَسَمَ الطّلب فقد ضيّقت عليه الأمر في فعل مطلوبك ، فكأنّك قلت : ما أطلب منك إلاّ فعلك ، فـ (فعلتَ) بمعنى المصدر مفعول به لما أطلب ، الذي دلّ عليه نشدتك اللّه . وإنّما

جعلته ماضيًا لقصد المبالغة في الطّلب حتّى كأنّ المخاطَب فَعَلَ ما تطلبه ، وصار ماضيًا ثمّ أنت تخبر عنه ، ... و (لمّا) في الاستثناء لا تجيء إلاّ بعد النّفي ظاهرًا أو مقدّرًا كما رأيت ، ولا تجيء إلاّ في المفرّغ نحو قوله تعالى : ﴿ وإنْ كلٌّ لمّا جميع لدينا محضرون ﴾ (133) » (134) .

إذنْ فمعنى نشدتك اللّه أو باللّه : ذكّرتك اللّه مستحلفًا مستعطفًا .

النّموذج الخامس : مادّة (أبي)

ورد الفعل في هذا النّموذج مسندًا إلى الفاعل حالة كونه :

- مفردًا اسمًا ظاهرًا بصيغة الماضي (أبى) .
- مفردًا اسمًا ظاهرًا بصيغة المضارع (يأبى) .

ولنأخذ الآية الكريمة مثالاً نستوضح منه الدّلالة التّركيبيّة لهذا النّموذج :

أولاً – قال تعالى : **﴿ يريدون أن يطفئوا نور اللّه بأفواههم ويأبى اللّه إلاّ أنْ يتمّ نوره ولو كره الكافرون ﴾** (135) .

فقوله : ﴿ يأبى اللّه ﴾ جرى مجرى القسم فيما يراد منه من التّوكيد والتّشديد . وإنّما دخلت (إلاّ) الكلام والفعل موجب لتضمّنه معنى النّفي . يقول الفرّاء : « دخلت (إلاّ) لأنّ في أبيت طرفًا من الجحد ؛ ألا ترى أنّ (أبيت) كقولك : لم أفعل ، ولا أفعل ، فكأنّه بمنزلة قولك : ما ذهب إلاّ زيد . ولولا الجحد إذا ظهر أو أتى الفعل محتملاً لضميره لم تُجِزْ دخول إلاّ ، كما أنّك لا تقول : ضربت إلاّ أخاك ، ولا ذهب إلاّ أخوك » (136) .

ويقول أبو حيّان : « و (أبى) من الأفعال الواجبة التي معناها النّفي : ولهذا يفرّغ ما بعد إلاّ كما يفرّغ الفعل المنفيّ ، قال تعالى : ﴿ ويأبى اللّه إلاّ أنْ يتمّ نوره ﴾ . ولا يجوز : ضربت إلاّ زيدًا على أن يكون استثناء مفرّغًا ؛ لأن (إلا) لا تدخل في الواجب » (137) . و (يأبى) فعل

مضارع ، ولفظ الجلالة (اللّه) فاعل ، والمصدر المؤوّل في محلّ نصب مفعول به وإنّما جاء المصدر بلفظ المضارع للدّلالة على الدّوام والاستمرار والتّجدّد . فالفعل (يأبى) في هذا النّموذج القسميّ كأنّه متضمّن لمعنى (لا) فهو محتمل لهذا الحرف النّافي المضمر ، على طريق الإلزام والامتناع . يقول أبو حيّان : « و « أبَى زيدٌ الظّلمَ » أبلغ من « لم يظلم » لأنّ نفي الشّيء عن الشّخص قد يكون لعجز أو غيره ، فإذا قلت : « أبى زيدٌ كذا » دلّ على نفي ذلك عنه على طريق الامتناع والأنفة منه »[138] .

وأضيف إلى ذلك أنّ (أبى) من أفعال القلوب ، والعرب تضمّن أفعال القلوب معنى القسم لإفادتها التّوكيد والتّحقيق[139] . ومن ذلك قول النّابغة الذّبيانيّ :

أبى اللّهُ إلاّ عدلَهُ ووفاءَهُ ... فلا النّكْرُ معروف ، ولا العرْفُ ضائعُ[140]

وقال كثيّر :

أبى اللّهُ للشّمِّ الأباءِ كأنّهمْ ... سيوفٌ أجادَ القَيْنُ يومًا صِقالَها[141]

فـ (أبى اللّه) فعل ماض وفاعله ، والمفعول محذوف ، والتّقدير : أبى اللّه إلاّ فعل الشّرّ .

النّموذج السّادس : مادّة (عهد)

ورد الفعل في هذا النّموذج مسندًا إلى الفاعل حالة كونه :

- مفردًا أو جمعًا غائبًا بصيغة الماضي الرّباعيّ (عَاهَدَ ، وعاهدوا) .
- مفردًا غائبًا أو اسمًا ظاهرًا بصيغة الماضي الثّلاثيّ (عَهِدَ) .
- مفردًا متكلّمًا بصيغة المضارع الثّلاثيّ (أعهدُ) .
- مفردًا متكلّمًا بصيغة الماضي الرّباعيّ (عاهدتُ) .

ولنستوضح الدّلالة التركيبيّة لهذا النّموذج من خلال الآية الكريمة :

قال تعالى : ﴿ ولقد كانوا عاهدوا اللّه من قبل لا يُولّون الأدبار ﴾[142] .

فقوله : ﴿ عاهدوا اللّه ﴾ جرى مجرى القسم في إفادة التّحقيق والتّوثيق والإلزام ، ولهذا تلقّى بما يتلقّى به القسم ، فكان جوابه : ﴿ لا يُولّون الأدبار ﴾ . يقول أبو حيّان : « (عاهدوا) أجري مجرى اليمين ولذلك يتلقّى بقوله : ﴿ لا يولّون الأدبار ﴾ » وجواب هذا القسم جاء على الغيبة عنهم على المعنى ، ولو جاء كما لفظوا به لكان التّركيب (لا نولّي الأدبار)[143] . فـ (عاهدوا) في معنى أقسموا ، وإنّما جاء الفعل بلفظ الماضي قصدًا للمبالغة في التّوثيق ، والتّحفّظ بالشّيء وإحداث العهد به . وقد تعدّى هذا الفعل بنفسه فنصب المقسم به وهو (اللّه) ، دالاً بذلك على معنى الإشهاد والتّعظيم .

النّموذج السّابع : مادّة (بلي)

ورد الفعل في هذا النّموذج مسندًا إلى الفاعل حالة كونه :

- مفردًا متكلّمًا بصيغة المضارع (أبلي) .
- مفردًا غائبًا أو اسمًا ظاهرًا بصيغة المضارع (يُبلي) .
- مفردًا مؤنّثًا غائبًا بصيغة المضارع الخماسي (تبتلي) .

ونستوضح الدّلالة التّركيبيّة لهذا النّموذج من خلال قول الشّاعر :

وإنّي لأبلي النّاسَ في حبِّ غيرها فأمّا على جُمْلٍ فإنّيَ لا أبلي[144]

فقوله : « أبلي النّاس » معناه أحلف للنّاس ، لأن في اليمين ابتلاء واختبارا واستخبارا ، فجرى مجرى القسم ، وقد حذف المقسم عليه ودلّ عليه الكلام ، وتقديره : إنّي لا أحبّ غيرها ، وقد تعدّدت أدوات التّوكيد في هذا التّركيب وهي : (إنّ) ، واللام المزحلقة ، وجملة القسم ، فتضاعفت بذلك درجة التّوكيد والتّسديد . وقد ورد الفعل الجاري مجرى القسم بلفظ المضارع لأنّ القسم حاليّ الزّمن ، وقصدًا

لإحضاره في الذّهن . وكون الحالف متكلّمًا فيه دلالة على التّعريف بجهة الحلف (أنا) وإزالة للغموض والإبهام عنها .

النّموذج الثّامن : مادّة (كتب)

وقد ورد الفعل في هذا النّموذج مسندًا إلى الفاعل حالة كونه :

- مفردًا غائبًا أو اسمًا ظاهرًا بصيغة الماضي (كتب) .

قال تعالى : ﴿ كتبَ اللّهُ لأغلبنّ أنا ورسلي إنّ اللّه قويّ عزيز ﴾ [145] .

فقوله : ﴿ كتب اللّه ﴾ فعل ماض وفاعله ، وقد جرى مجرى القسم في إفادة التّوكيد ؛ لأنّ في الكتابة عزمًا وعلمًا وإشهادًا ، ولهذا أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله : ﴿ لأغلبنّ أنا ورسلي ﴾ . وقد ورد الفعل الجاري مجرى القسم بلفظ الماضي قصدًا للمبالغة في التّحقيق والتّصديق . وفي إسناد الفعل إلى لفظ الجلالة دلالة على الإشهاد والتّعظيم .

النّموذج التّاسع : مادّة (وذم)

وقد ورد الفعل في هذا النّموذج مسندًا إلى الفاعل حالة كونه :

- مفردًا غائبًا بصيغة الماضي (أوذم) .

ونستوضح الدّلالة التركيبيّة لهذا النّموذج من خلال قول الشّاعر :

لا هُمَّ إنّ عامرَ بنَ جَهْمِ أوذمَ حجًّا في ثيابِ دسْمِ [146]

فقوله : « أوذم حجًّا » نزّل منزلة القسم في إفادة التوكيد ، ومعنى أوذم حجًّا : أوجب على نفسه حجًّا ، والإيجاب إلزام كالقسم . و « حجًّا » منصوب على نزع الخافض أي : أوذم بحجّ في ثياب دسم أي دنسة بالمعاصي . وإنّما قلنا بنصبه على نزع الخافض لأنّ الفعل (أوذم) ضُمّن معنى (حلف) وهو لا يتعدّى إلا بحرف القسم .

النّموذج العاشر : مادّة (عزم)

وقد ورد الفعل في هذا النّموذج مسندًا إلى الفاعل حالة كونه :

– مفردًا متكلّمًا بصيغة الماضي (عزمتُ) .

ومثاله قول عمر رضي اللّه عنه في كتابه إلى أبي موسى الأشعريّ :

« عزمتُ عليك لمّا ضربتَ كاتبك سوطًا » [147] .

فقوله : « عزمتُ عليك » أي أوجبت عليك ، والإيجاب إلزام كالقسم . وقد أجيب بـ (لمّا) الاستثنائيّة الدّاخلة على الماضي لتقدّم قسم السّؤال عليها . ومعنى « لمّا ضربتَ » : لمّا ضَرَبْكَ ، و (لمّا) لنقض معنى النّفي الذي تضمنّه القسم ؛ لأنّ (لمّا) في الاستثناء لا تأتي إلاّ بعد النّفي ظاهرًا أو مقدّرًا ، ولا تأتي إلاّ في المفرّغ ، فكأنّه قال : ما أطلب منك إلاّ ضرب كاتبك سوطًا . وإنما جعل الجواب فعلاً ماضيًا لقصد المبالغة في الطّلب .

النّموذج الحادي عشر : مادّة (أذن)

وقد ورد هذا الفعل في هذا النّموذج مسندًا إلى الفاعل حالة كونه :

– مفردًا اسمًا ظاهرًا بصيغة الماضي (تأذّن) .

ومثاله قوله تعالى : ﴿ **وإذْ تأذّن ربّك ليبعثنّ عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب** ﴾ [148] .

فقوله : ﴿ تأذّن ربّك ﴾ جرى مجرى القسم في إفادة التّوكيد والتّحقيق ، ولهذا أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله : « ليبعثنّ » . وفي إسناد الفعل الجاري مجرى القسم إلى لفظ الجلالة « ربّك » تعظيم وإشهاد . يقول الزّمخشريّ : « (تأذّن ربّك) عَزَمَ ربّك ، وهو من الإيذان والإعلام ؛ لأنّ العازم على الأمر يحدّث نفسه به ويؤذنها بفعله ، وأجري مجرى فعل القسم ، كعلم اللّه ، وشهد اللّه . ولذلك أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله (ليبعثنّ) . والمعنى : وإذْ حتم ربّك ، وكتب على نفسه ليبعثنّ على اليهود » [149] .

النّموذج الثّاني عشر : مادّة (بدع)

ورد هذا الفعل في هذا النّموذج مسندًا إلى الفاعل حالة كونه :

– مفردًا غائبًا بصيغة الماضي (أبدع) .

– جمعًا غائبًا بصيغة الماضي (أبدعوا) .

ومثاله قول جرير :

وربّ الرّاقصات إلى الثّنايا بشعث أبدعُوا حجًّا تمامًا

أحبُّكِ يا أمامَ ، وكلّ أرضٍ سكنتِ بها ، وإنْ كانت وِخامًا [150]

فقوله : « أبدعوا حجًّا » نزّل منزلة القسم في إفادة التّوكيد ، ومعنى أبدعوا حجًّا : أي عزموا عليه وأوجبوا على أنفسهم حجًّا ، وفي العزم والإيجاب إلزام كالقسم . وحجًّا : منصوب على نزع الخافض أي : أبدعوا بحجّ تمام ؛ وذلك لأنّ الفعل (أبدع) ضُمّن معنى (حلف) وهو لا يتعدّى إلاّ بحرف القسم .

النّموذج الثّالث عشر : مادّة (عمر)

وقد ورد هذا الفعل في هذا النّموذج مسندًا إلى الفاعل حالة كونه :

– مفردًا متكلّمًا بصيغة الماضي (عمّرتك) .

ومثاله قول الشّاعر :

عمّرتُكِ اللّهَ إلاّ ما ذكرتِ لنا هلْ كنتِ جارتَنَا أيّام ذي سلَم ؟ [151]

فقوله : « عمّرتك اللّه » أي ذكّرتك اللّه بأن أقسمتُ عليك به . ومعنى (إلاّ) ما ذكرت لنا : إلاّ ذكرك لنا ، و (إلاّ) لنقض معنى النّفي الذي تضمنّه القسم . فكأنّ القول : ما أطلب منك إلاّ ذكرك لنا ، وإنّما جعل ما بعد (إلاّ) فعلاً ماضيًا لقصد المبالغة في الطّلب . يقول ابن مالك : وأصل (عمّرتك اللّه) سألتُ اللّه تعميرك ثمّ ضُمّن معنى استحلفت مخصوصًا بالطّلب . والمستحلف عليه بعده مصدّر بـ (إلاّ) أو (لمّا) بمعناها ، أو باستفهام ، أو أمر ، أو نهي [152] .

النّموذج الرّابع عشر : مادّة (تمم)

وقد ورد هذا الفعل في هذا النّموذج مسندًا إلى الفاعل حالة كونه :

– مفردًا مؤنّثًا اسمًا ظاهرًا بصيغة الماضي (تمّتْ) .

ومثاله قوله تعالى : ﴿ **وتمّتْ كلمة ربّك لأملأنّ جهنّم من الجنّة والنّاس أجمعين** ﴾ [153] .

فقوله : ﴿ وتمّتْ كلمة ربّك ﴾ جرى مجرى القسم في إفادة التّوكيد والتّحقيق والتّصديق . ولذلك أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله : ﴿ لأملأنّ جهنّم ﴾ ، كأنّ القول : يمينًا لأملأنّ ، أو أقسم لأملأنّ . وبهذا الفعل الجاري مجرى القسم وفاعله المضاف تحدّدت وتعرّفت جهة القسم ، ودلّ هذا التّركيب على الإشهاد . يقول أبو حيّان : « واللام في (لأملأنّ) هي التي يتلقّى بها القسم ، والجملة قبلها ضُمّنت معنى القسم » [154] .

النّموذج الخامس عشر : مادّة (حلط)

وقد ورد هذا الفعل في هذا النّموذج مسندًا إلى الفاعل حالة كونه :

– مفردًا اسمًا ظاهرًا بصيغة الماضي (أحلط) .

ومثاله قول ابن أحمر الباهليّ :

فكنّا وهم كابنيْ سُبات تفرّقَا ... سِوًى ثمّ كانا مُنجدًا وتِهاميَا

فألقى التّهاميُّ منهما بِلَطَاتِهِ ... وأحلطُ هذا : لا أريمُ مكانيَا [155]

فقوله : « أحلط هذا » جرى مجرى القسم في إفادة التّوكيد والتّحقيق ؛ لأنّ الاحتلاط اجتهاد وإلزام كالقسم . ولذلك أجيب بما يجاب به القسم وهو « لا أريم مكانيًا » أي لا أبرح مكانيًا . وفي إسناد الفعل الجاري مجرى القسم إلى فاعله اسم الإشارة تعريف بجهة الحلف ، فالمشار إليه هو المنجد . وفي مجيء فعل القسم بلفظ الماضي والقسم حالي الزّمان قصدًا للمبالغة في تحقيق الجواب وتوثيقه . أمّا (لا) فهو حرف نافٍ موضوع لنفي المستقبل فلا يُنفى بها فعل الحال .

النّموذج السّادس عشر : مادّة (وعد) :

وقد ورد هذا الفعل في هذا النّموذج مسندًا إلى الفاعل حالة كونه :

- مفردًا اسمًا ظاهرًا بصيغة الماضي (وعد) .

ومثاله قوله تعالى : **﴿ وعد اللّهُ الذين آمنوا منكم وعملوا الصّالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمنًا ﴾** [156] .

فقوله : ﴿ وعد اللّهُ ﴾ جرى مجرى القسم في إفادة التّوكيد والتّحقيق والتّصديق ، ولذلك أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله : ﴿ ليستخلفنّهم في الأرض ﴾ وعُطف عليه بما تلقّى من اللام والنّون « ليمكننّ ، وليبدلنّ » . وفي إسناد الفعل الجاري مجرى القسم إلى فاعله لفظ الجلالة وهو « اللّه » إشهاد وتعظيم وتعريف بجهة القسم . يقول الزّمخشريّ : « فإنْ قلت : أين القسم المتلقّي باللام والنّون في (ليستخلفنّهم) ؟ قلت : هو محذوف تقديره : وعدهم اللّه ، وأقسم ليستخلفنّهم ، أو نزّل (وعد اللّه) في تحقّقه منزلة القسم ، فتلقّى بما يتلقّى به القسم ، كأنّه قيل : أقسم اللّه ليستخلفنّهم » [157] . وقد لزمت نون التّوكيد اللام في الجواب تأكيدًا للفعل وتحقيقًا لأمر وجوده ، ولتخليصه للاستقبال .

النّموذج السّابع عشر : مادّة (بدو)

وقد ورد الفعل في هذا النّموذج مسندًا إلى الفاعل حالة كونه :

- مفردًا غائبًا بصيغة الماضي (بدا) .

ومثاله قوله تعالى : **﴿ ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجُنُنّه حتّى حينٍ ﴾** [158] .

فقوله : ﴿ بدا لهم ﴾ جرى مجرى القسم في إفادة التّوكيد والتّحقيق ، ولهذا أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله : « ليسجننّه » . يقول الفرّاء : « (ليسجننّه حتّى

حين) فـهـذه اللام في اليمين وفي كلّ مـا ضـارع القـول . ألا ترى قـوله : (وظنّوا مـالهم من مـحيص) (ولقد علموا لمنْ اشتراه) دخلت هذه اللام و (مـا) مع الظّنّ والعلم لأنّهما في معنى القول واليمين »[159] .

ويقول ابن هشام : « فجملة (ليسجننّه) قيل : هي مفسّرة للضّمير في (بدا) الرّاجع إلى البداء المفهوم منه ، والتّحقيق أنّها جواب لقسم مقدّر ، وأنّ المفسّر مجموع الجملتين ، ولا يمنع من ذلك كون القسم إنشاء ؛ لأنّ المفسّر هنا إنّما المعنى المتحصّل من الجواب ، وهو خبريّ لا إنشائيّ ، وذلك المعنى هو سجنه عليه الصّلاة والسّـــلام ، فهذا هو البداء الذي بدا لهم » . ويقول أيضًـا : « ويجـــوز أن يكون (ليسجننّه) جوابًا لـ (بدا) لأنّ أفعال القلوب لإفادتها التّحقيق تجاب بما يجاب به القسم »[160] .

إذنْ الدّلالة التّركيبيّة هي التي هدتنا وقادتنا إلى أنّ الفعل (بدا) جارٍ مجرى القسم ، ومناط تلك الهداية والمعرفة جملة المقسم عليه « للاتّفاق على أنّ وجود المضارع مفتتحًا بلام مفتوحة مختتمًا بنون مؤكّدة دليلٌ قاطع على القسم »[161] بخلاف (بدا) في قول الشّاعر :

بدا لي أنّي لست مدرك مـا مـضى ولا سابق شيئًا إذا كان جائيا[162]

فليس بفعل جارٍ مجرى القسم .

النّموذج الثّامن عشر : مادّة (قضي)

وقد ورد هذا الفعل في هذا النّموذج مسندًا إلى الفاعل حالة كونه :

* مفردًا متكلّمًا – بضـــمير الجماعـــة للدّلالة على التّعظيم – بصـــيغة الماضي (قضينا) .

ومثاله قوله تعالى : ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدنّ في الأرض مرّتين ولتعلنّ علوًا كبيرًا ﴾[163] .

فقوله : ﴿ وقضينا إلى ﴾ فعل نزّل منزلة القسم في إفادة التّوكيد والجزم والفصل والإحكام . ولذلك أجيب بما يُجاب به القسم وهو قوله : « لتفسدنّ » وعُطف عليه بقوله : « ولتعلنّ » . يقول الزّمخشريّ : « (لتفسدنّ) جواب قسم محذوف ، ويجوز أن يجري القضاء المبتوت مجرى القسم ، فيكون (لتفسدنّ) جوابًا له ، كأنّه قال : وأقسمنا لتفسدنّ »[164] . ويقول أبو حيّان : « يجوز أن يكون (قضينا) أجري مجرى القسم ، و (لتفسدنّ) جوابه كقولهم : قضاء اللّه لأقومنّ »[165] . وفي إسناد الفعل الجاري مجرى القسم إلى الضّمير العائد إلى الذّات العليّة تعظيم وإشهاد وتعريف بجهة القسم .

النّموذج التّاسع عشر : مادّة (خوف)

وقد ورد هذا الفعل في هذا النّموذج مسندًا إلى الفاعل حالة كونه :

– مفردًا متكلّمًا بصيغة الماضي (خفتُ) .

ومثاله قول الرّسول ﷺ : « **أمرتُ بالسّواك حتّى خفتُ لأدردنّ** »[166] .

فقوله : « خفت » جرى مجرى القسم في إفادة التّوكيد والتّحقيق ، ولهذا تلقّى بما يتلقّى به القسم وهو قوله : « لأدردنّ » لكون المضارع المتلقّي باللام والمختوم بالنّون يدلّ دلالة قاطعة على القسم ، وقد يكون جوابًا لقسم مقدّر . يقول ابن مالك : « فأجرى (خفتُ) مجرى القسم »[167] .

النّموذج العشرون : مادّة (سبأ)

وقد ورد الفعل في هذا النّموذج مسندًا إلى الفاعل حالة كونه :

– مفردًا غائبًا بصيغة الماضي (سبأ) .

ومثاله قول العرب : « **سبأ على يمين كاذبة** »[168] .

فقولهم : « سبأ » جرى مجرى القسم في إفادة التّوكيد ، وجواب القسم محذوف . ونقل الزّركشيّ عن الفارسيّ قوله : « فهذا ونحوه يجوز أن يكون قسمًا وأن يكون حالاً لخلوّه من الجواب »[169] .

النّموذج الحادي والعشرون : مادّة (سمط)

وقد ورد الفعل في هذا النّموذج مسندًا إلى الفاعل حالة كونه :

– مفردًا اسمًا ظاهرًا بصيغة الماضي (سمط) .

ومثاله قول العرب : « **سمط فلان على ذلك الأمر يمينًا** »[170] .

فقولهم : « سمط » نزّل منزلة الاستحلاف والقسم على سبيل التّوكيد والتّشديد . وقد تعدّى الفعل بـ (على) لكونه مضمّنًا معنى (آلى) وهو لا يتعدّى إلاّ بهذا الحرف . و (يمينًا) منصوب على نزع الخافض ، والتّقدير : بيمين . وهذا أيضًا يجوز أن يكون قسمًا وأن يكون حالاً لخلوّه من الجواب .

النّموذج الثّاني والعشرون : مادّة (أصر)

وقد ورد الفعل في هذا النّموذج مسندًا إلى الفاعل حالة كونه :

– مفردًا غائبًا بصيغة الماضي (أصَرَّ) .

ومثاله قول العرب : « **أصر ليكوننّ ذاك** »[171] .

فقولهم : « أصر » جرى مجرى القسم في إفادة التّوكيد والتّشديد والإلزام ، ولذلك أجيب بما يجاب به القسم وهو : « ليكوننّ » . وعندما يلجأ الحالف إلى الحلف بالإصر فقد ضيّق على نفسه باليمين وأثقلها بها فهي لازمة له ، ولا سبيل إلى الخروج منها إلاّ بالوفاء بها . وقد حذف من هذا التّركيب المقسم به فخفيت جهة القسم وأصبحت مبهمة ، إذْ في وجوده تعريف وتحديد لها ، ناهيك عن الدّلالات التي يسبغها على الكلام من الإشهاد والتّعظيم ونحوهما .

النّموذج الثّالث والعشرون : مادّة (صبر)

وقد ورد هذا الفعل في هذا النّموذج مسندًا إلى الفاعل حالة كونه :

– مفردًا غائبًا بصيغة الماضي (صبر) .

ومثاله قول العرب : « **صَبَرَهُ يمينًا** »[172] .

فقولهم : « صبره يمينًا » إذا أحلفه بيمين تلزمه . وقد جرى هذا الفعل مجرى القسم على سبيل التّوكيد والإلزام . وهذا اللفظ يجوز أن يكون قسمًا وأن يكون حالاً لخلّوه من الجواب .

النّموذج الرّابع والعشرون : مادّة (نجد)

وقد ورد هذا الفعل في هذا النّموذج مسندًا إلى الفاعل حالة كونه :

– مفردًا غائبًا بصيغة الماضي الخماسي (تنجّد) .

ومثاله قول مهلهل بن ربيعة :

تنجّدَ حِلْفًا آمنًا فأمنتَه وإنّ جديرًا أنْ يكونَ ويكنبَا[173]

فقوله : « تنجّد » أي حلف يمينًا غليظة . وقد جرى مجرى القسم في إفادة التّوكيد والتّشديد . وقد حذف من هذا التّركيب المقسم به وجملة المقسم عليه ، وفي حذفهما خفاء لكثير من الدّلالات والمعاني التّركيبيّة .

النّموذج الخامس والعشرون : مادّة (وثق)

وقد ورد هذا الفعل في هذا النّموذج مسندًا إلى الفاعل حالة كونه :

– مفردًا متكلّمًا بصيغة الماضي (واثقتُ) .

ومثاله قول الشّاعر :

واثقتُ ميّةُ لا تنفكّ ملغيةً قولَ الوشاةِ فما ألفتْ لهم قيلا[174]

فقوله : « واثقتُ » جرى مجرى القسم في إفادة التّوكيد والتّحقيق والتّوثيق ،

ولذلك أجيب بما يجاب به القسم وهو (لا تنفكّ ملغية) . وكان القياس ألا يتلقّى القسم بـ (لا تنفكّ) لأنّه بمعنى الإيجاب ، لكن لمّا كانت (لا) في (لا تنفكّ) محمولة على النّفي لفظًا لا معنًى ، جاز أن يتلقّى بها القسم ، وكذا الحال في : مازال ، وما برح ، وما فتيء . ومن ورود هذا الفعل مضمّنًا معنى القسم قول النّابغة الذّبيانيّ :

فواثقها باللّهِ حين تراضيَا فكانتْ تَديهِ المال غِبًّا وظاهرَهْ[175]

النّموذج السّادس والعشرون : مادّة (نذر)

وقد ورد هذا الفعل في هذا النّموذج مسندًا إلى الفاعل حالة كونه :

- جمعًا غائبًا بصيغة المضارع (ينذرون) .
- مفردًا متكلّمًا بصيغة المضارع (أنذر) .

ومثاله قول عمرو بن معد يكرب :

هُمْ ينذرونَ دمي وأنْـ ـذُرُ إنْ لقيتُ بأن أشُدّا[176]

فقوله : « ينذرون ، وأنذر » جَرَيَا مجرى القسم في إفادة التّوكيد والإيجاب على النّفس والإلزام ، وجواب القسم محذوف وتقديره : لئن لقيتهم لأشدنّ عليهم ، على قاعدة اجتماع الشّرط والقسم . وفي هذا التّقدير نجد أيضًا حذف اللام الموطّئة للقسم المضمّن ، وما يتلقّى به القسم من لام الجواب والنّون المؤكّدة التي تخلّص الفعل للاستقبال إذْ الشّرط في موضع الآتي .

رابعًا – دلالة أسماء ومصادر القسم الصّريح :

النّموذج الأول : مادة (يمن)

ولنستوضح الدّلالة التّركيبيّة لهذا النّموذج من خلال المثالين التّاليين :

قول امرؤ القيس :

فقلت : يمين اللّه أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي[177]

فقوله : « يمين اللّه » معناه : أقسم بيمن اللّه وبركته ، وقد أضيف (يمين) إلى لفظ الجلالة (اللّه) على سبيل التّعريف بجهة القسم والتّعظيم والإشهاد . وقد جاء مرفوعًا بالابتداء ، وخبره محذوف وجوبًا لكونه مخصوصًا بالقسم ، وتقديره كما يدلّ عليه سياق الكلام : يمين اللّه قسمي أو لازمة لي . وقد تلقّى القسم بالنّافي المحذوف وهو (لا أبرح قاعدًا) لأنّ حذفه لا يشكل بالإيجاب .

يقول زهير بن أبي سُلمى :

يمينًا لنعم السّيّدانِ وجدتما ... على كلّ حالٍ من سحيل ومبرم (178)

فقوله « يمينًا » منصوب على المصدريّة على سبيل التّوكيد للفعل (أقسمتُ) في البيت قبله وقد تضاعفت درجة التّوكيد والتّسديد لتضاعف وتعدّد مصادره ومنابعه ، فتوكيدٌ من جملة المقسم به وهو أصل ، وتوكيدٌ آخر من جهة المصدر وهو فرع على ذلك الأصل ، وقد جاء منكّرًا فلم تلزمه الإضافة المعرّفة والكاشفة لجهة القسم والغالب في المضاف إليه أن يكون لفظ الجلالة (اللّه) . وجوابه (لنعم السّيّدان) وقد تلقّى القسم بفعل ماض مقرون باللام دون (قدْ) لكون الماضي جامدًا غير متصرّف وهو (نِعْمَ) . وقد جاء (السّيّدان) مرفوعًا على الفاعليّة لكونه معرفة .

وهكذا يتجلّى الفرق أنّ (يمينًا) جاءت في هذا البيت غير مضافة ، غير أنّها بالإضافة – كما في البيت السّابق (يمين اللّه) – أفخم وأشرف وأحرى بإلزام النّفس بها ؛ لإضافتها إلى لفظ الجلالة .

النّموذج الثّاني : (قسمًا)

ومثاله قول عنترة :

قسمًا بالذي أماتَ وأحْيَا ... وتولّى الأرواحَ والأجسامَا

لا رفعتُ الحسام في الحرب حتّى ... أتركَ القومَ في الفيافي عظامَا (179)

فقوله : « قسمًا » مصدر منصوب مؤكّد لعامله المحذوف ، وتقديره : أقسم قسمًا مستعينًا بالذي .... فالتّركيب هنا توكيد في توكيد . و (بالذي أمات وأحيا وتولّى ...) المقسم به ، ولو جاء المقسم به مصرّحا به وهو لفظ الجلالة (اللّه) لغابت تلك النّعوت في جملة الصّلة من الإماتة و الإحياء وتولّي الأرواح والأجسام ، وقد اختيرت هذه الصّفات لتناسب الموقف والمقام في جملة المقسم عليه وهي (لا رفعت الحسام ...) ولنفي الماضي بـ (لا) انقلب إلى معنى المستقبل ، فمعنى (لا رفعت) : (لا أرفع) ، فهو منفيّ في الماضي لفظًا ، ولكنّه منفيّ في المستقبل معنًى ومضمونًا . وفي القسم (بالذي أمات و .....) يتجلّى مفهوم التّقديس والإشهاد من جهة المقسم به .

النّموذج الثّالث : (حلوفٌ)

ومثاله قول ابن الطّثريّة :

حلوفٌ لقدْ أنضجتُ وهو مُلَهوجُ بنصفينِ لو حرّكتهُ لتقصّدا (180)

فقوله : « حلوف » من صيغ المبالغة والتّكثير ، وهو يدلّ على كثرة اتّصاف الحالف بصفة الحلف ، وفي المبالغة توكيد وتحقيق ، إضافة إلى ما تحمله جملة المقسم به من معنى التّوكيد والتّوثيق . وقد حذف من هذا التّركيب المقسم به بما يشتمل عليه من دلالات ومعانٍ . أمّا جوابه فهو (لقد أنضجتُ وهو ملهوجٌ) وقد تلقّى القسم باللام و (قدْ) الدّاخلين على الماضي لتحقيق وتوكيد مضمون جملة المقسم عليه ، ولا يمكن فصل الجملة (وهو ملهوج) عن جملة الجواب (لقد أنضجت) لأنّه إنّما أراد الحلف والقسم حالة كونه ملهوجًا لا منفصلاً أو مستقلاً عن سابقه .

النّموذج الرّابع : (أليّةَ)

ومثاله قول الشّاعر :

أليّـةً ليـحـيـقـنْ بالمسيء إذا ما حُوسبَ النّاسُ طرًا سوءُ ما عملا (181)

فقوله : « أليّةً » منصوب على المصدر المؤكّد لفعل الإيلاء المحذوف (آلى) . فصار التّركيب مكوّنًا من توكيد أصغر من جهة المصدر ، في توكيد أكبر من جملة المقسم به . وجوابه هو (ليحيقن بالمسيء سوء ما عملا) وقد تلقّى القسم باللاء والنّون المؤكّدة لتخلّص المضارع المثبت من زمن الحال إلى زمن الاستقبال .

خامسًا – دلالة أسماء ومصادر القسم غير الصّريح :

النّموذج الأوّل : مادّة (عمر)

نستوضح الدّلالة التّركيبيّة لهذا النّموذج من خلال الأمثلة التّالية :

قال النّابغة الذّبيانيّ :

لعَمري وما عُمري عليّ بهيّنٍ لقدْ نطقتْ بُطلاً عليّ الأقارعُ (182)

فقوله : « لعمري » معناه : أحلف بحياتي ، فتضمّن القسم مخاطرة النّفس أي : أنا أخاطر على هذا القول حياتي . ومن هذه الجهة انضمّ مفهوم الإكرام بالمقسم به ، فإنّ المتكلّم لا يدلّ على تأكيد قوله بهذا الطريق إلاّ إذا أقسم بما يكرمه ويضنّ به . فإضافة (العمر) إلى المتكلّم يدلّ على عزّته ومنعته كأنّه قال : إنّ حياتي وعزّي منيع لا يرام (183) . و (لعمري) مرفوع بالابتداء ، وخبره محذوف . وتقديره : لعمري قسمي أو يميني أو ما أحلف به . وقد تلقّى القسم باللام و (قدْ لتوكيد وتحقيق مضمون جملة المقسم عليه (لقد نطقت ...) . أمّا قوله : « وما عمري عليّ بهيّن » فهو اعتراض بين جملة المقسم به وجملة المقسم عليه ، وقد زاد الكلام توكيدًا وتسديدًا وتبيينًا ، أي المخاطرة والقسم بأمر معروف عزّته ومنزلته عند المتكلّم .

قال تعالى : ﴿ لعمرك إنّهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾ [184] .

فقوله : « لعمرك » معناه أقسم بحياتك وبقائك . وعندما يضاف المقسم به إلى المخاطب فإنه يدلّ على إكرامه . ومن هذه الجهة انضمّ مفهوم الإكرام بالمقسم به مع تأكيد القول والجزم به [185] . فقد أكرم اللّه سبحانه نبيّه بهذا الخطاب ، وعمر النبيّ جدير أن يقسم به . وقد تعدّدت وتنوّعت أدوات التّوكيد في هذا التّركيب من : لام الابتداء ، وجملة المقسم به ، و (إنّ) ، واللام المزحلقة ، وبذلك يرقى التّوكيد أعلى مستوياته ومدارجه .

يقول عمر بن أبي ربيعة :

أيّهـا المنكحُ الثّريّا سهيلاً عمْرَكَ اللّهَ كيفَ يلتقيانِ ؟ [186]

فقوله : « عمرك اللّه » أي سألت اللّه أن يطيل عمرك ، وقد ضُمّن معنى القسم مخصوصًا بالسّؤال والطّلب . أمّا نصبه فعلى وجوه [187] :

الأوّل : منصوب على المصدريّة بتقدير : عمّرتك اللّهَ تعميرًا . فـ (اللّهَ) مفعول ثانٍ .

الثّاني : منصوب على نزع الخافض ، والتّقدير : أقسم بعمرِكَ اللّهَ ، والمراد بالعمر التّعمير ، والمعنى : أقسم بتعميرك اللّهَ ، أي بإقرارك له بالدّوام والبقاء .

الثّالث : منصوب على المفعوليّة ، والتّقدير : أسأل اللّهَ عمرَك ، أي أسأله تعميرك .

ولفظ الجلالة منصوب لأنّه مفعول للمصدر (عمرك) ، وأجاز الأخفش فيه الرّفع . ويقول ابن مالك : « وذكر الأخفش في كتابه (الأوسط) وجه الرّفع فقال : أصله : أسألكَ بتعميرك اللّهُ ، أي : بأن يعمّركَ اللّهُ . وحذفت زوائد المصدر ، والفعل ، والباء ، فانتصب ما كان مجرورًا بها » [188] .

هذا ولكون « عمرك اللّه » مخصوصًا بالاستعطاف والطّلب ، فإنّ المستحلف عليه بعده مصدّر باستفهام وهو « كيف يلتقيان ؟ » .

النّموذج الثّاني : مادّة (جدد)

ومثاله قول الأخطل :

أجـدكِ مـا نلقـاكِ إلاّ مـريضـةً تُداوينَ قلبًـا مـا تنامُ بلابلُهْ[189]

فقوله : « أجدكَ » إمّا منصوب على المصدريّة لفعل محذوف أي : أجدّاً منك ، أو منصوب على نزع الخافض أي : أبجدّ منك . وعند ما يلجأ الحالف إلى هذا التّعبير فإنّه يستحلفها بجدّها وحقيقتها وعظمتها . ومن هنا انضم مفهوم الإكراه بالمقسم به مع تأكيد القول والجزم به . وفي إضافته إلى ضمير المخاطب تعريف بجهة القسم ولفت النّظر إليها . ولم يستعمل هذا المصدر في سياق القسم إلاّ مضافاً إمّا إلى ضمير المتكلّم أو ضمير المخاطب ، ولكن استعماله مع المخاطب أكثر من استعماله مع المتكلّم وذلك أوفق وأبلغ في القسم ، كأنّ الحالف أراد : إنّي لا أقسم بجدّي بل بجدّك الذي هو أعزّ وأكرم عليّ . وقد تلقّى بما يتلقّى به القسم وهو : « ما نلقاك إلاّ مريضة » .

النّموذج الثّالث : (لا جرم)

ومثاله قوله تعالى : ﴿ **لا جرمَ أنّ لهم النّارَ وأنّهم مفرطون** ﴾[190] .

(أ) (لا) ردّ لكلام سابق أو زائدة . وجَرَمَ فعل ماض بمعنى وَجَبَ وحَقَّ عند سيبويه والمبرّد ، والمصدر المؤوّل فاعل للفعل . وقيل : جَرَمَ بمعنى كَسَبَ والفاعل مستتر والمصدر المؤوّل مفعول به أي : كَسَبَ فعلَهم أو قولَهم أنّ لهم النّار .

(ب)جَرَمَ مصدر بمعنى القطع فـ (لا جرم) نظير (لا بدّ) والمعنى أنّهم يستحقّون النّار لا انقطاع لاستحقاقهم ، والمصدر المؤوّل خبر لـ (لا) النّافية للجنس .

(جـ)رُكّبت (لا) مع (جرم) فكانت بمعنى حقّا ، والمصدر المؤوّل فاعل وهو

رأي الفرّاء .

أمّا توجيه كسر الهمزة فعلى أنّ (لا جرم) بمنزلة القسم ، فـ (إنّ) مكسورة الهمزة لأنّها وقعت في جواب القسم [191] .

النّموذج الرّابع : (عليّ والمقسم به)

ومثاله قول ابن هرمة :

وعليكَ عهدُ اللّهِ إنّ ببابه أهلَ السّيالة إنْ فعلتَ وإنْ لمِ [192]

فقوله : « عليك عهد اللّه » معناه : أحلف بعهد اللّه ، وقد جرى مجرى القسم في إفادة التّوكيد ولذلك أجيب بما يجاب به القسم وهو « إنّ ببابه أهل السّيالة ... » . و « عهد اللّه » مرتفع بالابتداء ، وهو غير صريح في القسم فيجوز التّصريح معه بالخبر وهو « عليك » . وفي إضافة (عهد) إلى (اللّه) إشهاد وإعظام من جهة المقسم به ، وإلزام النّفس بذلك . يقول المبرّد : « وإذا قلت : عليّ عهد اللّه – فقد أعطيته عهدك بما ضمِنته له » [193] .

النّموذج الخامس : مادّة (قعد)

ومثاله قول الفرزدق :

قَعيدَكُمَا اللّهَ الذي أنتما له ألمْ تسمعَا بالبيضتين المناديا [194]

فقوله : « قعيدكما اللّهَ » ضُمّن معنى القسم مخصوصًا بالاستعطاف والسّؤال والطّلب ، فيكون جوابه ما فيه الطّلب وهو الاستفهام « ألم تسمعا ... » . أمّا نصبه فعلى وجوه :

الأوّل :منصوب على المصدريّة ، والتّقدير : قعّدتك اللّه تقعيدًا – وإن لم يستعمل فعله – والمعنى : جعلتك قاعداً متمكّنًا بالسّؤال من اللّه تعالى .

الثّاني:منصوب على نزع الخافض ، والتّقدير : أسأل بتقعيدك اللّه أي : نسبتك

إيّاه إلى القعود ، أي : الدّوام والتّمكّن ، وهو مصدر محذوف الزّوائد مضاف إلى الفاعل ولفظ الجلالة مفعول به .

الثّالث: منصوب على المفعول به ، والتّقدير : أسأل اللّه تقعيدك وتمكينك .

ولفظ الجلالة (اللّه) منصوب لأنّه مفعول للمصدر (قعيد) [195] .

النّموذج السّادس : (جَيْرِ)

ومثاله قول الشّاعر :

قالوا :قُهرتَ ، فقلتُ : جيرِ لَيُعلمنْ عمّا قليلٍ أيُّنا المقهورُ [196]

فقد استغنى بـ (جير) عن ذكر جملة المقسم به ، كأنّ الحالف قال :

(أ) « نَعَمْ لَيُعملن » فتكون (جير) حرفَ جواب وتصديق ، والوجه الجامع أن التّصديق تحقيق وتوثيق كالقسم .

(ب) أو « حقًا لَيُعلمن » فتكون (جير) مصدرًا مؤكّدًا لمضمون جملة المقسم عليه .

ولا يجوز أن تكون (جير) هنا بمعنى (أبدًا) فتكون ظرفًا ؛ لأنّ (أبدًا) لا يجيء إلاّ لتأكيد معنى النّفي في المستقبل ، والكلام في هذا التركيب موجب ، وإنْ كان مستقبلاً جوابه .

النّموذج السّابع : مادّة (حقق)

ومثاله قول عمر بن أبي ربيعة :

أحقًا لئن دارُ الرّباب تباعدتْ أو انبتَّ حبلٌ إنَّ قلبك طائرُ [197]

فقوله : « حقًا » جرى مجرى القسم في التّوكيد والتّشديد والإحكام والإلزام . وقد انتصب على المصدريّة بفعل محذوف تقديره : حَقَّ حَقًا ، أو يكون منصوبًا

على نزع الخافض بتقدير : أقسم بحقّ . واللام في (لئن) موطئة للقسم ومؤذنة بأنّ الجواب بعدها وهو : (إنّ قلبك طائر) مبنيّ على قسم قبلها ، لا على الشّرط . وأمّا (دار) فهو مرتفع بفعل الشّرط مضمرًا يفسّره الظّاهر ، تقديره : لئن تباعدتْ دار الرّباب تباعدتْ . ولا يرتفع بالابتداء ؛ لأنّ « إنْ » من عوامل الفعل لا تدخل على غيره[198] .

النّموذج الثّامن : (عوض)

ومثاله قول الأعشى :

رضيعيْ لبانٍ ثديَ أمّ تحالفا ... بأسحمَ داجٍ عَوْضُ لا نتفرّقُ[199]

فقوله : « عوض » أغنى عن المقسم به ، فهو حلف بالدّهر والزّمان ، وكأنّ الحالف قال : لا نتفرّق أبداً ، فهو ظرف لما يستقبل من الزّمان مبنيّ على الضمّ في محلّ نصب ، جاء لتأكيد النّفي في المستقبل . ولا يجوز أن يقال : عوض واللّهِ لا نتفرّق ؛ لأنّ فيه الجمع بين العوض والمعوّض منه .

النّموذج التّاسع : (أمانة اللّه)

ومثاله قول الشّاعر :

إذا ما الخبزُ تأدمه بلحمٍ ... فذاك أمانةُ اللّهِ الثّريدُ[200]

فقوله : « أمانة اللّه » جرى مجرى القسم في إفادة التّصديق والتّوثيق والإلزام . وفي إضافة (أمانة) إلى لفظ الجلالة (اللّه) ينضمّ الإشهاد والتّعظيم مع تأكيد القول والفصل به . و (أمانة) مرتفع بالابتداء ، وخبره محذوف جوازاً لكونه غير صريح في القسم ، وتقديره : أمانة اللّه قسمي أو يميني ، أو ما أقسم به ، ويجوز نصبه على نزع الخافض ، وتقديره : أحلف بأمانة اللّه ، وقد جاء هذا التّعبير القسميّ معترضاً بين المبتدأ (ذاك) وخبره (الثّريد) وذلك لإفادة الكلام توكيداً

وتسديداً . أمّا جواب القسم فمحذوف دلّ عليه التّركيب ، وتقديره : أحلف بأمانةِ اللّهِ إنّ ذاك الثّريد ، أو لذاك الثّريد .

النّموذج العاشر : (حرامُ اللّهِ) :

ومثاله قول العُقيليّين : « **حرامُ اللّه لا أفعل ذاك** »[201] .

فقوله : « حرام اللّه » معناه : يمينُ اللّه ، نُزّل منزلة القسم في إفادة التّوكيد والتّشديد والتّوثيق والتّحقيق ؛ ولذلك تلقّى بما يتلقّى به القسم وهو : « لا أفعل ذاك » . وفي هذه الإضافة ينضمّ مفهوم الإشهاد والتّعظيم مع تأكيد القول والجزم به .

أمّا قوله تعالى : ﴿ وحرام على قرية أهلكناها أنّهم لا يرجعون ﴾[202] .

فقد « قيل : إنّ معناه : واجب عليها أنّها إذا أهلكت لا ترجع إلى دنياها »[203] .

وفي الإيجاب إلزام كالقسم . وقد جاء الحرام بمعنى الواجب في شعر الخنساء :

وإنّ حرامًا لا أرى الدّهر باكيًا ... على شجرٍ إلاّ بكيتُ على صخرِ[204]

النّموذج الحادي عشر : (ذمّتي ، وفي ذمّتي)

ومثاله قول ليلى الأخيليّة :

تُساورُ سوّاراً إلى المجدِ والعلى ... وفي ذمّتي لئنْ فعلتَ ليفعلاً[205]

فقولها : « في ذمّتي » نُزّل منزلة القسم في التّوكيد والتّوثيق ، ولذلك أجيب بما يجاب به القسم وهو « ليفعلن » على قاعدة اجتماع الشّرط والقسم . و « في ذمّتي » خبر لمبتدأ محذوف ، والتّقدير : في ذمّتي يمينٌ أو قسمٌ . وفي إضافة الاسم المجرور إلى ضمير المتكلّم تعريف بجهة القسم ، وقد ينضمّ مفهوم الإشهاد من جهة المقسم به مع تأكيد القول وإلزام النّفس به ، إذْ انّ الذّمّة حقّ وعهد وميثاق .

النّموذج الثّاني عشر : (لك والمقسم به)

ومثاله قول الشّاعر :

لكَ اللّهُ لا ألفي لعهدكَ ناسيًا فلا تكُ إلاّ مِثْلَ ما أنا كائنُ[206]

فقوله : « لك اللّه » نُزّل منزلة القسم في إفادة التّوكيد والتّحقيق ، ولذلك تلقّى بما يتلقّى به القسم وهو « لا ألفي لعهدك ناسيًا » لتأكيد معنى النّفي في المستقبل . وإنّما جاء هذا التّعبير بمعنى القسم من جهة ضمّ الخبر المتقدّم (لك) إلى المبتدأ المتأخّر لفظ الجلالة (اللّه) حتّى أصبحا كلمة واحدة . إذنْ يراعى في هذا التّركيب أمور لكي يأتي بمعنى القسم :

(أ) تقديم المسند ، وتأخير المسند إليه شريطة كونه لفظ الجلالة أو اسماً من أسمائه .

(ب) ضمّ المسند إلى المسند إليه على وجه يصبحان به كالكلمة الواحدة .

(جـ) أن يكون حرفُ الجرّ (اللام ، أو على) ، والاسمُ المجرورُ ضميرَ المتكلّم أو المخاطب ؛ لأنّهما أعرف وأقوى من ضمير الغيبة .

ففي قولنا : « لكَ اللّهُ » أو « عليَّ اللّه » إيجابوإلزام للنّفس على سبيل التّوكيد والتّشديد ، ويضاف إلى ذلك مفهوم الإشهاد والتّعظيم المستفاد من المقسم به وهو لفظ الجلالة .

النّموذج الثّالث عشر : (إصْر)

ومثاله قول الشّاعر :

بإصْرٍ يتركُني الحيُّ يومًا رهينةَ دَارِهِمْ وَهُمُ سِراعُ[207]

فقوله : « بإصر » أي أحلف بيمين وعهد ، وقد جرى مجرى القسم في إفادة التّوكيد والتّشديد ، وإذا حلف الإنسان بالإصر فقد ضيّق على نفسه وشدّد عليها بهذا اليمين ، ولا سبيل له إلى الخلاص منها إلاّ بالوفاء بها . وقد تلقّى بما يتلقّى

به القسم وهو النّافي المحذوف « لا يتركني الحيّ ... » وإنّما قلنا بأن المحذوف (لا) دون (ما) لأنّها أكثر استعمالاً في نفي المضارع من (ما) ، إضافةً إلى ذلك أنّ (لا) موضوع لنفي المستقبل – وهو ما يتوافق دلاليًا مع مضمون جملة المقسم عليه – أمّا (ما) فهو موضوع لنفي الحال .

النّموذج الرّابع عشر : (عهدًا)

ومثاله قول عرب الجاهليّة :

« عَهْدًا لا يزيدُهُ طلوعُ الشّمسِ إلاّ شدًا ، وطولُ اللّيالي إلاّ مدًا » (208) .

فقولهم : « عهدًا » منصوب على المصدر المؤكّد لفعله المحذوف (عَهِدَ) ، وقد نزّل منزلة القسم لإفادته الغرض الذي جاء لأجله القسم وهو التّوكيد والتّحقيق لمضمون جملة المقسم عليه ، ولذلك أجيب بما يجاب به القسم وهو « لا يزيده طلوع الشّمس إلاّ شدًا ، ... » . وقد جاء هذا المصدر منكّرًا غير معرّف ممّا أدّى إلى خفاء جهة القسم وغموضها ، وغياب المعاني الدّلاليّة التي يسبغها المقسم به على أسلوب القسم .

النّموذج الخامس عشر : (يقينًا)

ومثاله قول الشّاعر :

ويقـــــينًا لأشـــــربنّ بماءٍ ورَدُوهُ فـعـاجـلاً وتَئِـيـمِـه (209)

فقوله : « يقينًا » أغنى عن جملة المقسم به على سبيل توكيد الأمر وتحقيقه وتصديقه ، فيصبح لا ريب فيه ولا شكّ يعتريه . وقد تلقّى بما يتلقّى به القسم من اللام والنّون المؤكّدة « لأشربنّ ... » لتأكيد مضمون الجواب مستقبلاً . وقد تعدّدت مصـــادر التّوكيد وتنوّعت في هذا التّركيب من : جملة المقسم به ، والمصدر المؤكّد ، ولام جواب القسم ، ونون التّوكيد الثّقيلة ، وهذا التّعدّد والتنوّع يستهدف قطعًا تسديد مضمون جملة المقسم عليه لا غير .

النّموذج السّادس عشر : (عزمة)

ومثاله قول العرب : « عَزْمَةٌ صَادِقةٌ لآتينَّكَ »[210] .

كأنّ معنى قولهم : « عزمةٌ صادقةٌ » يمين صادقة ، وقد جرى مجرى القسم على سبيل الحزم والجزم بالقول والمضيّ في الأمر . و « عزمةٌ » خبر مبتدأ محذوف ، أي : قسمي أو حلفي أو ما أقسم به عزمةٌ صادقة ، أو مبتدأ محذوف الخبر أي : عليَّ عزمةٌ صادقة . وإنّما جاء المصدر مرفوعاً ولم يأتِ منصوباً ، لأنّ في رفعه دلالةً على الثّبوت والاستقرار ، وهذا أكثر مناسبة وملاءمة لغرض القسم . أمّا نصبه ففيه دلالة على التّجدّد[211] . ولذلك كان سلام ابراهيم الخليل عليه السلام أفضلَ من سلام الملائكة المبشّرين في قوله تعالى : ﴿ ولقد جاءتْ رسلُنا إبراهيمَ بالبُشرى قالوا سلامًا قال سلامٌ فما لبِثَ أنْ جاء بعجلٍ حنيذ ﴾[212] .

وقد أجيب ذلك المصدر الموصوف الجاري مجرى القسم بما يجاب به القسم من اللام والنّون المؤكّدة وهو « لآتينّك » .

النّموذج السّابع عشر : (نَذْرٌ عَلَيَّ)

ومثاله قول الشاعر :

نَذْرٌ عَلَيَّ لئنْ لقيتكَ سالمًا ... أنْ يستمرَّ بها شِفَارُ الجازرِ[213]

فقوله : « نذرٌ عليَّ » نُزّل منزلة القسم لإفادته التّوكيد والتّشديد والإيجاب وإلزام النّفس بأمر لا مناص لها منه إلاّ بالوفاء به . وهذه الإفادة محصّلة من ضمّ المسند إليه (نذر) إلى المسند (عليّ) على وجه يصبحان به كالكلمة الواحدة ، كأنّ الحالف قال : واللّه . وقد وطّأت اللام في (لئن) لهذا التّعبير الجاري مجرى القسم ، إلاّ أنّ جوابه محذوف ، وتقديره : ليكوننَّ أمر هو أنْ يستمرّ ... فتصبح الجملة الفعليّة « أنْ يستمرَّ بها شفار الجازر » في موضع رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره : (هو) .

سادسًا – دلالة حروف القسم :

النّموذج الأوّل : (واو القسم والمقسم به)

البدء بواو القسم في القرآن الكريم :

تقـــول بنت الشّـــاطىء : « والأصل في الواو أن تـأتي فـي دَرج الكلام للرّبط والعطف ، فإذا جاءت للقسم فإنّ لها الصّدارة ، في مقام التّوثيق لما يسبق إنكاره ، أو الإقرار والشّهادة . وقد اتّجه بها المفسّرون ، أو جمهرتهم فيما أعلم ، إلى تعظيم المقسم به ، ثمّ مضوا يلتمسون وجه العظمة في المقسم به بالواو . وأكثر ما ذكروه من ذلك يدخل في الحكمة وهي تختلف تمامًا عن العظمة : فما من شيء في الكون خُلِق عبثًا ، وكلّ ما خلقه اللّه ، خلقه لحكمة ظاهرة لنا أو خفيّة علينا ، وأمّا العظمة فلا يهون القول بها لمجرّد لمح وجهٍ لظاهر الحكمة في المقسم به ، بعد هذه الواو . ثمّ إنّهم غالبًا ، لم يراعوا القيد في المقسم به : ففي الضّحى مثلاً تحدّثوا عن عظمة الضّياء ، وليس مقصورًا على وقت الضّحى ، بل لعلّه في الظّهيرة أقوى ...

وفي الليل إذا سجى ، تحدّثوا عن عظمة الليل مطلق الليل ، وهو في الآية مقيّد بـ « إذا سجى » وجاء في آيات أخرى مقيّدًا بـ : إذا عسعس ، إذا يغشى ، إذا يسري ، إذ أدبر ...

وفي آية النّجم ، تحدّثوا عن عظمة النّجم ، وهو في الآية مقيّد بـ : إذا هوى . واضطربوا كذلك في ربط القسم بهذه الواو ، بجواب قسمه : فأين الصّلة بين عظمة العاديات ضبحًا ، وبين كنود الإنسان لربّه ، وبعثرة ما في القبور ؟ وما معقد الصّلة بين عظمة الليل إذا يغشى والنّهار إذا تجلّى ، وبين : ﴿ إنّ سعيكم لشتّى ﴾ ؟ أو بين عظمة النّجم إذا هوى ، و ﴿ ما ضلّ صاحبكم وما غوى ﴾ ؟

وقبل ذلك ما السّرّ البيانيّ لهذا البدء بواو القسم ؟ وهل كان العربيّ الأصيل في

عصـــــر المبعث لا يجد فرقًا بين الآيـــات : ﴿ والضّحى والليل إذا سجى ﴾[214] ﴿ والليل إذا يغشى والنّهار إذا تجلّى ﴾[215] ﴿ والنّجم إذا هوى ﴾[216] ...

وبين مألوف التّعبير بصريح القسم : أقسم بالضّحى ، وبالليل إذا سجى ، وأقسم بالنّجم إذا هوى ؟ ...

إنّ التّعظيم الذي لفتهم من واو القسم ، يتحقّق مثله بصريح لفظ القسم ، فهل العدول عن : أقسم بالنّجم ، إلى « والنّجم » لا يعطي أي ملحظ بيانيّ ؟ ...

فإذا كان القصد إلى إعظامها ، فما وجه إيثارها بهذا الاستهلال ، وليس في القرآن كلّه ، سورة مفتتحة بالواو مع اسم من أسماء اللّه الحسنى ، وأين من عظمته تعالى عظمة مخلوقاته ؟ ولا مجال لأن نقيس بعظمة اللّه ، عظمة التّين والزّيتون ، والعاديات ضبحًا ، والنّجم إذا هوى ... »[217] .

وقد خلصت بنت الشّاطىء من تدبّرها لهذه الظّاهرة الأسلوبية في البيان القرآنيّ إلى هذه النّتيجة الباهرة :

« والذي اطمأننت إليه بعد طول التّدبّر لسياقها في الآيات المستهلّة بالواو ، هو أنّ هذه الواو قد خرجت عن أصل معناها اللغويّ الأوّل في القسم للتّعظيم ، إلى معنى بلاغيّ ، هو اللّفت بإثارة بالغة إلى حسّيّات مُدركة لا تحتمل أن تكون في موضع جدل ومماراة ، توطئة إيضاحيّة لبيان معنويّاتٍ يُمارى فيها ، أو تقرير غيبياتٍ ليست من الحسّيّات والمدركات »[218] .

قال تعالى : ﴿ والنّجم إذا هوى ما ضلّ صاحبكم وما غوى ﴾[219] .

تقول بنت الشّاطىء : « اللّفت بالواو إلى ظاهرة كونيّة مشهودة ، يراها النّاس في النّجم إذا هوى فيلمحون على الأفق ما يبدو على مدّ البصر من اتّصال بالسّماء بالأرض بخيط من النّور . ظاهرة كونيّة تتكرّر على مرأى منهم ومشهد ، فلا يجدون فيها ما هو موضع جدل أو إنكار ، ففيم العجب وفيم المماراة والإنكار

للظاهرة الغيبيّة المماثلة ، إذْ يتجلّى نور الوحي من الأفق الأعلى فيدنو ويتدلّى حتّى يصل إلى المصطفى على هذه الأرض ؟

﴿ وما ينطق عن الهوى إنْ هو إلاّ وحي يُوحى علّمه شديد القُوى ذو مرّة فاستوى وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ﴾ [220] » [221] .

ثانيًا – قال الرّسول ﷺ : « **فو الذي نفسُ محمّد بيده ، ما بعد الموت من مستعتب ، ولا بعد الدّنيا من دار إلاّ الجنّة أو النّار** » [222] .

نجد في هذا الحديث النّبويّ أنّ أصل المقسم به « والذي نفس محمد بيده » : واللّه . ولكن عدل عن هذا الأصل للتّنصيص على الصّلة بما تحمله من معانٍ ودلالات ولفت إلى أنّ البعث والمعاد ممكن كما كان البدء والإنشاء ممكنًا . وذلك أدلّ على مضمون الجواب ، فاختيرت في المقسم به الصّفة التي تناسب المقسم عليه ، وهي معقد القسم ومجلى دقّته البيانيّة ، ولذلك كان الجواب « ما بعد الموت من مستعتب ... » .

وقد انضمّ مفهوم التّعظيم والإشهاد كما يدلّ على ذلك الموصول ، ومفهوم الإكرام من جهة المقسم به كما تدلّ على ذلك الصّلة ، مع تأكيد القول والجزم به . وقد جاء التّنصيص على الصّلة – بما تثيره من لفت وتنبّه – في الأيمان التّالية :

أ – والذي بعثني بالحقّ .

ب – والذي لا إله غيره .

جـ – والذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة .

وغيرها من الأيمان التي عُدل فيها عن المقسم به على وجه التّصريح به إلى المقسم به ذاته على سبيل الكناية .

ثالثًا – يقول طرفة :

وقــرّبتُ بالقــربى وجــدكَ إنّني مــتى يكُ أمــرٌ للنّكيــثةِ أشــهدِ [223]

فقوله : « وجدك » أي : استحلفك بجَدّك وبختك ، وقد جرى مجرى القسم في إفادة التّوكيد والتّحقيق والتّوثيق ، ولذلك أجيب بما يجاب به القسم وهو « إنّني متى يك أمر للنّكيثة أشهد » . وقد توجّه القسم إلى توكيد الأحداث لا إلى ذواتها ، وقد تمثّل ذلك في جواب الشّرط « أشهد » . وفي إضافة المقسم به إلى ضمير المتكلّم ينضمّ مفهوم الإكرام مع تأكيد القول والفصل به . وقد تعلّق المقسم به بمحذوف وجوبًا ، لكثرة استعمال حرف القسم ، وأصل التّركيب : أقسم وجدك ، إلاّ أنّه عدل عن ذلك الأصل للاستخفاف وكثرة الاستعمال .

النّموذج الثّاني : (تاء القسم والمقسم به)

ومثاله قوله تعالى : ﴿ قالوا تاللّه لقد آثرك اللّه علينا وإنْ كنّا لخاطئين ﴾ [224] .

فقد دخلت تاء القسم في قوله : « تاللّه » على اسم اللّه تعالى في القسم واقعةً على معنى التّعجّب . كأنّهم أقسموا باللّه متعجّبين ومستعظمين إيثار اللّه يوسف عليهم . فقد دخل هذا الحرف الكلام لضرب من الاختصار ، فهو نائب ومغنٍ عمّا هو أكثر منه وهو : التّعجب والاستعظام من التّفضيل والإيثار الإلهيّ .

النّموذج الثّالث : (باء القسم والمقسم به)

ترد باء القسم في الاستعمال العربيّ على ضربين :

أ – في القسم الخبريّ .

ب – في القسم الاستعطافيّ (الطلبيّ) .

قال تعالى : ﴿ قال فبعزّتِكَ لأغوينّهم أجمعين إلاّ عبادكَ منهم المخلَصين ﴾ [225] .

فقوله : « فبعزّتك » معناه : أقسمُ مستعينًا بعزّتك أي : سلطانك وقهرك . وقد

جاء الباء هنا لغير الاستعطاف . وقد أغنى هذا الحرف عن معنى الاستعانة المستفادة من التّركيب الذي ورد ، كما أنّه دلّ على معنى القسم عند حذف فعله . وقد تلقّى القسم باللام والنّون المؤكّدة وهو قوله : « لأغوينّهم أجمعين ... » ، وذلك لورود الباء في القسم الخبريّ .

(ب) قال عنترة :

باللّه ما بالُ الأحبّةِ أعرضتْ عنّا ورامتْ بالفراقِ صدودَها[226] ؟

فقد دخلت الباء في القسم لمعنى الاستعطاف والطّلب ؛ ولذلك كان المقسم عليه مصدّرًا بالاستفهام وهو « ما بالُ الأحبّة أعرضت ... » . وقد يكون القسم الاستعطافيّ متلقيًا بالأمر كقول المجنون :

باللّهِ يا ظَبْيَاتِ القاعِ قُلْنَ لنا ليلايَ منكنَّ أمْ ليلى من البشرِ[227]

وقد يكون المقسم عليه مصدّراً بعد الاستعطاف بالنّهي كقول عنترة :

بحقّ الهوى لا تعذلوني وأقصروا عن اللوم إنّ اللوم ليس بنافع[228]

فالمقسم عليه في القسم الاستعطافيّ لا يصدّر إلاّ بـ (إلاّ) ، أو (لمّا) بمعناها ، أو باستفهام ، أو أمر ، أو نهي[229] . فالاستعطاف مبعثه إمّا جملة المقسم به نحو : نشدتك ، وعمّرتك ، وعمرك اللّه ، وقعدك اللّه – أو جملة المقسم عليه : فالاستفهام طلب الفهم ، والنّهي طلب التّرك ، والأمر طلب .

النّموذج الرّابع : (للّهِ)

ومثاله قول الشّاعر :

للّهِ يبقى على الأيّام ذو حَيَدٍ بمشمخرٍّ به الظّيّانُ والآسُ[230]

فقد دخلت لام القسم في قوله : (للّه) على اسم اللّه تعالى في القسم بمعنى

التّعجّب . وكأنّ الحالف قال : تاللّه . وأصل التّركيب : أقسم باللّه متعجّبًا ، لكنّه عدل عن ذلك للتّنصيص على ذلك الحرف ، وما يفيده من دلالة على القسم عند حذف فعله ، وما يختزله من صفة التّعجّب والاستعظام . ويضاف إلى هذا الاختصار ، حذف (لا) النّافية من « يبقى » وهو حذف غير مشكل بالإيجاب ، وكلاهما – الاختصار والحذف – من ضروب التّخفيف في القسم .

النّموذج الخامس : (مُنْ ربّي) :

ومثاله قول العرب : « **مُنْ ربّي إنّكَ لأشرٌ** »[231] .

فقد دخلتْ (مُنْ) في القسم موصّلة لمعنى الفعل المحذوف وجوبًا ، تكثيرًا للحروف لكثرة استعمال القسم ، وكأنّ الحالف قال : أقسم مُنْ ربّي ، كما يقول : أقسم بربّي ، وقد اختصّت بالدّخول على « ربّي » كما جعلوا ضمّها دلالة على القسم .

النّموذج السّادس : (هَا اللّهِ)

ومثاله قول العرب : « **إيْ هَا اللّه ذا** »[232] .

فقد دخلتْ (ها) التّنبيه الكلام للدّلالة على معنى القسم عوضًا من اللفظ بالواو .

وأصل التّركيب : إيْ واللّه ذا ، فحذفت الواو تخفيفًا على اللسان ، وعوّضتْ منها (ها) .

وأمّا (ذا) فقد تعدّدت آراء النّحويّين فيه :

أوّلاً : ذهب الخليل إلى أنّه المحـــلوف عليه ، أي : واللّه لَلأمـرُ هذا ، فحذف « الأمر » لكثرة استعمالهم هذا في كلامهم[233] .

ثانيًا: ذهب الأخفش إلى أنّه من تمام القسم : إمّا صفة للّه ، أي : اللّهِ الحاضرِ النّاظرِ ، أو مبتدأ محذوف الخبر ، أي : ذا قسمي . وبعد هذا إمّا أن يجيء الجواب أو يحذف مع القرينة[234] .

ثالثًا: ذهب المبرّد إلى أنّه المقسم به ، أي : واللّهِ هذا ما أقسم به . فحذف الخبر لعلم السّامع به[235] .

سابعًا – دلالة أدلّة اليمين عند حذف جملة القسم :

النّموذج الأوّل : (لَقَدْ فَعَلَ)

ومثاله قوله تعالى : ﴿ **ولقدْ ضربنا للنّاسِ في هذا القرآن من كلِّ مَثَلٍ لعلّهم يتذكّرون** ﴾ [236] .

فقوله : ﴿ ولقد ضربنا ﴾ على نيّة قسم محذوف حيث لم تتقدّم جملة قسم . وأصل التّركيب : « ونُقسم لقد ضربنا ... » لكنّ عُدل عن هذا الأصل للتّنصيص على جملة المقسم عليه حيث يتوجّه الاعتناء والاهتمام إليها . وقد دخلت (قدْ) على الماضي لتحقيق وتوكيد مضمون جملة الجواب ، وهي مثل (إنّ) و (اللام) في الجملة الاسميّة .

ومثله قول الرّسول ﷺ : « **لقدْ كان من قبلكم ليمشّط بمشاط الحديد ما دون عظامه مِنْ لحمٍ أو عصبٍ ما يصرفه ذلك عن دينه** » [237] .

وقال الأعشى :

ولقدْ نزلتُ بخير من وَطِيءَ الحصى ... قيس فأثبتَ نعلَهَا وقِبالَهَا

ولقدْ جررتُ إلى الغنى ذا فاقةٍ ... وأصابَ غزوكَ إمَّةً فأزالَهَا [238]

وقال حسّان بن ثابت :

ولقدْ شربتُ الخمرَ في حانوتها ... صهباءَ ، صافيةً ، كطعمِ الفُلفلِ [239]

النّموذج الثّاني : (لَئِنْ فَعَلَ)

ومثاله قوله تعالى : ﴿ **ولئنْ سألتهم منْ خلقَ السّمواتِ والأرضَ لَيقولُنَّ اللّهُ** ﴾ [240] .

فقوله : ﴿ ولئن سألتهم ... ليقولنّ اللّه ﴾ على نيّة قسم محذوف حيث لم تتقدّم جملة قسم . فقد دخلت اللام المؤذنة على (إنْ) الشّرطيّة للإيذان بأنّ الجواب

بعدها وهو « ليقولنّ » مبنيّ على قسم قبلها لا على الشّرط . فقد وطّأت الجواب ومهّدته للقسم المحذوف . وأصل التّركيب – واللّه أعلم – : واللّهِ ليقولنّ اللّهُ ، ولكن عُدل عن ذلك للتّنصيص على اجتماع الشّرط والقسم وما يتمخّض عن ذلك الاجتماع من دلالات ومعان ، فالشّرط يحمل دلالة « التّوقيف » أي أنّ حصول الجواب متوقّف ومعلّق على حصول شرطه ، والقسم مسوق لتوكيد مضمون جوابه .

ومثله قول الرّسول ﷺ : « وإنْ سألني لأعطينّهُ ، ولئنْ استعاذني لأعيذنّهُ »[241] .

وقال عنترة :

فلئنْ بقيتُ لأصنعنَّ عجائبًا ... ولأبكمنَّ بلاغةَ الفصحاءِ[242]

وقال عمر بن أبي ربيعة :

ولئنْ كان ينفعُ القربُ ما أز ... دادُ فيما أراكِ إلاّ خَبالا[243]

النّموذج الثّالث : (لأفعلنّ)

ومثاله قوله تعالى : ﴿ **لتجدنّ أشدّ النّاس عداوةً للذين آمنوا اليهودَ والذين أشركوا ، ولتجدنّ أقربَهم مودّةً للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى** ﴾[244] .

فقوله : ﴿ لتجدنّ ﴾ في الموضعين على نيّة قسم محذوف حيث لم تتقدّم جملة قسم . فمجيء المضارع مصدّرًا باللام مختتمًا بالنّون يحمل دلالة قاطعة على القسم ، وتقديره : واللّه لتجدنّ ، أو لعمرك ... . وقد دخلت لام القسم لتوكيد مضمون جملة المقسم عليه ، وجيء بالنّون لتخليص الفعل للاستقبال المطلوب تحصيله ؛ لأنّ الفعل المستقبل غير موجود ، فإذا أريد حصوله أكّد بالنّون إيذانًا بقوّة العناية بوجوده . وعند حذف القسم تتوجّه العناية والأهميّة للجواب وإثباته لقسمه المحذوف ، وتنصيص على مضمونه على سبيل التّوكيد والتّحقيق .

ومثله قول الرّسول ﷺ : « **وليُتمّنّ اللّهُ هذا الأمرَ حتّى يسيرَ الرّاكبُ من صنعاءَ**

إلى حضرموتَ ما يخافُ إلاّ اللّهَ »[245] .

وقال عنترة :

ولأحمينَّ النّفسَ عن شهواتِها حتّى أرى ذا نمّةٍ ووفاءِ[246]

وقال المسيّب[247] :

فلأهدينّ مع الرّياحِ قصيدةً منّي مغلغلةً إلى القعقاعِ[248]

النّموذج الرّابع : (لَهِنَّ والضّمير)

يقول سيبويه : « وهذه كلمة تَكَلَّمُ بها العربُ في حال اليمين ، وليس كلّ العرب تتكلّم بها ، تقول : لَهِنَّكَ لَرجلُ صِدْقٍ ، فهي إنَّ ولكنّهم أبدلوا الهاء مكان الألف كقوله : هَرَقْتُ ، ولَحقت هذه اللامُ إنَّ كما لحقت ما حين قلت : إنّ زيدًا لَمَا لَينطلقنَّ ، [فلحقت إنّ اللامُ في اليمين كما لحقت ما] فاللام الأولى في لهنّك لام اليمين ، والثّانية لام إنَّ . وفي لَما لَينطلقنَّ ، اللام الأولى لإنَّ ، والثّانية لليمين . والدّليل على ذلك النّون التي معها [كما أنّ اللام الثّانية في قولك : إنّ زيداً لَمَا لَيفعلنَّ لام اليمين] ، وقد يجوز في الشّعر : أشهد إنّ زيدًا ذاهبٌ ، يشبّهها بقوله : واللّه إنّه لذاهب ؛ لأنّ معناها معنى اليمين ، كما أنّه لو قال : أشهدُ أنت ذاهب ولم يذكر اللام لم يكن إلاّ ابتداء ، وهو قبيح ضعيف إلاّ باللام »[249] .

ويقول الرّضيّ : « واعلم أنّ من العرب من يقول : لهنّك لرجل صدق ، قال :

أبائنةٌ حُبّى ؟ نعم وتُماضِرُ لَهِنًّا لمقضيٌّ علينا التّهاجرُ

وقال :

لَهِنّي لأشقى النّاسِ إنْ كنتُ غارمًا لدومةَ بكرًا ضيّعته الأراقمُ

وقد تحذف اللام وهو قليل ، كقوله :

الا يا سنا برق على قُلل الحمى لهنّك من برق عليٌّ كريمُ[250]

وفيه ثلاثة مذاهب :

أحدها : لسيبويه ، وهو أنّ الهاء بدل من همزة (إنّ) كإيّاك وهيّاك ، فلمّا غُيِّرت صورة (إنّ) بقلب همزتها هاء ، جاز مجامعة اللام إيّاها بعد الامتناع .

والثّاني: قول الفرّاء ، وهو أنّ أصله : واللّه إنّك ، كما رُوي عن أبي أدهم الكلابيّ : « لَهِ ربّي لا أقول ذلك » بقصر اللام ثم حذف حرف الجرّ ، كما يقال : اللّهِ لأفعلنّ ، وحذف لام التّعريف أيضًا ، كما يقال : لاهِ أبوك ، ثم حذف ألف « فِعال » كما يحذف من الممدود إذا قُصر ، كما يقال : الحصاد والحصد ، ... ثمّ حذفت همزة « إنّك » وفيما قال : تكلّفات كثيرة .

والثّالث: ما حكى المفضّل بن سلمة[251] عن بعضهم أنّ أصله : للّهِ إنّك ، واللام للقسم ، فعُمِل به ما عُمِل في مذهب الفرّاء . وقول الفرّاء أقرب من هذا ؛ لأنّه يقال : لهنّك لقائم ، بلا تعجّب »[252] .

هوامش المبحث الثّالث

1) سورة : الواقعة . آية : 75-77 .

2) المحتسب (309:2) .

3) تفسير الكشّاف (468:4) .

4) شرح الكافية الشّافية (853:2) .

5) سورة : القيامة . الآيتان : 1-2 .

6) معاني القرآن (207:3) .

7) المحتسب (341:2) .

8) أمالي ابن الشّجريّ (143:2) .

9) شرح المفصّل (136:8) .

10) مغني اللبيب (249:1) .

11) التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم (165:1-166) .

12) سورة : النساء . آية : 65 .

13) تفسير الكشّاف (528:1) .

14) مجمع البيان (146:5) .

15) البيان في غريب إعراب القرآن (285:1) .

16) التّبيان في إعراب القرآن (369:1) .

17) شرح الكافية (436:4) .

18) انظر : أيمان العرب في الجاهليّة (ص 26,23,22,19,16) .

19) ديوان الأعشى (ص 237) .

20) ديوان حاتم الطّائيّ (ص 54) .

21) صحيح البخاريّ : باب كيف كانت يمين النّبيّ ﷺ (149:4) .

22) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 745) .

الدّهمـاء : السّـوداء شـديدة الظلمـة ، وكـشـر : بَسَمَ ، وأصله من الكشف ، التّكشّر : التّبسّم بحيث تبدو الأسنان . والأغرّ الواضح . وقد أقسم باللّه الذي يُبقي الإنسـان طول الليل إلى أن يصبح . وعبّر عن طلوع الصّبح بتبسّم الليل المظلم ، وظهور طلعة الفجر الذي يمثّل سلسـلة الأسنان البيضاء .

23) ديوان حسّان بن ثابت (ص 33) .

24) شرح ديوان الحماسة (346:2) .

25) الكتاب (122:3) .

26) تفسير الكشّاف (62:1) .

27) أمالي ابن الشّجريّ (296:2) .

28) شرح المفصّل (115:8) .

29) شرح الكافية (421:4) .

30) مغني اللبيب (55-54:1) .

البيت قـائله : أبو صخـر الهذلي شاعـر إسلاميّ أمـويّ . انظر : شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (2 : 66) وشرح شواهد المغني للسيوطي (1 : 169) .

31) ديوان حاتم الطّائيّ (ص 76) .

32) صحيح البخاري : باب كيف كانت يمين النّبي ﷺ (149:4) .

33) إرشاد القلوب (ص 34) .

لم أعثر على هذا الحديث في كتب الصّحاح ولا المسانيد .

انظر : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبويّ (مادّة ودد) و (مادّة لحق) .

34) موطّأ الإمام مالك (ص 705) .

35) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 137) .

بنو فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة : حيّ مشهور بالشّجاعة .

36) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 507) .

37) المصدر السّابق نفسه (ص 108) .

38) إعجاز القرآن للباقلاني (ص 192) .

39) ديوان حسّان بن ثابت (ص 184) .

40) مغني اللبيب (300:1) .

41) معاني الحروف (ص 131) .

42) الإنصاف في مسائل الخلاف (400:1) .

43) التّبيان في إعراب القرآن (881:2) .

44) شرح الكافية (478:4) .

45) مغني اللبيب (212:1) .

46) **أبو حاتم** : هو سهل بن محمّد بن عثمان بن القاسم أبو حاتم السّجستانيّ البصريّ ، كان إمامًا في غريب القرآن واللغة والشّعر . أخذ عن أبي زيد الأنصاري والأصمعيّ ، وقرأ كتاب سيبويه على الأخفش مرّتين . وأخذ عنه المبرّد وابن دريد وغيرهما . له من المصنّفات : إعراب القرآن ، والإدغام ، والقراءات ، وما تلحن فيه العامّة ، والمقصور والممدود ، وغير ذلك . توفيّ سنة 255 هـ . انظر : معجم الأدباء لياقوت الحمويّ (403:3-404) وبغية الوعاة للسّيوطيّ (606:1) .

47) **النّضر بن شميل** : هو النّضر بن شميل بن خَرشة بن يزيد بن كلثوم التّميميّ النّحويّ اللغويّ الأديب . ولد بمرو ، ونشأ بالبصرة ، وأخذ عن الخليل بن أحمد ، وأقام بالبادية زمنًا طويلاً فأخذ عن فصحاء العرب . وهو ثقة حجّة احتجّوا به في الصّحاح . ولمّا ضاقت عليه الأسباب في البصرة عزم على الخروج إلى خراسان فشيّعه من أهل البصرة نحو ثلاثة آلاف من المحدّثين والفقهاء واللغويين والنّحاة والأدباء . له من التّصانيف : الصّفات في اللغة ، غريب الحديث ، المدخل إلى كتاب العين ، وغير ذلك .

توفّي سنة 204 هـ . انظر : معجم الأدباء لياقوت الحموي (5:563-566) وبغية الوعاة للسّيوطيّ (2:316-317) .

48) مغني اللبيب (1 : 213) .

49) سورة : المدّثّر . آية : 32-35 .

50) تفسير الكشّاف (4:653) .

51) المفردات (ص 441) .

52) مجمع البيان (29:116) .

53) سورة : الهمزة . آية 4 - 5 .

54) تفسير الكشّاف (4:796) .

55) مجمع البيان (30:231) .

56) شرح الكافية (4:319) .

57) سورة : العلق . آية : 15 .

58) تفسير الكشّاف (4:777) .

59) مجمع البيان (30:188) .

60) صحيح البخاري : باب هل يدخل في الأيمان والنّذور الأرض (4:160) .

61) شرح نهج البلاغة لمحمد عبده (ص 180) .

62) المصدر السّابق نفسه (ص 193) .

الويل : الهلكة ، وقيل : شدّة الشّرّ ، وقيل : كلمة تفجّع ، وقيل : كلمة للتّعجّب واستعظام الأمر . وكَيلاً : أي أنا أكيل لكم العلم والحكمة كيلاً بغير جزاء ، والمقصود بالوعاء : حامل العلم .

63) تفسير البحر المحيط (7:393) .

64) ديوان الأعشى (ص 281) .

65) ديوان حسّان بن ثابت (ص 66) .

66) الكتاب (234:4) .

67) معاني القرآن (52:1) .

68) التّبيان في إعراب القرآن (82:1) .

69) مغني اللبيب (131:1) .

70) سورة : التّغابن . آية : 7 .

71) سورة : القيامة . آية : 3 .

72) سورة : الملك . آية : 8 - 9 .

73) أمالي ابن الشّجريّ (230:1) .

74) سورة : الأنعام . آية : 30 .

75) سورة : سبأ . آية : 3 .

76) تفسير الكشّاف (566:3) .

77) سورة : الأحقاف . آية : 34 .

78) سورة : التّغابن . آية : 7 .

79) تفسير الكشّاف (548:4) .

80) تفسير البحر المحيط (8 : 274) .

81) صحيح البخاريّ : باب ما جاء في وصف الجنّة (218:2) .

82) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 107) .

الطّائفة النّاكثة : هم أصحاب الجمل . والطّائفة المارقة : أصحاب النّهروان وهم الخوارج . والطّائفة القاسطة : أصحاب صفّين .

83) شرح ديوان الحماسة (378:1) .

84) المصدر السّابق نفسه (100:2) .

85) سورة : يونس . آية : 53 .

86) المقتضب (330:2) .

87) شرح المفصّل (124:8) .

88) شرح الكافية (430:4) .

89) مغني اللبيب (89:1) .

90) سورة : يونس . آية : 53 .

91) تفسير الكشّاف (352:2) .

92) المفردات (ص 34) .

93) تفسير البحر المحيط (5 : 167) .

94) بحار الأنوار (73:51) .

لم أعثر على هذا الحديث في كتب الصّحاح ولا المسانيد .

انظر : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النّبويّ (مادّة غيب) و (مادّة ربب) .

95) شرح المفصّل (124:8) .

96) شرح الكافية (431:4) .

97) مغني اللبيب (20:1) .

98) البيان والتّبيين (394:1) .

99) المصدر السّابق نفسه (395:1) .

100) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 675) .

101) انظر : الخصائص (342:1) .

102) انظر : المحتسب (341:2) ومغني اللبيب (797:2) .

103) ديوان حاتم الطّائيّ (ص 29) .

104) انظر : شرح الكافية للرّضيّ (141:2) .

105) انظر هامش الكتاب (106:3) .

106) ديوان امرىء القيس (ص 125) .

107) انظر : شرح جمل الزّجّاجيّ (527:1) .

108) سورة : التّوبة . آية : 107 .

109) تفسير البحر المحيط(213:8).

110) ديوان النّابغة الذّبيانيّ (ص 18) .

111) إمعان في أقسام القرآن (ص 57) .

112) التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم (166:1-168) .

113) الكتاب (38:1) .

114) أيمان العرب في الجاهليّة (ص 38) .

115) سورة : البقرة . آية : 226 .

116) تفسير الكشّاف (268:1-269) .

يقول ابن هشام : « قد يُشربون لفظًا معنى لفظ فيعطونه حكمه ، ويسمّى ذلك تضمينًا . وفائدته : أن تؤدّي كلمة مؤدّى كلمتين » . ويذهب عباس حسن إلى أنّ التّضمين « هو أن يؤدّي فعل – أو ما في معناه – مؤدّى فعل آخر أو ما في معناه ، فيُعطى حكمه في التّعدية واللّزوم » . ومجمع اللغة العربيّة يرى أنّه قياسيّ لا سماعيّ ، بشروط ثلاثة :

الأوّل : تحقّق المناسبة بين الفعلين .

الثّاني : وجود قرينة تدلّ على ملاحظة الفعل الآخر ، ويُؤمن معها اللّبس .

الثّالث : ملاءمة التّضمين للذّوق العربيّ .

انظر : مغني اللبيب (791:2) والنّحو الوافي (159:2) .

117) مغني اللبيب (792:2) .

118) البرهان في علوم القرآن (388:3)

119) لسان العرب : مادة (أ ل ت) (106:1) .

120) سورة : المنافقون . آية : 1 .

121) سورة : المنافقون . آية : 1 .

122) انظر : الهامش (66) من المبحث الأوّل .

123) شرح شواهد المغني للسّيوطيّ (2 : 828 - 829) .

124) انظر : شرح جمل الزّجّاجيّ (531:1) ومغني اللبيب (461:2) .

125) سورة : البقرة . آية : 84 .

126) شرح المعلّقات العشر للزّوزنيّ (ص 220-221) .

127) سورة : يوسف . آية : 80 .

128) مجمع البيان (102:4) .

129) الكتاب (106:3) .

130) المسائل الحلبيّات (ص 267) .

131) شرح الكافية الشّافية (869:2) .

132) سورة : الأعراف . آية : 140 .

133) سورة : يس . آية : 32 .

134) شرح الكافية (140:2-141) .

135) سورة : التّوبة . آية : 32 .

136) معاني القرآن (433:1) .

137) تفسير البحر المحيط (304:1) .

138) المصدر السّابق نفسه (304:1) .

139) انظر : شرح جمل الزّجّاجيّ (531:1) وتفسير البحر المحيط (304:1) .

140) ديوان النّابغة الذّبيانيّ (ص 85) .

141) انظر : شرح الكافية الشّافية (271:1) وشرح شذور الذّهب (ص 122) .

اللغة : الشُمُّ : جمع أشمّ وهو استواء قصبة الأنف مع ارتفاع يسير في أرنبته ، والعرب تعدّ ذلك من علامات السّؤدد في الرّجال . والألاء : بمعنى الذين . والقين : الحدّاد . صقالها : صنعتها .

المعنى : يصف الشّاعر قوماً بأنّ اللّه تعالى عصمهم من فعل السّوء ، وجنّبهم صفات الشّرّ ، فيقول : لقد أبى اللّه تعالى لهؤلاء النّاس ذوي السّؤدد والمكارم أن يأتوا منكراً ، أو يفعلوا فعلاً يلامون عليه .

142) سورة : الأحزاب . آية : 15 .

143) تفسير البحرالمحيط (213:7) .

144) لسان العرب (1 : 356) .

145) سورة : المجادلة . آية : 21 .

146) تفسير البحر المحيط (263:8) .

147) شرح الكافية للرّضيّ (140:2) .

148) سورة : الأعراف . آية : 167 .

149) تفسير الكشّاف (173:2) .

150) ديوان جرير (ص 406) .

151) انظر : ديوان الأحوص الأنصاري (ص 152) .

152) المصدر السّابق نفسه (869:2) .

153) سورة : هود . آية : 119 .

154) تفسير البحر المحيط (273:5) .

155) انظر : معجم مقاييس اللغة (97:2) ولسان العرب (963:2) .

ألقى بلطاته : أي بثقله . ولا أريم : لا أبرح .

156) سورة : النّور . آية : 55 .

157) تفسير الكشّاف (251:3) .

158) سورة : يوسف . آية : 35 .

159) معاني القرآن (44:2) .

160) مغني اللبيب (461:2) .

161) المصدر السّابق نفسه (469:2) .

162) انظر : الكتاب (1 : 165) والخصائص (355:2) .

قائله : زهير بن أبي سلمى .

163) سورة : الإسراء . آية : 4 .

164) تفسير الكشّاف (649:2) .

165) تفسير البحر المحيط (8:6) .

166) شرح الكافية الشّافية (858:2) .

لم أجد هذا الحديث في كتب الصّحاح ولا المسانيد .

انظر : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النّبوي (مادّة خوف) و (مادّة درد) .

167) المصدر السّابق نفسه (858:2) .

168) لسان العرب : مادّة (س ب أ) (1908:3) .

169) البرهان في علوم القرآن (50:3) .

170) لسان العرب ، مادّة (س م ط) (2094:3) .

171) أيمان العرب في الجاهليّة (ص 28) .

172) المصدر السّابق نفسه (ص 31) .

173) انظر : ديوان مهلهل بن ربيعة (ص 21) .

174) شرح الكافية الشّافية (858:2) . وانظر : الهامش (86) من المبحث الأوّل .

175) ديوان النّابغة الذّبيانيّ (ص 65) .

176) شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (51:1) .

177) ديوان امرىء القيس (ص 125) .

178) شرح المعلّقات العشر للزّوزنيّ (ص 140) .

179) ديوان عنترة (ص 121) .

180) الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 280) .

181) شرح الكافية الشّافية (854:2) .

182) ديوان النّابغة الذّبيانيّ (ص 83) .

183) انظر : إمعان في أقسام القرآن (ص 24-25) .

184) سورة : الحجر . آية : 72 .

185) انظر : إمعان في أقسام القرآن (ص 25) .

186) ديوان عمر بن أبي ربيعة (ص 416) .

187) انظر : شرح الكافية للرّضيّ (313-311:1) وهامش المقتضب (327:2) .

188) شرح الكافية الشّافية (871:2) .

189) ديوان الأخطل (ص 237) .

190) سورة : النّحل . آية : 62 .

191) هامش المقتضب (351:2) .

192) ارتشاف الضّرب (312:3) .

193) المقتضب (325:2) .

194) ديوان الفرزدق (ص 654) .

195) انظر : شرح الكافية للرّضيّ (313-311:1) وهامش المقتضب (327:2) .

196) شرح الكافية الشّافية (882:2) .

197) ديوان عمر بن أبي ربيعة (ص 131) .

198) تفسير الكشّاف (248:2) .

199) ديوان الأعشى (ص 275) .

(200) الكتاب (498:3) .

(201) لسان العرب : مادّة (ح ر م) (850:2) .

(202) سورة : الأنبياء . آية : 95 .

(203) انظر : مجمع البيان (58:17) .

(204) المصدر السّابق نفسه (58:17) .

(205) الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 296) .

(206) شرح الكافية الشّافية (856:2) .

(207) أيمان العرب في الجاهليّة (ص 28) .

(208) المصدرالسّابق نفسه (ص 35) .

(209) شرح الكافية الشّافية (855:2) . وانظر : الهامش (139) من المبحث الأوّل .

(210) معاني القرآن للفرّاء (412:2) .

(211) تفسير البحر المحيط (242:5) .

(212) سورة : هود . آية : 69 .

(213) أساليب القسم في اللغة العربيّة (ص 90) .

(214) سورة : الضّحى . آية : 1-2 .

(215) سورة : الليل . آية : 1-2 .

(216) سورة : النّجم . آية : 1 .

(217) الإعجاز البيانيّ للقرآن (ص 244-246) .

(218) المصدر السّابق نفسه (ص 248) .

(219) سورة : النّجم . آية : 1 - 2 .

(220) سورة : النّجم . آية : 3 - 12 .

(221) الإعجاز البيانيّ للقرآن (ص 250 - 251) .

(222) البيان والتّبيين (1 - 303) .

لم أجد هذا الحديث في كتب الصّحاح ولا المسانيد .

انظر : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النّبوي (مادة عتب) .

(223) شرح المعلّقات العشر للزّوزنيّ (ص 116) .

(224) سورة : يوسف . آية : 91 .

(225) سورة : ص . آية : 82 - 83 .

(226) ديوان عنترة (ص 53) .

(227) انظر : شرح شواهد المغني للسّيوطيّ (2 : 962) .

(228) ديوان عنترة (ص 79) .

(229) شرح الكافية الشّافية (2 : 869) .

(230) انظر : المقتضب (2 : 323) وإيضاح الشّعر (ص 66) وأمالي ابن الشّجريّ (2 : 140) وشرح المفصّل (9 - 99) ومغني اللبيب (1 : 214) .

(231) الكتاب (3 : 499) .

(232) المصدر السّابق نفسه (3 : 499) .

(233) انظر : المصدر السّابق نفسه (3 : 499) .

(234) انظر : شرح الكافية للرّضيّ (4 : 303) .

(235) انظر : المقتضب (2 : 321) .

(236) سورة : الزّمر . آية : 27 .

(237) صحيح البخاري : باب ما لقي النّبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكّة (2 : 321) .

(238) ديوان الأعشى (ص 79 و 83) .

النّعل : ما يلبس ليقي الرّجل . والقِبال : السّير الذي تشدّ به بين الإصبع الوسطى والتي تليها ، وهو الشّسع . والإمّة : النّعمة .

(239) ديوان حسّان بن ثابت (ص 180) .

(240) سورة : الزّمر . آية : 38 .

(241) صحيح البخاريّ : باب التّواضع (4 : 129) .

(242) ديوان عنترة (ص 9) .

(243) ديوان عمر بن أبي ربيعة (ص 304) .

(244) سورة : المائدة . آية : 82 .

(245) صحيح البخاريّ : باب ما لقي النّبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكّة (2 : 321) .

(246) ديوان عنترة (ص 8) .

(247) **المسيّب بن علس** : وهو زهير بن علس ، والمسيّب لقبه . شاعر جاهليّ ، من بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار ، يكنّى أبا الفضّة . وهو خال الأعشى ، أعشى قيس . وكان الأعشى راويته ، وكان امتدح بعض الأعاجم فأعطاه ثم أتى عدوًا له من الأعاجم يسأله فسمّه فمات ولا عقب له . انظر : الشّعر والشّعراء لابن قتيبة (ص 100) وشرح شواهد المغني للسّيوطيّ (1 : 110 - 111) .

(248) شرح اختيارات المفضّل للتّبريزيّ (1 : 314) .

(249) الكتاب (3 : 150) .

(250) قائله : محمد بن مسلمة . أمّا البيتان السّابقان فقائلهما مجهول .
انظر : هامش الإنصاف في مسائل الخلاف (1 : 211) .

(251) **المفضّل بن سلمة** : هو المفضّل بن سلمة بن عاصم أبو طالب اللّغويّ النّحويّ . كان لغويًا نحويًا كوفيّ المذهب . أخذ عن أبيه ، وعن عبدالله بن الأعرابيّ ، وأبي العبّاس ثعلب ، وابن السكّيت وغيرهم ، وخالف طريقة أبيه . وله كتب كثيرة منها : كتاب الخطّ والقلم ، والاشتقاق ، والبارع في اللغة ، وضياء القلوب في معاني القرآن ، وغير ذلك . انظر : معجم الأدباء لياقوت الحمويّ (5 : 514) وبغية الوعاة للسّيوطيّ (2 : 296 - 297) .

(252) شرح الكافية (4 : 362 - 363) .

المبحث الرّابع
الدّلالة الأسلوبيّة (البلاغيّة)

ونعني بالدّلالة الأسلوبيّة الدّلالة البلاغيّة المتمثّلة في التّشبية والاستعارة والكناية ، والدّلالات المعنويّة للتّراكيب القسميّة مثل الحذف ، والتّقديم والتّأخير ، كما تشمل أيضاً أنواع البديع كالسّجع والمقابلة وغيرها .

وفي الدّلالة البلاغيّة نجد أنّ أسلوب القسم يخرج إلى معانٍ بيانيّة وملاحظ بلاغيّة ذات تأثير وجدانيّ ، وذلك على نحو ما تخرج أساليب الأمر والنهي والاستفهام عندما يعدل فيها عن أصل استعمالها الأوّل إلى استعمال بلاغيّ . وقد أشار علماء اللغة والبلاغة إلى بعض الأغراض العامّة التي تُجنى في حال العدل من الدّلالة الحقيقيّة إلى الدّلالة البلاغيّة : يقول ابن جنّي في باب الفرق بين الحقيقة والمجاز : « الحقيقة ما أقرّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة ، والمجاز ما كان بضدّ ذلك . وإنّما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعانٍ ثلاثة ، وهي : الاتّساع ، والتّوكيد ، والتّشبيه ، فإن عُدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتّة »[1] . ولا شكّ أنّ ابن جنّى يقصد بالمجاز هنا الاستعارة وأخواتها لقوله : « ... لكان ذلك مجازاً واستعارة ؛ لما فيه من الاتّساع والتّوكيد والتّشبيه ، على ما مضى »[2] .

ويقول ابو هلال العسكريّ في الاستعارة والمجاز : « الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض . وذلك الغرض :

- إمّا أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه .
- أو تأكيده والمبالغة فيه .
- أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ .
- أو يحسّن المعرض الذي يبرز فيه .

وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة . ولولا أنّ الاستعارة المصيبة تتضمّن ما لا تتضمّنه الحقيقة من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالاً ، والشّاهد على أنّ للاستعارة المصيبة من الموقع ما ليس للحقيقة أنّ قول اللّه تعالى : ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾[3] ، أبلغ وأحسن وأدخل ممّا قصد له من قوله لو قال : يوم يُكشف عن شدّة الأمر – وإن كان المعنيان واحداً »[4] . « ولا بدّ لكل استعارة ومجاز من حقيقة وهي أصل الدّلالة على المعنى في اللغة »[5] . وهذه الأغراض تستفاد من بعض التّعبيرات البلاغيّة . أمّا القسم فينفرد بحلّة مميّزة ، وما أكثر نماذجه الملأى بالدّلالات البيانيّة والمعاني البلاغيّة التي يقف فيها الفكر جائلاً متأمّلاً ! وستكون محاور الدّلالة البلاغيّة على النّحو الآتي :

أولاً : من علم البيان : الاستعارة والكناية والتّشبيه ، مجلّياً بذلك المناسبة والصّلة بين المقسم به والمقسم عليه التي هي معقد القسم ومجلى دقّته البيانيّة .

ثانياً : من علم المعاني : الحذف ، وسيتناول الباحث حذف المقسم عليه في القرآن الكريم .

ثالثاً : من علم البديع : المطابقة والمقابلة ، والسّجع .

أوّلاً : بلاغة الاستعارة والتّشبيه والكناية ، في أسلوب القسم :

(أ) النّماذج القسميّة ذات البلاغة المؤثّرة والمصوّرة التي وردت في القرآن الكريم :

(1) قال تعالى : ﴿ والضّحى والليل إذا سجى ما وَدّعكَ ربُّكَ وما قلى ﴾ [6] .

إنّ حاصل التّشبيه المستوحى من القسم بـ (الضّحى ، واللّيل) يتمثّل في نور الضّحى بعد ظلمة الليل بنور الوحي بعد ظلمة الجاهليّة . ووجه الشّبه الجامع بينهما الهداية بعد الغواية ، والأنس بعد الوحشة . يقول ابن القيّم : « تأمّل مطابقة هذا القسم ، وهو نور الضّحى الذي يوافي بعد ظلام الليل للمقسم عليه ، وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه ، حتّى قال أعداؤه : ودّع محمداً ربّه . فأقسم بضوء النّهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه . وأيضاً فإنّ فالق ظلمة الليل عن ضوء النّهار هو الذي فلق ظلمة الجهل والشّرك بنور الوحي والنّبوّة . فهذان للحسّ وهذان للعقل . وأيضاً فإنّ الذي اقتضت رحمته أن لا يترك عباده في ظلمة الليل سرمدًا ، بل هداهم بضوء النّهار إلى مصالحهم ومعايشهم ، لا يليق به أنْ يتركهم في ظلمة الجهل والغيّ ، بل يهديهم بنور الوحي والنّبوّة إلى مصالح دنياهم وآخرتهم . فتأمّل حسن ارتباط المقسم به بالمقسم عليه ، وتأمّل هذه الجزالة والرّونق الذي على هذه الألفاظ ، والجلالة التي على معانيها » [7] .

تقول بنت الشّاطىء : « فالقسم بالواو في مثل (والضّحى) غالباً ، أسلوب بلاغيّ لبيان المعاني بالمدركات الحسّيّة . وما يُلمَح فيه من الإعظام ، إنّما يُقصد به إلى قوّة اللّفت . واختيار المقسم به تراعى فيه الصّفة التي تناسب الموقف . وحين نتتبّع أقسام القرآن في مثل آية الضّحى ، نجدها تأتي لافتة

إلى صورة ماديّة مُدركة وواقع مشهود ، توطئةٌ بيانيّة لصورة أخرى معنويّة مماثلة ، غير مشهودة ولا مُدركة .... المقسم به في آيتي الضّحى ، صورة ماديّة وواقع حسّيّ ، يشهد به النّاسُ في كلّ يوم تألّق الضّوء في ضحوة النّهار ، ثم فتور الليل إذا سجا وسكن . دون أنْ يختلّ نظام الكون أو يكون في توارد الحالين عليه ما يبعث على إنكار ، بل دون أنْ يخطر على بال أحد ، أنّ السّماء قد تخلّت عن الأرض وأسلمتها إلى الظّلمة والوحشة ، بعد تألّق الضّوء في ضحى النّهار ، فأيّ عجب في أنْ يجيء ، بعد أنس الوحي وتجلّي نوره على المصطفى ﷺ ، فترة سكون يفتر فيها الوحي ، على نحو ما نشهد من الليل السّاجي يوافي بعد الضّحى المتألّق ! ... وقد قلنا في القسم بالضّحى والليل إذا سجا : إنّه بيان لصورة حسّيّة ، وواقع مشهود ، يمهّد لموقف مماثل ، غير حسّيّ ولا مشهود ، هو فتور الوحي بعد إشراقه وتجلّيه »[8] . وبهذا يتّضح أنّ الصّلة بين المقسم به والمقسم عليه هي معقد القسم ومجلى لفتته البيانيّة .

(2) قال تعالى : ﴿ والصّبح إذا تنفّسَ إنّه لقولُ رسولٍ كريم ﴾[9] .

فقد شبّه انتشار وخروج ضوء الصّبح من جوف الليل المظلم ، بخروج النّفس من جوف إنسان مكروب محزون ووجه الشّبه يتمثّل في الانجلاء والاسترواح . وإنّما وردت تلك الاستعارة في أسلوب القسم تحقيقًا للمبالغة في التّشبيه ، بما تحمل من لمعة بيانيّة يتجلّى سرّها الجماليّ في التّشخيص .

يقول أبو هلال العسكريّ : « حقيقته إذا انتشر ... وتنفّس أبلغ لما فيه من بيان الرّوح عن النّفس عند إضاءة الصّبح لأنّ لليل كربًا وللصّبح تفرّجًا . والرّاحة التي يجدها الإنسان عند التّنفّس محسوسة »[10] . ويقول الشّريف الرّضيّ[11] : « وهذه من الاستعارات العجيبة . والتّنفّس ههنا عبارة عن

خروج ضوء الصّبح من غموم غسق الليل . فكأنّه متنفّس من كرب ، أو متروِّح من همّ ، ومن ذلك قولهم : قد نُفِّس عن فلان الخناق أي : انجلى كربه ، وانفسح قلبه »[12] . وقال الزّمخشريّ : « فإنْ قلت : ما معنى تنفّس الصّبح ؟ قلت : إذا أقبل الصّبح أقبل بإقباله رَوح ونسيم . فجعل ذلك نفسًا له على المجاز »[13] . وقال الزّركشيّ : « وحقيقته بدأ انتشاره و « تنفّس » أبلغ ؛ فإنّ ظهور الأنوار في المشرق من أشعة الشّمس قليلاً قليلاً ، بينه وبين إخراج النّفس مشاركة شديدة »[14] .

وشبيه بهذه الاستعارة القسميّة قوله تعالى : ﴿ **والصّبح إذا أسْفَرَ** ﴾[15] .

يقول الشّريف الرّضيّ : « وهذه استعارة ، والمراد بها انكشاف الصّبح بعد استتاره ، ووضوحه بعد التباسه ، تشبيهًا بالرّجل المُسْفِر الذي قد حطّ لثامه ، فظهرت مجالي وجهه ، ومعالم صورته »[16] . وهكذا شبّه الصّبح الذي يطرح الظّلمة عن وجهه ، بإنسان يطرح اللّثام ويكشف الغطاء عن وجهه . فانحسار الظّلام شبيه بانحسار اللّثام ، وحذف المشبّه به ودلّ عليه بشيء من لوازمه وهو « أسفر » على سبيل الاستعارة المكنيّة . ووجه الشّبه هو الانكشاف والإشراق .

(3) قال تعالى : ﴿ **فلا أقسمُ بمواقع النُّجوم وإنّه لقسمٌ لو تعلمون عظيم إنّه لقرآنٌ كريم** ﴾[17] .

يقول ابن القيّم : « التّرجيح بأنّ المقسم به هي نجوم السّماء : وعلى هذا فتكون المناسبة بين ذكر النّجوم في القسم ، وبين المقسم عليه وهو القرآن من وجوه :

أحدها : أنّ النّجوم جعلها اللّه يُهتدى بها في ظلمات البرّ والبحر ، وآيات القرآن يُهتدى بها في ظلمات الجهل والغيّ . فتلك هداية في الظّلمات الحسّيّة ، وآيات القرآن في الظّلمات المعنويّة ، فجمع بين الهدايتين .

والنّجوم آياته المشهودة المعاينة ، والقرآن آياته المتلوّة السّمعيّة ، مع ما في مواقعها عند الغروب من العبرة والدّلالة على آياته القرآنيّة ومواقعها عند النّزول »[18] .

أقول : إنّ هذه الآية لها نظير في القرآن مقسمًا به ومقسمًا عليه وتحمل الدّلالة البيانيّة ذاتها ، وهي قوله تعالى : ﴿ **فلا أقسم بالخنّس الجوار الكنّس ... إنّه لقول رسول كريم** ﴾[19] .

يقول الشّريف الرّضيّ : « وهاتان استعارتان وهما جميعًا في صفة النّجوم . فأمّا الخنّس فالمراد التي تخنِسُ نهارًا ، وتطلعُ ليلاً . والخنّس جمع خانس وهو الذي يقبع ويستسرّ ، ويَخْفى ويستتر . وأمّا الكنّس فجمع كانس ، وهو أيضًا المتواري المستخفي ، مشبّهًا بانضمام الوحشيّة إلى كناسها ، وهو الموضع الذي تأوي إليه من ظلال شجر وألفاف خمر ، وجمعه كنّس . فشبّه تعالى انقباع النّجوم في بروجها ، بتواري الوحوش في كُنُسها »[20] .

ويقول الزّمخشريّ : « فخنوسها : رجوعها ، وكنوسها : اختفاؤها تحت ضوء الشّمس . وقيل : هي جميع الكواكب ، تخنس بالنّهار فتغيب عن العيون ، وتكنس بالليل : أي تطلع في أماكنها ، كالوحش في كنسها . (إنّه) الضّمير للقرآن (لقول رسول كريم) هو جبريل صلوات اللّه عليه »[21] .

حاصل القول : إنّ التّلاؤم والارتباط بين النّجوم (المقسم به) ، وبين القرآن (المقسم عليه) إنّما يتجلّى في الوجوه التّالية :

أولاً : الاهتداء بالقرآن في ظُلَم الكفر والضّلال كما يهتدى السّالكون بالنّجوم اللّوامع والأنوار السّواطع :

قال تعالى في شأن النّجوم : ﴿ وعلامات وبالنّجم هم يهتدون ﴾[22] .

وقال في موضع آخر : ﴿ وهو الذي جعل لكم النّجوم لتهتدوا بها في ظلمات البرّ والبحر ﴾[23] .

وقال تعالى في شأن القرآن : ﴿ إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾[24] .

وقال في موضع آخر : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدًى للمتّقين ﴾[25] .

ثانياً : النّجوم نور وزينة للسّماء ، والقرآن نور وزينة وربيع للقلوب :

قال المولى في شأن النّجوم : ﴿ إنّا زيّنا السّماء الدّنيا بزينةٍ الكواكب ﴾[26] .

وقال في موضع ثانٍ : ﴿ وزيّنا السّماء الدّنيا بمصابيحَ وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم ﴾[27] .

وقال تعالى : ﴿ ولقد زيّنا السّماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجومًا للشّياطين ﴾[28] .

وقال تعالى في شأن القرآن : ﴿ ولكن اللّه حبّب إليكم الإيمان وزيّنه في قلوبكم ﴾[29] .

والإيمان والقرآن صنوان متلازمان ، يقول الرّاغب : « والإيمان يستعمل تارة اسماً للشريعة التي جاء بها محمّد ﷺ »[30] .

وقال تعالى في شأن القرآن أيضًا : ﴿ فآمنوا باللّه ورسوله والنّورِ الذي أنزلنا ﴾[31] .

يقول الشّريف الرّضيّ في قوله تعالى : ﴿ فآمِنُوا باللّه ورسوله والنُّورِ الذي أنزلنا ﴾ وهذه استعارة . والمراد بالنّور ههنا القرآن ، وإنّما سُمّي نورًا لأنّ به يُهتدى في ظُلَم الكفر والضّلال ، كما يُهتدى بالنّور السّاطع ، والشّهاب اللامع . وضياء القرآن

أشرف من ضياء الأنوار ؛ لأنّ القرآن يعشو إليه القلب ، والنّور يعشو إليه الطّرف »[32] .

وقال الرّسول ﷺ : « فإنّ هذا القرآن حبل اللّه المتين ، فيه إقامة العدل ، وينابيع العلم ، وربيع القلوب »[33] .

وغير خفيّ : أنّ زينة السّماء ظاهرة تدرك بالأبصار ويعرفها الخاصّة والعامّة من النّاظرين . أمّا زينة القلوب فهي مضمرة تدرك بالبصائر ويختصّ بمعرفتها الخاصّة من ذوي الألباب .

ثالثًا : أنّ كليهما موضع تدبّر ، وإجالة فكر ، وإطالة نظر ، وتقليب بصر وبصيرة لإدراك الشّيء ورؤيته استرشادًا وبلوغًا إلى درجة اليقين ، وهداية لطريق الاستدلال :

قال تعالى في شأن النّجوم : ﴿ وسخّر لكم الليلَ والنّهار والشّمسَ والقمرَ ، والنّجومُ مسخّراتٌ بأمره إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾[34] .

وقال في موضع ثانٍ : ﴿ فنظر نظرة في النّجوم فقال إنّي سقيم ﴾[35] .

وقال في موضع ثالث : ﴿ وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السّماوات والأرض وليكون من الموقنين ... فلمّا رأى الشّمس بازغة قال هذا ربّي هذا أكبر فلمّا أفلتْ قال يا قوم إنّي بريء ممّا تشركون ﴾[36] .

وقال تعالى في شأن القرآن : ﴿ أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾[37] .

وقال في موضع آخر : ﴿ كتاب أنزلناه إليك مباركٌ ليدّبّروا آياته وليتذكّرَ أولوا الألباب ﴾[38] .

رابعًا : النّجوم حفظ وأمان للسّماء من الشّياطين ، والقرآن حفظ وأمان واطمئنان للقلوب من الاضطراب والقلق ووسوسة الشّيطان ، ورحمة

لبني الإنسان :

قال تعالى في شأن النّجوم : ﴿ وزيّنّا السّماء الدّنيا بمصابيحَ وحفظًا ذلك تقدير العزيز العليم ﴾[39] .

وقال في موضع آخر : ﴿ ولقد جعلنا في السّماء بروجًا وزيّنّاها للنّاظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم ﴾[40] .

وقال تعالى في شأن القرآن : ﴿ الذين آمنوا وتطمئنّ قلوبهم بذكر اللّه ألا بذكر اللّه تطمئنّ القلوب ﴾[41] .

وقال في موضع آخر : ﴿ وننزّل من القرآن ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين ﴾[42] .

فالارتباط بين المقسم به والمقسم عليه في غاية الظّهور والتّجلّي ، وبينهما من التّناسب والتّلاؤم مالا يخفى ، ففي المقسم به دليل على المقسم عليه .

(4) قال تعالى : ﴿ والسّماءِ والطّارقِ وما أدراكَ ما الطّارقُ النّجمُ الثّاقبُ ﴾[43] .

يقول الفرّاء : « الطّارق : النّجم ؛ لأنّه يطلع بالليل ، وما أتاك ليلاً فهو طارق »[44] . ويقول الشّريف الرّضيّ : « وهذه استعارة ؛ لأنّ الطّارق ههنا كناية عن النّجم . فحقيقة الطّارق هو الإنسان الذي يطرق ليلاً . فلمّا كان النّجم لا يظهر إلا في حال الليل حسُن أنْ يُسمّى طارقًا . وأصل الطّرْق : الدّقّ . ومنه المطرقة . قالوا : وإنّما سُمّي الآتي بالليل طارقًا ؛ لأنّه يأتي في وقت يحتاج فيه إلى الدّقّ أو ما يقوم مقامه للتّنبيه على طروقه ، والإيذان بوروده »[45] . فـ (الطّارق) المقسم به كناية عن موصوف وهو النّجم . وإنّما وصف النّجم بكونه طارقًا ؛ لأنّه يبدو بالليل ، تشبيهًا بالإنسان الذي

يطرق النّاس ليلاً . يقول الزّمخشريّ : « فإنْ قلت : ما يشبه قوله : (وما أدراك ما الطّارق : النّجم الثّاقب) إلا ترجمة كلمة بأخرى ، فبيّن لي أي فائدة تحته ؟ قلت : أراد اللّه عزّ من قائل : أنْ يقسم بالنّجم الثّاقب تعظيمًا له ، لما عُرف فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة ، وأنْ ينبّه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره ، وهو الطّارق ، ثم قال : ﴿ وما أدراك ما الطّارق ؟ ﴾ ثم فسّره بقول : ﴿ النّجم الثّاقب ﴾ كلّ هذا إظهار لفخامة شأنه »[46] .

(5) قال تعالى : ﴿ لئنْ أخّرتَنِ إلى يوم القيامة لأحتنكنّ ذريّتَهُ إلا قليلاً ﴾[47] .

فقد شبّه انقياد ذريّة آدم ﷺ إلى المعاصي ، بانقياد الدّابّة المشدود في حنكها حبل إلى صاحبها ، والوجه بينهما الانقياد والاستيلاء . أو شبّه إهلاك إبليس ذريّة آدم إغواءً وإضلالاً باحتناك الجراد وإهلاكه النّبات أكلاً ، والجامع بينهما الهلاك والاستئصال .

يقول الشّريف الرّضيّ : « وهذه استعارة على بعض التّأويلات في هذه الآية . وهو أنْ يكون الاحتناك ههنا افتعالاً من الحنك . أي : لأقودنّهم إلى المعاصي كما تُقاد الدّابّة بحنكها ، غير ممتنعة على قائدها . وهي عبارة عن الاستيلاء عليهم ، والملكة لتصرّفهم ، كما يملك الفارس تصرّف فَرَسِهِ ، بثني العنان تارة ، وبكبْح اللّجام مرّة . وقال يعقوب في « إصلاح المنطق » : [يقال : حَنَك الدّابّة يحنِكُها حَنْكًا ، إذا شدّ في حنكها الأسفل حبلاً يقودها به . وقد احتنك الدّابّة مثل حَنَكَها] إذا فعل بها ذلك .

وقال بعضهم : لأحتنكنّ ذريّته . أي لألقينّ في أحناكهم حلاوة المعاصي ، حتّى يستلذّوها ، ويرغبوا فيها ويطلبوها . والقول الأوّل أحبّ إليّ .

وقال بعضهم : لأستأصلنّ ذريّته بالإغواء ، ولأستقصينّ إهلاكهم بالإضلال ؛ لأنّ اتّباعهم غيّه وطاعتهم أمره يؤولان بهم إلى موارد الهلاك ، وعواقب البوار .

ويقال : احتنكه إذا استأصله وأهلكه . ومن ذلك قولهم : احتنك الجراد الأرض ، إذا أتى على نبتها .

وقيل أيضًا : المراد بذلك لأضيِّقنّ عليهم مجاري الأنفاس من أحناكهم بإيصال الوسوسة لهم ، وتضاعف الإغواء عليهم . ويقال : احتنك فلان فلانًا ، إذا أخذ بمجرى النَّفس من حنكه ، فكان كالشّبا في مقلته ، والشّجا في مَسْعله »[48] .

وبالنّظر في هذه المشابهة نجد أنّ لها بعدين :

الأوّل : تقريب الفكرة إلى الأذهان بخروج المعنويّ المجرّد المتمثّل في : الإغواء والاستيلاء والاستئصال والإذعان ، في صورة ماديّة محسوسة متمثّلة في : احتناك الدّابّة ، أو احتناك الجراد للنّبات .

الثّاني : تقريرها في الأذهان وترسيخها بأسلوب القسم المتلقّي بالنّون المثقّلة ، والمستدلّ عليه باللام الموطّئة .

(6) قال تعالى : ﴿ لعمرُكَ إنَّهُمْ لَفي سكرتهم يعمهون ﴾[49] .

يقول الشّريف الرّضيّ : « وهذه استعارة . والمراد بها صفتهم بالتّردّد في غيّهم ، والتّسكّع في ضلالهم . فشبّه تعالى المتلدّد في غمرات الغيّ ، بالمتردّد في غمرات السكر »[50] . والمتلدّد في المكان هو المتلبّث به ، أو المتحيّر المتلفّت يمينًا وشمالاً ، ونظير ذلك :

قوله تعالى : ﴿ قالوا : تاللّه إنّك لفي ضلالك القديم ﴾[51] .

يقول الزّمخشريّ : « (لفي ضلالك القديم) لفي ذهابك عن الصّواب قدمًا في إفراط محبتّك ليوسف ، ولهجك بذكره ، ورجائك للقائه »[52] ، معقد الفائدة : أنّ الحرف (في) قد استعير من الظّرفيّة الحقيقيّة للظّرفيّة المجازيّة ، وبهذه الاستعارة يأخذ موضعه في هذا البيان المعجز في سياق القسم التّعجّبيّ .

وقد عدّد الفراهيّ بعض ما في أقسام القرآن من أبواب البلاغة ولطائفها قائلاً :

الأوّل : « هو إظهار التّأكيد والجدّ في القول كما ترى في قول المرسلين من النّصارى حيث جاء في القرآن ﴿ قالوا ربّنا يعلم إنّا إليكم لمرسلون ، وما علينا إلا البلاغ المبين ﴾[53] أو كما ترى في قوله تعالى : ﴿ والسّماء ذات الرّجع والأرض ذات الصّدع إنّه لقول فصل وما هو بالهزل ﴾[54] وقد علموا أنّ الحرّ المهذّب إذا أقسم على أمر فقد بالغ في إظهار الجدّ منه ونفى عن نفسه الهزل ، ولذلك كثر القسم في أوائل النّبوّة حتّى تبيّن لهم جدّه وقد صرّح في المثالين المذكورين وذلك لخصوصيته في أسلوب القسم لا لأنّ فيه تعظيمًا كما ترى تأكيد الإثبات والإنكار بأسلوب الاستفهام أو التّعجّب في أكثر الألسنة أو تأكيد التّعجّب بالنّداء كقولك : ياللماء « وياالقومي للشّباب المبكّر »[55] .

والثّاني : « كون القسم إنشاء وذلك يبهم طريق الإنكار على الخصم فإنّه إنْ شاء أنكر جواب القسم لكونه خبرًا ، ولكن لا يسنح له أنْ ينكر نفس القسم لكونه إنشاء كما أنّه لا يتوجّه إلى إنكار الصّفة مع أنّهما في الحقيقة من الأخبار وربّما يجمع أقسام القرآن هذين الخبرين كالقسم بالقرآن المجيد وباليوم الموعود وبالمقسّمات أمرًا وبالفارقات فرقًا وبالصّافّات صفًا . فإنْ شرحتها رأيت فيها جملتين خبريّتين مثلاً : إنّ الملائكة صافّون كالعبيد ، وإنّ الرّياح تفرق وتميّز حسب أمر اللّه ، وإنّ لهم يومًا موعودًا ، وإنّ هذا القرآن مجيد . فهذه أخبار أدمجت في الصّافّات ثمّ زيد عليها ما أدرج من القسم وهي أنّ هذه الأشياء شواهد ودلائل ، فإنْ كان ذلك ممّا ينتبه الخصم لإنكاره فتارة يصرف الخطاب إلى النّبي كقوله تعالى : ﴿ يس والقرآن الحكيم إنّك لمن

المرســـلين ﴾[56] وتارة يحذف جواب القسم الذي يكون جملة خبريّة فحينئذ يُكتفى بالمقسم به ويبادرهم بكلام آخر مؤيّد لما حذف لكيلا يجد الخصم فرصة لتحويل الإنشاء إلى الخبر فينازع فيه ولكي يجد الكلام فرصة فيه فيستمع بعد القسم لما ينتظر جوابه فيهجم عليه ما يؤيـّد الاستدلال المقصود من الكلام السّـــابق ، كقوله تعالى : ﴿ ص والقـرآن ذي الذّكر بل الذين كفـروا في عزّة وشـقـاق ﴾[57] فـاكـتـفى بالجملة الإنشائيّة واجتنب الخبريّة وقد فرغ عنها بما ذكر في القسم من صفة القرآن كأنّه قيل : « قد شهد القرآن إنّه لذكر ونصْح لهم » ثمّ ذكر من خصـائلهم مـا لا ينكرونهـا بل يبـاهون بهـا وأشـار إلى أنّ إنكارهم ليس إلاّ لحميّتهم الجاهليّة وجدالهم بالحقّ »[58] .

والثّالث :« إيجـاز هذا الأسلوب للاسـتـدلال فـإنّ اللّفظ إذا قلّ يتـراءى المعنى متجـرّدًا عن حجبـه فيزيـده تنويرًا وتأثيرًا كأنّـه أرهف حدّه وقرب بعده ، وهذا ممّا يجعل الاستعارة أحيانًا أبلغ من التّشبيه ولا حاجة إلى توضيح حسن الإيجاز فإنّه مبسوط في كتب البلاغة .... . ومن فوائد الإيجاز أنّه يمكنك أنْ تجمع دلائل عديدة في قرب بعضها من بعض فإذا دللن على أمر واحد من جهات مختلفة كنّ أشدّ أثرًا وأحكم أمرًا كما ترى في أقسام سور الطّور والبلد والتّين . فلو فصّل فيها الكلام وشرح الأدلّة لتشتّت النّظام ووهنت قوّته ويقرب منها أقسام سور الفجر والشّمس واللّيل »[59] .

والرّابع : « إشـراك السّـامع في اسـتنبـاط الدّليل ، وذلك ممّا يكسـر سـورة خصـامـه ، فـإنّه إذا علم شيئًا بعد التّأمّل فرح به واهتزّ له ، فـإنّ المتكلّم إذا جعل السّامع منفعلاً محضًا أتعبه وصار كلامه عليه ثقلاً وهذا إذا لم يخالف رأيه ، فأمّا إذا خالفه اشمأزّ منه وسدّ منه أذنه ،

ولذلك ربّما يستعمل الاستفهام بدل الإخبار كقولك : « ألا ترى ذلك ؟ » و « هل سُمت هذا ؟ » أو كما استفهم النّبي ﷺ في خطبة الوداع حيث سألهم : أيّ بلد هذا ؟ وأيّ شهر هذا ؟ وأيّ يوم هذا ؟ فذلك يجلب الالتفات وينشّط للسّمع وقد جمع القرآن هذين الأمرين في أوّل سورة الفجر فأشهد بأمور تدعو الفكر إلى استنباط الدّلائل على تدبير اللّه تعالى وتقديره عدله ، ثمّ أتبع ذلك بقوله : ﴿ هل في ذلك قسم لذي حجر ؟ ﴾[60] ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ والسّماء والطّارق وما أدراك ما الطّارق ؟ النّجم الثّاقب ﴾[61] وربّ مستدلّ حاذق يسوق المخاطب إلى الدّعوى بسهولة من غير تسفيه رأيه حتّى يظنّ أنّه هو الذي اهتدى إليها من قبل نفسه ، وهذا ممّا يصيّر الكناية أحيانًا أبلغ من التّصريح »[62] .

والخامس : « وضع الدّليل في غير صورته لكيلا يبادر المنكر إلى المخاصمة ، وذلك غير معنى الإنشاء الذي مرّ آنفًا في الوجه الثّاني فإنّه يسدّ باب الإنكار ، وهذا إنّما يذهل عن الخصام ، ولكونه غير الإنشاء تجده باقيًا في صورة الخبر أيضًا ، مثلاً إنْ حوّلت قوله تعالى : ﴿ والعصر إنّ الإنسان لفي خسر ﴾[63] وجدت بعد هذا التّحويل من الإنشاء إلى الخبر أيضًا فرقًا واضحًا بينه وبين صريح الاستدلال وهو أنْ تقول : إنّ الإنسان لفي خسر لأنّ مرّ الزّمان ينقص العمر ، فإنّ هذا الاستدلال مع صحّته وظهوره يدعو الخصم لحبّه الجدل إلى الإنكار به أو بالذي ينتج منه وهو الاعتماد على الإيمان والعمل الصّالح فإنّه سيقول : كلّا ، إنّ الإنسان لفي ربح عظيم فإنّه يشتري اللذائذ ويقتني المنى بهذا العمر الذي لا بدّ أنْ يفنى ، أو سيقول : كلاّ ، فإنّه إذْ لا بدّ من البلى ، فالتّمتّع بالشّهوات أولى ، كما قال

الملك الضّليل بن حجر القتيل :

تمتّــعْ من الدّنيــا فإنّكَ فــانٍ من النّشــواتِ والنّساءِ الحسانِ

ولا شكَ أنّ تلك حـجّة داحضـة ولكن إذا فـتح باب الجدل كثـر القيل والقال . وكلّمـا زدت إيضاحًا ازداد الخـصم جماحًا ، فيحسن أحيانًا أنْ تذهلـه عن وجـه النّــزاع ، فـإنّ للإنســان به ضــراوة كـضــراوة السّباع .... واعلم أنّ هذا الوجه والذي قبله مبنيّان على لطافة الأدلّة في الأقسـام فإنّهـا كما تصرفـهم عن الإنكار والنّزاع فكذلك تنشّطهم للفكر والاستنباط »[64] .

والسّادس: « مـا يعطي أوائل السّور من نضرة بهـجتـهـا ورونق ديباجتـها فـتلمع الأقسام في قسمات السّور على الأكثر كالغرّة البـارقة ، وأمّـا الذي جاء في أثناء السّورة فـإنّما هو قليل ومثاله كمجيء المطلع في أثناء القصـيدة ، وليس في كلّ قسم تزيين ولكنّه لمّا كـان ممّا يستـفتح به الكلام جعله سببًا لتـزيين الفواتح بـأن اصطفى له كلّما آن صـور على عنوان الكتـاب أو تمثّل للعـقل فـي مطلع الخطـاب مـلأ العين والفـؤاد بحسنه وجلالته بل يجلّ أكثرهـا عن التّصـوير لكمال عظمتـها وضيق نطاق الخيال عن سعتها . ولا شيء من أساليب الكلام أصلح للتّصوير من القسم فـإنّ الذي أقسمتَ به دعـوته كـالشّاهد فـأوقـفتـه بين يدي المخـاطب مـتمـثّلاً ، فلمّـا أراد اللّه أن يوشّي عـنوان السّـور بألوان الصّور بدأها بأقسام خاصّة »[65] .

والسّابع : « تقديم الدّليل على ذكر الدّعوى فيلقي أوّلاً على الخصم أمرًا يوجهه إلى سمت لابدّ أنْ يجلبه إلى الدّعـوى ولكن المُنكر إذا علم من قبل ما تريد الاستدلال عليـه أخذ سمتًا آخر وتنكّب عن الوجـه الصّحيح ، فإذا لم تذكر الدّعوى يوشك أنْ يتوجّه إلى صراط مستقيم ، فإذا سار على

قصد السّبيل قدته إلى آخر النّتيجة ، ومثال ذلك كلّ ما ذكرنا في الوجه الرّابع والخامس »[66] .

والثّامن : « كون القسم من جوامع الكلم فإنّ المقسم به لا يذكر معه جهة الاستدلال ، فلو ضمّ به جهة خاصّة كان دليلاً واحدًا ولكنّ الشّيء الواحد يجمع معاني كثيرة ووجوهًا مختلفة وللمتوسّم فيه دلائل شتّى ... فإذا أشهد اللّهُ تعالى بعض خلقه ثمّ ذكر معه من المطالب الدّينيّة التي يستدلّ عليها ترك المتأمّل أنْ يستنبط الدّلائل من وجوه كثيرة ، وبعد الاتّفاق في المستدلّ عليه ، وبعد رعاية نظام الكلام لا بأس باختلاف الدّلائل وطرقه فإنّها تتنوّع وتتكثّر حسب مدارج الأفهام والعقول »[67] .

(ب) أمّا الحديث النّبويّ فتُمثّلُ نماذج القسم فيه الذّروة والميراث الخالد في البيان العربيّ :

(1) قال الرّسول ﷺ : « **لَيُنْقَضَنَّ الإسلامُ عُروةً عُروةً كما يُنقضُ الحبْلُ قُوّةً قُوّةً** »[68] .

في الحديث تشبيه مرسل : حيث شبّه ترك الإسلام وعدم التّمسّك به ، بترك الحبل وعدم التّشبّث به ، وقد عبّر عن ذلك بالنّقض . ومساغ هذا التّشبيه المناسبة بين الإسلام والحبل : فالإسلام يُستأمن به ، والحبلُ يُستنقذ به ، فلذلك وقع التّشـــابه بينهما في الانتقاض كذلك ، يقول الشّريف الرّضيّ : [وهذه استعـارة . والمراد لتـتـركُنّ العمل بشـرائع الإسلام التي أُحكِم عقْدها ، ووُكّد العمل بها حتّى تكاد تنمحي مراسمها ، وتعفو معالمها ، فيكون الإسلام كالحبل المنتقض من أطرافه ، والمتنكث بعد استحصافه . والقُوى : الطّاقاتُ التي يفتل منها الخيطُ ، والواحدة قوّة ، وجعل عليه الصّلاة والسّلام شرائع الإسلام كالعُرى من حيث كانت ربَقًا للرّقاب ، وكان التّعلّق بها أمانًا من العذاب »[69] .

يقول د. طه الزّينيّ : « في الحديث استعارة تبعيّة حيث شبّه ترك العمل بتعاليم الإسلام بنقض عقد الحبل بجامع الإفساد في كلّ ، واشتقّ من النّقض بمعنى ترك العمل : لتنقضُنّ بمعنى تتركون العمل ، على طريق الاستعارة التّبعيّة ، وفيه استعارة بالكناية حيث شبّه الإسلام بالنّسيج في تكوين كلّ منهما من أشياء تحصل بانضمامها إلى بعضها جملته ، وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه ، ونسبة النّقض للإسلام تخييل ، وفيه تشبيه مرسل حيث شبه نقض الإسلام بنقض الحبل وذكر أداة التّشبيه وهي الكاف »[70] .

(2) وقال الرّسول ﷺ في هجاء شعراء الإسلام لمشركي قريش : « **فوالذي**

نفسي بيده لكأنّما ينضحونهم بالنّبل »[71] .

يقول الشّريف الرّضيّ : « قد يجوز أن يكون ذلك مأخوذًا من قولهم : نَضَحَ الشّجر ينضح نَضْحًا إذا تفطّر للتّوريق ، فكأنّه عليه الصّلاة والسّلام قال : شقّقوا جلودهم بنبلكم كما تتشقّق ألحية الشّجر عن طوالع أوراقه ونواجم أفنانه »[72] .

يقول د. طه الزّينيّ : « على قول الشّريف فيه استعارة تبعيّة ، حيث شبّه الرّمي الشّديد بتشقيق الجلد بجامع الإيلام في كلّ ، واستعار النّضح بمعنى التّشقيق للرّمي ، واشتقّ من النّضح بالمعنى المذكور : ينضحونهم ، بمعنى يرمونهم على طريق الاستعارة التّبعيّة »[73] .

ففي الكلام تشبيه : حيث شبّه الرّمي بالشّعر الهجائيّ ، بالرّشق بالنّبل والسّهام وما تحدثه من تشقيق للجلد ، وتفريق للنّبل فيه ، كانفطار الشّجر وتشقّقها للتّوريق . ووجه المشابهة بين الرّمي بالهجاء والرّشق بالنّبل : ترك الأثر الموجع ، وإحداث الألم المفجع .

(3) وقال الرّسول ﷺ : « **لَيَدْخُلَنَّ هذا الدِّينُ علي ما دَخَلَ عليهِ الليلُ** »[74] .

هذا التّعبير البلاغيّ كناية عن صفة : وهي انتشار الإسلام في مناحي الأرض وجنباتها . وقد أفادت الكناية تجسيد أمر معنويّ يتمثّل في : (التّوسّع والانتشار) في صورة حسّيّة متمثّلة في : مجيء الليل عندما يواري بظلامه كلّ بقعة من بقاع الأرض .

يقول الشّريف الرّضيّ : « وهذا القول مجاز . والمراد انتشار الإسلام في الشّرق والغرب ، واشتماله على البرّ والبحر ، فجعله عليه الصّلاة والسّلام من هذا الوجه بمنزلة الدّاخل دخول الليل في الإطلال والإطباق ، وتجليل البلاد والآفاق »[75] .

يقول د. طه الزّينيّ : « في الحديث كناية عن دخول الإسلام على كلّ شيء في الدّنيا ، كما يدخل الليل على كلّ شيء في الدّنيا ، أي من انتشاره في جميع بقاع الأرض »[76] .

(4) وقال الرّسول ﷺ : « **والذي نفسي بيده لا يُسلمُ عبْدٌ حتّى يُسلمَ قلبُهُ ولسانُهُ** »[77] .

يقول الشّريف الرّضيّ : « وهذه استعارة ، والمراد بإسلام قلبه سلامته من الإخبات ، وبإسلام لسانه تسلّمه من الأرْفاث ، فلا يعتقد قلبه شرّاً ولا يقول لسانُه هُجْرًا ، والدّليل على إرادته ﷺ هذا المعنى قوله في تمام الكلام : ولا يؤمن حتى يأمنَ جارُهُ بوائقه » وقوله عليه الصّلاة والسّلام في حديث آخر : « المسلمُ من سَلِمَ النّاس من لسانه ويده » ، وكأنّه عليه الصّلاة والسّلام جعل تمام إسلام العبد : أنْ يكُفَّ قلبَه عن اعتقاد المقبّحات ، ويده عن فعل المحظورات ، ولسانه عن قول المقْذِعات »[78] .

يقول د. طه الزّينيّ : « في الحديث استعارة تبعيّة ، حيث شبّه عدم اعتقاد القلب شيئًا مخالفًا بالإسلام وعدم نطق اللسان بالفحش بالإسلام ، بجامع السّير على النّهج القويم في كلّ ، واشتقّ من الإسلام بمعنى السّير على النّهج القويم ، يسلم بمعنى : يسير على النّهج القويم ، على طريق الاستعارة التّبعيّة »[79] . يقول الرّاغب : « والإسلام في الشّرع على ضربين :

أحدهما : دون الإيمان وهو الاعتراف باللسان وبه يُحصّن الدّم ، حصل معه الاعتقاد أو لم يحصل وإيّاه قُصِد بقوله : ﴿ قالت الأعراب آمنّا قلْ لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ﴾[80] .

والثّاني : فوق الإيمان وهو أنْ يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب ... كما ذكر عن إبراهيم عليه السلام في قوله : ﴿ إذْ قال له ربّه أسلمْ قال : أسلمتُ لربّ العالمين »[81] .

(5) وقال الرّسول ﷺ : للرّجل الذي قال لبعض الصّحابة :

إنْ فَتَحَ اللّه عليكم الطّائف فَسَلِ النّبي عليه الصّلاة والسّلام أنْ يَهَبَ لك نادية بنت غيلان بن سلَمة ، فإنّها إذا قامت تثنّتْ ، وإذا تكلّمت تغنّتْ ، في كلام طويل بلغه عليه الصّلاة والسّلام عنه ، وكان هذا الرّجل من مُخنَّثي المدينة ، فقال عليه الصّلاة والسّلام : « **لقدْ غلغلت النّظرَ يا عدوَّ اللّهِ** »[82] .

يقول الشّريف الرّضيّ : « وفي هذا الكلام استعارة ؛ لأنّ غلغلة الشّيء هو إدخاله في شيء حتّى يلتبس به ويصير من جملته ، وذلك لا يصحّ في نظر الإنسان إلاّ عن طريق الاتّساع والمجاز ، فكأنّه عليه الصّلاة والسّلام أراد أنّ هذا الإنسان بلغ بنظره من محاسن هذه المرأة إلى حيث لا يبلغ ناظر ولا يصل واصل ، فكان كالشّيء المتغلغل الذي يدقّ مدخله ، ويلطف مسلكه ، ويبعد متولّجه »[83] .

يقول د. طه الزّينيّ : « في الحديث استعارة تبعيّة ، حيث شبّه إحداد النّظر وشدّة التأمّل به بالغلغلة ، وهي إدخال شيء في شيء بجامع الوصول إلى أقصى الدّاخل في كلّ ، واستعير الغلغلة لإحداد النّظر ، واشتقّ من الغلغلة بمعنى إحداد النّظر ، غلغل بمعنى أحدّ النّظر على طريق الاستعارة التّبعيّة »[84] .

فالاستعارة قائمة على علاقة المشابهة : فقد شبّه النّظرة الحادّة الكاشفة ، بالمسمار المُغلغَل الثّاقب ، وحذف المشبّه به ودلّ عليه بشيء من صفاته وهو (غلغلت) على سبيل الاستعارة المكنيّة . يقول ابن منظور : « والغلائل : الدّروع ، وقيل : بطائن تُلبس تحت الدّروع ، وقيل : هي مسامير الدّروع التي تَجْمَعُ بين رءوس الحلَق ، لأنّها تُغَلُّ فيها ، أي تُدْخَل ، واحدتها غليلة »[85] . ووجه الشّبه بين طرفي الاستعارة يتمثّل في : الحدّة واستقصاء الإدخال . ولقد ورد هذا التّعبير

البيانيّ في المقسم عليه الذي يستهدفه القسم بالتّوكيد والتّحقيق للمبالغة في التّشبيه .

(جـ) أمّا نماذج القسم في نهج البلاغة فهي حافلة باللّمعات البيانيّة والتّصوير الإيحائيّ :

(1) جاء في نهج البلاغة : « **وايمُ اللّه لأبقرَنّ الباطلَ حتّى أخرجَ الحقّ من خاصرتِهِ** »[86] .

يقول ابن أبي الحديد : « وأقسم لَيبقرنّ الباطل الآن حتّى يخرج الحقّ من خاصرته . كأنّه جعل الباطل كالشّيء المشتمل على الحقّ غالبًا فيه ، ومحيطًا به ، فإذا بُقِرَ ظَهَرَ الحقّ الكامن فيه »[87] . ويقول ميثم البحرانيّ : « واستعار هنا لفظ الخاصرة للباطل ، والبَقْر لتفريق الباطل وتمييز الحقّ منه تشبيهًا له في استتار الحقّ فيه وعدم تمييزه منه ، بحيوان ابتلع جوهرًا ثمينًا أعزّ منه قيمةً وأتمّ فائدةً ، فاحتيج إلى شقّ بطنه في استخلاص ما ابتلع »[88] . ويقول محمّد عبده : « البقْر – بالفتح – الشّقّ ، أي : لأشقنّ جوفَ الباطل بقهر أهله ، فأنتزع الحقّ من أيدي المبطلين ، والتّمثيل في غاية اللّطف »[89] .

وشبيه بهذه الاستعارة البيانيّة استعارة أخرى قد وردت في نهج البلاغة عينه ، هي : « فلأنقبنّ الباطل حتى يخرج الحقّ من جنبه »[90] . يقول ابن أبي الحديد في شرحه لها : « كأنّه جعل الباطل كشيء قد اشتمل على الحقّ ، واحتوى عليه ، وصار الحقّ في طيّه كالشّيء الكامن المستتر فيه ، فأقسم لينقبنّ ذلك الباطل إلى أنْ يخرج الحقّ من جنبه ، وهذا من باب الاستعارة »[91] .

(2) وجاء في نهج البلاغة في معرض الحديث عن إبليس : « **فلعمري لقدْ فَوّقَ لكم سَهْمَ الوعيدِ ، وأغْرَقَ لكم بالنّزْعِ الشّديدِ** »[92] .

يقول ابن أبي الحديد : وقوله : « وفوّقت السّهم » جعلت له فوقًا ، وهو موضع الوتَر ، وهذا كناية عن الاستعداد . وقوله : « وأغرق إليكم بالنّزع » أي استوفى مدّ القوس ، وبالغ في نزعها ليكون مرماه أبعد ، ووقع سهامه أشدّ »[93] ويسدي ميثم البحرانيّ إيضاحًا بيانيًا بقوله : « استعار لفظ السّهم لوساوسه وتزييناته ، ووجه الاستعارة كونه يرمي بتلك الوساوس وجوه نفوسهم فيكون سببًا لهلاكهم في الآخرة كما يكون السّهم سببًا في القتل . ورشّح بذكر التّفويق والإغراق والنّزع والرّمي »[94] .

(3) وجاء في نهج البلاغة أيضًا : « **لا والذي أمسينا منه في غُبْرِ ليلةٍ دَهْمَاءَ تَكْشِرُ عنْ يومٍ أغَرَّ ، ما كانَ كذَا وكذَا** »[95] .

يقول ميثم البحرانيّ : « غبر الليل : بقاياه ، والدّهماء : السّوداء ، والتّكشّر : التبسّم بحيث تبدو الأسنان . والأغرّ : الواضح . ولفظ التّكشّر مستعارة لليلة باعتبار إسفارها عن ضوء يومها ، فهي كالضّاحكة . واليمين في غاية الفصاحة ، وعن مثلها ينفعل الحالف والسّامع »[96] .

ويقول ميرزا الخوئيّ : « حلف باللّه الذي يُبقي الإنسان طول الليل إلى أنْ يصبح . وعبّر عن طلوع الصّبح بتبسّم الليل المظلم ، وظهور طلعة الفجر الذي يمثّل سلسلة الأسنان البيضاء ، وهو من أحسن التّعبيرات وأفصحها ، لم يسبق به أحد »[97] .

(4) وجاء في نهج البلاغة : « **وايمُ اللّهِ لأفرطنَّ لهم حوضًا أنا ماتِحُهُ لا يُصْدِرُونَ عَنْهُ ولا يَعُودونَ إليهِ** »[98] .

يقول ابن أبي الحديد : « وقوله : « لأفرطنّ » من رواها بفتح الهمزة ، فأصله « فرط » ثلاثيّ ، يقال : فَرَطَ زيدٌ القومَ أي : سبقهم . ورجل فرط : يسبق القوم إلى البئر ، فيهيّء لهم الأرشية والدّلاء ، ويكون تقدير

الكلام : وايم اللّه لأفرطنّ لهم إلى حوض ، فلمّا حذف الجارّ عدّى الفعل بنفسه فنصب ، وتكون اللام في « لهم » إمّا لام التعدية ، أو تكون للتّعليل أي لأجلهم . ومن رواها « لأفرطنّ » بضمّ الهمزة ، فهو من أفرط المزادة أي ملأها . والماتح : المستقي ، والمايح : الذي ينزل إلى البئر فيملأ الدّلو . وقيل لأبي عليّ : ما الفرق بين الماتح والمايح ؟ فقال : هما كإعجامهما ، يعني أنّ التّاء : بنقطتين من فوق ، وكذلك الماتح لأنّه المستقي ، فهو فوق البئر . والياء : بنقطتين من تحت ، وكذلك المايح لأنّه تحت في الماء الذي في البئر يملأ الدّلاء . ومعنى قوله : « أنا ماتحه » أنا خبير به . والكلام استعارة ، يقول : لأملأنّ لهم حياض الحرب التي هي دربتي وعادتي ، أو لأسبقنّهم إلى حياض حرب أنا متدرّب لها ، مجرّب لها ، إذا وردوها لا يصدرون عنها ، يعني : قتلهم وإزهاق أنفسهم ، ومن فرّ منهم لا يعود إليها »[99] .

ويقول ميثم البحرانيّ : وقد حذف المضاف إليه ماتح في الحقيقة ، وتقديره : ماتح مائه ، إذ الحوض لا يوصف بالمتْح ، ثم أردف ذلك بوصف استعداد لهم بالشدّة والصّعوبة عليهم ، فكنّى بقوله : « لا يصدرون عنه » عن أنّ الوارد منهم إليه لا ينجو منه ، ويقول : « ولا يعودون إليه » أي أنّ من نجا منهم لا يطمع في الحرب مرّة أخرى ، فلا يردون إلى ما أعدّ لهم مرّة ثانية . وأكّد ذلك الوعيد بالقسم البارّ »[100] .

ويقول محمد عبده : « أفرطه : ملأه حتى فاض ، والماتح : من متح الماء ، أي : نزعه ، أي : أنا نازعٌ ماءه من البئر فمالىء به الحوض ، وهو حوض البلاء والفناء ، أو أنا الذي أسقيهم منه . « لا يُصدرون عنه ، ولا يعودون إليه » أي : أنّهم سيردون الحرب فيموتون عندها ، ولا يصدرون عنها ، ومن نجا منهم فلن يعود إليها »[101] .

(5) وجاء في النّهج أيضًا : « **وايمُ اللّهِ لَتجدنَّ بنى أميّة لكم أربابَ سُوءٍ بعْدي ، كالنَّاب الضَّروس : تَعْذِمُ بِفيهَا ، وتَخْبُط بيدِها ، وتَزْبِنُ برجلِهَا ، وتَمْنَعُ دَرَّهَا** » [102] .

يقول ابن أبي الحديد : « شبّه بني أميّة بالنَّاب الضّروس ، والنّاب : النّاقة المسنّة ، والجمع نيب . والضّروس : السّيئة الخلق تعض حالبها . وتعذم بفيها : تكدم ، والعذم الأكل بجفاء . والزّبن : الدّفع ، زبنت النّاقة تزبن إذا ضربت بثفناتها عند الحلب تدفع الحالب عنها . والدّرّ : اللّبن . فأقسم لأصحابه أنّهم سيجدون بني أميّة بعده أرباب سوء ، وصدق فيما قال ، فإنّهم ساموهم سوء العذاب قتلاً وصلبًا ، وحبسًا وتشريدًا في البلاد » [103] .

ويقول ميثم البحرانيّ : « ثمّ أردف ذلك بالقسم البارّ ليجدنّهم أرباب سوء لهم وشبّههم في أفعالهم المضرّة لهم بالنّاب الضّروس لحالبها ، وأشار إلى وجه الشّبه بأوصاف : فكدمها وعضّها وخبطها بيدها ، وزبنها برجلها ، ومنعها درّها ، إشارة إلى جميع حركاتها المؤذية الرّديئة وهي تشبه حركاتهم في الخلْق بالأذى والقتل ومنع الرّفد » [104] .

(6) وجاء في النّهج أيضًا : « **ولعمْري لو كُنّا ناتي ما أتيتم ما قامَ للدِّينِ عمودٌ ولا اخضرَّ للإيمانِ عُودٌ** » [105] .

يقول ابن أبي الحديد : « وقوله : « ما قام للدّين عمود » جعله كالبيت القائم على العمد . وقوله : « ولا اخضرّ للإيمان عود » جعله كالشّجرة ذات الفروع والأغصان » [106] . ويقول ميثم البحرانيّ : « وكنّى بالعمود للدّين عن قوّته ومعظمه كناية بالمستعار ، وكذلك باخضرار العود للإيمان عن نضارته في النّفوس ، ولاحظ في الأولى تشبيه الإسلام بالبيت ذي العمود ، وفي الثّانية تشبيهه الإيمان بالشّجرة ذات الأغصان » [107] .

(7) وجاء في النّهج أيضًا : « **لَقَدْ أتْلَعُوا أعناقَهُمْ إلى أمْرٍ لم يكُونُوا أهْلَهُ فَوُقِصُوا دُونَهُ** » [108] .

يقول ميثم البحرانيّ : « إتلاع رقابهم استعارة كنّى بها عن تطاولهم لأمر الخلافة مع كونهم ليسوا أهلاً لها . ووقصهم كناية عن قتلهم دون ذلك الأمر وقصورهم عنه »[109] . ويقول محمّد عبده : « (أتلعوا) أي : رفعوا أعناقهم ومدّوها لتناول أمر ، وهو مناوأة أمير المؤمنين على الخلافة ، (فوقصوا) أي : كسرت أعناقهم ، دون الوصول إليه ، وتقول : قد وقصت النّاقة براكبها – من باب وعد – إذا رَمَتْ به فَدَقّتْ عنقه ، فالعنق موقوصة »[110] .

ثانيًا : البلاغة في حذف المقسم عليه في القرآن الكريم :

الحذف اصطلاحًا : إسقاط جزء الكلام ، أو كلّه لدليل[111] . والمحذوف في الجملة القسميّة إمّا جزء جملة : كالخبر من الجملة الابتدائيّة ، والمقسم به ، أو جملة : كجملة المقسم به ، وجملة المقسم عليه . يقول ابن جنّيّ : « قد حذفت العرب الجملة ، والمفرد ، والحرف ، والحركة . وليس شيء من ذلك إلاّ عن دليل عليه . وإلاّ كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته »[112] . ويقول : « ... لأنّ المحذوف للدّلالة عليه بمنزلة الملفوظ به البتّة فاعرفه ، واشددْ يدك به »[113] .

يقول ابن الشّجريّ : « الحذف اختصارًا من أفصح كلام العرب ؛ لأنّ المحذوف كالمنطوق به ، من حيث كان الكلام مقتضيًا له ، لا يكمل معناه إلاّ به »[114] . « ويريدون بالاختصار الحذف لدليل ، وبالاقتصار الحذف لغير دليل »[115] .

ويقول عبدالقاهر الجرجانيّ[116] عن الحذف : : « هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسّحر ، فإنّك ترى به تركَ الذّكْر أفصحَ من الذّكْر ، والصّمتَ عن الإفادة أزيَدَ للإفادة ، وتجدُك أنطق ما تكون إذا لم تَنطق ، وأتمَّ ما تكون بيانًا إذا لم تُبنْ »[117] .

ويقول أيضًا : « وأن ربّ حذف هو قلادة الجِيْد ، وقاعدة التّجويد »[118] ، كما يقول : إنّ « الواجب في حكم البلاغة أن لا يُنطق بالمحذوف ولا يظهر إلى اللفظ »[119] .

ومن أبرز فوائد حذف المقسم عليه هي : أن تتوافر العناية على إثبات المقسم به ، وتَخْلُصَ له ، وتنصرف بجملتها إليه ، ولقد كثر حذف المقسم عليه في أيمان العرب في الجاهليّة ، ولم يخرج مساغ هذا الحذف عن ذلك الغرض وتلك الفائدة . ومن أيمانهم التي اطّرد فيها حذفه هذا الصّوغ القسمي : (لا والمقسم به) ، ومن ذلك الأيمان التالية :

(1) « لا والذي شقّ الرّجال للخيل ، والجبال للسّيل »[120] .

(2) « لا والذي أخرج العَذق من الجريمة ، والنّار من الوثيمة »[121] .

(3) « لا والذي أخرج الماء من الحجر ، والنّار من الشّجر »[122] .

(4) « لا وفالق الإصباح ، وباعث الأرواح »[123] .

(5) « لا وربّ النّور والظّلام »[124] .

(6) « لا وربّ الحلّ والحرام »[125] .

فقد حذف المقسم عليه ، وفي المقابل يتمّ التّركيز على بيان المقسم به ، إلى درجة أنّ الأريب يرى أنّ المقسم به يحمل في أحشائه أحيانًا المقسم عليه ، ويرى أنّ ما زاد في المقسم به من توصيف وتذييل وإسهاب عوضٌ ممّا حُذف ، أعني بذلك المقسم عليه . هذا ويظلّ كلام البلاغيّين أقرب إلى التّنظير منه إلى التّطبيق ، ولا يأخذ سبيله إلى التّطبيق إلا بنماذج تتوثّب حيويّة . والقرآن الكريم أصدق شهادة وأدلّ دلالة على ذلك .

وفيما يلي نماذج متنوّعة تستوضح طريقة القرآن في حذف المقسم عليه :

(1) قال تعالى : ﴿ **ص والقرآنِ ذي الذّكْر بل الذين كفروا في عزّةٍ وشقاق** ﴾[126] .

يقول الزّمخشريّ : « كلام ظاهره متنافر غير منتظم ، فماوجه انتظامه ؟ قلت فيه وجهان ، أحدهما : أن يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التّحدّي والتّنبيه على الإعجاز ، ثمّ أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدّي عليه ، كأنّه قال : ﴿ والقرآن ذي الذكر ﴾ إنّه لكلام معجز »[127] .

ويقول ابن القيّم : « فإنّ في المقسم به من تعظيم القرآن ووصفه بأنّه ﴿ ذي الذّكر ﴾ المتضمّن لتذكير العباد ما يحتاجون إليه ، وللشّرف والقدر ، ما يدلّ على المقسم عليه ، وكونه حقًا من عند اللّه ، غير مفترى كما يقوله

الكافـرون . وهذا مـعنى قول كثير من المفسّرين – متقدّميـهم ومتـأخّريهم : إنّ الجـواب محـذوف تقـديره : إنّ القـرآن لـحقّ ، وهذا مطّرد في كل مـا شـأنه ذلك »[128] .

ويقـول الطّبـرسيّ في أحـد الـوجـوه المختلفـة في جـواب القـسم : « إنّ جـوابه مـحـذوف فكأنّـه قـال : والقـرآن ذي الذّكر لقـد جـاء الحقّ وظهـر الأمـر ، لأنّ حذف الجواب في مـثل هذا أبلغ ، فإنّ ذكر الجواب يقـصر المعنى على وجه ، والحذف يصرف إلى كل وجه فيعمّ »[129] .

ويقول الفراهيّ : « وتارة يحذف جواب القسم الذي يكون جملة خبرية فحينئذ يُكتفَى بـالمقسم به ويبادرهم بكـلام آخر مؤيّد لما حـذف ، لكيلا يجـد الخصم فرصـة لـتحويل الإنشاء إلى الخبر فينـازع فيـه ، ولكي يجد الكلام فرصـة فيه فيستمع بعـد القسم لما ينتظر جوابه فيهجم عليه مـا يؤيّد الاستدلال المقصود من الكـلام السّـابق ، كـقـوله تعـالى : ﴿ ص والقـرآن ذي الذّكـر ... ﴾[130] واكتفى بـالجملة الإنشـائيّة واجتنب الخبريّة وقد فـرغ عنها بما ذكر في القسم من صفة القرآن كأنّه قيل : قد شـهد القرآن أنّه لذكر ونصح لـهم ... فأمّا إذا كـان القسم ممّا لا ينكرونه لم يحـذف الجـواب كقـوله تعـالى : ﴿ حم والكتـاب المبين إنّا جـعلناه قرآنًا عربيًا لعلكم تعقلون ﴾[131] . فذكـر في القسم كـونه كتابًا مبينًا وفي الجواب كونه قرآنًا عربيًا ، ولا ينكرون شيئًا منهما »[132] .

والكلام فـي هذه الآية ينطبق على قـولـه تعـالى : ﴿ ق والقـرآن المجـيـد بل عجبـوا أنْ جاءهم منذر منهم فقال الكافـرون هذا شيء عجيب ﴾[133] . فهمـا سواء بســـواء ؛ لالتـقائهما في أسلوب واحد . يقـول الفرّاء : « ﴿ ق والقرآن المجيد ﴾ لتبعثنّ بعد الموت ، فقالوا : أنبعث إذا كنّا ترابًا ؟ فجحدوا البعث ثم قالوا : (ذلك رجع بعيد) »[134] .

ويقـول الطّبرسيّ : « جواب القسم في ﴿ ق والقرآن المجيد ﴾ محذوف يدلّ

عليه ﴿ أإذا متنا وكنّا ترابًا ﴾ وتقديره : إنّكم مبعوثون ، فقالوا : أنبعث إذا متنا وكنّا ترابًا ؟ »[135] .

ويقول ابن القيّم : « وهنا قد اتّحد المقسم به والمقسم عليه وهو القرآن ، فأقسم بالقرآن على ثبوته وصدقه ، وأنّه حقّ من عنده ، ولذلك حُذف الجواب ولم يصرّح به ، لما في القسم من الدّلاله عليه ، أو لأنّ المقصود نفس المقسم به »[136] .

(2) قال تعالى : **﴿ لا أقسمُ بيومِ القيامة ولا أقسمُ بالنّفسِ اللوّامة أيحسبُ الإنسانُ ألّن نجمعَ عظامَه ﴾**[137] .

يقول الزّمخشريّ : « وجواب القسم مادلّ عليه قوله : ﴿ أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ﴾ وهو : لتبعثنّ »[138] .

ويقول ابن القيّم : « وأنّه يجوز أن يكون ممّا حذف لدلالة السّياق عليه والعلم به ، ويجوز أنْ يكون من القسم المقصود به التّنبيه على دلالة المقسم به ، وكونه آية ، ولم يقصد به مقسمًا عليه معيّنًا . فكأنّه يقول : أذكر يوم القيامة والنّفس اللوّامة مقسمًا بها لكونها من آياتنا وأدلّة ربوبيّتنا »[139] .

ويؤكّد أبو حيّان الأندلسيّ مقالة الزّمخشريّ في الاستدلال على المقسم عليه المحذوف وتقديره ، بقوله : « وجواب القسم محذوف يدلّ عليه يوم القيامة المقسم به ، وما بعده من قوله : ﴿ أيحسب ﴾ ، وتقديره لتبعثنّ »[140] .

(3) قال تعالى : **﴿ والنّازعاتِ غرقا والنّاشطاتِ نشطا والسّابحاتِ سبحا فالسّابقاتِ سبقا فالمدبّراتِ أمرا ﴾**[141] .

يقول الفرّاء : « ويسأل السّائل : أين جواب القسم في النّازعات ؟ فهو ممّا ترك جوابُه لمعرفة السّامعين ، المعنى وكأنّه لو ظهر كان : لتبعثنّ ، ولتحاسبنّ ، ويدلّ على ذلك قولهم : ﴿ إذا كنّا عظامًا نخرة ﴾ ألا ترى أنّه

كالجواب لقوله : لتبعثنّ إذ قالوا : إذا كنّا عظامًا نخرة نبعث »[142] . ويقول الزّمخشريّ : « والمقسم عليه محذوف ، وهو (لتبعثنّ) لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة »[143] .

ويقول ابن القيّم : « وجواب القسم محذوف يدلّ عليه السّياق – وهو البعث المستلزم لصدق الرّسول وثبوت القرآن . أو أنّه من القسم الذي أريد به التّنبيه على الدلالة والعبرة بالمقسم به دون أن يراد به مقسمًا عليه بعينه . وهذا القسم يتضمّن الجواب المقسم عليه وإنْ لم يذكر لفظًا ولعلّ هذا مراد من قال : إنّه محذوف للعلم به ، لكنّ هذا الوجه ألطف مسلكًا . فإنّ المقسم به إذا كان دالاً على المقسم عليه مستلزمًا استغني عن ذكره بذكره ، وهذا غير كونه محذوفًا لدلالة ما بعده عليه فتأمّله »[144] .

(4) قال تعالى : ﴿ **والفجرِ وليالٍ عشر والشّفعِ والوترِ واللّيل إذا يسر هلْ في ذلك قسمٌ لذي حجر ؟** ﴾[145] .

يقول الزّمخشريّ : « والمقسم عليم محذوف وهو (ليعذبنّ) يدلّ عليه قوله : ﴿ ألم تر كيف فعل ربّك بعاد ﴾ إلى قوله : ﴿ فصبّ عليهم ربّك سوط عذاب ﴾[146] .

يقول ابن القيّم : « قيل : جوابه ﴿ إنّ ربّك لبالمرصاد ﴾ وهذا ضعيف لوجهين :

أحدهما : طول الكلام والفصل بين القسم وجوابه بجمل كثيرة .

والثّاني : قوله ﴿ إنّ ربّك لمبالمرصاد ﴾ ذكر لتقرير عقوبة اللّه الأمم المذكورة ، وهي : عاد ، وثمود ، وفرعون . فذكر عقوبتهم ، ثم قال مقرّرًا ومحذّرًا ﴿ إنّ ربّك لبالمرصاد ﴾ فلا نرى تعلّقه بذلك دون القسم »[147] .

ويقول أيضاً مبيّنًا أنّ المقسم عليه ضمنيّ يفهم من السّياق : « فلمّا تضمّن

هذا القسم ما جاء به إبراهيم ومحمّد ﷺ كان في ذلك ما دلّ على المقسم عليه ، ولهذا اعتبر القسم بقوله تعالى : ﴿ هل في ذلك قسم لذي حجر ؟ ﴾ فإنّ عظمة هذا المقسم به يعرف بالنّبوّة وذلك يحتاج إلى حجر يحجر صاحبه عن الغفلة واتّباع الهوى ويحمله على اتّباع الرّسل ، لئلاّ يصيبه ما أصاب من كذّب الرّسل كعاد ، وفرعون ، وثمود »[148] . تقول بنت الشّاطىء : « ونطمئنّ إلى أنّ آيات القسم في سورة الفجر قد تمّ بها المقصود من اللّفت إلى المقسم به ، بما يغني عن تأوّل جواب محذوف أو غير محذوف ، وقد تمّت آيات القسم بهذا السّؤال الصّادع : ﴿ هل في ذلك قسم لذي حجر ؟ ﴾ فلم يعد السّياق في حاجة إلى تكملة أو جواب »[149] .

(5) قال تعالى : **﴿ والسّماءِ ذاتِ البروج واليومِ الموعود وشاهدٍ ومشهود قُتِلَ أصحابُ الأخدود ﴾**[150] .

يقول الفرّاء : « يقال في التّفسير : إنّ جواب القسم في قوله : (قُتِلَ) كما كان جواب ﴿ والشّمس وضحاها ﴾ في قوله : ﴿ قد أفلح ﴾ هذا في التّفسير ، ولم نجد العرب تدع القسم بغير (لام) يُستقبل بها أو (لا) أو (إنّ) أو (ما) فإنْ يكن كذلك فكأنّه ممّا ترك فيه الجواب ، ثم استؤنف موضع الجواب بالخبر ، كما قيل : يا أيّها الإنسان في كثير من الكلام »[151] .

يقول الزّمخشريّ : « فإنْ قلت : أين جواب القسم ؟ قلت : محذوف يدلّ عليه قوله : ﴿ قتل أصحاب الأخدود ﴾ كأنّه قيل : أقسم بهذه الأشياء إنّهم ملعونون ، يعني كفّار قريش كما لُعِنَ أصحاب الأخدود ؛ وذلك أنّ السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على أذى أهل مكة ، وتذكيرهم بما جرى على من تقدّمهم : من التّعذيب على الإيمان ، ..... وقُتِلَ : دعاء عليهم ، كقوله : ﴿ قتل الإنسان ما أكفره ﴾ »[152] .

ويقول ابن القيّم : « والأحسن أنْ يكون هذا القسم مستغنيًا عن الجواب ؛ لأنّ

القصّة التّنبيه على المقسم به ، وأنّه من آيات الرّبّ العظيمة . ويبعد أنْ يكون الجواب ﴿ قتل أصحاب الأخدود ﴾ الذين فتنوا أولياءه وعذّبوهم بالنّار ذات الوقود »[153] .

أمّا أبو حيّان الأندلسيّ فإنّه يفرّق بين أنْ يكون ﴿ قتل أصحاب الأخدود ﴾ إنشاءً أو خبرًا ، وإذا خُرّجت على الجملة الدّعائيّة لأنّها تكون عندئذ جملة إنشائيّة لا تكون جوابًا لأنّ المقسم عليه جملة خبريّة ، يقول : « وجواب القسم قيل محذوف ، فقيل : لتبعثنّ ونحوه ، وقيل : (قتل) وهذا نختاره وحذفت اللام ، أي : لقتل ، وحسن حذفها كما حسن في قوله : ﴿ والشّمس وضحاها ﴾ ثم قال : ﴿ قد أفلح من زكّاها ﴾ أي : لقد أفلح من زكّاها ، ويكون الجواب دليلاً على لعنة اللّه على منْ فعل ذلك ، وطرده من رحمة اللّه ، وتنبيهًا لكفّار قريش الذين يؤذون المؤمنين ليفتنوهم عن دينهم على أنّهم ملعونون بجامع ما اشتركا فيه من تعذيب المؤمنين . وإذا كان (قُتِلَ) جوابًا للقسم فهي جملة خبريّة ، وقيل : دعاء فيكون الجواب غيرها »[154] .

• **ونرى تميمًا للفائدة أن نستعرض النّقاط التّالية :**

(أ) يقول ابن القيّم : « وتارة يحذف الجواب وهو مراد ، إمّا لكونه قد ظهر وعرف :

إمّا بدلالة الحال ، كمنْ قيل له : كُلْ ، فقال : واللّه الذي لا إله إلاّ هو ، أو بدلالة السّياق ، وأكثر ما يكون هذا إذا كان في نفس المقسم به ما يدلّ على المقسم عليه ، وهي طريقة القرآن ، فإنّ المقصود يحصل بذكر المقسم به ، فيكون حذف المقسم عليه أبلغ وأوجز ، كمنْ أراد أنْ يقسم على أنّ الرسول حقّ ، فقال : والذي أرسل محمدًا بالهدى ودين الحقّ وأيّده بالآيات والبيّنات ، وأظهر دعوته ، وأعلى كلمته ، ونحو ذلك فلا يحتاج إلى ذكر الجواب استغناءً عنه بما في القسم من الدّلالة عليه »[155] .

(ب) مفاد مقالة الفراهيّ فيما يتعلّق بذكر المقسم عليه وحذفه :

إذا كان القسم ممّا لا ينكرونه واستوجب التّصديق ذُكِرَ الجواب وأثبت .

أمّا إذا كان القسم ممّا يتّجه إليه الإنكار من قبل الخصم حُذف .

(جـ) إنّ حذف المقسم عليه في بعض الأقسام أبلغ من ذكره ؛ لأنّ ذكر المقسم عليه يقصر المعنى على وجه من الوجوه ؛ وحذفه يصرف النّظر إلى كل وجه ، فتذهب النّفس فيه كلّ مذهب ، وينشط الفكر في استنباط الدّلائل المختلفة في الوصول إليه ، فإنّها تتنوّع حسب مدارج الأفهام والعقول ، ولو صرّح بالمقسم عليه لوقف الذّهن عند المصرّح به .

(د) من لطائف حذف المقسم عليه – إذا كان في نفس المقسم به دلالة على المقسم عليه – وضْعُ المقسم عليه في غير صورته ، وهذا يؤدي إلى :

1) ذهول المخاطب عن الخصام ، وسدّ باب الإنكار .

2) تبليغ القول ، وإكمال الحجّة الدّامغة .

وبمثل هذا الأسلوب يبلغ البيان القرآنيّ غايته وذروته من الإقناع وإلزام الخصم بالحجّة والبرهان .

(هـ) يقول ابن القيّم : « والجواب يحذف تارة ولا يراد ذكره ، بل يراد تعظيم المقسم به ، وأنّه ممّا يحلف به »[156] . نقول : إذا كان النظر منصرفًا إلى تعظيم المقسم به عند حذف المقسم عليه ، فإنّ النظر ينصرف أيضًا إلى تأكيد المقسم عليه وتحقيقه عند حذف المقسم به ، وهل يقع القسم إلاّ على مقسم به ومقسم عليه .

(و) مفاد كلام الزّمخشريّ : أنّ حذف المقسم عليه يأتي مؤكّدًا لدلالة التّحدّي القائمة بين القرآن والمكذّبين به من أساطين الكفر الفصحاء ، وذلك إذا كانت الحروف المقطّعة في طلائع القسم وغرّته ، نحو : ﴿ ص ﴾ ، و ﴿ ق ﴾ إظهارًا لإعجازه البلاغيّ .

ثالثًا : بلاغة المطابقة والمقابلة والسّجع في أسلوب القسم :

(أ) المطابقة والمقابلةُ وظيفةً في أسلوب القسم :

يقول أبو هلال العسكريّ : « قدْ أجمع الناس أنّ المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشّيء وضدّه في جزء من أجزاء الرّسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة مثل الجمع بين البياض والسّواد واللّيل والنّهار ... والحرّ والبرد .. وخالفهم قدامة بن جعفر الكاتب[157] فقال : المطابقة إيراد لفظتين متشابهتين في البناء والصّيغة مختلفتين في المعنى »[158] . ويقول ابن رشيق[159] : « المطابقة عند جميع النّاس : جمعك بين الضّدّين في الكلام أو بيت شعر »[160] . ويقول عبد القاهر : « وأمّا التّطبيق فأمره أبيَن ، وكونه معنويًا أجلى وأظهر ، فهو مقابلة الشّيء بضدّه ، والتّضادّ بين الألفاظ المركّبة محال »[161] . أمّا ابن الأثير فقد جعل المطابقة إحدى أنواع المقابلة ، يقول : « قد أجمع أرباب هذه الصّناعة على أنّ المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشّيء وضدّه »[162] ... « والأليَق من حيث المعنى أنْ يسمّى هذا النّوع المقابلة ؛ لأنّه لا يخلو الحال فيه من وجهين :

إمّا أنْ يقابل الشّيء بضدّه ، أو يقابل بما ليس بضدّه ، وليس لنا وجه ثالث »[163] . ويذهب الخطيب القزوينيّ[164] المذهب عينه بقوله : « وهي الجمع بين المتضادّين أي معنيين متقابلين في الجملة »[165] .

أمّا المقابلة فيعرّفها أبو هلال العسكريّ بقوله : « المقابلة إيراد الكلام ثمّ مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة »[166] .

ويقول ابن رشيق : « وأصلها ترتيب الكلام على ما يجب ، فيُعطَى أول الكلام ما يليق به أولاً ، وآخره ما يليق به آخرًا ، ويأتي في الموافق بما يوافقه ، وفي المخالف بما يخالفه . وأكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد ، فإذا جاوز الطّباق ضدّين كان مقابلة »[167] ويقول الخطيب القزوينيّ : « ودخل

في المطابقة ما يخصّ المقابلة ، وهو : أنْ يُؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة ، ثمّ بما يقابلهما أو يقابلها على التّرتيب ، والمراد بالتّوافق خلاف التّقابل »[168] .

من هذا العرض المتقدّم يتجلّى الفرق بين المطابقة والمقابلة في وجهين :

الأوّل : أنّ المطابقة لا تكون إلاّ بين الضّدّين ، والمقابلة تكون لأكثر من ذلك .

الثّاني : لا تكون المطابقة إلاّ بالأضداد ، والمقابلة تكون بالأضداد وغيرها ؛ ولهذا السّبب جعل ابن الأثير المطابقة إحدى أنواع المقابلة ، وأكّد ذلك الخطيب القزوينيّ .

فممّا لا شكّ فيه ولا ريب يعتريه أنّ مجيء المطابقة والمقابلة في سياق قسميّ ينطوي على دلالات منيفة ومعانٍ لطيفة . فهو يحمل تأكيدًا وتحقيقًا يبرزان مقارنة قوامها التّطابق والتّقابل بين طرفين . فالجانب الدّلاليّ يتجلّى في إبراز المعنى انطلاقًا من فكرة المقارنة بالضّدّ والخلاف ؛ لأنّها تمثّل صدمة معنويّة في الفكر بالتّخالف لا التّآلف ، وورودها في أسلوب القسم يُسبغ عليها أهميّة كبرى وميزة عظمى وجانبًا كبيرًا من العناية والرّعاية . كلّ ذلك يفرز دلالة تكسب الكلام لونًا من الموسيقى والتّنغيم المعنويّ المؤثّر . ومتى أصبح التّقابل بريئًا من التّكلّف ، سليمًا من الاستكراه ، جاء خفيفًا على النّفس ، راسخًا في السّمع ، عالقًا في القلب . وإذا كانت حقائق الأشياء بالضّدّ تتميّز وبالنّقيض تُعرف ، ولا سبيل إلى شكّ أو شبهة ، فإنّ أسلوب القسم بموقعه وغرضه : من التّصدّر والاستهلال وكونه في ذروة التّأكيد وسنامه ، يضاعف ذلك التّميّز والوضوح والمعرفة بها ، وما يضاف إلى ذلك أحيانًا من إفادة الشّمول وإرادة العموم المستفاد من التّقابل .

وفيما يلي طائفة من أيمان العرب في الجاهليّة شاع فيها القسم المطابق :

(أ) « لا وربّ النّور والظّلام »[169] .

(ب) « لا وربّ الحلّ والحرام »[170] .

(جـ) « لا والذي أخرج الماء من الحجر ، والنّار من الشّجر »[171] .

(د) « عهدًا لا يزيده طلوع الشّمس إلاّ شدًّا ، وطول اللّيالي إلاّ مدًّا »[172] .

(هـ) « أقسمُ بالضّياء والحلك ، والشّروق والدّلك »[173] .

(و) « لا والذي يراني ولا أراه »[174] .

فقد طابق الحالف في هذه الأيمان مطابقة موجبة في اللّفظ والمعنى : بين النّور والظّلام ، وبين الحلّ والحرام ، وبين الماء والنّار ، وبين الضّياء والحلك . كما طابق مطابقة سالبة في المعنى لا في اللّفظ : بين « يراني » و « لا أراه » وهي مطابقة معنويّة لا لفظيّة . كما طابق بين الشّمس واللّيالي : وهو طباق مخالف لا ضدّ ، وإنّما اللّيل ضدّ النّهار ، إلاّ أنّه لما كانت الشّمس دليلاً على وجود النهار حسنت المقابلة بينها وبين اللّيالي .

وقال الشّاعر :

لئنْ ساءني أن نِلْتِني بمَسَاءَةٍ ... لَقَدْ سرَّني أنّي خطَرتُ ببالِكِ[175]

فقد طابق الشاعر مطابقة موجبة في اللفظ والمعنى : بين ساءني وسرّني في سياق قسميّ . يقول التبّريزيّ[176] : « المعنى أقسم لئن أن أسخطتني بإساءتك لي فقد سرّني أنّي ذكرت بفؤادك » ... ويقول ناقدًا : « هذا هو الشّعر الذي يسحر النفوس ، ويخلب الألباب ، ويأخذ بمجامع القلوب نفاسة وحلاوة وطلاوة . ولا يقع مثل هذا لكل شاعر ولكن للواحد بعد الواحد ممّن آتاه اللّه سلامة ذوق ، ولطافة فكر ، وحسن بيان »[177] .

وقال عنترة :

قسمًا بالذي أمات وأحيا وتولّى الأرواح والأجساما

لا رفعتُ الحسام في الحرب حتّى أترك القوم في الفيافي عظاما[178]

فقد طابق الشّاعر مطابقة موجبة في اللّفظ والمعنى : بين « أمات وأحيا » .

وقال عديّ بن زيد العباديّ[179] :

ولا بدأتُ خليلاً ، أو أخا ثقةٍ بِخَنْعَة ، لا وربِّ الحلِّ والحَرَمِ[180]

فقد جمع الشّاعر بين معنيين متقابلين في الجملة وهما : « الحلّ والحرم » .

ومثله في الجمع بين المتضادّين ذاتهما قول مُهلهِل :

قتلوا كُليبًا ثم قالوا : ألا اربعوا كذبوا وربِّ الحِلِّ والإحرامِ[181]

وقال جوّاس[182] :

واللّهِ ما أخشى حكيمًا ورَهْطَهُ ولكنّمَا يخشى أباكِ حكيمُ[183]

فقد طابق الشّاعر طباقًا سلبيًا في المعنى لا في اللفظ بين « ما أخشى ، ويخشى » .

وقد شاع في العصر الإسلاميّ فيضٌ من القسم المطابق نثرًا وشعرًا ، فهو كثير :

(أ) قال تعالى : **﴿ والليل إذا يغشى ، والنّهار إذا تجلّى ، وما خلق الذكر والأنثى ﴾**[184] .

يقول ابن القيّم : « وقابل بين الذّكر والأنثى ، كما قابل بين اللّيل والنّهار . وكلّ ذلك من آيات ربوبيته . فإنّ إخراج اللّيل والنّهار بواسطة الأجرام العلويّة كإخراج الذّكر والأنثى بواسطة الأجرام السّفليّة »[185] .

وتقول بنت الشّاطىء : « ونركّز اهتمامنا على تدبّر ما يسيطر على السّورة

كلّيًا من ملحظ التّقابل والتّفاوت ، يبدأ باللّفت إلى ما هو حسّيّ مدرك في تفاوت ما بين غشية الليل وتجلّي النّهار ، وخلقة الذّكر والأنثى ، توطئةً إيضاحيّة لبيان تفاوت مماثل في سعي النّاس : بين من أعطى واتّقى وصدّق بالحسنى ، ومن بخل واستغنى وكذّب بالحسنى ، ثمّ تفاوت الثّواب والعقاب في الأخرى بين الأشقى يصلى نارًا تلظّى ، والأتقى الذي يُجنّبها بما ابتغى وجه ربه الأعلى .

فعلى نحو ما يتفاوت الليل إذا يغشى بظلماته ، والنّهار إذا تجلّى بضيائه يتفاوت سعي النّاس في الدنيا بين ضلال وهدى »[186] .

فهذا التّقابل بين الليل المقيّد بغشيته أي بظلمته ، وبين النّهار المقيّد بتجلّيه أي بظهوره وانكشاف ضوئه ، له مقابلات مماثلة في القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿ والنّهار إذا جلاّها والليل إذا يغشاها ﴾[187] .

وقال تعالى : ﴿ والليل إذْ أدبر والصّبح إذا أسفر ﴾[188] .

وقال تعالى : ﴿ والليل إذا عسعس والصّبح إذا تنفّس ﴾[189] .

وقال تعالى : ﴿ والضّحى ، والليل إذا سجى ﴾[190] .

(ب) قال تعالى : **﴿ والفجرِ وليالٍ عشرٍ والشّفعِ والوَتْرِ والليل إذا يسرِ ﴾**[191] .

فقد قابل بين « الفجر » بدلالته على ضوء الصّباح ، وبين « الليل » بدلالته على الظّلمة . كما قابل بين « الشّفع » بدلالته على العدد الزّوجيّ ، وبين نقيضه « الوتر » بدلالته على العدد الفرديّ . تقول بنت الشّاطىء : « وبمثل هذا الأسلوب يبلغ البيان القرآنيّ غايته من الإقناع والإلزام بالحجّة . وعلى نحو ما يجلو معاني من الهدى والضّلال ، والإيمان والكفر ، والحقّ والباطل ، بحسّيّات مدركة من النور والظّلمة ، يجلو في سورة الفجر ، بالضّوء والظّلمة في درجات متفاوتة ، معاني من الحقّ والباطل . فالفجر إذ

ينبثق نوره فينسخ ظلمة الليل ..... والليل إذْ يسري ما بين بدء الظّلمة ومطلع الفجر ، كلّ هذا بيان لافت إلى صراع الحقّ والباطل ، وإلى انبثاق نور الهدى بعد أن غشيت ظلمةُ ليلٍ طال ، ضلّت فيه أمم وطغى طغاة وأفسدوا في الأرض ، مثلما نشهد في الواقع المحسوس مسرى الليل ما بين إدبار النّهار ومطلع الفجر »[192] .

(جـ)قال تعالى : ﴿ **فلا أقسمُ بما تُبصرون وما لا تُبصرون إنّه لقول رسول كريم** ﴾[193] .

فقد طابق مطابقة سالبة بين قوله : « تبصرون » و « ما لا تبصرون » . وهذه المطابقة من جهة المعنى لا من جهة اللفظ ، لأنّه لو كان من جهة اللفظ لقال : « بما تبصرون وما تعمون » لأنّ الأعمى ضدّ البصير لفظًا ومعنى . وسرّ جماله يتمثّل في العموم المستفاد من هذا التّقابل المعنويّ . يقول ابن القيّم : « وهذا أعمّ قسم وقع في القرآن ، فإنّه يعمّ العلويّات والسّفليات ، والدّنيا والآخرة ، وما يُرى وما لا يُرى ، ويدخل في ذلك الملائكة كلّهم والجنّ والإنس ، والعرش والكرسيّ ، وكلّ مخلوق ، وكلّ ذلك من آيات قدرته وربوبيّته ، وهو سبحانه يصرّف الأقسام كما يصرّف الآيات . ففي ضمن هذا القسم أنّ كلّ ما يُرى وما لا يُرى آية آية ، ودليل على صدق رسوله »[194] .

(د) قال تعالى : ﴿ **لئن بسطتَ إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يَدِي إليك لأقتلك إنّي أخاف اللّه ربّ العالمين** ﴾[195] .

فقد طابق مطابقة سالبة بين قوله : « بسطتَ » و بين « ما أنا بباسط » . وهذا التّقابل معنويّ ، لأنّه لو كان لفظيًا لقال : « لئن بسطت قبضت » فالبسط دالّ على نشر ومدّ اليد للصولة والضّرب ، والقبض دالّ على إمساك اليد ورفعها عن الغرض ذاته . يقول الرّاغب : « والانقباض جمْع الأطراف ويُستعمل في ترك التّبسّط »[196] . وقد أثار الزّمخشريّ نكتة لطيفة تبرز لنا

دلالة إيضاحيّة أخرى في هذا التّقابل القسميّ ، يقول : « لمَ جاء الشّرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله : ﴿ لئن بسطت ... ما أنا بباسط ﴾ ؟ قلت : ليفيد أنّه لا يفعل ما يَكتسب به هذا الوصف الشّنيع . ولذلك أكّد بالباء المؤكّدة للنّفي »[197] .

« وإنّما امتاز اسم الفاعل عن الفعل بهذه الخصوصيّة من حيث إنّ صيغة الفعل لا تعطي سوى حدوث معناه من الفاعل لا غير . وأمّا اتّصاف الذات به فذلك أمر يعطيه اسم الفاعل . ومن ثم يقولون : قام زيد فهو قائم ، فيجعلون اتّصافه بالقيام ناشئًا عن صدوره منه ، ولهذا المعنى قوله تعالى : ﴿ لتكونَّن من المرجومين ﴾[198] عدولاً عن الفعل الذي هو (لنرجمنّك) إلى الاسم تغليظًا . يعنون أنّهم يجعلون هذه لثبوتها ووقوعها به كالسّمة والعلامة الثّابتة ، ولا يقتصرون على مجرّد إيقاعها به »[199] .

وهكذا نرى أنّ التّقابل القسميّ في آيات القرآن الكريم فاشٍ مستفيض يتّسم بالصّبغة الإعجازيّة لما فيه من بيان رائع يقوم على الشّيء وضدّه أو مخالفه ، كلّ ذلك في إيجاز خلّاب يبهر العقول ويسحر النّفوس ، يقول أبو هلال العسكريّ : « فلم يقرب أحد من لفظ القرآن في اختصاره وصفائه ، ورونقه وبهائه ، وطلاوته ومائه ، وكذلك جميع ما في القرآن من الطّباق »[200] .

ومما جاء في كلام النّبي ﷺ من القسم المطابق ما يلي :

(أ) قال الرّسول ﷺ : « **فوالذي نفس محمّد بيده ما بعد الموت من مستعتب ، ولا بعد الدّنيا من دار إلاّ الجنّة أو النّار** »[201] .

فقد طابق مطابقة موجبة في اللفظ والمعنى : بين « الجنّة » و « النّار » في ظلّ سياق القسم ؛ تسديدًا وتأكيدًا لمضمون الجملة ، وإيضاحًا وتحديدًا بالضدّ لجهة الجزاء الأخرويّ . يقول ابن رشيق في تعقيبه على هذا المقطع

من البيان النبويّ : « فهذا هو المعجز الذي لا تكلّف فيه ولا مطمع في الإتيان بمثله »[202] .

(ب) وقال الرّسول ﷺ حين ذكر الأنصار : « **أما واللّه ما علِمتكم إلاّ لَتقِلُّونَ عند الطّمَع ، وتكْثُرون عند الفَزَع** »[203] .

فقد قابل الرّسول ﷺ مقابلة بديعة : بين القلّة والكثرة ، وبين الطّمع بدلالته على الأمل والرّجاء والنّزوع النّفسيّ إلى الشّيء شهوةً له ورغبةً فيه ، وبين الفزع بدلالته على الجزع والخوف من الشّيء والنّفرة منه . وكثيراً ما يرد في القرآن هذا التّقابل (خوفًا وطمعًا) بل ما ورد لفظ منهما إلاّ مقترنًا بصاحبه على سبيل التّقابل إفادةً للشّمول والتّكامل .

(جـ)وقال الرّسول ﷺ : « **والذي نفسي بيده لَوددتُ أنّي أقتل في سبيل اللّه ثمّ أحيا ، ثمّ أقتل ثمّ أحيا ، ثمّ أقتل ثمّ أحيا ، ثمّ أقتلُ** »[204] .

فقد طابق بين لفظين لفظًا ومعنى : « أقتل » بدلالته على الفناء ، وبين « أحيا » بدلالته على البقاء في أسلوب قسميّ ، لينتج دلالة مؤكّدة قائمة على الضدّ تزيد الكلام وضوحًا وكشفًا .

وما أكثر الشّواهد التي تدلّ على وفرة القسم المطابق في نهج البلاغة !

ومنه ما يلي :

(أ) جاء في نهج البلاغة : « **فوالذي لا إله إلاّ هو إنّي لعلى جادّة الحقّ ، وإنّهم لعلى مزلّة الباطل** »[205] .

فقد قابل بين « مزلّة الباطل » و « جادّة الحقّ » في سياق قسميّ . يقول ابن أبي الحديد : « كلام عجيب على قاعدة الصّناعة المعنويّة ، لأنّه لا يحسن أن يقول : « وإنّهم لعلى جادّة الباطل » لأنّ الباطل لا يوصف بالجادّة ، فتعوّض عنها بلفظ « المزلة » وهي الموضع الذي يزلّ فيه الإنسان »[206] .

ومن لطائف هذه المقابلة إضافة « الجادّة » إلى « الحقّ » جذبًا وتشويقًا له ، وإضافة « المزلّة » إلى « الباطل » تنفيرًا عنه [207] .

(ب) وجاء في نهج البلاغة : « **ولعمر اللّه لقد أردت أن تذمّ فمدحتَ ، وأن تفضح فافتضحتَ** » [208] .

فقد طابق مطابقة موجبة في اللفظ والمعنى بين : « تذمّ » و « مدحت » في ظلّ أسلوب القسم . كما طابق بين : « تفضح » و « افتضحت » وهذا التّقابل من جهة المعنى لا من جهة اللفظ .

(جـ)وجاء في النّهج أيضًا : « **وايمُ اللّه لئن فررتم من سيف العاجلة ، لا تسلموا من سيف الآخرة ، وأنتم لهاميم العرب ، والسّنام الأعظم** » [209] .

فقد قابل بين : « فررتم » و « لا تسلموا » ، وبين « العاجلة » بدلالتها على الدّنيا ، و « الآخرة » بدلالتها على الآجلة . وهذا التّقابل إنّما جاء في أسلوب القسم ليكتسي بالتّأكيد حلّة دلاليّة مسدّدة ومويّدة هي : أنّ الفرار والانهزام لا ينجي من القدر . والوصف في ذيل العبارة يَستقبح منهم ويُشنّع عليهم ذلك .

(د) وجاء في النّهج أيضًا : « **أما واللّه ما أتيتكم شوقًا ، ولكن جئت إليكم سوقًا** » [210] .

فقد طابق مطابقة معنويّة بين : « شوقًا » بدلالته على الاختيار ، وبين « سوقًا » بدلالته على الاضطرار ، في أسلوب القسم تأكيدًا لهيئة المجيء والإتيان الموضحة بالضّدّ والنّقيض فالمطابقة بالشّيء وخلافه كما في هذا الشّاهد إنّما هو على التّقريب لا على وجه الحقيقة .

ومن ورود القسم المطابق في الشّعر العربيّ قول أبي صخر الهذليّ :

أما والذي أبكى وأضحك والذي ... أمات وأحيا والذي أمرُهُ الأمرُ [211]

فقد طابق الشّاعر مطابقة موجبة في اللفظ والمعنى بين : « أبكى وأضحك » ، وبين « أمات وأحيا » في سياق قسميّ تأكيدًا وتحقيقًا لمضمون الكلام . وقد ورد هذا القسم مصدّرًا بـ (أما) التي هي من مقدّمات اليمين وطلائعه ، فتتضاعف درجة التّأكيد بين الأضداد بغرّة الأسلوب .

ويقول ابن رشيق : « ومن مليح ما رأيته في المطابقة قول كثيّر :

ووالله ما قاربتُ إلاّ تباعدتْ بصَرْم ، ولا أكثرتُ إلاّ أقلّتِ »[212]

فقد طابق الشّاعر مطابقة موجبة بين : « قاربتُ ، وتباعدتْ » ، وبين « أكثرتُ وأقلتْ » في ظلّ أسلوب القسم . وهذه المطابقة من جهة اللفظ والمعنى معًا .

ويقول الفرزدق :

لعمري لئن قلّ الحصى في عديدكم بني نهشل ما لؤمكم بقليل[213]

فقد طابق الشّاعر بين : « قلّ » و « ما بقليل » طباقًا معنويًا في أسلوب القسم بغية التّأكيد الدّلاليّ القائم على الاختلاف لا الائتلاف .

(ب) السّجْعُ وظيفةً في أسلوب القسم :

يقول ابن الأثير : « وحدّه أن يقال : تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد »[214] . ويعرّفه الخطيب القزوينيّ بقوله : « وهو تواطؤ الفاصلتين من النّثر على حرف واحد ، وهذا معنى قول السّكّاكيّ[215] : « الإسجاع في النّثر كالقوافي في الشّعر »[216] .

ويقول عبدالقاهر : « وعلى الجملة فإنّك لا تجد تجنيسًا مقبولاً ، ولا سجعًا حسنًا ، حتّى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه ، وحتّى تجده لا تبتغي به بدلاً ، ولا تجد عنه حولا، ومن ههنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه ،

وأحقّه بالحسن وأولاه ، ما وقع من غير قصد من المتكلّم إلى اجتلابه ، وتأهّب لطلبه »[217] .

ويقول ابن الأثير أيضًا : « واعلم أنّ الأصل في السّجع إنّما هو الاعتدال في مقاطع الكلام ، والاعتدال مطلوب في جميع الأشياء ، والنّفس تميل إليه بالطّبع »[218] .

والسّجع عند ابن الأثير من أسرار الإعجاز في القرآن الكريم ، يقول : « فإن قيل : فإذا كان السّجع أعلى درجات الكلام على ما ذهبتَ إليه فكان ينبغي أن يأتي القرآن كلّه مسجوعًا ، وليس الأمر كذلك ، بل منه المسجوع ، ومنه غير المسجوع ؟

قلتُ في الجواب : إنّ أكثر القرآن مسجوع ، حتى أنّ السّورة لَتأتي جميعها مسجوعة . وما منع أن يأتي القرآن كلّه مسجوعًا إلاّ أنّه سلك به مسلك الإيجاز والاختصار ، والسّجع لا يُواتي في كلّ موضع من الكلام على حدّ الإيجاز والاختصار ، فتُرك استعماله في جميع القرآن لهذا السّبب .

وهينا وجه آخر هو أقوى من الأول ، ولذلك ثبت أنّ المسجوع من الكلام أفضل من غير المسجوع ، وإنّما تضمّن القرآن غير المسجوع لأنّ ورود غير المسجوع معجزًا أبلغ في باب الإعجاز من ورود المسجوع . ومن أجل ذلك تضمّن القرآن القسمين جميعًا »[219] .

أمّا مذهب ابن الأثير في السّجع البليغ فقد حدّد له أربعة شروط لا بدّ منها :

الأولى : اختيار مفردات الألفاظ .

الثّانية : اختيار التّركيب .

الثّالثة : أن يكون اللّفظ في الكلام المسجوع تابعًا للمعنى ، لا المعنى تابعًا للفظ .

الرّابعة : أن تكون كلّ واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالّة على معنى غير المعنى الذي دلّتْ عليه أختها[220] .

وقد عالج د. زكي مبارك في مبحث رائع أطوار السّجع نقتبس منه هذه الفقرات بتصرّف :

أولاً : إنّ السّجع من مميزات البلاغة الفطريّة : فهو في أكثر اللّغات يجري باطّراد في الحكم والأمثال . ويمكن الحكم بأنّ أمثال العامّة تقع غالبًا مسجوعة ، وقد يجني السّجع على المعنى أحيانًا في تعابير الفطريّين من أهل البادية والرّيف ، وفي ذلك دلالة على أنّ المحسّنات اللّفظيّة ممّا يقصده العوامّ وليس ممّا ينفرد به الخواصّ[221] .

ثانيًا : إنّ السّجع في القرآن يجري على طريقة جاهليّة حين يخاطب القلب والوجدان ، ولا ينكر متعنّت أنّ القرآن وضع للصّلوات والدّعوات ومواقف الثّناء والخوف والرّجاء ، سورًا مسجوعة تماثل ماكان يرتلّه المتديّنون من النّصارى واليهود والوثنيّين[222] .

ومعنى هذا أنّ القرآن يسجع لأنّ السّجع كان فنًا من فنون القول والدّعاء عند الجاهليّة ، والصّلوات بطبيعتها تحتاج إلى لون من الفنّ يتمثّل في السّجع ؛ لأنّ فيه استجابة للموسيقا الوجدانيّة في قلوب المتبتّلين . وعند ملاحظة سجع القرآن نراه يتخلّف فجأة في بعض الأحايين : كأن تكون القافية نونية فتجيء في وسط السّياق فاصلة ميميّة . وفي هذا برهان على أنّ المعنى هو الأصل ، وأنّ السّجع لا يراد به مطلق التّوافق في الحرف ، وإنّما يقصد به التّلحين والتّنغيم ، لأنّ تغيير الحرف مع بقاء الوزن لا يغيّر من الرّنّة الموسيقيّة . ولنقيّد أنّ السّجع لا يطّرد في الحديث كما لا يطّرد في القرآن ، فهو حلية تقصد ، ولكنّها لا تلتزم ، لما في التزامها في قهر المعاني على متابعة الألفاظ[223] .

ثالثًا : إنّ الكلام المسجوع كان ينظر إليه نظرة تقدير وإعجاب وأنّه خليق بأن يحفظ ويُروى ، وأنّ الكلام المنثور الخالي من الوزن والقافية يراد به في الأغلب إقناع المخاطبين[224] ، وهذه النّقطة من كلام د. زكي مبارك أشار إليها عبدالقاهر الجرجانيّ في حديثه عن ترك المتقدّمين العناية بالسّجع ، يقول : « ولهذه الحالة كان كلامُ المتقدّمين الذين تركوا فضل العناية بالسّجع ، ولزموا سجيّة الطّبع ، أمكنَ في العقول ، وأبعدَ من القلق ، وأوضحَ للمراد ، وأفضلَ عند ذوي التّحصيل ، وأسلمَ من التّفاوت ، وأكشفَ عن الأغراض ، وأنصرَ للجهة التي تنحو نحو العقل »[225] .

رابعًا : التّأنّق المغرب آفة ، والتّحرّر المسرف آفة ، والصّواب أن تكون السّيادة للمعنى وأن يكون له السّلطان المطلق في فرض ما توجبه الألوان النّفسيّة من مختلف الصّور والأساليب[226] .

فإذا كان السّجع عنصرًا كريمًا في بلاغة العرب ، وحلية أصيلة في اللغة العربيّة لمن يخاطب القلوب ، فلا شكّ أنّه يستدعي نوعًا من الأساليب الإنشائيّة يتمثّل في أسلوب كالقسم لأنّ فيه تأكيدًا وتنوّعًا في نماذج القول وطرائقه .

وإذا كان الكاتب والخطيب يلجأ إلى السّجع رغبة في التّأثير لأنّ فيه استجابة للموسيقا الوجدانيّة ، فإنّ القسم يُلجأ إليه رغبة في التّأكيد لأنّه يقع في ذروة درجات التّأكيد والتّسديد ، وهو من أجلّ وأجمل الأساليب التي تنقل تلك الرّغبة في التّأثير . وممّا يعين ميل الأذواق العربيّة إلى إيثار السّجع القسميّ غلبة هذا الأسلوب في هذا الفنّ على أكثر ما أثر عن أعراب الجاهليّة من نثر مسجوع ولا سيّما سجع الكهّان ، وكذلك ما ذاع وشاع في القرآن الكريم ولا سيّما في طلائع سوره ، وما غلب على النّثر في عصر النّبوّة .

وفيما يلي أمثلة من سجع الكهّان في الجاهليّة وهو كثير :

(أ) جاء في البيان والتّبيين : « والأرضِ والسّماء ، والعُقاب الصَّقْعاء ، واقعةٌ ببقعاء ، لقد نفّر المجدُ بني العُشَراء ، للمجْد والسَّناء »[227] .

(ب) ومنه قول الكاهن الخزاعيّ : « والقمر الباهر ، والكوكب الزّاهر ، والغمام الماطر ، وما بالجوّ من طائر ، وما اهتدى بعلم مسافر ، من منجد وغائر ، لقد سبق هاشم أميّة إلى المآثر أوّل وآخِر ، وأبو همهمة بذلك خابر »[228] .

(جـ) ومنه قول الكاهن سواد الدّوسيّ : « أقسم بالضّياء والحلك ، والنّجوم والفلك ، والشّروق والدّلك ، لقد خبّأتُ بُرثُنَ فرخ ، في إعليط مرخ ، تحت آسِرة الشَّرخ »[229] .

(د) ومنه قول الكاهن سطيح : « نعم والشّفق والغسق ، والفلق إذا انشقّ ، إنّ ما أنبأتك به لحقّ »[230] .

(هـ) ومنه قول الكاهن شقّ أنمار : « إي وربّ السّماء والأرض ، وما بينهما من رفع وخفض ، إنّ ما أنبأتك به مافيه أمض »[231] .

هذا غيض من فيض زاخر ، فالشّواهد على القسم المسجّع مستفيضة ، وهي في جملتها تنبئنا بأنّ القسم المسجّع كان يزيد الكلام العربيّ عذوبة ورونقًا وبهاء ، وينظم قائله في سلك أهل البلاغة والبيان . « ولم يغلب السّجع على الكهّان إلاّ لأنّهم كانوا أكثر من غيرهم ثقافة وأدبًا ، إذْ كانوا قادة الجماهير في الجاهليّة »[232] .

وفيما يلي أمثلة من سجع القرآن ، وهو كثير أيضًا :

(أ) قال تعالى : ﴿ **والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا** ﴾[233] .

يقول أبو هلال العسكريّ : « وكذلك جميع ما في القرآن ممّا يجري على التّسجيع والازدواج مخالف في تمكين المعنى وصفاء اللفظ وتضمن الطّلاوة والماء لما يجري مجراه من كلام الخلق .... ألا ترى قوله عزّ اسمه : ﴿ والعاديات ضبحا .... ﴾ . قد بان عن جميع أقسامهم الجارية هذا المجرى من مثل قول الكاهن : « والسّماء والأرض ، والقرض والفرض ، والغمر والبرض » ، ومثل هذا السّجع مذموم لما فيه من التّكلّف والتّعسّف »[234] .

(ب) وقال تعالى : **﴿ والضّحى والليل إذا سجى ما ودّعك ربّك وما قلى ﴾**[235] .

اختلف النّحويّون والبلاغيّون في مسوّغ حذف الضّمير الواقع مفعولاً به من (قلى) :

فذهب الزّمخشريّ إلى أنّه اختصار لفظيّ لظهور المحذوف[236] .

وذهب الخطيب القزوينيّ إلى أنّه الرّعاية على الفاصلة[237] .

(جـ) وقال تعالى : **﴿ والسّماء ذات الرّجع والأرض ذات الصّدع إنّه لقول فصل وما هو بالهزل ﴾**[238] .

(د) وقال تعالى : **﴿ والنّجم إذا هوى ما ضلّ صاحبكم وما غوى ﴾**[239] .

(هـ) وقال تعالى : **﴿ فلا أقسمُ بالخنّس الجوار الكنّس والليلِ إذا عسعس والصّبح إذا تنفّس إنّه لقول رسول كريم ﴾**[240] .

ولا أطيل في سرد الآيات المسجوعة ففي القرآن شواهد كثيرة على ورود القسم المسجّع . « ونحن إذا تأملنا السّجع في القرآن رأينا اللفظ فيه تابعًا المعنى ، ونرى القرآن في مواطن كثيرة يضحّي بفواصل السّجع في سبيل المعنى ، لا كما يفعل المتكلّفون حين يضحّون بالمعنى في سبيل السّجع »[241] . وقد عرفنا آنفًا أنّ السّجع من أسرار الإعجاز عند ابن الأثير .

يقول د. زكي مبارك : « والسّجع في القرآن لا يمنع من إعجازه ؛ لأنّ الإعجاز كما أسلفنا مرجعه إلى سموّ المعنى وقوّة الرّوح ، والرّسول رجل من العرب تفرّد من بينهم بتبليغ الرّسالة إلى قومه ، فمن الواضح أنّه ينقلها إليهم في أجمل ما عرفوا من الأساليب »[242] .

ولو مضينا نستقرىء خطب نهج البلاغة لوجدناها ملأى بالقسم المسّجع المؤثّر :

(أ) فقد جاء في نهج البلاغة : « ولعمري لو كنّا نأتي ما أتيتم ما قام للدّين عمودٌ ، ولا اخضرَّ للإيمان عودٌ ، وايمُ اللّهِ لَتحتلبُنَّها دَمًا ، ولَتتبعنّها نَدَمًا »[243] .

(ب) وجاء في نهج البلاغة : « مَالِكٌ وما مَالِكٌ ! واللّه لو كان جَبَلاً لكان فِنْدًا ، ولو كان حَجَرًا لكان صَلْدًا ، لا يرتقيه الحَافِرُ ، ولا يُوْفي عليه الطّائرُ »[244] .

(جـ)وجاء في النّهج أيضًا : « فواللّه ما كنزتُ من دنياكم تِبْرًا ، ولا ادّخرتُ من غنائمها وَفْرًا ، ولا أعددتُ لِبَالي ثوبي طِمْرًا ، ولا حُزْتُ من أرضها شِبْرًا »[245] .

(د) وجاء في النّهج أيضًا : « الحذَرَ الحذَرَ ! فواللّه لقد سَتَرَ ، حتّى كأنّه قد غَفَرَ »[246] .

(هـ)وجاء في النّهج أيضًا : « فلعمري لقد فَوَّقَ لكم سهمَ الوعيدِ ، وأغرقَ لكم بالنّزعِ الشّديدِ ، ورَمَاكُمْ من مكانٍ قريب »[247] .

فهذا العرض المتنوّع المختار من الخطب والكتب والحكم ينبىء عن أنّ القسم المسجّع حلية تُقصَد ولكنّها لا تُلتزَم ، ويؤذن بفضيلة التّسجيع على شريطة البراءة من التّكلّف والخلوّ من التّعسّف ، ويبرهن على أنّ سلطة المعنى لها الهيمنة المطلقة إذْ يترتّب على ذلك تبعيّة الألفاظ لها ، مرسلة على سجيّتها وطبعها . ومتى أصبحت تلك الحلية تُلتزَم ترتّب على ذلك التزام في قهر المعاني على متابعة الألفاظ ، وهو الأمر الذي شدّد عليه ابن الأثير وأكّده بقوله :

« فإذا صُفّيَ الكلام المسجوع من الغثاثة والبرْد فإنّ وراء ذلك مطلوبًا آخر ، وهو أن يكون اللّفظ فيه تابعًا للمعنى ، لا أن يكون المعنى فيه تابعًا للّفظ ، فإنّه يجيء عند ذلك كظاهر مُمَوَّه على باطن مُشَوَّه ، ويكون مثْله كغِمْدٍ من ذهبٍ على نصلٍ من خَشَب »[248] .

هوامش المبحث الرّابع

1) الخصائص (2 : 444) .

2) المصدر السّابق نفسه (2 : 448) .

3) سورة : القلم . آية : 42 .

4) الصّناعتين (ص 295) .

5) المصدر السّابق نفسه (ص 298) .

6) سورة : الضّحى . آية : 1 - 3 .

7) التّبيان في أقسام القرآن (ص 100 - 101) .

8) التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم (1 : 25 و 26 و 31) .

9) سورة : التّكوير . آية : 18 - 19 .

10) الصّناعتين (ص 302) .

11) **الشّريف الرّضيّ** : هو أبو الحسن محمّد بن الحسين وينتهي نسبه إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام ومنه إلى الحسين بن عليّ عليه السلام ؛ ولذلك لقّب بالشّريف الرّضيّ الموسويّ . ولد في بغداد سنة 359هـ . خلف أباه في نقابة الطّالبيّين سنة 388هـ . كان عالماً بعلوم القرآن واللغة والنّحو ، وله فيها المؤلّفات النّافعة . قال الثّعالبيّ : « وهو أشعر الطّالبيّين من مضى منهم ومن غبر على كثرة شعرائهم المفلقين . ولو قلت : إنّه أشعر قريش لم أبعد عن الصّدق » . وكان أبيّ النّفس ، عالي الهمّة ، عفيفاً رفيع المنزلة لشرف نسبه ومنصبه وعلوّ كعبه في الشّعر والأدب . صنّف : معاني القرآن ، ومجازات القرآن ، ونهج البلاغة وهو ما جمعه من كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وغير ذلك . توفّي في بغداد سنة 404هـ ، وقيل : 406هـ ودُفن في الكرخ . انظر : تاريخ آداب اللغة

العربيّة لجرجـــي زيدان (1 : 567) وتاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزّيات (ص 323) .

12) تلخيص البيان في مجازات القرآن (ص 360) .

13) تفسير الكشّاف (4 : 711) .

14) البرهان في علوم القرآن (3 : 492) .

15) سورة : المدّثّر . آية : 34 .

16) تلخيص البيان في مجازات القرآن (ص 354) .

17) سورة : الواقعة . آية : 75 - 77 .

18) التّبيان في أقسام القرآن (ص 279 - 280) .

19) سورة : التّكوير . آية : 15 - 19 .

20) تلخيص البيان في مجازات القرآن (ص 359 - 360) .

21) تفسير الكشّاف (4 : 711) .

22) سورة : النّحل . آية : 16 .

23) سورة : الأنعام . آية : 97 .

24) سورة : الإسراء . آية : 9 .

25) سورة : البقرة . آية : 2 .

26) سورة : الصّافّات . آية : 6 .

27) سورة : فصّلت . آية : 12 .

28) سورة : الملك . آية : 5 .

29) سورة : الحجرات . آية : 7 .

30) المفردات (ص 26) .

31) سورة : التّغابن . آية : 8 .

32) تلخيص البيان في مجازات القرآن (ص 335) .

33) المجازات النّبويّة (ص 218 - 219) .

34) سورة : النّحل . آية : 12 .

35) سورة : الصّافّات . آية 88 - 89 .

36) سورة : الأنعام آية : 75 - 78 .

37) سورة : محمّد . آية : 24 .

38) سورة : ص . آية : 29 .

39) سورة : فصّلت . آية : 12 .

40) سورة : الحجر . آية : 16 - 17 .

41) سورة : الرّعد . آية : 28 .

42) سورة : الإسراء . آية : 82 .

43) سورة : الطّارق . آية : 1 - 3 .

44) معاني القرآن (3 : 254) .

45) تلخيص البيان في مجازات القرآن (ص 326) .

46) تفسير الكشّاف (4 : 734) .

47) سورة : الإسراء . آية : 62 .

48) تلخيص البيان في مجازات القرآن (ص 202 - 203) .

49) سورة : الحجر . آية : 72 .

50) تلخيص البيان في مجازات القرآن (ص 187) .

51) سورة : يوسف . آية : 95 .

52) تفسير الكشّاف (2 : 504) .

53) سورة : يس . آية : 16 - 17 .

54) سورة : الطّارق . آية : 11 - 14 .

55) إمعان في أقسام القرآن (ص 48 - 49) .

56) سورة : يس . آية : 1 - 3 .

57) سورة : ص . آية : 1 - 2 .

58) إمعان في أقسام القرآن (ص 49 - 50) .

59) المصدر السّابق نفسه (ص 50 - 51) .

60) سورة : الفجر . آية : 5 .

61) سورة : الطّارق . آية : 1 - 3 .

62) إمعان في أقسام القرآن (ص 51 - 52) .

63) سورة : العصر . آية : 1 - 2 .

64) إمعان في أقسام القرآن (ص 52 - 53) .

65) المصدر السّابق نفسه (ص 53 - 54) .

66) المصدر السّابق نفسه (ص 54) .

67) المصدر السّابق نفسه (ص 54 - 55) .

68) المجازات النّبويّة (ص 341) .

69) المصدر السّابق نفسه (ص 341 - 342) .

70) انظر : هامش المجازات النّبويّة (ص 342) .

71) المجازات النّبويّة (ص 161) .

72) المصدر السّابق نفسه (ص 161) .

73) انظر : هامش المجازات النّبويّة (ص 161) .

74) المجازات النّبويّة (ص 415) .

75) المصدر السّابق نفسه (ص 415 - 416) .

76) انظر : هامش المجازات النّبويّة (ص 417) .

77) المجازات النّبويّة (ص 354) .

78) المصدر السّابق نفسه (ص 355) .

79) انظر : هامش المجازات النّبويّة (ص 355) .

80) سورة : الحجرات . آية : 14 .

81) سورة : البقرة . آية : 131 . انظر : المفردات (ص 240 - 241) .

82) المجازات النّبويّة (ص 123) .

لم أجد هذا الحديث في كتب الصّحاح ولا المسانيد . انظر : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النّبوي (مادة غلغل) و (مادة نظر) .

83) المصدر السّابق نفسه (ص 123) .

84) انظر : هامش المجازات النّبويّة (ص 124) .

85) لسان العرب (5 : 3287) .

86) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 278) .

87) شرح نهج البلاغة (2 : 660) .

88) شرح نهج البلاغة (2 : 74 - 75) .

89) شرح نهج البلاغة (ص 278) .

90) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 154) .

91) شرح نهج البلاغة (1 : 405) .

92) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 455) .

93) شرح نهج البلاغة (4 : 163) .

94) شرح نهج البلاغة (4 : 249) .

95) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 745) .

96) شرح نهج البلاغة (5 : 386) .

97) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (21 : 367) .

98) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 115) .

99) شرح نهج البلاغة (1 : 197) .

100) شرح نهج البلاغة (1 : 286) .

101) شرح نهج البلاغة (ص 115) .

102) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 261) .

103) شرح نهج البلاغة (2 : 612) .

104) شرح نهج البلاغة (2 : 392) .

105) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 178) .

106) شرح نهج البلاغة (1 : 761) .

107) شرح نهج البلاغة (2 : 148) .

108) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 508) .

109) شرح نهج البلاغة (4 : 52) .

110) شرح نهج البلاغة (ص 508) .

111) البرهان في علوم القرآن (3 : 115) .

112) الخصائص (2 : 362) .

113) المصدر السّابق نفسه (1 : 289) .

114) أمالي ابن الشّجريّ (2 : 123) .

115) مغني اللبيب (2 : 702) .

116) **عبدالقاهر الجرجانيّ** : هو عبدالقاهر بن عبدالرّحمن الجرجانيّ النّحويّ . كان من كبار أئمّة العربيّة والبيان ، شافعيًا ، أشعريًا ، صنّف : المغني في شرح الإيضاح ، وإعجاز القرآن الكبير والصّغير ، والجمل ، والعوامل المائة ، والعمدة في التّصريف ، وغير ذلك . توفّي سنة 471هـ . انظر : بغية الوعاة للسّيوطيّ (2 : 106) .

117) دلائل الإعجاز (ص 146) .

118) المصدر السّابق نفسه (ص 151) .

119) المصدر السّابق نفسه (ص 163) .

120) أيمان العرب في الجاهليّة (ص 16) .

121) المصدر السّابق نفسه (ص 17) .

122) المصدر السّابق نفسه (ص 22) .

123) المصدر السّابق نفسه (ص 19) .

124) المصدر السّابق نفسه (ص 22) .

125) المصدر السّابق نفسه (ص 22) .

126) سورة : ص . آية : 1 - 2 .

127) تفسير الكشّاف (4 : 70) .

128) التّبيان في أقسام القرآن (ص 30) .

129) مجمع البيان (3 : 95) .

130) سورة : ص . آية : 1 - 2 .

131) سورة : الزّخرف . آية : 1 - 3 .

132) إمعان في أقسام القرآن (ص 49 - 50) .

133) سورة : ق . آية : 1 - 2 .

134) معاني القرآن (3 : 75) .

135) مجمع البيان (26 : 101) .

136) التّبيان في أقسام القرآن (ص 542) .

137) سورة : القيامة . آية : 1 - 3 .

138) تفسير الكشّاف (4 : 659) .

139) التّبيان في أقسام القرآن (ص 188) .

140) تفسير البحر المحيط (8 : 375) .

141) سورة : النّازعات . آية : 1 - 5 .

142) معاني القرآن (3 : 231) .

143) تفسير الكشّاف (4 : 693) .

144) التّبيان في أقسام القرآن (ص 178) .

145) سورة : الفجر . آية : 1 - 5 .

146) تفسير الكشاف (4 : 747) .

147) التّبيان في أقسام القرآن (ص 50) .

148) المصدر السّابق نفسه (ص 54) .

149) التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم (2 : 136) .

150) سورة : البروج . آية : 1 - 4 .

151) معاني القرآن (3 : 253) .

152) تفسير الكشّاف (4 : 729 - 730) .

153) التّبيان في أقسام القرآن (ص 122) .

154) تفسير البحر المحيط (8 : 443) .

155) التّبيان في أقسام القرآن (ص 29 - 30) .

156) المصدر السّابق نفسه (ص 29) .

157) **قدامة بن جعفر** : هو قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب . كان نصرانيًا وأسلم على يد المكتفي بالله ، وكان أحد البلغاء الفصحاء ، والفلاسفة الفضلاء ، وممّن يُشار إليهم في علم المنطق . له من الكتب : نقد الشّعر ، وصرف الهمّ ، وجلاء الحزن ، والسّياسة ، وصناعة الجدل ، ونزهة القلوب ، وزاد المسافر ، وغير ذلك . توفّي سنة 337هـ في أيّام المطيع . انظر : معجم الأدباء لياقوت الحمويّ (5 : 8) .

158) الصّناعتين (ص 339) .

159) **ابن رشيق** : هو الحسن بن رشيق القيروانيّ . كان شاعراً ، أديباً ، نحويًا لغويًا ، حاذقًا عروضيًا ، كثير التّصنيف ، حسن التّأليف . ولد بالمحمّديّة سنة 390 هـ . صنّف : العمدة في صناعة الشّعر ، والأنموذج في شعراء القيروان ،

والشّذوذ في اللغة ، وغير ذلك . توفّي بالقيروان سنة 456 هـ . انظر : معجم الأدباء لياقوت الحمويّ (2 : 487) وبغية الوعاة للسّيوطيّ (1 : 504) .

160) العمدة (2 : 5) .

161) أسرار البلاغة (ص 20) .

162) المثل السّائر (3 : 144) .

163) المصدر السّابق نفسه (3 : 145) .

164) الخطيب القزوينيّ : هو محمّد بن عبدالرحمن بن عمر بن أحمد ... أبو المعالي قاضي القضاة جلال الدّين القزوينيّ الشّافعيّ . ولد سنة 666 هـ . أتقن الأصول والعربيّة والمعاني والبيان . وكان فهمًا ذكيًا ، فصيحًا مفوّهًا ، حسن الإيراد ، جميل الذّات والهيئة والمكارم . له من التّصانيف : تلخيص المفتاح في المعاني والبيان ، وإيضاح التّلخيص ، والسّور المرجانيّ من شعر الأرّجانيّ . توفّي سنة 739 هـ . انظر : بغية الوعاة للسّيوطيّ (1 : 156) .

165) الإيضاح (ص 348) .

166) الصّناعتين (ص 371) .

167) العمدة (2 : 15) .

168) الإيضاح (ص 353) .

169) أيمان العرب في الجاهليّة (ص 22)

170) المصدر السّابق نفسه (ص 22) .

171) المصدر السّابق نفسه (ص 22) .

172) المصدر السّابق نفسه (ص 35) .

173) المصدر السّابق نفسه (ص 38) .

174) المصدر السّابق نفسه (ص 26) .

175) شرح ديوان الحماسة (2 : 106) .

176) **التّبريزيّ** : هو يحيى بن عليّ بن محمّد بن الحسن بن محمّد بن موسى بن بسطام الشّيبانيّ أبو زكريّا بن الخطيب التّبريزيّ . كان أحد الأئمّة في النّحو واللغة والأدب حجّةً صدوقًا ثبْتًا . ولّي تدريس الأدب بالنّظاميّة وخزانة الكتب بها ، وانتهت إليه الرّياسة في اللغة والأدب . صنّف : شرح القصائد العشر ، وتفسير القرآن ، وإعراب القرآن ، وشرح اللّمع لابن جنّي ، والكافي في العروض والقوافي ، وثلاثة شروح على الحماسة لأبي تمّام ، وشرح المفضّليّات ، وغير ذلك . ولد سنة 421هـ ، وتوفّي سنة 502 هـ . انظر : معجم الأدباء لياقوت الحمويّ (5 : 628) وبغية الوعاة للسّيوطيّ (2 : 338) .

177) شرح ديوان الحماسة (2 : 105) .

178) ديوان عنترة (ص 121) .

179) **عديّ بن زيد العِباديّ** : شاعر جاهليّ ، نصرانيّ ، حكيم ، مقلّ . جعله ابن سلام في الطّبقة الرّابعة ، من فحول شعراء الجاهليّة لقلّة شعره في أيدي الرّواة . وهو من بني امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم ، كثرت في شعره الحكمة والعظة والاعتذار والوصف . وقد أتقن العربيّة والفارسيّة قراءةً وكتابةً . وكان كاتبًا في ديوان كسرى . ثم غضب عليه النّعْمان فحبسه ورماه في السّجن حتّى مات . انظر : هامش الاختيارين للأخفش (ص 703) .

180) الاختيارين (ص 745) .

181) أيمان العرب في الجاهليّة (ص 22) .

182) **جوّاس** : هو جوّاس بن نعيم بن الحارث أحد بني الهجيم بن عمرو بن تميم ويعرف جوّاس بابن أمّ نهار . انظر : شرح ديوان الحماسة للتّبريزيّ (2 : 189) .

183) شرح ديوان الحماسة (2 : 190) .

184) سورة : الليل . آية : 1 - 3 .

185) التّبيان في أقسام القرآن (ص 82) .

186) التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم (2 : 103) .

187) سورة : الشّمس . آية : 3 - 4 .

188) سورة : المدّثّر . آية : 33 - 34 .

189) سورة : التّكوير . آية : 17 - 18 .

190) سورة : الضّحى . آية : 1 - 2 .

191) سورة : الفجر . آية : 1 - 4 .

192) التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم (2 : 135) .

193) سورة : الحاقّة . آية : 38 - 40 .

194) التّبيان في أقسام القرآن (ص 221) .

195) سورة : المائدة . آية : 28 .

196) المفردات (ص 391) .

197) تفسير الكشّاف (1: 625 - 626) .

198) سورة : الشّعراء . آية : 116 .

199) انظر : هامش تفسير الكشّاف (1 : 625) .

200) الصّناعتين (ص 341) .

201) البيان والتّبيين (1 : 303) .

لم أجد هذا الحديث في كتب الصّحاح ولا المسانيد .

انظر : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النّبويّ (مادّة عتب) و (مادّة موت) .

202) العمدة (2 : 8) .

203) البيان والتّبيين (1 : 19) .

لم أعثر على هذا الحديث في كتب الصّحاح ولا المسانيد .

انظر : المعجـــم المفهرس لألفاظ الحديث النّبويّ (مادّة طمـــع) و (مادّة فزع) .

204) صحيح البخاريّ : باب تمنّي الشّهادة (2 : 137) .

205) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 481) .

206) شرح نهج البلاغة (3 : 498) .

207) انظر : شرح نهج البلاغة لميثم البحرانيّ (3 : 442) .

208) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 569) .

209) المصدر السّابق نفسه (ص 319) .

210) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 192) .

211) الإيضاح (ص 348) .

212) العمدة (2 : 8) .

213) المصدر السّابق نفسه (2 : 13) .

214) المثل السّائر (1 : 210) .

215) السّكّاكيّ : هو يوسف بن أبي بكر بن محمّد أبو يعقوب السّكّاكيّ من أهل خوارزم . إمام في العربيّة والمعاني والبيان والأدب والعروض والشّعر ، متكلّم فقيه متفنّن في علوم شتّى ، وهو أحد أفاضل العصر الذين سارت بذكرهم الرّكبان . صنّف : مِفتاح العلوم في اثني عشر علمًا . ولد سنة 554 هـ ، وتوفّي سنة 626 هـ بخوارزم . انظر : معجم الأدباء لياقوت الحمويّ (5 : 647) وبغية الوعاة للسّيوطيّ (2 : 364) .

216) الإيضاح (ص 402) .

217) أسرار البلاغة (ص 11) .

218) المثل السّائر (1 : 212) .

219) المصدر السّابق نفسه (1 : 214) .

220) المصدر السّابق نفسه (1 : 215) .

221) النّثر الفنّيّ (1 : 75 - 76) .

222) المصدر السّابق نفسه (1 : 77) .

223) المصدر السّابق نفسه (1 : 77 - 79) .

224) المصدر السّابق نفسه (1 : 95) .

225) أسرار البلاغة (ص 8) .

226) النّثر الفنّيّ (1 : 122) .

227) البيان والتّبيين (1 : 290) .

الصّقعاء : التي في وسط رأسها بياض . والبقعاء : هي من الأرض المعزاء ذات الحصى الصّغار . ونفّر : حكم لهم بالغلبة على غيرهم .

228) أساليب القسم في اللغة العربيّة (ص 211) .

229) المصدر السّابق نفسه (ص 212) .

الآســـرة والإســار : القـدّ الذي يُشـدّ به خـشب الـرّحل . وشـرخـا الرّحل : جانباه .

230) المصدر السّابق نفسه (ص 215) .

231) المصدر السّابق نفسه (ص 216) .

أمْض : أي شكّ أو باطل .

232) النّثر الفنّيّ (2 : 97) .

233) سورة : العاديات . آية : 1 - 5 .

234) الصّناعتين (ص 285 - 286) .

235) سورة : الضّحى . آية : 1 - 3 .

236) تفسير الكشّاف (4 : 766) .

237) الإيضاح (ص 111) .

238) سورة : الطّارق . آية : 11 - 14 .

239) سورة : النّجم . آية : 1 - 2 .

240) سورة : التّكوير . آية : 15 - 19 .

241) النّثر الفنّيّ (2 : 98) .

242) المصدر السّابق (2 : 97) .

243) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده (ص 178) .

244) المصدر السّابق نفسه (ص 781) .

245) المصدر السّابق نفسه (ص 606) .

246) المصدر السّابق نفسه (ص 685) .

247) المصدر السّابق نفسه (ص 455) .

248) المثل السّائر (1 : 213) .

الخاتمـــة

الخاتمـة

بعد خوض غمار هذه الدّراسة النّحويّة الشّيّقة والشّائكة بالفكر والنّظر والتّقليب والتّنقيب ، قادنا منهج البحث إلى زمرة من النّتائج :

(1) القسم لغةً عبارة عن الجزم بالقول والفصل به توكيدًا وإصرارًا وإلزام النّفس بشيء لمجابهة جحود الخصم ونكرانه . وهذا التّعريف يستفاد من المعنى اللغويّ الذي تضافرت عليه القاف والسّين والميم .

أمّا تعريف القسم اصطلاحًا فهو جملة إنشائيّة أو خبريّة تؤكّد بها جملة أخرى بعدها خبريّة أو إنشائيّة موجبة أو سالبة . وهذا التّعريف يكاد النّحويّون يجمعون عليه .

وعلى هذين المعنيين اللغويّ والاصطلاحيّ دارت دراسات النّحويّين والبلاغيّين .

(2) بالنّظر والتّأمّل في نماذج القسم وأساليبه وجد الباحث أنّها تتوزّع إلى أربعة أضرب :

الأوّل : تعبيرات وردت في الجاهليّة ، وأقرّت على دلالتها السّابقة في الإسلام .

الثّاني : تعبيرات استعملت في الجاهليّة ، وألغيت في الإسلام .

الثّالث : : تعبيرات لم تكن واردة في الجاهليّة ، واستحدثت في الإسلام .

الرّابع : تعبيرات تعددت وتطوّرت دلالتها القسميّة في الجاهليّة والإسلام .

(3) بعد استقراء الباحث ووقوفه عند النّماذج القسميّة المتنوّعة من مختلف المصادر الدّينيّة والأدبيّة واللغويّة ، تجلّى له أمران :

أحدهما : أنّ تلك النّماذج تنقسم إلى قسمين :

أ – نماذج قسميّة أصول .

ب – نماذج قسميّة فروع .

والآخر : أن تلك النّماذج تشكّلتْ في ثمانية وستين نموذجًا أصلاً وفق التّصنيف النّوعيّ الآتي :

أولاً : الحروف التي يتصدّر بها القسم .

ثانيًا : أفعال القسم الصّريح .

ثالثًا : أفعال القسم غير الصّريح .

رابعًا : أسماء ومصادر القسم الصّريح .

خامسًا : أسماء ومصادر القسم غير الصّريح .

سادسًا : حروف القسم والمقسم به .

سابعًا : أدلّة اليمين عند حذف جملة القسم .

(4) في إطار تفسير الجملة في النّحو العربيّ ، أوضح الباحث أنّ القسم قد أطلق عليه مصطلح « جملة » من بين المصطلحات التّالية : الكلام ، والكلم ، والكلمة ، والقول ، والجملة ولكنّه جملة مركّبة من جملتين :

الأولى : جملة جانبيّة وهي جملة المقسم به .

الثّانية : جملة رئيسة وهي جملة المقسم عليه .

كما بيّن الباحث أنّ لذلك نظائر في النّحو العربيّ مثل جملة : الشّرط ، والصّلة ، والجملة الاعتراضيّة ، والتّفسيريّة ، كما قدّم الباحث توصيفًا للنّماذج العقليّة لجملتي المقسم به والمقسم عليه ، والتي قد وردت كلّها في اللسان العربيّ . فبيّن أنّ هاتين الجملتين تردان في اللغة العربيّة وفقًا للنّماذج الآتية :

أولا : جملة المقسم به الاسميّة + جملة المقسم عليه الاسميّة المثبتة .

ثانيًا : جملة المقسم به الاسميّة + جملة المقسم عليه الاسميّة المنفيّة .

ثالثًا : جملة المقسم به الاسميّة + جملة المقسم عليه الفعليّة المثبتة .

رابعًا : جملة المقسم به الاسميّة + جملة المقسم عليه الفعليّة المنفيّة .

خامسًا : جملة المقسم به الفعليّة + جملة المقسم عليه الاسميّة المثبتة .

سادسًا : جملة المقسم به الفعليّة + جملة المقسم عليه الاسميّة المنفيّة .

سابعًا : جملة المقسم به الفعليّة + جملة المقسم عليه الفعليّة المثبتة .

ثامنًا : جملة المقسم به الفعليّة + جملة المقسم عليه الفعليّة المنفيّة .

(5) عرض الباحث موقف النّحاة المختلف في تحديد الجملة القسميّة بنوعيها من حيث الخبر والإنشاء ، والذي اطمأنّ إليه :

أنّ الأصل في جملة المقسم به الإنشاء ، ولا يدخل عليها الخبر إلا عارضًا وذلك إذا لم يكن القسم صريحًا .

وأنّ الأصل في جملة المقسم عليه الخبر ، ولا يدخل عليها الإنشاء إلا عارضًا وذلك إذا كان القسم استعطافيًا .

كما بيّن أنّه لم يخرج معنى الخبر والإنشاء عند النّحويّين عمّا تعارف عليه البيانيّون .

(6) لا توجد صلة وثقى ولا رابطة عظمى بين أسلوبين في اللغة العربيّة كما يوجد بين الشّرط والقسم ، وذلك لوجود المشابهة بينهما ، حيث إنّ كلا منهما جملة مركّبة وله جواب :

فالقسم جملة مركّبة ويقتضي توكيد حصول جواب القسم في الحال .

والشّرط جملة مركّبة ويقتضي افتراض حصول جواب الشّرط في الاستقبال .

ولذلك تنوعت أحكام اجتماع الشّرط والقسم من حيث التّقدّم والتّوسّط والتّأخّر ، ومن حيث الإلغاء والاعتبار .

(7) أكثر العرب التّصرّف في أسلوب القسم متوخّين ضروبًا من التّخفيف لكثرة دورانه وورودة في اللسان العربيّ ، وعلى حسب تفاوت الكثرة يتفاوت التّصرّف والتّخفيف . وقد أظهرت هذه الدّراسة أنّهم آثروا تخفيفه وبالغوا في تصرّفه من غير جهة ، من ذلك :

أ – الحذف : مثل حذف متعلّق الجارّ والمجرور ، وحذف الجارّ من المقسم به ، وحذف المقسم به ، وحذف النّافي من المقسم عليه ، وحذف الخبر من الجملة الابتدائيّة تخفيفًا لطول الكلام بالجواب ، وحذف بعض أحرف « ايمن » ، وغير ذلك .

ب – الاعتراض : مثل الاعتراض بين جملتي المقسم به والمقسم عليه ، والاعتراض بالقسم بين الفعل ومرفوعه ، وبين المبتدأ وخبره ، وبين الموصوف وصفته ، وبين المتضايفين ، وبين حرف النّفي ومنفيّه ، وغير ذلك .

جـ – التّقديم والتّأخير : مثل تقديم المقسم عليه على القسم ، وتقديم المقسم به على القسم ، والتّقديم والتّأخير بين الجملة القسميّة والجملتين : الشّرطيّة ، والابتدائيّة .

(8) وجد الباحث عند تأمّله في الدّلالة المعجميّة لألفاظ القسم :

أنّ ألفاظ القسم الصّريح : قد كثر استعمالها للقسم بحيث إنّه لا يلتفت إلى أصول معانيها . وأنّ « القسم » الذي جوهره التّوكيد والإشهاد قد استقرّ وارتبط بهذه الأصول . ولا شكّ أنّ مرجعيّة ذلك الاستقرار هو التّطوّر اللغويّ الذي طرأ على طبيعة الاستخدام لهذه الكلمات .

أمّا ألفاظ القسم غير الصّريح : فالغالب فيها أنّها ضارعت كلمة « القسم » في أصل معناه أو في المعنى العام لتلك الألفاظ ، وقد سوّغت هذه المضارعة إلحاقها بالقسم . أمّا الألفاظ التي لم ينسحب عليها المعنى الأصل للقسم فقد سوّغ إلحاقها بالقسم توافقها و « القسم » في أحد معانيه الأخرى ، أو توافقها وألفاظ القسم الصّريح سواءكان في المعنى العام لتلك الألفاظ أو في أحد معانيها الأخرى أو كونها دالّة على أمر يكثر مجيء القسم لأجله .

(9) أوضحت الدّراسة عند تناولها الدّلالة الصّوتيّة أمرين :

أحدهما : أنّ إبدال حرف قسم من حرف آخر إنّما هو أيضًا من ضروب

التّخفيف والتّصرّف في أسلوب القسم لكثرة دورانه في لغة العرب ، ويستند هذا الإبدال إلى أمرين :

أ – التّوافق المعنويّ بين الحرفين .

ب– التّوافق الصّوتيّ في الصّفة والمخرج معًا ، أو في أحدهما .

والآخر : أنّ اختيار العرب هذه الأصوات أو تلك للدّلالة على معنى من المعاني لم يكن اعتباطًا ، وإنّما كان حذوًا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث . وقد تجلّى ذلك في موادّ القسم الصّريح . أمّا موادّ القسم غير الصّريح فإنّها لا تظهر دلالتها على القسم إلا في المستوى التّركيبيّ .

(10)ممّا توصّل إليه الباحث في مجال الدّلالة الصّرفيّة لأفعال القسم :

أنّ أفعال القسم إمّا مجرّدة أو مزيدة ، وقد انحصرت المجرّدة في الثّلاثيّ ، وانحصرت المزيدة في سبعة أوزان هي :

1) فعّلَ . 3) فاعلَ . 5) تفاعلَ . 7) استفعل .

2) أفعلَ . 4) تفعّلَ . 6) افتعلَ .

وهذا يعني أنّه ليس كلّ صيغ الزّيادة صالحة للدّلالة على معنى القسم . كما لا يلزم في كلّ فعل قسميّ مجرّد أن يستعمل له مزيد ، والعكس صحيح أي لا يلزم في كلّ فعل مزيد أن يكون له فعل مجرّد دالا على معنى القسم ، ولا يلزم في ما استعمل له صيغ الزّيادة أن يستعمل له صيغ الزّيادة لفعل الآخر .

(11)كثيرًا ما يجنح القسم إلى التّصدّر بهذه الأحرف : (لا ، أمَا ، كلا ، بلى ، إيْ ، وأجلْ) على جهة التّأكيد . ودخولها قبل القسم كان شائعًا في لسان العرب لأنّه غالبًا ما تكون فائدتها توكيد المقسم عليه وتحقيقه ، فتكون بذلك سندًا وعضدًا للقسم الذي يصبّ مجيئه في الفائدة ذاتها . وقد رأى الباحث أنّه :

عندما تلتقي الفائدة الحاصلة من القسم ، والفائدة العارضة ممّا تصدّر به القسم ، تتضاعف درجة التّأكيد والتّسديد ، ويزداد الكلام بها فصاحةً وتثبيتًا

، ولا يجوز خلوّها من الفوائد اللفظيّة والمعنويّة معًا ، وإلا لعدّتْ عبثًا ، ولا يجوز ذلك في أفصح الكلام وأبلغه ولا سيّما في لغة التّنزيل .

(12)وجد الباحث عند إمعانه في الدّلالة الأسلوبيّة (البلاغيّة) :

أنّ أسلوب القسم يخرج إلى معانٍ بيانيّة وملاحظ بلاغيّة ذات تأثير وجدانيّ ، على نحو ما تخرج الأساليب الإنشائيّة الأخرى كالأمر والنّهي والاستفهام عندما يُعدَل فيها عن أصل استعمالها الأوّل إلى استعمال بلاغيّ ، وذلك عندما نقرّر أنّ أصل استعمال القسم للتّعظيم .

(13)إنّ اختيار المقسم به تُراعَى فيه الصّفةالتي تناسب الموقف والمقام . ومن هنا يبدو جليًا أنّ الملاءمة والصّلة بين المقسم به والمقسم عليه هي معقد القسم وعمدة أسراره التّعبيريّة ومجلى دقّته البيانيّة .

ومن هذا المنطلق ، فإنّ أكثر ما يحذف المقسم عليه إذا كان في نفس المقسم به ما يدلّ عليه ، فإنّ المقصود يحصل بذكر المقسم به ، فيكون حذف المقسم عليه أبلغ وأوجز ، وهي طريقة شائعة في لغة العرب في حذف المقسم عليه ، ولا سيّما في لغة القرآن الكريم .

وبمثل هذا الأسلوب الإنشائيّ يبلغ البيان العربيّ غايته وذروته من الإقناع وإلزام الخصم بالحجّة والبرهان ، فإنّ نماذجه – وخصوصًا في أفصح الكلام – تتنوّع وفق مدارج الأفهام والعقول .

وبعدُ أختم قولي بمقولة ابن خلدون في « مقدّمته » المشهورة (ص 7) :

« وأنا من بعدها موقنٌ بالقصور بين أهل العصور ، معترف بالعجز عن المضاء في مثل هذا القضاء ، راغب من أهل اليد البيضاء ، والمعارف المتّسعة الفضاء ، في النّظر بعين الانتقاد لا بعين الارتضاء ، والتّغمّد لما يعثرون عليه بالإصلاح والإغضاء ، فالبضاعة بين أهل العلم مُزجاة ، والاعتراف من اللوم مَنجاة ، والحسنى من الإخوان مُرتجاة ، واللّهَ أسأل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم وهو حسبي ونعم الوكيل » .

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

1 - « **الإتقان في علوم القرآن** » للسّيوطيّ – تعليق محمّد شريف سكّر – ط . دار إحياء العلوم الأولى – بيروت 1987 م .

2 - « **الاختيارين** » للأخفش الأصغر – تحقيق د./ فخر الدّين قباوة – ط. الكتبي بدمشق 1974 م .

3 - « **ارتشاف الضّرب** » لأبي حيّان الأندلسيّ – تحقيق د. / مصطفى النّمّاس – ط. المدنيّ الأولى – مصر 1989 م .

4 - « **إرشاد القلوب** » للدّيلميّ – ط. أمير الأولى – قم المقدّسة 1371 – 1412 هـ .

5 - « **أساس البلاغة** » للزّمخشري – ط. الهيئة المصريّة العامّة للكتاب الثّالثة – 1985 م .

6 - « **أساليب بلاغيّة** » للدكتور أحمد مطلوب – ط. وكالة المطبوعات الأولى – الكويت 1980 م .

7 - « **أساليب القسم في اللغة العربيّة** » لكاظم فتحي الرّاويّ – ط. مطبعة الجامعة الأولى ببغداد 1977 م .

8 - « **أسرار البلاغة** » لعبد القاهر الجرجانيّ – تحقيق محمود شاكر – ط. المدنيّ الأولى بمصر 1991 م .

9 - « **أسرار العربيّة** » لأبي البركات الأنباريّ – تحقيق محمّد البيطار – ط. التّرقّي بدمشق 1957 م .

10 - « **الأشباه والنّظائر** » للسّيوطيّ – ط. دار الكتب العلميّة الأولى – بيروت 1984 م .

11 - « **الاشتقاق** » لابن دريد – تحقيق عبدالسّلام هارون – ط. مكتبة الخانجي الثّالثة – القاهرة .

12 - « **الأصول في النّحو** » لابن السّرّاج – تحقيق د. عبدالحسين الفتليّ – ط. مؤسسة الرّسالة الثّالثة – بيروت 1988م .

13 - « **أضواء على دعاء كميل** » لعزّ الدّين بحر العلوم – ط. دار الزّهراء الأولى – بيروت 1991م .

14 - « **الإعجاز البيانيّ للقرآن** » لبنت الشّاطىء – ط. دار المعارف الثّانية – القاهرة 1984م .

15 - « **إعجاز القرآن** » للباقلانيّ – شرح د. عبدالمنعم خفّاجي – ط. دار الجيل بيروت – الأولى 1991م .

16 - « **أمالي ابن الشّجريّ** » تحقيق د. محمود الطّناحيّ – ط. مطبعة المدني بمصر – الأولى 1992 م .

17 - « **إمعان في أقسام القرآن** » للفراهيّ – ط. المطبعة السّلفيّة – القاهرة 1349هـ .

18 - « **الإنصاف في مسائل الخلاف** » للأنباريّ – تحقيق محمّد محيي الدّين عبدالحميد – ط. المكتبة العصريّة – بيروت 1987 م .

19 - « **أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك** » لابن هشام – تحقيق محمّد محيي الدّين عبدالحميد – ط. أمير الخامسة – قم المقدّسة 1967م .

20 - « **إيضاح الشّعر** » لأبي عليّ الفارسيّ – تحقيق د. حسن هنداوي – ط. دار القلم الأولى – دمشق 1987م .

21 - « **الإيضاح في علوم البلاغة** » للقزوينيّ – ط. دار الكتب العلميّة الأولى – بيروت 1985م .

22 - « **أيمان العرب في الجاهليّة** » للنّجيرميّ – تحقيق محبّ الدّين الخطيب – ط. الطبعة السّلفية الثّانية – القاهرة 1382هـ .

23 - « **بحار الأنوار** » للعلامة المجلسيّ – ط. مؤسسة الوفاء الثّانية – بيروت 1983م .

24 - « **بحوث ومقالات في اللغة** » للدّكتور رمضان عبدالتّوّاب – ط. مطبعة المدنيّ الثّانية – مصر 1988م .

25 - « **البرهان في علوم القرآن** » للزّركشيّ – تحقيق مصطفى عطا – ط. دار الكتب العلميّة الأولى – بيروت 1988م .

26 - « **بغية الوعاة** » للسّيوطيّ – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – ط. المكتبة العصريّة – بيروت .

27 - « **بلاغة القسم في القرآن الكريم** » للدّكتور عفّت الشّرقاويّ – جامعة البحرين .

28 - « **البيان في غريب إعراب القرآن** » للأنباريّ – تحقيق د. طه عبدالحميد طه – ط. الهيئة المصريّة العامّة للكتاب 1980م .

29 - « **البيان والتّبيين** » للجاحظ – تحقيق عبدالسّلام هارون – ط. المدني الخامسة – مصر 1985م .

30 - « **تاريخ آداب اللغة العربيّة** » لجرجي زيدان – ط. دار مكتبة الحياة – بيروت 1992م .

31 - « **تاريخ الأدب العربيّ** » لأحمد حسن الزّيات – ط. دار الثّقافة الثّامنة والعشرون – بيروت .

32 - « **تاريخ الأدب العربيّ** » لبروكلمان – ترجمة د. السّيّد يعقوب بكر وزميله – ط. دار المعارف الثّالثة – القاهرة .

33 - « **تاريخ الخلفاء** » للسّيوطيّ – ط. دار القلم العربيّ – دمشق 1991م .

34 - « **التّبيان في إعراب القرآن** » للعكبريّ – تحقيق عليّ محمد البجّاويّ – ط. دار الجيل الثّانية – بيروت 1987م .

35 - « التّبيان فى أقسام القرآن » لابن القيّم الجوزيّة – تحقيق محمد شريف سكّر – ط. دار إحياء العلوم الأولى – بيروت 1988م .

36 - « التّرغيب والتّرهيب من الحديث الشّريف » للحافظ المنذريّ – تحقيق لجنة من الأدباء بإشراف د. محمد الصّباح – ط. دار مكتبة الحياة – بيروت 1987م .

37 - « تفسير البحر المحيط » لأبي حيّان الأندلسيّ – تحقيق الشّيخ عادل عبدالموجود وزملائه – ط. دار الكتب العلميّة الأولى – بيروت 1993م .

38 - « التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم » لبنت الشّاطىء – ط. دار المعارف السّابعة – القاهرة .

39 - « تفسير القرآن العظيم » لابن كثير – ط. دار مكتبة الهلال الأولى – بيروت 1990م .

40 - « تلخيص البيان في مجازات القرآن » للشّريف الرّضيّ – تحقيق محمد عبدالغني حسن – ط. دار الأضواء الثّانية – بيروت 1986م .

41 - « الجنى الدّاني في حروف المعاني » للمراديّ – تحقيق د. فخر الدين قباوة وزميله – ط. دار الكتب العلميّة – بيروت 1992م .

42 - « حاشية الأمير على مغني اللبيب » – دار إحياء الكتب العربيّة – القاهرة .

43 - « حقائق التّأويل فى متشابه التّنزيل » للشّريف الرّضيّ – تحقيق محمّد الرّضا آل كاشف الغطاء – ط. دار الكتب الإسلامية – قم المقدّسة .

44 - « الحيوان » للجاحظ – تحقيق عبدالسّلام هارون – ط. دارالفكر –الثّانية 1988م .

45 - « الخصائص » لابن جنّي – تحقيق محمّد عليّ النّجّار – ط. الهيئة المصريّة العامّة للكتاب الثّالثة 1986م .

46 - « الدّرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة » للسّيوطيّ – تحقيق د. محمد بن لطفي الصبّاغ – ط. جامعة الملك سعود – الأولى 1983م .

47 - « دراسات لأسلوب القرآن الكريم » لمحمّد عبدالخالق عضيمة – ط. دار الحديث – القاهرة .

48 - « دراسة الصّوت اللغويّ » للدّكتور أحمد مختار عمر – ط. عالم الكتب – القاهرة 1991م .

49 - « دلائل الإعجاز » لعبدالقاهر الجرجانيّ – تحقيق محمود محمد شاكر – ط. المدني – مصر .

50 - « ديوان الأحوص الأنصاري » شرح مجيد طراد – ط. دار الكتاب العربي الأولى – بيروت 1994م .

51 - « ديوان الأخطل » تعليق مهدي محمّد ناصر الدّين – ط. دار الكتب العلميّة الثّانية – بيروت 1994م .

52 - « ديوان الأعشى الكبير » تعليق د. محمّد محمّد حسين – ط. دار النّهضة العربيّة – بيروت 1974م .

53 - « ديوان امرىء القيس » – تعليق مصطفى عبد الشّافي – ط. دار الكتب العلميّة – بيروت .

54 - « ديوان جرير » – تعليق مهدي محمد ناصر الدّين – ط. دار الكتب العلميّة – بيروت 1995م .

55 - « ديوان حاتم الطّائيّ » – ط. دار مكتبة الهلال الثّانية – بيروت 1986م .

56 - « ديوان حسّان بن ثابت » – ط. دار صادر – بيروت .

57 - « ديوان الخنساء » – تعليق عبدالسّلام الحوفي – ط. دار الكتب العلميّة – بيروت .

58 - « ديوان ذي الرّمة » شرح الخطيب التبريزي – تقديم مجيد طراد – ط. دار الكتاب العربي الثانية – بيروت 1996م .

59 - « **ديوان عمر بن أبي ربيعة** » – تعليق عبد أ. عليّ مهنا – ط. دار الكتب العلميّة الثّانية – بيروت 1992م .

60 - « **ديوان عنترة** » – تعليق عبّاس إبراهيم – ط. دار الفكر العربيّ الأولى – بيروت 1994م .

61 - « **ديوان الفرزدق** » – تعليق عليّ فاعور – ط. دار الكتب العلميّة – بيروت .

62 - « **ديوان لبيد بن ربيعة العامري** » ط. دار صادر – بيروت – لبنان .

63 - « **ديوان مهلهل بن ربيعة** » شرح طلال حرب – ط. دار صادر الأولى – بيروت 1996م .

64 - « **ديوان النّابغة الذّبيانيّ** » – تعليق عليّ فاعور – ط. دار الفكر العربيّ الأولى – بيروت 1993م .

65 - « **سرّ صناعة الإعراب** » لابن جنّي – تحقيق د. حسن هنداويّ – ط. دار القلم الأولى – دمشق 1985م .

66 - « **شرح اختيارات المفضّل** » للتّبريزيّ – تحقيق د. فخر الدّين قباوة – ط. دار الكتب العلميّة – بيروت 1987م .

67 - « **شرح جمل الزّجّاجي** » لابن عصفور – تحقيق د. صاحب أبو جناح .

68 - « **شرح ديوان الحماسة** » للتّبريزي .

69 - « **شرح شافية ابن الحاجب** » للرّضيّ – تحقيق محمد نور الحسن وزميله – ط. دار الكتب العلميّة – بيروت 1982م .

70 - « **شرح شذور الذّهب** » لابن هشام – تحقيق محمّد محيي الدّين عبدالحميد – ط. المكتبة العصريّة الأولى – بيروت 1986م .

71 - « **شرح شواهد المغني** » للسّيوطيّ – تعليق محمّد محمود الشّنقيطيّ – ط. دار مكتبة الحياة – بيروت .

72 - « شرح ابن عقيل » – تحقيق محمّد محيي الدّين عبدالحميد – ط. دار العلوم الحديثة – بيروت .

73 - « شرح الكافية » للرّضيّ – تحقيق يوسف حسن عمر – ط. جامعة قار يونس – ليبيا 1978م .

74 - « شرح الكافية الشّافية » لابن مالك – تحقيق الدّكتور عبدالمنعم هريدي – ط. دار المأمون للتّراث الأولى – مكّة المكرمة 1982م .

75 - « شرح المختصر » للتّفتازانيّ – تحقيق عبدالمتعال الصّعيديّ – ط. دار الحكمة – قم المقدّسة .

76 - « شرح المعلّقات العشر » للزّوزنيّ – ط. دار مكتبة الحياة – بيروت 1983م .

77 - « شرح المفصّل » لابن يعيش – ط. مكتبة المتنبّي – القاهرة .

78 - « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد – تحقيق لجنة إحياء الذّخائر – ط. دار مكتبة الحياة – بيروت 1983م .

79 - « شرح نهج البلاغة » لمحمّد عبده – ط. مؤسسة المعارف – بيروت .

80 - « شرح نهج البلاغة » لميثم البحرانيّ – ط. دار العالم الاسلاميّ الثّانية – بيروت 1981م .

81 - « الشّعر والشّعراء » لابن قتيبة – ط. دار إحياء العلوم الأولى – بيروت 1984م .

82 - « شواهد التّوضيح والتّصحيح » لابن مالك – تحقيق محمّد فؤاد عبدالباقي – ط. دار الكتب العلميّة – بيروت .

83 - « صحيح البخاريّ » – ط. دار الكتب العلميّة – بيروت .

84 - « الصّناعتين » لأبي هلال العسكريّ – تحقيق د. مفيد قميحة – ط. دار الكتب العلميّة الثّانية – بيروت 1984م .

85 - « **العقد الفريد** » لابن عبد ربّه الأندلسيّ – شرح أحمد أمين وزميليه – ط. دار الكتاب العربيّ – بيروت .

86 - « **العلامة الإعرابيّة في الجملة بين القديم والحديث** » للدّكتور محمّد حماسة عبداللطيف – ط. مكتبة أم القرى الأولى – الكويت 1984م .

87 - « **علم الدّلالة العربيّ** » للدّكتور فايز الدّاية – ط. دار الفكر الأولى – دمشق 1985م .

88 - « **علم اللغة العام : الأصوات العربيّة** » للدّكتور كمال بشر – ط. مكتبة الشّباب – 1987م .

89 - « **العمدة** » لابن رشيق القيرواني – تحقيق محمّد محيي الدّين عبدالحميد – ط. دار الجيل الخامسة – بيروت 1981م .

90 - « **في ظلال نهج البلاغة** » لمحمّد جواد مغنية – ط. دار العلم للملايين الثّالثة – بيروت 1979م .

91 - « **الكامل في اللغة والأدب** » للمبرّد – تحقيق تغاريد بيضون ونعيم زرزور – ط. دار الكتب العلميّة الثّانية – بيروت 1989م .

92 - « **الكتاب** » لسيبويه – تحقيق عبدالسّلام هارون – ط. دار الكتب العلميّة الثّالثة – بيروت 1988م .

93 - « **الكشّاف** » للزّمخشريّ – ط. أدب الحوزة – بيروت .

94 - « **لسان العرب** » لابن منظور – ط. دار المعارف .

95 - « **اللباب في علل البناء والإعراب** » للعكبريّ – تحقيق غازي طليمات – ط. دار الفكر الأولى – دمشق 1995م .

96 - « **اللغة العربية معناها ومبناها** » للدكتور تمّام حسّان – ط. الهيئة المصريّة العامّة للكتاب الثّانية – 1979م .

97 - « **اللّمَع في العربيّة** » لابن جنّي – تحقيق حامد المؤمن – ط. عالم الكتب الثّانية – بيروت 1985م .

98 - « **المثل السّائر** » لابن الأثير – تحقيق د. أحمد الحوفيّ وزميله – ط. دار نهضة مصر – القاهرة .

99 - « **المجازات النّبوية** » للشّريف الرّضي – تحقيق د. طه الزّينيّ – ط. دار الأضواء – بيروت 1986م .

100 - « **مجمع البيان في تفسير القرآن** » للطّبرسيّ – ط. دار مكتبة الحياة – بيروت .

101 - « **مجمل اللغة** » لابن فارس – تحقيق زهير عبدالمحسن سلطان – ط. مؤسسة الرّسالة الثّانية – بيروت 1986م .

102 - « **المحتسَب** » لابن جنّي – تحقيق علي النّجدي ناصف وزميليه – ط. دار سزكين الثّانية – 1986م .

103 - « **المدخل إلى علم اللغة** » للدّكتور رمضان عبد التّوّاب – ط. المدني الثّانية – القاهرة 1985م .

104 - « **المسائل الحلبيّات** » لأبي عليّ الفارسيّ – تحقيق د. حسن هنداويّ – ط. دار القلم الأولى – دمشق 1987م .

105 - « **مسند الإمام أحمد بن حنبل** » – ط. دار صادر – بيروت .

106 - « **المعارف** » لابن قتيبة – تحقيق د. ثروت عكاشة – ط. دار المعارف الثّانية – مصر .

107 - « **معاني الأخبار** » للصّدوق – تحقيق عليّ أكبر الغفّاري – ط. الأعلمي الأولى – بيروت 1990م .

108 - « **معاني الحروف** » للرمّاني – تحقيق د. عبدالفتاح إسماعيل شلبيّ – ط. دار الشّمال – طرابلس – لبنان .

109 - « معاني القرآن » للأخفش - تحقيق د. هدى قراعة - ط. المدني الأولى - مصر 1990م .

110 - « معاني القرآن » للفرّاء - تحقيق محمّد عليّ النّجّار وزميليه - ط. الهيئة المصريّة العامّة للكتاب الثّانية - 1980م .

111 - « معجم الأدباء » لياقوت الحمويّ - ط. دار الكتب العلميّة الأولى - بيروت 1991م .

112 - « المعجم العربيّ » للدّكتور حسين نصّار - ط. دار مصر الرّابعة - 1988م .

113 - « معجم الفروق اللغويّة » لأبي هلال العكسريّ - ط. وتحقيق مؤسسة النّشر الإسلامي - الأولى قم المقدسة .

114 - « معجم مصطلحات النّحو العربيّ » للدّكتور جورج عبدالمسيح وزميله - ط. مكتبة لبنان الأولى - بيروت 1990م .

115 - « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبويّ » الاتحاد الأممي للمجامع العلمية - رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين - مطبعة بريل - مدينة ليدن 1936 - 1969م .

116 - « المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم » لمحمّد فؤاد عبدالباقي - ط. دار المعرفة الرّابعة - بيروت 1994م .

117 - « المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة » لكاظم محمّديّ ومحمد دشتيّ - ط. دار الأضواء - بيروت 1986م .

118 - « معجم مقاييس اللغة » لابن فارس - تحقيق عبدالسّلام هارون - ط. دار الجيل الأولى - بيروت 1991م .

119 - « مغني اللبيب » لابن هشام - تحقيق محمّد محيي الدّين عبدالحميد - ط. المكتبة العصريّة - بيروت 1987م .

120 - « المفردات في غريب القرآن » للرّاغب الأصفهانيّ - تحقيق محمّد سيّد كيلانيّ - ط. دار المعرفة - بيروت .

121 - « **المقتضب** » للمبرّد – تحقيق محمّد عبالخالق عضيمة – ط. دار الكتاب المصريّ – القاهرة 1399هـ .

122 - « **مقدمة ابن خلدون** » ط. دار القلم الأولى – بيروت 1978م .

123 - « **الممتع في التّصريف** » لابن عصفور – تحقيق د. فخر الدّين قباوة – ط. دار الآفاق الجديدة الرّابعة – بيروت 1979م .

124 - « **المنجد في اللغة والأعلام** » للويس معلوف – ط. دار المشرق الثّلاثون – 1988م .

125 - « **منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة** » لميرزا حبيب اللّه الخوئيّ – ط. مؤسسة الوفاء الثّانية – بيروت 1983م .

126 - « **موطّأ الإمام مالك** » – ط. دار النّفائس السّادسة – بيروت 1982م .

127 - « **نتائج الفكر في النّحو** » للسّهيليّ – تحقيق د. محمّد البنّا – ط. دار الرّياض الثّانية .

128 - « **النّثر الفنّي في القرن الرّابع الهجري** » لزكي مبارك – ط. المكتبة العصريّة – بيروت .

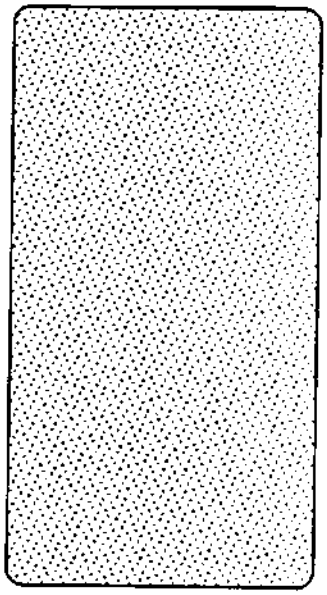
129 - « **النّحو الوافي** » لعبّاس حسن – ط. دار المعارف الثّالثة بمصر .

130 - « **همع الهوامع** » للسّيوطي – تحقيق د. عبدالعال سالم مكرم – ط. مؤسسة الرّسالة – بيروت 1992م .

131 - « **الوافي في شرح الشّاطبيّة في القراءات السّبع** » لعبد الفتّاح القاضي – ط. مكتبة الدّار الثّانية – المدينة المنورة 1989م .

132 - « **يوم الدّين والحساب** » للدّكتور شكري عيّاد – ط. دار الوحدة الأولى – بيروت 1980م .

الفهارس العامة



(1) فهرس الآيات القرآنية .

(2) فهرس الأحاديث الشّريفة .

(3) فهرس أيمان العرب .

(4) فهرس الأشعار .

(5) فهرس الأعلام .

(6) فهرس الموضوعات .

1- فهرس الآيات القرآنيّة

الآيـــة الكريمة	السّورة	رقم الآية	الصّفحة
﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتّقين ﴾ .	البقرة	2	424
﴿ وإذْ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا اللّه وبالوالدين إحسانًا ﴾ .	البقرة	83	36
﴿ وإذْ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ﴾ .	البقرة	84	367-98-37
﴿ إذْ قال له ربّه أسلمْ قال أسلمت لربّ العالمين ﴾ .	البقرة	131	436
﴿ وقالوا كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا قلْ بلْ ملّة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين ﴾ .	البقرة	135	157
﴿ ولئن أتيتَ الذين أوتوا الكتاب بكلّ آية ما تبعوا قبلتك ﴾ .	البقرة	145	173
﴿ فمنْ خاف من موصٍ جنفًا أو إثمًا فأصلح بينهم فلا إثم عليه ﴾ .	البقرة	182	266
﴿ علم اللّه أنّكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم ﴾ .	البقرة	187	98
﴿ للذين يؤلون من نسائهم تربّص أربعة أشهر ﴾ .	البقرة	226	364-27
﴿ ربّنا ولا تحملْ علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا ﴾ .	البقرة	286	263
﴿ شهد اللّه أنّه لا إله إلاّ هو والملائكة وأولوا العلم قائمًا بالقسط ﴾ .	آل عمران	18	166-97-46

الآيـــة الكريمة	السّورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ وإذْ أخذ اللّه ميثاق النّبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثمّ جاءكم رسول مصدّق لما معكم لتؤمننّ به ولتنصرنّه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكمْ إصري ﴾ .	آل عمران	81	263-194-184-37
﴿ ولقدْ صدقكُم اللّه وعده ﴾ .	آل عمران	152	198
﴿ وإذْ أخذ اللّه ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننّه للنّاس ﴾ .	آل عمران	187	37
﴿ فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقُتلوا لأكفرنّ عنهم سيئاتهم ﴾ .	آل عمران	195	184-182
﴿ ثمّ جاءوك يحلفون باللّه إنْ أردنا إلا إحسانًا وتوفيقًا ﴾ .	النّساء	62	93
﴿ فلا وربّك لا يؤمنون حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم ثمّ لا يجدوا في أنفسهم حرجًا ممّا قضيتَ ويسلّموا تسليمًا ﴾ .	النّساء	65	344-343-86
﴿ وإنِ امرأة خافتْ من بعلها نشوزًا أو إعراضًا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحًا ﴾ .	النّساء	128	266
﴿ لئن بسطتَ إليَّ يدك لتقتلني ما أنا ببباسط يديَ إليك لأقتلك إنّي أخاف اللّه ربّ العالمين ﴾ .	المائدة	28	456
﴿ أهؤلاء الذين أقسموا باللّه جهد أيمانهم إنّهم لمعكم ﴾ .	المائدة	53	92
﴿ وإنْ لم ينتهوا عمّا يقولون ليمسنَّ الذين كفروا			

الآيــة الكريمة	السّورة	رقم الآية	الصّفحة
منهم عذاب أليم ﴾ .	المائدة	73	194
﴿ لتجدنّ أشدّ النّاس عداوةً للذين آمنوا اليهودَ والذين أشركوا ولتجدنّ أقربهم مودّةً للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى ﴾ .	المائدة	82	401
﴿ فيقسمانِ باللّه إنِ ارتبتم لا نشتري به ثمنًا ﴾ .	المائدة	106	21
﴿ فيقسمانِ باللّه لشهادتنا أحقّ من شهادتهما ﴾ .	المائدة	107	146-92
﴿ كتب على نفسه الرّحمة ليجمعنّكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ﴾ .	الأنعام	12	101-37
﴿ ثمّ لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا : واللّهِ ربّنا ما كنّا مشركين ﴾ .	الأنعام	23	116
﴿ قال أليس هذا بالحقّ ؟ قالوا بلى وربّنا ﴾ .	الأنعام	30	535-90
﴿ كتب ربّكم على نفسه الرّحمة أنّه من عمل منكم سوءًا بجهالة ثمّ تاب من بعده وأصلح فأنّه غفور رحيم ﴾ .	الأنعام	54	38
﴿ وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السّماوات والأرض وليكون من الموقنين ... فلمّا رأى الشّمس بازغةً قال هذا ربّي هذا أكبر فلمّا أفلتْ قال يا قوم إنّي بريء ممّا تشركون ﴾ .	الأنعام	78-75	425
﴿ وهو الذي جعل لكمُ النّجوم لتهتدوا بها في ظلمات البرّ والبحر ﴾ .	الأنعام	97	424

الآيـــة الكريمة	السّورة	رقم الآية	الصّفحة
﴿ وأقسموا باللّه جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنّ بها ﴾ .	الأنعام	109	21
﴿ ولتصغى إليه أفئدةُ الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون ﴾ .	الأنعام	113	163
﴿ لمنْ تبعك منهمْ لأملأنَّ جهنَّمَ منكمْ أجمعين ﴾ .	الأعراف	18	195
﴿ وقاسمهما إنّي لكما لمن النّاصحين ﴾ .	الأعراف	21	321-92-21
﴿ وإنْ لمْ تغفرْ لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين ﴾ .	الأعراف	23	193
﴿ أهؤلاء الذين أقسمتمْ لا ينالهمُ اللّه برحمة ﴾ .	الأعراف	49	92-21
﴿ واختار موسى قومَهُ سبعين رجلاً لميقاتنا ﴾ .	الأعراف	155	201
﴿ وإذْ تأذّن ربّك ليبعثنَّ عليهمْ إلى يوم القيامة منْ يسومهم سوء العذاب ﴾ .	الأعراف	167	373-262-102-38
﴿ واعلموا أنّما غنتمتمْ من شيء فأنّ للّه خمسه ﴾ .	الأنفال	41	166
﴿ لا يرقُبون في مؤمن إلا ولا ذمّةً ﴾ .	التّوبة	10	279
﴿ ويأبى اللّه إلا أنْ يتمَّ نوره ولو كره الكافرون ﴾ .	التّوبة	32	369-100
﴿ وسيحلفون باللّه لو استطعنا لخرجنا معكم ﴾ .	التّوبة	42	190
﴿ ويحلفون باللّه إنّهم لمنكم وما هم منكم ولكنّهم قوم يفرقون ﴾ .	التّوبة	56	23
﴿ يحلفون باللّه ما قالوا ولقدْ قالوا كلمة الكفر ﴾ .	التّوبة	74	23
﴿ ومنهم منْ عاهد اللّه لئن آتانا من فضله لنصدقنَّ ولنكوننَّ من الصّالحين ﴾ .	التّوبة	75	100

الآيـــة الكريمة	السّورة	رقم الآية	الصّفحة
﴿ وليحلفُنَّ إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنّهم لكاذبون ﴾ .	التّوبة	107	361-94-23
﴿ لقدْ جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ .	التّوبة	128	121
﴿ ويستنبئونك أحقّ هو ؟ قلْ إيْ وربّي إنّه لحقّ وما أنتم بمعجزين ﴾ .	يونس	53	356-355-354-90
﴿ ولقدْ جاءتْ رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلامًا قال سلامٌ فما لبث أن جاء بعجل حنيذ ﴾ .	هود	69	393
﴿ وتمّتْ كلمة ربّك لأملأنّ جهنّم من الجنّة والنّاس أجمعين ﴾ .	هود	119	375-265-103
﴿ ثمّ بدا لهم من بعد ما رأوُا الآيات ليسجنُنّهُ حتّى حين ﴾ .	يوسف	35	376-264-104
﴿ ألمْ تعلموا أنّ أباكمْ قدْ أخذ عليكم موثقًا من اللّه ﴾ .	يوسف	80	367
﴿ قالوا تاللّه تفتؤ تذكر يوسف حتّى تكون حرضًا أو تكون من الهالكين ﴾ .	يوسف	85	205-174
﴿ قالوا تاللّه لقدْ آثرك اللّه علينا وإنْ كنّا لخاطئين ﴾ .	يوسف	91	397-161-119
﴿ قالوا تاللّه إنّك لفي ضلالك القديم ﴾ .	يوسف	95	428
﴿ الذين آمنوا وتطمئنّ قلوبهم بذكر اللّه ألا بذكر اللّه تطمئنّ القلوب ﴾ .	الرّعد	28	426
﴿ وإذْ تأذّن ربّكم لئن شكرتم لأزيدنّكم ولئن كفرتم			

الآيـــة الكريمة	السّورة	رقم الآية	الصّفحة
إنّ عذابي لشديد ﴾ .	إبراهيم	7	262-38
﴿ ولقدْ جعلنا في السّماء بروجًا وزيّنّاها للنّاظرين وحفظناها من كلّ شيطان رجيم ﴾ .	الحجر	17-16	426
﴿ لعمرك إنّهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾ .	الحجر	72	428-385-280-153-148-145-34-29
﴿ وسخّر لكمُ الليلَ والنّهارَ والشّمسَ والقمرَ ، والنّجومُ مسخّراتٌ بأمره إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ .	النّحل	12	425
﴿ وعلاماتٍ وبالنّجم هم يهتدون ﴾ .	النّحل	16	423
﴿ لا جرم أنّ اللّه يعلم ما يسرّون وما يعلنون إنّه لا يحبّ المستكبرين ﴾ .	النّحل	23	111
﴿ وأقسموا باللّه جهد أيمانهم لا يبعث اللّه من يموت ﴾ .	النّحل	38	25
﴿ والذين هاجروا في اللّه من بعد ما ظُلموا لنبوّئنّهم في الدّنيا حسنة ﴾ .	النّحل	41	184-182
﴿ لا جرم أنّ لهم النّار وأنّهم مُفرَطون ﴾ .	النّحل	62	386
﴿ وقضينا إلى بني إسرائيلَ في الكتاب لتفسدُنّ في الأرض مرّتين ولتعلُنّ علوًا كبيرا ﴾ .	الإسراء	4	377-270-104
﴿ إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ .	الإسراء	9	424
﴿ لئن أخّرتنِ إلى يوم القيامة لأحتنكنّ ذريّته إلا			

الآيـــة الكريمة	السّورة	رقم الآية	الصفحة
قليلا ﴾ .	الإسراء	62	427
﴿ وننزّل من القـرآن مـا هو شـفـاء ورحـمـة للمؤمنين ﴾ .	الإسراء	82	426
﴿ قال لوْ شئتَ لَتَخذتَ عليه أجرًا ﴾ .	الكهف	77	326
﴿ قـالوا لـن نؤثرك على مـا جـاءنا من البـيّنات والذي فطرنا ﴾ .	طه	72	117
﴿ وتاللّه لأكيدنَّ أصنامكمْ بعد أن تُولّوا مدبرين ﴾ .	الأنبياء	57	197-161-160-158-157-156
﴿ وحرامٌ على قرية أهلكناها أنّهم لا يرجعون ﴾ .	الأنبياء	95	390
﴿ حتّى إذا جاء أحدَهم الموتُ قال ربّ ارجعون لعلّي أعمل صالحًا فيما تركت كلا إنّها كلمة هو قائلها ﴾ .	المؤمنون	100-99	143
﴿ فشهادةُ أحدهم أربعُ شهادات باللّه إنّه لمن الصّادقين ﴾ .	النّور	6	267
﴿ فإذْ لم يأتوا بالشّهداء فأولئك عند اللّه همُ الكاذبون ﴾ .	النّور	13	195
﴿ ولا يأتلِ أولوا الفضل منكم والسّعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل اللّه ﴾ .	النّور	22	27
﴿ وأقسموا باللّه جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجُنَّ ﴾ .	النّور	53	152
﴿ وعد اللّه الذين آمنوا منكمْ وعملوا الصّالحات ليستخلفنَّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنَّهم من			

الآيـــة الكريمة	السّورة	رقم الآية	الصّفحة
بعد خوفهم أمنًا ﴾ .	النّور	55	376-274-103
﴿ وتفقّد الطّير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذّبنّه عذابًا شديدًا أو لأذبحنّه أو ليأتينّي بسلطان مبين ﴾ .	النّمل	21-20	198-121
﴿ قالوا تقاسموا باللّه لنبيّتنّه وأهله ﴾ .	النّمل	49	321-93-21
﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينّم سبلنا ﴾ .	العنكبوت	69	183
﴿ ويوم تقوم السّاعة يُقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ﴾ .	الرّوم	55	92
﴿ ولئن سألتهمْ من خلق السّماوات والأرض ليقولنّ اللّهُ ﴾ .	لقمان	25	121
﴿ ولقدْ كانوا عاهدوا اللّه من قبلُ لا يولّون الأدبار ﴾ .	الأحزاب	15	371
﴿ فمنهمْ من قضى نحبه ﴾ .	الأحزاب	23	286
﴿ إنّا عرضنا الأمانة على السّماوات والأرض والجبال ﴾ .	الأحزاب	72	150
﴿ وقال الذين كفروا لا تأتينا السّاعة قلْ بلى وربّي لتأتينّكم ﴾ .	سبأ	3	353
﴿ يس والقرآن الحكيم إنّك لمن المرسلين ﴾ .	يس	3-1	429-118
﴿ قالوا ربّنا يعلم إنّا إليكمْ لمرسلون وما علينا إلا البلاغُ المبين ﴾ .	يس	17-16	429-98
﴿ لا الشّمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا اللّيل			

الآيـــة الكريمة	السّورة	رقم الآية	الصّفحة
سابق النّهار وكلّ في فلك يسبحون ﴾ .	يس	40	167
﴿ إنّا زيّنّا السّماء الدّنيا بزينةٍ الكواكبِ ﴾ .	الصّافّات	6	424
﴿ لا فيها غَولٌ ولا هم عنها يُنزَفون ﴾ .	الصّافّات	47	167
﴿ فنظر نظرةً في النّجوم فقال إنّي سقيم ﴾ .	الصّافّات	89-88	425
﴿ ص والقرآن ذي الذّكر بل الذين كفروا في عزّة وشقاق ﴾ .	ص	2-1	445-444-430
﴿ كتاب أنزلناه إليك مباركٌ ليدّبروا آياته وليتذكّر أولوا الألباب ﴾ .	ص	29	425
﴿ قال فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين إلاّ عبادك منهم المخلَصين ﴾ .	ص	83-82	397-152-119
﴿ قال فالحقُّ – والحقَّ أقول لأملأنّ جهنّم منك وممّنْ تبعك منهم أجمعين ﴾ .	ص	85-84	210-113
﴿ ولقدْ ضربنا للنّاس في هذا القرآن من كلّ مثَل لعلّهم يتذكّرون ﴾ .	الزّمر	27	400
﴿ ولئن سألتهم من خلق السّماوات والأرض ليقولنّ اللّهُ ﴾ .	الزّمر	38	400
﴿ وزيّنّا السّماء الدّنيا بمصابيحَ وحفظًا ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ .	فصّلت	12	426-424
﴿ حم والكتاب المبين إنّا جعلناه قرآنًا عربيًّا لعلّكم تعقلون ﴾ .	الزّخرف	3-1	445-118
﴿ ويوم يُعرض الذين كفروا على النّار أليس هذا			

الآيـــة الكريمة	السّورة	رقم الآية	الصفحة
بالحقّ ؟ قالوا بلى وربّنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ .	الأحقاف	34	353
﴿ أفلا يتدبّرون القرآن أمْ على قلوب أقفالُها ﴾ .	محمّد	24	425
﴿ ولكنّ اللّه حبّبَ إليكم الإيمان وزيّنه في قلوبكم ﴾ .	الحجرات	7	424
﴿ قالتِ الأعرابُ آمنّا قلْ لمْ تؤمنوا ولكنْ قولوا أسلمنا ﴾ .	الحجرات	14	436
﴿ ق والقرآن المجيد بلْ عجبوا أن جاءهمْ منذر منهمْ فقال الكافرون هذا شيء عجيب ﴾ .	ق	2-1	445
﴿ إذْ يتلقّى المتلقّيان عن اليمين وعن الشّمال قعيدٌ ﴾ .	ق	17	283-282
﴿ فوربّ السّماء والأرض إنّه لحقّ مثل ما أنّكم تنطقون ﴾ .	الذّاريات	23	47
﴿ أمْ عندهمُ الغيبُ فهمْ يكتبون ﴾ .	الطّور	41	271
﴿ والنّجم إذا هوى ما ضلّ صاحبكم وما غوى ﴾ . ﴿ وما ينطق عن الهوى إنْ هو إلا وحي يُوحى علّمه شديد القُوى ذو مرّة فاستوى وهو بالأفق الأعلى ثمّ دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد مارأى أفتمارونه على ما يرى ؟ ﴾ .	النّجم	2-1 12-3	465-395 465-395
﴿ فلا أقسم بمواقع النّجوم – وإنّه لقسم لو تعلمون عظيم – إنّه لقرآن كريم ﴾ .	الواقعة	77-75	422-342-340-211-86
﴿ يوم يبعثهم اللّه جميعًا فيحلفون له ﴾ .	المجادلة	18	23

الآيـــة الكريمة	السّورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ كتبَ اللّه لأغلبنَّ أنا ورسلي إنَّ اللّه قويٌ عزيز ﴾ .	المجادلة	21	372-271-101-38
﴿ لئن أخرجوا لا يخرجون معهمْ ﴾ .	الحشر	12	198-188
﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنّك لرسول اللّه واللّه يعلم إنّك لرسوله واللّه يشهد إنّ المنافقين لكاذبون ﴾ .	المنافقون	1	262-178-166-97-45-366-365
﴿ قلْ بلى وربّي لتبعثُنَّ ثمّ لتنبؤُنَّ بما عملتمْ وذلك على اللّه يسير ﴾ .	التّغابن	7	353-352-90
﴿ فآمنوا باللّه ورسوله والنّور الذي أنزلنا ﴾ .	التّغابن	8	424
﴿ ولقدْ زيّنّا السّماء الدّنيا بمصابيحَ وجعلناها رجومًا للشّياطين ﴾ .	الملك	5	424
﴿ ألمْ يأتكم نذير ؟ قالوا بلى ﴾ .	الملك	9-8	325
﴿ إن الكافرون إلا في غرور ﴾ .	الملك	20	168
﴿ أمْ لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إنَّ لكم لَمَا تحكمون ﴾ .	القلم	39	107-25
﴿ يوم يُكشف عن ساق ويُدعون إلى السّجود فلا يستطيعون ﴾ .	القلم	42	419
﴿ فلا أقسمُ بما تبصرون وما لا تبصرون إنّه لقول رسول كريم ﴾ .	الحاقّة	40-38	456-343
﴿ فلا أقسم بربّ المشارق والمغارب إنّا لقادرون ﴾ .	المعارج	40	342-21
﴿ واللّه أنبتكمْ من الأرض نباتاً ﴾ .	نوح	17	325

الآيــة الكريمة	السّورة	رقم الآية	الصّفحة
﴿ واذكرِ اسم ربّك وتبتّلْ إليه تبتيلا ﴾ .	المزمّل	8	325
﴿ كلّا والقمر واللّيل إذْ أدبر والصّبح إذا أسفر إنّها لإحدى الكُبر ﴾ .	المدّثّر	35-32	455-422-349-89
﴿ لا أقسمُ بيوم القيامة ولا أقسمُ بالنّفس اللوّامة أيحسب الإنسان ألّنْ نجمع عظامه ؟ ﴾ .	القيامة	3-1	352-344-342-341-340-446
﴿ والنّازعات غرقاً والنّاشطات نشطًا والسّابحات سبحًا فالسّابقات سبقًا فالمدبّرات أمرًا ﴾ .	النّازعات	5-1	446
﴿ فلا أقسمُ بالخنّس الجوار الكنّس واللّيل إذا عسعس والصّبح إذا تنفّس إنّه لقول رسول كريم ﴾ .	التّكوير	19-15	465-455-423-421
﴿ والسّماء ذاتِ البروج واليوم الموعود وشاهدٍ ومشهود قُتل أصحاب الأخدود ﴾ .	البروج	4-1	448-207-170-118
﴿ والسّماء والطّارق وما أدراك ما الطّارق ؟ النّجم الثّاقب ﴾ .	الطّارق	3-1	431-426
﴿ والسّماء ذات الرّجع والأرض ذات الصّدع إنّه لقول فصل وما هو بالهزل ﴾ .	الطّارق	14-11	465-429
﴿ والفجر وليالٍ عشْر والشّفع والوَتر واللّيل إذا يسرِ هلْ في ذلك قسم لذي حجر ؟ ﴾ .	الفجر	5-1	455-447-431-208
﴿ ألمْ تَرَ كيف فعل ربّك بعاد ؟ ﴾ .	الفجر	6	208

الآيـــة الكريمة	السّورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ والشّمس وضحاها ﴾ .	الشّمس	1	207-150
﴿ والنّهار إذا جلّاها واللّيل إذا يغشاها ﴾ .	الشّمس	4-3	455
﴿ قدْ أفلح من زكّاها ﴾ .	الشّمس	9	207
﴿ واللّيل إذا يغشى والنّهار إذا تجلّى وما خلق الذّكر والأنثى إنّ سعيكم لشتّى ﴾ .	اللّيل	4-1	454-395-197-160
﴿ والضّحى واللّيل إذا سجى ما ودّعك ربّك وما قلى ﴾ .	الضّحى	3-1	465-455-420-395
﴿ كلّا لئن لم ينتهِ لنسفعنْ بالنّاصية ﴾ .	العلق	15	350
﴿ والعاديات ضبحًا فالموريات قدحًا فالمغيرات صبحًا فأثرنَ به نقعًا فوسطنَ به جمعًا ﴾ .	العاديات	5-1	464
﴿ والعصر إنّ الإنسان لفي خسر ﴾ .	العصر	2-1	431
﴿ كلّا لينبذنّ في الحطمة وما أدراك ما الحطمةُ ؟ ﴾ .	الهمزة	5-4	350

2 - فهرس الأحاديث الشّريفة

الحـــــديث الشّـــــريف	الصّفحة
« وايم اللّه ما علمتُ على أهلي من سوء » .	146-25
« وايم الذي نفس محمّد بيده لو قال : إنْ شاء اللّه لجاهدوا في سبيل اللّه فرساناً أجمعون » .	149-25
« وايم اللّه إنْ كان لخليقًا للإمارة » .	25
« تألّى أن لا يفعل خيرًا » .	27
« منْ حلف بالأمانة فليس منّا » .	31
« إنّ اللّه عزّ وجلّ ينهاكم أنْ تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفًا فليحلف باللّه أو ليصمت » .	31-10
« لا تحلفوا بآبائكم ، من حلف باللّه فليصدقْ » .	31
« أفلح وأبيه إنْ صدق » .	152-33-32
« فأخذ مواثيقهم على ذلك وربّي » .	37
« إنّ اللّه كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق : إنّ رحمتي سبقتْ غضبي » .	38
« والذي نفسي بيده إنّها لتعدل ثلث القرآن » .	39
« فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتّى أكون أحبّ إليه من والده وولده » .	39
« والذي نفسي بيده لأذودنّ رجالاً عن حوضي كما تُذاد الغريبة من الإبل عن الحوض » .	39
« والذي نفسي بيده لا يُسلم عبدٌ حتّى يسلم قلبُه ولسانُه » .	436-116-40
« والذي بعثني بالحقّ إنّ منهما مهديّ هذه الأمّة إذا صارت الدّنيا هرجًا ومرجًا ، وتظاهرت الفتن ، وتقطّعت السّبل ، وأغار بعضهم على	

الحـــــديث الشّـــــريف	الصّفحة
بعض ، فلا كبير يرحم صغيرًا ، ولا صغير يوقّر كبيرًا » .	41
« فـأشـهـد باللّه لقد رأيتهم صرعى قد غيّرتهم الشّمس وكـان يومًـا حارًا » .	45
« وأشهد أنّ عيسى بن مريم روح اللّه وكلمتـه ألقاها إلى مريم البتول الطّيّبة » .	45
« كلا والذي نفسي بيده ، إنّ الشّملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تُصبها المقاسم لَتشتعلُ عليه نارًا » .	350-89
« أنشـــدك بـاللّه هل تجـد في التّـوراة أنّ اللّه يبـغض الحـبـر السّمين ؟ » .	99
« أبى اللّه أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب » .	100
« إنّ اللّه عزّ وجلّ عهد إليّ في عليّ عهدًا : إنّ عليًا راية الهدى » .	100
« أمرتُ بالسّواك حتّى خفتُ لأدردنّ » .	378-266-10
« فوالذي نفسُ محمّد بيده ما بعد الموت من مستعتب ، ولا بعد الدّنيا من دار إلا الجنّةَ أو النّار » .	457-396-116
« والذي لا إله غيره مـا من رجل تكون له إبل أو بقر أو غنم لا يؤدّي حقّها إلا أتي به يوم القيامة » .	117
« لأعطينّ الرّاية غـدًا رجـلاً يفـتـح اللّه على يديه يحبّ اللّه ورسـوله ، ويحبّه اللّه ورسوله » .	122
« والذي نفسي بيده لَوددتُ أنّي أقتل في سبيل اللّه ثمّ أحيا ، ثمّ أقتل	

الحـــــديث الشّـــــريف	الصّفحة
ثمّ أحيا ، ثمّ أقتل ثم أحيا ، ثمّ أقتل » .	458-169
« آللّهِ الذي لا إله غيره » .	204
« لا والذي نفسي بيده حتّى أكون أحبَّ إليك من نفسك » .	345
« أمَا والذي نفسي بيده لأقضينّ بينكما بكتاب اللّه » .	348
« أمَا واللّه لوددت أنّ اللّه ألحقني بمنْ هو خير لي منكم » .	348
« بلى والذي نفسي بيده ، رجال آمنوا باللّه وصدّقوا المرسلين » .	353
« إيْ وربّي ﴿ وليمحّص اللّه الذين آمنوا ويمحق الكافرين ﴾ » .	356
« لقدْ كان مَنْ قبلكم ليمشّط بمشاط الحديد ما دون عظامه مِنْ لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه » .	400
« وإنْ سألني لأعطينّهُ ، ولئنْ استعاذني لأعيذنّهُ » .	401
« وليتمنّ اللّهُ هذا الأمرَ حتّى يسير الرّاكبُ من صنعاءَ إلى حضرموت ما يخاف إلا اللّه » .	401
« فإنّ هذا القرآنَ حبلُ اللّه المتين ، فيه إقامةُ العدل ، وينابيعُ العلم ، وربيعُ القلوب » .	425
« لَينقضنّ الإسلامُ عروةً عروةً كما يُنقضُ الحبلُ قوّةً قوّةً » .	434
« فوالذي نفسي بيده لكأنّما ينضحونهم بالنّبل » .	434
« لَيدخلنّ هذا الدّينُ على ما دخل عليهِ اللّيلُ » .	435
« لقدْ غلغلتَ النّظر يا عدوَّ اللّه » .	437
« أمَا واللّه ما علمتكمْ إلاّ لَتقلّون عند الطّمع ، وتكثرون عند الفزع » .	458

3 - فهرس أيمان العرب

أيمـــان العـــرب	الصفحة
« قسمًا لأفعلنَّ ذاك » .	20
« أقسمُ باللّه » .	20
« أقسمُ بالضّياء والحلك ، والشّروق والدّلك » .	453-20
« أقسمُ بنفنف اللّوح ، والماء المسفوح ، والفضاء المندوح ، لقد خبّأت زمعة طلا أعفر ، في زعنفة أديم أحمر ، تحت حلس نضو أدبر » .	20
« أقسمُ بالأرض والسّماء ، والبروج والأنواء ، والظّلمة والضّياء ، لقد خبأت دمّة في رمّة تحت مشيط لمّة » .	20
« أقسمُ برافع السماء ، ومنزل الماء من العماء ، إنّه لمطل الدّماء ، ومنطق العقائل نُطق الإماء » .	21
« ويُقسمُ قسّ قسمًا إنّ للّه لدينًا هو أرضى من دينكم هذا » .	21
« لأحلف باللّه ليكوننّ كذا أو كذا » .	22
« حلف بالغموس » .	22
« حلفة جلواء » .	22
« حلف حلفًا ، وحلفة واحدة » .	22
« أحلف بما بين الحرّتين من حنش ، ليهبطنّ أرضكم الحبش ، فليملكنّ ما بين أبين إلى جرش » .	22
« أحلف بما بين الحرّتين من إنسان ، لينزلنّ أرضكم السّودان ، فليغلبنّ على كلّ طفلة البنان ، وليملكنّ ما بين أبين إلى نجران » .	22
« يمين اللّه لقد كان كذا » .	24
« عمرك اللّهَ هل ذاك ؟ » .	28
« لا والذي أخرج الماء من الحجر ، والنّار من الشّجر » .	453-444-86
« ألتُكَ باللّه لمَّا فعلتَ كذا » .	364-260-96

أيمـــــان العـــــرب	الصَفحة
« عزمتُ عليك إلا فعلتَ كذا » .	268-102
« سبأ على يمين كاذبة » .	378-266-104
« سمط فلان على ذلك الأمر يمينًا » .	379-267-105
« أصَرَ ليكوننَّ ذاك » .	379-105
« صَبَرَهُ يمينًا » .	380-263-105
« لحقٌ لا آتيك » .	278-113
« عوض لأقومنّ » و « عوض لا أفعله » .	113
« حرامُ اللّه لا أفعل ذلك » .	390-277-114
« عهدًا لا يزيده طلوع الشّمس إلا شدًا ، وطول الليالي إلا مدًا » .	453-392-115
« عزمةٌ صادقةٌ لآتينَّك » .	393-115
« مُنْ ربّي لأفعلنّ ذلك » .	312-158-120
« مُنْ ربّي إنّك لأشر » .	399-162-120
« إيْ ها اللّه ذا » .	399-313-120
« لهنّك لرجل صدق » .	402-122
« لا أفعل عوض العائضين » .	282-154
« ألتُه يمينًا ، يألته ألْتًا » .	260
« لا والذي أكتعُ له » .	285
« لا والذي شقّ الرّجال للخيل ، والجبال للسّيل » .	444-344
« لا والذي شقّهنّ خمسًا من واحدة » .	344
« لا والذي سمك السّماء » .	344
« لا والذي كلّ الشّعوب تدين له » .	345
« لا والذي نادى الحجيج له » .	345

أيمـــان العـــرب	الصفحة
« لا وفالق الإصباح ، وباعث الأرواح » .	44-345
« لا وفاطر الأشباح » .	345
« لا وربّ النّور والظّلام » .	345-444-453
« لا وربّ الحلّ والحرام » .	345-444-453
«أجلْ واللّه أيّها الأمير ، يعلّم القومُ صبيانُّم فيه السّباحة ، ويكون لسقياهم ومسيل مياههم ، وتأتيهم فيه ميرتُهم » .	357
« أجلْ واللّه أيها الأمير ، تنزُّمنه دورهم ، وتغرق فيه صبيانهم ومن أجله يكثر بعوضهم » .	357
« أقسمتُ عليك لتفعلنَّ » .	359
« أقسمتُ عليك إلا فعلتَ ولمَّا فعلتَ » .	359
« لا والذي أخرج العذق من الجريمة ، والنّار من الوثيمة » .	444
« لا والذي يراني ولا أراه » .	453
« والأرضِ والسّماء ، والعُقاب الصّقْعاء ، واقعةٌ ببقعاء ، لقدْ نفَّر المجدُ بني العُشَراء ، للمجْد والسّناء » .	464
« والقمر الباهر ، والكوكب الزّاهر ، والغمام الماطر ، وما بالجوّ من طائر ، وما اهتدى بعلم مسافر ، من منجد وغائر ، لقدْ سبق هاشم أميّة إلى المآثر أوّل وآخِر ، وأبو همهمة بذلك خابر » .	464
« أقسمُ بالضّياء والحلك ، والنّجوم والفلك ، والشّروق والدّلك ، لقدْ خبّأتُ برثن فرخ ، في إعليط مرخ ، تحت آسرة الشّرخ » .	464
« نعمْ والشّفق والغسق ، والفلق إذا انشقّ ، إنَّ ما أنباتك به لحقّ » .	464
« إيْ وربّ السّماء والأرض ، وما بينهما من رفع وخفض ، إنَّ ما أنبأتك به ما فيه أمْض » .	464
« والسّماء والأرض والقرض والفرض ، والغمر والبرض » .	465

4 - فهـــرس الأشـــعار

الشّـــعر	البحـر	قائـــله	الصّفحة
— أ —			
ويحلف حلقـــة لبني بنيـــه لأنتم مـــعطشـــون وهم رواءُ	الوافر	الحطيئة	94
فلئنْ بقـيتُ لأصنعنَّ عـجـائبًـا ولأبكمنَّ بلاغـة الفـصـحـاءِ	الكامل	عنترة	401
ولأحـمينَّ النّفس عن شهـواتهـا حـتّى أرى ذا ذمّـــةٍ ووفـــاءِ	الكامل	عنترة	402
— ب —			
حلفتُ فلم أترك لنفـسك ريبـةً وليس وراء اللّه للمـــرء مطلبُ	الطّويل	النّابغة الذّبيانيّ	362-23
لئن كنت قـد بلّغت عني خـيـانة لمبلغك الـواشي أغشّ وأكـــذبُ	الطّويل	النّابغة الذّبيانيّ	23
إنّي حلفت يمـينا غـيـــر كـاذبة لو كان للحارث الجفنيّ أصحابُ	البسيط	حسّان بن ثابت	24
حلفت برتّ النّاس مـــا أمّ خـالد بامّك إذْ أصـــواتنا الهل والهبُ	الطّويل	الكميت	24
فـــاقـــسمَ باللّه لا يـاتلي وأقـــسمتُ إنْ نلتـــه لا يؤوبُ	المتقارب	ثعلبة بن عمرو	27
لعـمـرك مـا أوصى أميّـة بكره بوصـيّـة أوصى بهـا يعـقـوبُ	الطّويل	حسّان بن ثابت	30
فـــلا واللّه مـــا تدري هُذيلٌ أمحضٌ مـاء زمـزمَ أمْ مشوبُ ؟	الوافر	حسّان بن ثابت	345-86
وأشهد -والمستغفر اللّه- إنّني كـذبت عليهـا والهـجـاء كـذوبُ	الطّويل	المخبّل	96
لعمري لقد أوهيت قلبي عن العزا وطاطأت رأسي والفـؤاد كـئـيبُ	الطّويل	الخنساء	108
لـعـمركـمـا إنّ البـعـيد لـمـا مـضى وإنّ الذي يـاتي غـــدا لـقـــريبُ	الطّويل	كعب الغنويّ	109
هذا لعـمـركم الصّـغـار بعـينه لا أمّ لي إن كـــــان ذاك ولا أبُ	الكامل	همّام بن مرّة	109
فـإن أكـبـر فـلا بأطيـر إصـر يفـارق عـاتقي نكـر خـشـيبُ	الوافر	مجهول	115
لا كـعـبـة اللّه مـا هـجـرتكمْ إلا وفـي الـنّـفـس منـكـمْ أربُ	مجزوء البسيط	مجهول	153
وجـدّاءَ مـا يُرجى بهـا ذو قـرابة لعطفٍ وما يخشى السُّماةَ ربيبُها	الطّويل	العنبري	200
تنجّـدَ حلفًـا آمنًا فـأمنتـهُ وإنّ جـــديرًا أنْ يكون ويكذبًا	الطّويل	مهلهل بن ربيعة	380-105

الشّـــعر	البحـر	قائـــله	الصّفحة
يا عـمـرك اللّهَ إلا قلت صـادقـةً أصادقًا وصف المجنون أم كذبًا ؟	البسيط	قيس بن الملوّح	181
تألّى نعيم لا تجـوز بحـوضـه فـقلت : تحلّل يا نعيم بن قـاربِ	الطّويل	بشامة	28
لعمرك مـا للفـاخرين عـشيـرة تفـاخـرني ، ولا لهم مـثل غـالبِ	الطّويل	الفرزدق	30
فـقل لبني عمّي فـقد – وأبيهمُ – منوا بهريت الشّدق أشوس أغلبِ	الطّويل	مجهول	31
فـأقسمُ مـا عمّش العيون شوارف روائمُ بوّ حـانيـات على سَـقْبِ	الطّويل	قيس لبنى	146
قـعـيـدك ربُّ النّاس يا أمّ مـالك ألم تعلمينا نعم مأوى المعصّبِ ؟	الطّويل	قريبة الأعرابيّة	153
بـاللّه ربّك إن دخلت فـقل له هذا ابن هرمـة واقـفًـا بالبـابِ	الكامل	إبراهيم بن هرمة	180
فـو اللّه مـا نلتمْ ومـا نيل منكمْ بمعـتـدلٍ وَفْقٍ ولا مـتـقـاربِ	الطّويل	عبداللّه بن رواحة	207
إذنْ – واللّه – نرميـهم بحـرب تشيب الطّفلَ من قبل المشيبِ	الوافر	حسّان بن ثابت	215
أما والذي لو شاء لم يخلُقِ النّوى لئن غبتَ عن عيني لَمَا غبتَ عن قلبي	الطّويل	مسعود بن بشر	348
– ت –			2222
وبالحيرة البيضاء شيخ مسلّط إذا حلـف الأيمـان بـاللّـه بـرّتِ	الطّويل	أبو الطّمحان الأسديّ	24
لقـد حلقـوا منهـا غـدافًـا كـأنّه عناقـيـد كـرم أينعت فـاسبكرّتِ	الطّويل	أبو الطّمحان الأسديّ	24
حلفتَ على أهل اللواء ليوضعنْ فـمـا أحنثتك الخـيل حـتّى أبرّتِ	الطّويل	الخنساء	146
وإنّي وتهـيـامي بعـزّةَ- بعـدمـا تـخـلّـيتُ ممّـا بـيـننـا وتـخـلّـتِ	الطّويل	كثيّر	212
لكا لمرتجي ظلّ الغـمـامـة كلّمـا تبـوّأ منهـا للمـقـيل اضـمـحلّتِ	الطّويل	كثيّر	212
واللّه مـا قـاربتُ إلا تبـاعـدتْ بصَـرْمٍ ، ولا أكـثـرتُ إلا أقلّتِ	الطّويل	كثيّر	460
– ج –			
أتحلف لا تذوق لنا طعـامًـا وتشـرب مَنْيَ عبـد أبي سـواجِ	الوافر	مجهول	94

الشّـــعر	البحـر	قائـلـه	الصّفحة
- ح -			
تبغّي أباها في الرّفاق وتبتلي وأودى به في لجّة البحر تمسحُ	الطّويل	مجهول	101
لئن كانت الدّنيا عليّ كما أرى تباريحَ من ليلى فللموتُ أرْوَحُ	الطّويل	ذو الرّمّة	196
فقدْ - واللّه - بيّن لي عَنائي بوشك فراقهمْ صُرَدٌ يصيحُ	الوافر	مجهول	214
فلا - وأبي دهماءَ - زالتْ عزيزةً على قومها مادام للزّند قادحُ	الطّويل	عمر أبو دهماء	214
ألا ربَّ مَنْ قلبي له اللّهَ ناصحٌ ومَنْ قلبُهُ لي في الظّباء السّوانح	الطّويل	ذو الرّمّة	200
- د -			
تألّى ابن أوس حلفة ليردّني إلى نسوة كأنهنّ مفائدُ	الطّويل	زيد الفوارس	170-27
إذا ما الخبزُ تأدمه بلحمٍ فذاك أمانةُ اللّه الثّريدُ	الوافر	مجهول	389-30
لعمر أبي الواشين لا عمر غيرهم لقد كلّفتني خطّة لا أريدُها	الطّويل	مجهول	32
إنّ السّماء وإنّ الرّيح شاهدة والأرض تشهد والأيام والبلدُ	البسيط	الرّاعيّ	97-44
لقد جزيت بني بدر ببغيتها يوم الهباءة يومًا ما له قودُ	البسيط	الرّاعيّ	97-44
إخوتي لا تبعدوا أبدًا وبلى واللّه قدْ بعِدُوا	المديد	فاطمة الخزاعيّة	354-90
فأقسمتُ لا أمشي إلى سرّ جارة مدى الدّهر مادام الحمام يغرّدُ	الطّويل	حاتم الطّائيّ	359-92
للّه يبقى على الأيام مبتقل جون السّراة رباع سنّه غردُ	البسيط	أبو ذؤيب الهذليّ	176-120
ولقد لقيت الفرس يا ابنة مالك وجيوشها قد ضاق عنها البيدُ	الكامل	عنترة	121
كلا يمينُ اللّه حتّى تنزلوا من رأس شاهقةٍ إلينا الأسودا	الكامل	الأعشى	351-25
لنقاتلنّكم على ما خيّلتْ ولنجعلنّ لمنْ بغى وتمرّدا	الكامل	الأعشى	351-25
فآليت لا أرثي لها من كلالة ولا من حفًى حتّى تزور محمّدا	الطّويل	الأعشى	26
هم ينذرون دمي وأنـ ـذر إنْ لقيتُ بأنْ أشدّا	مجزوء الكامل	عمرو بن معد يكرب	381-106

الشـــعر	البحـر	قائـله	الصفحة
حلوفٌ لقدْ أنضجتُ وهو ملهوجٌ بنصفين لو حركتهُ لتقصّدا	الطّويل	ابن الطّثريّة	383-108
فلعمر جدّك لو رأيت مقامنا لرأيت منّا منظرًا ومؤيّدا	الكامل	الأعشى	110
أممْ بزينبَ إنّ البين قد أفدا قلّ الثّواءُ لئن كان الرّحيل غدا	البسيط	عمر بن أبي ربيعة	196
أجدّك لم تسمع وَصاةَ محمّدٍ نبيّ الإله حين أوصى وأشهدا	الطّويل	الأعشى	275
باللّه ما بال الأحبّة أعرضتْ عنّا ورامتْ بالفراق صدودَها ؟	الكامل	عنترة	398
كقنطرة الرّوميّ أقسم ربّها لتكتنفنْ حتّى تشاد بقرمدِ	الطّويل	طرفة	21
إنّي وربّ المخيّسات وما يقطعن من كلّ سربخ جددِ	مجزوء البسيط	حسّان بن ثابت	26
والبدن إنّ قربتْ لمنحرها حلفةُ برّ اليمين مجتهدِ	مجزوء البسيط	حسّان بن ثابت	26
فآليت لا ينفكّ كشحي بطانة لعضب رقيق الشّفرتين مهنّدِ	الطّويل	طرفة	26
آليت ما في جميع النّاس مجتهدًا منّي أليّة برّ غير إفنادِ	البسيط	حسّان بن ثابت	28
لعمرك إنّ الموت ما أخطأ الفتى لكالطّول المرخى وثنياه باليدِ	الطّويل	طرفة	29
لعمري لقد حالفت نبيان كلّها وعبسًا على ما في الأديم الممدّدِ	الطّويل	حسّان بن ثابت	29
لعمر أبيك الخير يا شعث مانبا عليّ لساني في الخطوب ولا يدي	الطّويل	حسّان بن ثابت	33
فلا وأبيك ما أعطي صديقي مكاشرتي وأمنعُهُ تلادي	الوافر	عبداللّه الجعدي	345-33
وقرّبتْ بالقربى وجدّك إنّني متى يكُ أمر للنّكيثة أشهدِ	الطّويل	طرفة	397-44
فلا لعمر الذي مسّحت كعبته وما هُريق على الأنصاب من جسدِ	البسيط	النّابغة الذّبيانيّ	87
ما قلت من سيّء ممّا أتيتَ به إذًا فلا رفعت سوطي إليّ يدي	البسيط	النّابغة الذّبيانيّ	87
كلا وربّ الرّاقصات إلى منًى والجائبينَ مخارمَ الأطوادِ	الكامل	حسّان بن ثابت	351-89
اللّه يعلم ما تركت قتالهم حتّى علو فرسي بأشقر مزبدِ	الكامل	الحارث بن هشام	98
لعمر الذي حجّت قريش قطينه لقد كدتهم كيد امرىء غير مسندِ	الطّويل	الأعشى	109

الشّـــعر	البحـر	قائـلـه	الصّفحة
أجـدَكَ لم تغـتـمض ليلةً فـتـرقـدَها معَ رقّـادِها	المتقارب	الأعشى	275
عـمّـرتكَ اللّهَ الجليلَ فـإنّني ألوي عليكَ لو أنّ لبّكَ يهـتـدي	الكامل	مجهول	280
فـباللّه يا ريح الحجـاز تنفّسي على كبد حرّى تذوب من الوجدِ	الطّويل	عنترة	119
وقـتـيل مـرّة أثأرنّ فـإنّه فـرع وإنّ أخـاهمُ لم يُقـصـدِ	الطّويل	عامر بن الطّفيل	173
أحـارثُ يا خـيـر البـريّة كلّهـا أباللّه هلْ لي في يمينيَ من عقْدِ؟	الطّويل	مجهول	180
فـإن شـئتِ آليتُ بين المقـا م والرّكن والحـجـر الأسـودِ	المتقارب	مجهول	206
نسـيـتكِ مـادام عـقـلي مـعي أمُـدُّ به أمَـدَ السّـرمـدِ	المتقارب	مجهول	206
— ر —			
وأقسمت لا أنفكّ أبكيك مـادعتْ على غصن ورقـاء أوطار طائرُ	الطّويل	ليلى الأخيليّة	22
إنّي حلفت يمينًا غـيـر كـاذبة إنّك لأقلف إلا مـاجنى القـمـرُ	البسيط	امرؤ القيس	23
ألـيت أبكي بعـد توبة هالكًا وأحـفل من دارت عليه الدّوائرُ	الكامل	ليلى الأخيليّة	28
لعمري لئن كان المخبّر صادقًا لقد رزئتْ في حادث الدّهر جعفرُ	الطّويل	لبيد	30
فـلا وأبيك مـا يظلّ ابن جـارتي يطوف حوالي قدرنا مـا يطورُها	الطّويل	حاتم الطّائيّ	345-31
شـهـدت وعـوّانًا أمـيـمـة إنّنا بنو الحرب نصلاها إذا اشتدّ نورُها	الطّويل	حاتم الطّائيّ	45
لعـمـر أبي لئن قـوم أضـاعـوا لنعم أخـو الحـفـاظ لنا جـدارُ	الوافر	الأخطل	109
أجـدّي لا ينفكّ غسّ يسـبّني فجورًا بظهر الغيب أو ملحم قحرُ	الطّويل	حسّان بن ثابت	110
أجـدّكـمـا لم تعلمـا أنّ جـارنا أبا الحـسل بالصّحراء لا يتنوّرُ	الطّويل	مجهول	110
قالوا : قُهرتَ ، فقلتُ : جير لَيُعلمنْ عـمّـا قليل أيُّنا المقـهـورُ	الكامل	مجهول	388-112
لم يفـعـلوا فـعـل آل حنظلة إنّهم جـيـر بئس مـا ائتـمـرُوا	الخفيف	امرؤ القيس	112
أحـقًـا لئنْ دارُ الرّباب تبـاعـدتْ أو أنبتُ حـبـل إنّ قلبك طائرُ؟	الطّويل	عمر بن أبي ربيعة	388-113

الشّعر	البحر	قائله	الصّفحة
تاللّه أنسى حبّها حياتنا أو أقبرُ	مجزوء الرجز	عمر بن أبي ربيعة	119
أبائنة حبّي ؟ نعمْ وتماضرُ لهنّا لمقضيٌّ علينا التّهاجرُ	الطّويل	مجهول	402-122
حسب المحبّين في الدّنيا عذابهمُ تاللّه لا عذّبتهمْ بعدها سقرُ	البسيط	المؤمّل المحاربيّ	173
حلفتُ له إن تدلج الليل لا يزلْ أمامك بيت من بيوتي سائرُ	الطّويل	مجهول	188
ألا والذي أبكى وأضحك ، والذي أمات وأحيا ، والذي أمره الأمرُ	الطّويل	أبو صخر الهذلي	459-347
تنادي إلى جاراتها إنّ حاتمًا أراه – لعمري – بعدنا قد تغيّرا	الطّويل	حاتم الطّائيّ	29
ألا ربّ خمّار طرقت بسدفة من الليل مرتادًا لندماني الخمرا	الطّويل	رمّاح بن ميّادة	94
فانهلته خمرًا وأحلف إنّها طلاء حلال كي يحمّلني الوزرا	الطّويل	رمّاح بن ميّادة	94
فأليت لا آتيك إن جئت مجرمًا ولا أبتغي جارًا سواك مجاورا	الطّويل	النّابغة الذّبيانيّ	95
فقالت : يمين اللّه أفعل ، إنّني رأيتك مسحورًا يمينك فاجره	الطّويل	النّابغة الذّبيانيّ	107
أجدكمْ لن تزجروا عن ظلامة سفيهًا ولن ترعوا لذي الودّ أصره	الطّويل	النّابغة الذّبيانيّ	111
فإنّي وجدك لولا تجيء لقد قلق الخرت أنْ لا انتظارا	المتقارب	الأعشى	118
فأليت لا تنفكّ عيني حزينة عليك ولا ينفكّ جلدي أغبرا	الطّويل	عاتكة بنت زيد	174-146
إنّي – وأسطار سُطرن سطرًا – لقائل يا نصرُ نصرٌ نصرا	الرّجز	رؤبة	213
فأوجع الجنْبَ وأعْرِ الظّهرا أو يبلينّ اللّهَ يمينًا صبّرا	الرّجز	مجهول	264
فوالقها باللّهِ حين تراضيا فكانت تديه المال غبًّا وظاهره	الطّويل	النّابغة الذّبيانيّ	381
يقسم باللّه لئن جاءه عنّي أذى من سامع خابر	السّريع	الأعشى	21
فقال فريق القوم لمّا نشدتهمْ نعمْ ، وفريق : ليمن اللّه ما ندري	الطّويل	نُصيب	149-26
لعمرك ماخامت فوارس مالك وأشياعهم يوم التقينا على بدر	الطّويل	حسّان بن ثابت	33
لعمرك ما ديني بشيء أبيعه وما أنا إذْ أسلمت يومًا بكافر	الطّويل	نوفل بن الحارث	33

الشّـــعر	البحـر	قائـــله	الصّفحة
وحلفت لا أنسى حديثك ما ذكر الغويّ لذاذة الخمر	الكامل	حسّان بن ثابت	93
يا ربّ قد حلف الأقوام واجتهدوا أيمانهم إنّني من ساكني النّار	البسيط	مجهول	93
أيحلفون على عمياء ويلهمْ جهلا بعفو عظيم العفو غفّار	البسيط	مجهول	39
نذرٌ عليّ لئن لقيتك سالمًا أن يستمرّ بها شِفارُ الجازرِ	الكامل	مجهول	393-115
وإنّ حرامًا لا أرى الدّهر باكيًا على شجر إلا بكيتُ على صخرِ	الطّويل	الخنساء	390
باللّه يا ظبيات القاع قلْنَ لنا ليلايَ منكنّ أمْ ليلى من البشرِ	البسيط	قيس بن الملوّح	398
فلا وأبيك ابنة العامر يّ لا يدّعي القوم أنّي أفرّ	المتقارب	امرؤ القيس	31
عمرك اللّه أما ترحمني أم لنا قلبك أقسى من حجرْ	الرّمل	عمر بن أبي ربيعة	109
وقدْ رابني قولها يا هنا هْ ويحكَ ألحقتَ شرًّا بشرْ	المتقارب	امرؤ القيس	314
- س -			
وتواعدوا ورد القريّة غدوة وحلفت باللّه العزيز لنحبسُ	الكامل	حاتم الطّائيّ	23
لعمر أبيك الخير إنّي لخادم لضيفي وإنّي إنْ ركبت لفارسُ	الطّويل	مجهول	109
للّه يبقى على الأيّام ذو حَيَد بمشمخرّ به الظّيّانُ والآسُ	البسيط	أميّة بن أبي عائذ	206-398
آليت حبّ العراق الدّهرَ أطعمُهُ والحبُّ يأكله في القرية السّوسُ	البسيط	المتلمّس	363-198
- ض -			
حلفت باللّه لي أنْ سوف تنصفني فساغ في الحلق ريق بعد تجريضِ	البسيط	أبو الحويرث	94
- ع -			
فأقسمْ لا ألو عن الحقّ بينهم فإنْ أنا لم أعدل فقل أنت ضالعُ	الطّويل	الصّلتان العبدي	22
ناشدتها بكتاب اللّه حرمتنا ولم تكن بكتاب اللّه ترتقعُ	البسيط	مجهول	99
بإصْرٍ يتركني الحيّ يومًا رهينةَ دارهمْ وهمُ سراعُ	الوافر	مجهول	390-115

الشّـــعر	البحـر	قائـــله	الصّفحة
إنّي وربّ النّصارى عند عيدهمُ والمسلمين إذا ما ضمّها الجمعُ	البسيط	الأخطل	117
وربّ كلّ حبيس فوق صومعة يمشي ولا همّه الدّنيا ولا الطّمعُ	البسيط	الأخطل	117
لقد مدحتُ قريشًا واستفدت بهم إذْ ما أنام إذا ما صحبتي هجعُوا	البسيط	الأخطل	117
لئن تك قد ضاقت عليكم بيوتكمْ ليعلم ربّي أنّ بيتي واسعُ	الطّويل	مجهول	170
لعمري – وما عُمري عليّ بهيّن – لقدْ نطقت بُطْلا عليّ الأقارعُ	الطّويل	النّابغة الذّبيانيّ	384-211
يا أقرعُ بنَ حابسٍ يا أقرعُ إنّك إنْ يصرعُ أخوك تُصرعُ	الرّجز	جرير البجليّ	217
أبى اللّهُ إلا عدلَهُ ووفاءَهُ فلا النّكر معروف ولا العُرْف ضائعُ	الطّويل	النّابغة الذّبيانيّ	370
وأقسمُ لو شيء أتانا رسوله سواكَ ، ولكن لم نجد لك مدفعًا	الطّويل	امرؤ القيس	205-153
لعمرك لولا رحمة اللّه إنّني لأمطو بجدّ ما يريد ليرفعًا	الطّويل	كعب بن زهير	33
إذا قال : قدني ، قال : باللّه حلفةً لتغني عنّي ذا إنائك أجمعًا	الطّويل	حريث الطّائيّ	163
قعيدك ألا تسمعيني ملامةً ولا تنكئي قرْح الفؤاد فييجعًا	الطّويل	متمّم بن نويرة	283-182
بحقّ الهوى لا تعذلوني وأقصروا عن اللّوم إنّ اللّوم ليس بنافعِ	الطّويل	عنترة	298-119
فلأهدينّ مع الرّياح قصيدةً منّي مغلغلةً إلى القعقاعِ	الكامل	المسيّب	402

– ف –

بلّغ عنّي النّبيت قافية تنذلهم إنّهم لنا حلفُوا	المنسرح	حسّان بن ثابت	95
باللّه جهداً لنقتلنّكم قتلاً عنيفًا ، والخيل تنكشفُ	المنسرح	حسّان بن ثابت	95
آلوا عليها يمينًا لا تكلّمنا من غير سوء ولا من ريبة حلفُوا	البسيط	جرير	96
كأنّ جديد الأرض يبليك عنهمُ تقيّ اليمين بعد عهدك حالفُ	الطّويل	أوس بن حجر	101
أخالدُ قدْ – واللّه – أوطأتَ عشوةً وما قائل المعروف فينا يُعنّفُ	الطّويل	أخو يزيد البجليّ	214
غضبتْ عليّ لأنْ شربتُ بجزّةٍ فلإذْ غضبتِ لأشربنّ بخروفِ	الكامل	ذو الرّمّة	195

الشـــعر	البحـر	قائـلـه	الصفحة
أرى مُحرزًا عاهدته ليوافقنْ فكان كمنْ أغريتُهُ بخلافِ	الطّويل	مجهول	270
— ق —			
لعمري لقد لاحتْ عيون كثيرة إلى ضوء نار في يفاع تحرّقُ	الطّويل	الأعشى	29
رضيعيْ لبانِ ثديَ أمّ تحالفا بأسحمَ داجٍ عوضُ لا نتفرّقُ	الطّويل	الأعشى	281-389
شهدت وبيت اللّه إنّك غادة رداح وأنّ الوجه منك عتيقُ	الطّويل	قيس لبنى	97
وأنّك لا تجزينني بمودّة ولا أنا للهجران منك مطيقُ	الطّويل	قيس لبنى	97
وفارس في غمار الموت منغمس إذا تألّى على مكروهة صدقا	البسيط	بلعاء بن قيس	27
أما واللّه أن لو كنتَ حرًّا وما بالحرّ أنت ولا العتيقِ	الوافر	مجهول	87
— ك —			
تعلّمنْ هالعمر اللّه ذا قسمًا فاقصدْ بذرعكَ وانظر أين تنسلكُ	البسيط	زهير بن أبي سلمى	202
بكَ ربِّ أقسمُ لا بغيرك لا أرى أبدًا موالي غير مَنْ والاكا	الكامل	مجهول	218-152
أما والرّاقصات بذات عرق ومن صلّى بنعمان الأراكِ	الوافر	خليد	88
لقد أضمرت حبّك في فؤادي وما أضمرت حبًّا من سواكِ	الوافر	خليد	88
— ل —			
حلفت بربّ الرّاقصات إلى منى يغول البلاد نصّها وذميلُها	الطّويل	كثيّر	24
شهدت بإذن اللّه أنّ محمّدًا رسول الذي فوق السّماوات من علْ	الطّويل	حسّان بن ثابت	48
فأشهد بالبيت العتيق وبالصّفا شهادة من إحسانه متنفّلُ	الطّويل	ظبيان بن كراوة	48
بأنّك محمود لدينا مباركٌ وفيّ أمين صادق القول مرسلُ	الطّويل	ظبيان بن كراوة	48
بلى والذي حجّ الملبّون بيتَهُ ويُشفى الهوى بالنّيل وهْو قليلُ	الطّويل	مجهول	354-90
لعمرك ما أدري وإنّي لأوجل على أيّنا تغدو المنيّة أوّلُ	الطّويل	معن بن أوس	108

الشّـــعر	البحـر	قائـلـه	الصّفحة
كـذبتم وبيت اللّه لا تقـتلونه ولمّا يكن يوم أغـرّ مـحـجّلُ	الطّويل	زفر بن الحرث	118
ولمّا يكن للمشرفيّة فوقكم شعاع كقرن الشّمس حين ترجّلُ	الطّويل	زفر بن الحرث	118
لأعرفنّك إن جدّ النّفير بنا وشبّت الحرب بالطّوّاف واحتملوا	البسيط	الأعشى	122
لأعرفنّك إن جدّتْ عداوتنا والتمس النّصر منكم عوضٌ تحتملُ	البسيط	الأعشى	122
أجدك ما تلقاك إلا مريضة تداوين قلبًا ما تنام بلابلُهْ	الطّويل	الأخطل	386-110
لئن مُنيتَ بنا عن غبّ معركة لا تلفنا من دماء القوم ننتفلُ	البسيط	الأعشى	188
فلا واللّه نادى الحيّ قومي طوال الدّهر ما دُعي الهديلُ	الوافر	مجهول	206
إنّي لأمنحك الصّدود وإنّني قسمًا إليكَ مع الصّدود لأميلُ	الكامل	الأحوص الأنصاريّ	325
لا وقبر النّبيّ ، يا عبد ، والحجّ ومن كان محرمًا ومحلا	الخفيف	عمر بن أبي ربيعة	87
ما على الأرض من أحبّ سواكم من جميع النّساء قالت : فهلا	الخفيف	عمر بن أبي ربيعة	87
لست أنسى منها عشيّة رحنا قولها : عج عليّ منك قليلا	الخفيف	عمر بن أبي ربيعة	110
اقض من لذّتي ، وأعهد إنّي لا أرى ذا الصّدود منك جميلا	الخفيف	عمر بن أبي ربيعة	100
واتّقتْ ميّةُ لا تنفكّ ملغيةً قولَ الوشاة فما ألغتْ لهم قيلا	البسيط	مجهول	380-106
أليّةً ليحيقنّ بالمسيء إذا ما حوسب النّاسُ طرًّا سوءُ ما عملا	البسيط	مجهول	384-108
فلعمر من جعل الشّهور علامة قدرًا فبيّن نصفها وهلالها	الكامل	الأعشى	110
ما كنت في الحرب العوان مغمّرًا إذ شبّ حرّ وقودها أجزالها	الكامل	الأعشى	110
عليّ إلى البيت المحرّم حجّة أوافي بها نذرا ولم أتنعل نعلا	الطّويل	مجهول	111
لقد منحت ليلى المودّة غيرنا وإنّ لها منّا المودّة والبذلا	الطّويل	مجهول	112
تساورُ سوّارًا إلى المجد والعلى وفي ذمّتي لئن فعلتَ ليفعلا	الطّويل	ليلى الأخيليّة	390-114
فأصبحت همًّا للفؤاد ومنية وظلا من الدّنيا الغداة ظليلا	الطّويل	عمر بن أبي ربيعة	114

الشّـــعر	البحـر	قائـلـه	الصّفحة
أميرًا على ما شئت منّي مسلّطًا فسلْ فلك الرّحمنُ تمنع سولا	الطّويل	عمر بن أبي ربيعة	114
يذيب الرّعبُ منه كلّ عضب فلولا الغمد يمسكه لسالا	الوافر	المعرّي	193
لمتى صلحتَ ليُقضينّ لك صالحٌ ولتُجزينّ إذا جُزيتَ جميلا	الكامل	مجهول	195
أبى اللّهُ للشّمّ الألاء كأنّهمْ سيوف أجاد القين يومًا صقالَها	الطّويل	كثير	370
ولقدْ نزلتَ بخير منْ وطىء الحصى قيس فأثبت نعلها وقبالَها	الكامل	الأعشى	400
ولقدْ جررتْ إلى الغنى ذا فاقةٍ وأصاب غزوك إمّةً فأزالَها	الكامل	الأعشى	400
ولئنْ كان ينفع القربُ ما أز دادُ فيما أراكِ إلا خبالا	الخفيف	عمر بن أبي ربيعة	401
فأقسمُ لو أتيتُ البحر يومًا لأشرب ما سقتني من بُلالِ	الوافر	كثيّر	22
وأقسمُ أنّ حبّك أمّ عمرو لدى جنبي ومنقطع السّعالِ	الوافر	كثيّر	22
فقلتُ : يمين اللّه أبرح قاعدًا ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي	الطّويل	امرؤ القيس	24-381
فقالت : يمين اللّه مالك حيلة وما إن أرى عنك الغواية تنجلي	الطّويل	امرؤ القيس	25
ويومًا على ظهر الكثيب تعذّرتْ عليّ والتْ حلفة لم تحلّلِ	الطّويل	امرؤ القيس	26
عبيد القزر أورثهم بنيه وآلى لا يبيعهمُ بمالِ	الوافر	حسّان بن ثابت	28
فأشهد لا أتيك مادام تنضب بأرضك أو صلب العصا من رجالك	الطّويل	مجهول	45
ألا نادتْ أمامة باحتمالِ لتحزنني فلا بك ما أبالي	الوافر	غويّة بن سلميّ	86-158
أمَا وأبيك لو لبّثت شيئًا لألحقك الفوارس بالجليلِ	الوافر	حسّان بن ثابت	88-348
وإنّي لأبلي النّاس في حبّ غيرها فأمّا على جُمْل فإنّيَ لا أبلي	الطّويل	مجهول	101-371
ولقد لقيت الموت يوم لقيته متسربلاً والسّيف لم يتسربلِ	الكامل	عنترة	121
ردوا فوالله ما أذدناكمُ أبدًا مادام في مائنا ورد لنزّالِ	البسيط	مجهول	173
لمّا أغفلت شكرك فاصطنعني وكيف ومن عطائك جلّ مالي	الوافر	النّابغة الذّبياني	174

الشـــعر	البحـر	قائـــله	الصفحة
ذاك الذي – وأبيك – يعرف مالكًا والحقُّ يدمغ ترّهات الباطلِ	الكامل	جرير	213
قسمًا لحينَ تشبُّ نيران الوغى يُلفَى لديَّ شفاءُ كلّ غليلِ	الكامل	مجهول	325
حلفتْ لها باللّه حلفة فاجرٍ لناموا فما إنْ من حديث ولا صالي	الطّويل	امرؤ القيس	361-206
ولقدْ شربتُ الخمر في حانوتها صهباءَ صافيةً كطعم الفُلفلِ	الكامل	حسّان بن ثابت	400
لئنْ ساءني أنْ نِلتني بمساءةٍ لقدْ سرّني أنّي خطرتُ ببالكِ	الطّويل	مجهول	453
لعمري لئنْ قلّ الحصى في عديدكمْ بني نهشل ما لؤمكمْ بقليلِ	الطّويل	الفرزدق	460
– م –			
آليت لا أغدو إلى ربّ لقحة أساومه حتّى يعود المثلّمُ	الطّويل	أبو الأسود الدّؤليّ	28
فعمرك اللّه هل تدري إذا لمت في حبّها فيم تلومُ ؟	مجزوء البسيط	المرقّش الأصغر	29
لعمر أبي سميّة ما أبالي أنبْ التّيس أم نطقت جذامُ ؟	الوافر	حسّان بن ثابت	33
فلا وأبي لناتيها جميعًا ولو كانت بها عرب وروم	الوافر	عبداللّه بن رواحة	33
أما والذي لا يعلم الغيب غيرُهُ ويحيي العظام البيض وهي رميمُ	الطّويل	حاتم الطّائيّ	347-88
لقد كنت أطوي البطن والزّاد يُشتهى مخافة يومًا أن يقال لئيمُ	الطّويل	حاتم الطّائي	347-88
وأقسم يأتي خطّة الضّيم طائعًا بلى سوف تاتيها وأنفك راغمُ	الطّويل	زبّان بن سيّار	92
ولقدْ علمتْ لتاتينَّ منيّتي إنّ المنايا لا تطيش سهامُها	الكامل	لبيد	366-98
ألا ياسنا برقٍ على قُلل الحمى لهنّك من برق عليَّ كريمُ	الطّويل	رجل من بني نُمير	402-122
لهنّي لأشقى النّاس إنْ كنت غارمًا لدومة بكرًا ضيّعته الأراقمُ	الطّويل	مجهول	402-122
فأقسمُ أن لو التقينا وأنتمُ لكان لكمْ يوم من الشّرّ مظلمُ	الطّويل	المسيّب بن علس	205
واللّه ما أخشى حكيمًا ورهطهُ ولكنّما يخشى أباكِ حكيمُ	الطّويل	جوّاس	454
أما ودماء مائرات تخالها على قنّة العزّى وبالنّسر عندما	الطّويل	ابن عبدالجنّ	88

الشّـــعر	البحـر	قائـلـه	الصّفحة
وما سبّح الرّهبان في كلّ بيعة أبيل الأبيلين المسيح ابن مريما	الطّويل	ابن عبدالجنّ	88
لقد ذاق منّا عامر يوم لعلع حسامًا إذا ما هُزّ بالكفّ صمّما	الطّويل	ابن عبدالجنّ	88
وربّ الرّاقصات إلى الثّنايا بشعث أبدعوا حجًّا تمامًا	الوافر	جرير	374-102
أحبّك يا أمامَ ، وكلُّ أرض سكنت بها ، وإنْ كانت وخامًا	الوافر	جرير	374-102
قسمًا بالذي أمات وأحيا وتولّى الأرواح والأجسامًا	الخفيف	عنترة	454-107
لا رفعتْ الحسام في الحرب حتّى أترك القوم في الفيافي عظامًا	الخفيف	عنترة	454-107
رأى برقًا فأوضع فوق بكر فلا بك ما أسال ولا أغامًا	الوافر	مجهول	159-152
فاقسمتُ بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم	الطّويل	زهير بن أبي سلمى	21
أقسمتُ أنساها وأترك ذكرها حتّى تغيّب في الضّريح عظامي	الكامل	حسّان بن ثابت	22
حلفتُ بربّ الرّاقصات إلى منى إذا مخرم جاوزنه بعد مخرم	الطّويل	الأعشى	362-23
لئن جدّ أسباب العداوة بيننا لترتحلن منّي على ظهر شيهم	الطّويل	الأعشى	23
يمينًا لنعم السّيّدان وُجدتما على كلّ حال من سحيل ومبرم	الطّويل	زهير بن أبي سلمى	382-25
لعمرك ما جرّت عليهم رماحهم دم ابن نهيك أو قتيل المثلّم	الطّويل	زهير بن أبي سلمى	29
فلا وأبيك الخير لا تجدينه جميل الفتى ولا صبورًا على العدْم	الطّويل	أبو خراش الهذليّ	86
ذكلا وربّي لا تعودي لمثله عشيّة لاقته المنيّة بالرّدْم	الطّويل	أبو خراش الهذليّ	89
ألمى أمير لا يردّ تحيّة ماذا بمن شغف الهوى برحيم	الكامل	جرير	95
لا هُمّ إنّ عامر بن جهْم أوذم حجًّا في ثياب دسْم	الرّجز	مجهول	372-102
عمّرتكِ اللّهَ إلا ما ذكرتِ لنا هل كنتِ جارتنا أيّام ذي سلم ؟	البسيط	الأحوص الأنصاريّ	280-374
وعليك عهدُ اللّه إنّ بيابه أهل السّيالة إنْ فعلتَ وإنْ لم	الكامل	إبراهيم بن هرمة	387-111
قومي همُ قتلوا أميمَ أخي فإذا رميت يصيبني سهمي	الكامل	الحارث الجرميّ	121

الشّـــعر	البحـر	قائـلـه	الصفحة
فلئن عـفـوت لأعـقـون جللا ولئن سطوت لأوهـنن عظمي	الكامل	الحارث الجرميّ	121
ولا بدأنْ خليـلا أو أخـا ثقـةٍ بخنْعـة ، لا وربّ الحلّ والحـرم	البسيط	عديّ بن زيد	457
قتلوا كليبًا ثمّ قالوا ألا اربعوا كـذبوا وربّ الحلّ والإحـرام	الكامل	مهلهل بن ربيعة	454
إذا رأيت راعـيين في غنمْ أسـيّـدين يحلقـان بنهمْ	الرّجز	حسّان بن ثابت	94-24
بينهمـا أشـلاء لحم مـقتسمْ من بطن عـمق ذي الجليل والسلمْ	الرّجز	حسّان بن ثابت	94-24
أسـأت إذْ خـالفـتني ولا جـرمْ ليـبـدونّ منك أسـوأ النّدمْ	الرّجز	مجهول	155-111
إنّ كـلابًا والدي لاذا جـرمْ لأهدرنّ اليـوم هدرًا صـادقًـا	الرّجز	مجهول	155

هدر المعنّى ذي الشّقاشيق اللّهمْ

- ن -

فـلا ويمين اللّه مـاعن جناية هـجـرت ولكنّ الظّنين ظنينُ	الطّويل	عبدالرّحمن بن حسّان	87-26
شـهـدت بأنّي لم أخنك مـودّة وأنّي بكم حـتّى الممـات ضنينُ	الطّويل	قيس بن الملوّح	46
وإن حلفت لا ينقض النّأي عهدها فليس لمخـضـوب البنان يمينُ	الطّويل	كثيّر	93
لك اللّهُ لا ألفي لعـهـدك ناسيًـا فـلا تكُ إلا مـثل مـا أنا كـائنُ	الطّويل	مجهول	391-114
فـلا وأبيك لا نعطيك منهـا طوال حـيـاتنا إلا سنانًا	الوافر	الأعشى	345-31
شـهـدت بأنّ وعـد اللّه حقّ وأنّ النّار مـثـوى الكافـرينًا	الوافر	عبداللّه بن رواحة	48
وأنّ العـرش فـوق الماء طافٍ وفـوق العـرش ربّ العـالمينًا	الوافر	عبداللّه بن رواحة	48
أخـذْنَ على بعـولتـهنّ عـهـدًا إذا لاقـوا كـتـائب مُـعلمـينًا	الوافر	عمرو بن كلثوم	367-99
ليـسـتلبنْ أفـراسًـا وبيـضًـا وأسْـرى في الحـديد مُـقـرّنينًا	الوافر	عمرو بن كلثوم	367-99
تاللّه هان على السّائلين ما دُهيتْ به نـفـوس أبتْ إلا الهـوى دِينًا	الكامل	مجهول	170
واللّه لن يصلوا إليك بجـمـعـهم حـتّى أوارى في الثّـراب دفـينًا	الكامل	أبو طالب	175

الشّـــعر	البحـر	قائـله	الصّفحة
تنفكُ تسمع ما حَييتَ بها لكِ حتّى تكونَهْ	مجزوء الكامل	خليفة بن براز	206
أيّها المنكحُ الثّريّا سُهيلا عمْرَكَ اللّهَ كيف يلتقيانِ ؟	الخفيف	عمر بن أبي ربيعة	30-280
وأشهد أنّها حملتْ زياداً وصخر من سميّة غير دانِ	الوافر	ابن مقرّغ	46
نشدتك ! هل يسرّك أنّ سرجي وسرجك فوق بغل باذبيني ؟	الوافر	مجهول	99
قعدك اللّه قد علمتِ بأنّي في هواك استطبت كلّ معنّى	الخفيف	مجهول	112
إنّي ومن أحرم الحجيج له وموقف الهدي بعد ، واليدنِ	المنسرح	عمر بن أبي ربيعة	118
والبيت ذي الأبطح العتيق وما جلّل من حرّ عصب ذي اليمنِ	المنسرح	عمر بن أبي ربيعة	118
والأشعث الطّائف المهلّ وما بين الصّفا والمقام والرّكنِ	المنسرح	عمر بن أبي ربيعة	118
وزمزم والجمار إذْ رُميت والجمرتين اللّتين بالبطنِ	المنسرح	عمر بن أبي ربيعة	119
وما أقرّ الظّباء بالبيت والـ ورق إذا ما دعتْ على فننِ	المنسرح	عمر بن أبي ربيعة	119
ما خنت عهد القتول إذْ شحطتْ ولو أتوها به لتحرمني	المنسرح	عمر بن أبي ربيعة	119
لعمرك ما رماح بني بغيض تخون أكفّهم يوم الطّعانِ	الوافر	عنترة	145
ولا أسيافهمْ في الحرب تنبو إذا عرف الشّجاع من الجبانِ	الوافر	عنترة	145
تخيّرتْ غرازَ إثرهمُ دليلا وفرّوا في الحجاز ليعجزوني	الوافر	جندب الهذليّ	26
تمتّعْ من الدّنيا فإنّك فانٍ من النّشوات والنّساء الحسانِ	الطّويل	امرؤ القيس	432
- هـ -			
بربّكَ هل ضممتَ إليكَ ليلى قبيل الصّبح أو قبّلت فاها ؟	الوافر	قيس بن الملوّح	182-120
- ي -			
حلفتُ لهم والخيل تردي بنا معًا نفارقهم حتّى يهرّوا العواليا	الطّويل	عنترة	23
وأشهد عند اللّه إنّي أحبّها فهذا لها عندي فما عندها ليا ؟	الطّويل	قيس بن الملوّح	46

الشّـــعر	البحـر	قائـله	الصّفحة
فكنّا وهم كابنيْ سُبات تفرّقا سِوًى ثمّ كانا منجدًا وتهاميا	الطّويل	ابن أحمر الباهليّ	375-103
سالقى التّهاميّ منهما بلطاته وأحلط هذا : لا أريمْ مكانيا	الطّويل	ابن أحمر الباهليّ	375-103
نهى الشّيب قلبي عن صبًا وصبابة ألا فعليّ اللّه أوجد صابيا	الطّويل	مجهول	111
قعيدكما اللّهَ الذي أنتما لهُ ألمْ تسمعا بالبيضتين المناديا ؟	الطّويل	الفرزدق	387-112
ويقينًا لا شربنْ بماءٍ وردوهُ قعاجلا وتنيّة	الخفيف	مجهول	392-115
لئن كان ما حدّثتهُ اليوم صادقًا أصمْ في نهار القيظ للشّمس باديا	الطّويل	مجهول	196-188
بدا لي أنّي لست مدرك ما مضى ولا سابقٍ شيئًا إذا كان جائيا	الطّويل	زهير بن أبي سلمى	377

5 - فهرس الأعلام

- أ -

آدم عليه السلام : 427

إبراهيم عليه السلام : 274-393-436-448

إبراهيم بن هرمة : 111-387

ابن الأثير ضياء الدين : 35-451-460
461-465-466

ابن الأثير مجد الدين : 31-32

أحمد مختار عمر : 301-304-305-307-
308-309

ابن أحمر الباهليّ : 103-265-375

الأحوص الأنصاريّ : 325

الأخطل : 109-110-117-386

الأخفش : 356-37-163-170-193-194
385-399-201-203-204-208

الأزهريّ : 286

أبو الأسود الدّؤليّ : 28

الأصمعيّ : 175

ابن الأعرابيّ : 28-285

الأعشى : 155-21-23-25-26-29-31-89-
94-109-110-113-118-122-
275-281-282-345-351-362-
388-400-188

امرؤ القيس : 432-21-23-24-26-31-112-
153-314-361-318

أميّة بن أبي عائذ : 156

ابن الأنباريّ : 349-36-37-197-211-344

أنس بن مالك : 27

أوس بن حجر : 101

- ب -

ابن برّي : 283

بريدة بن الحُصيب : 31

بشامة بن حزن النّهشليّ : 28

أبو البقاء العكبريّ : 184-185-189-344-
349-352

أبو بكر رضي اللّه عنه : 40

بكر بن وائل : 155

بلعاء بن قيس الكنانيّ : 27

- ت -

التّبريزيّ : 453

تمّام حسّان : 309-179-301-303-305

- ث -

ثعلب : 182-183-275-283-286

ثعلبة بن عمرو : 27

- ج -

الجاحظ : 357

جرير : 95-96-102-374

جندب الهذليّ : 326

ابن جنّي : 304-177-195-209-213-282-
299-443-300-301-302-303-
306-311-312-314-315-418

الجوهريّ : 283-284-356-277-278-280-282
جوّاس : 454

- ح -

أبو حاتم : 349
حاتم الطّائيّ : 87-44-31-29-23-359-347-345-92
ابن الحاجب : 215-324-325
الحارث الجرميّ : 121
الحارث بن هشام : 98
الحجّاج : 204
ابن أبي الحديد : 441-439-438-42-458
حسّان بن ثابت : 29-28-26-24-22-94-93-89-88-86-48-33-400-351-348-345-110-95
قاضي القضاة أبو الحسن : 46
الحسن البصريّ : 204
الحطيئة : 94
أبو حنيفة : 31
أبو الحويرث السّحيميّ : 93
أبو حيّان الأندلسيّ : 177-153-152-40-353-210-195-194-190-183-182-449-446-378-375-370-369

- خ -

ابن الخبّاز : 207
أبو خراش الهذليّ : 86-89
خليد : 88
الخليل بن أحمد : 179-160-156-349-281-268-262-261-203-202-399
الخنساء : 390-146-108

- ذ -

أبو ذؤيب الهذليّ : 120

- ر -

رؤبة : 213
الرّازيّ : 10
الرّاعيّ : 97-44
الرّاغب الاصفهاني : 424-356-350-47-45-37-27-456-436
ابن رشيق : 460-457-451
الشّريف الرّضي : 423-422-421-436-435-434-428-427-426-424-439
رضيّ الدّين الاستـــرابـاذيّ : 164-150-149-199-184-181-170-168-167-166-277-213-215-214-212-208-205-344-327-326-309-308-299-283-402-368-356-354-350-349-346

الرّمّاح بن ميّادة : 94
رمضان عبدالتّوّاب :-302-301-300-309
308-305-304
الرّمّانيّ : 348-168
ذو الرّمّة : 200
- ز -
زبّان بن سيّار : 92
الزّجّاج : 349-286
الزّركشيّ : 267-178-45-34-12-422-378
زفر بن الحرث : 118
زكيّ مبارك : 466-463-462
الزّمخشريّ : -45-38-36-27-7-168-160
151-145-144-47-257-217-
211-210-195-194-181-
169-342-340-327-321-
313-269-259-353-350-
349-346-344-343-423-
422-378-376-373-364-
355-450-448-447-446-
444-428-427-465-456
زهير بن أبي سلمى :-107-29-25-21
382-202
زياد بن أبيه : 26-22
زيد الفوارس : 95-27
- س -
ابن السّرّاج : 158
سطيح الذّئبيّ : 464-22
أبو سعيد الخدريّ : 39
السّكّاكيّ : 460
السّهيليّ : 191-189
سواد بن قارب الدّوسيّ : 464-20
سيبويه : -200-202-7-120-122-153-156
191-179-168-160-158-301-
300-299-284-275-261-208-
308-307-306-305-304-303-
302-402-368-367-352-349-
345-309-403
السّيرافيّ : 179
السّيوطيّ : 366-324-177-150-12
- ش -
شاس بن عبدة : 362
بنت الشّاطىء : -394-362-343-342-12
455-454-448-420-395
الشّافعيّ : 31
ابن الشّجريّ : 346-341-313-176-443-342
شقّ أنمار : 464-22
- ص -
أبو صخر الهذليّ : 459

– ط –

أبو طالب : 175

طه الزّينيّ : 434-435-436-437

الطّبرسيّ : 38-40-344-350-367-445

ابن الطّثريّة : 108-383

طريفة : 21-26-29-44-397

أبو الطّمحان الأسديّ : 24

– ظ –

ظبيان بن كراوة : 48

– ع –

عاتكة بنت زيد بن عمرو : 146

عباس حسن : 8-178-185

عبدالحميد الفراهيّ : 10-12-361-429-445-450

عبدالرّحمن بن حسّان : 26-87

عبدالقاهر الجرجانيّ : 451-460-463-443

عبدالله الجعديّ : 33-345

عبدالله بن رواحة : 33-48

عبدالله بن عبّاس : 45-263-348

عبدالله بن مسعود : 28-204

أبو عبيد : 283

عديّ بن زيد العباديّ : 454

عروة بن الزّبير : 149

ابن عصفور : 177-178-8-151-158-161-163-164-169-170-171-201-208-299-300-301-307-308-309-180-191-302-304

عفّت الشّرقاويّ : 11-12

عفيراء : 21

عقيل بن أبي طالب : 91

أبو العلاء المعرّي : 193

عليّ بن أبي طالب عليه السلام : 218-350-442-41-42

أبو عليّ الفارسيّ : 174-212-213-312-327-342-368-283-378

عمر رضي الله عنه : 25-40-348-373

عمر بن أبي ربيعة : 30-87-100-109-280-385-388-401-113-114-118-119

عمرو بن كلثوم : 99-367

عمرو بن معد يكرب : 106-381

عنترة : 23-107-119-121-145-382-398-401-402-454

– غ –

غويّة بن سُلميّ : 86

– ف –

ابن فارس : 279-281-282-285-286-287

278-277-276-275-274-273-
272-271-270-269-268-267-
266-265-264-263-262-261-
260-259-258-257-256-7
فاطمة بنت الأحجم الخزاعيّة : 90-354
فايز الدّاية : 288
الفرّاء : 376-387-403-426-445-446-448-
352-349-340-386-276-262-196-
188-184-170-168-165-155-150-
37-36-27-22
الفرزدق : 30-112-283-387-460

– ق –

القاسم بن معن : 188
قدامة بن جعفر : 451
القزوينيّ : 451-452-460-465
قسّ بن ساعدة الإياديّ : 21
قيس لبنى : 97-146
قيس بن الملوّح : 46-120-181-398
ابن قيّم الجوزيّة : 449-450-454-456-
448-447-446-444-
422-420-47-12-10-8

– ك –

كاظم فتحي الرّاويّ : 11-12
ابن كثير : 38
كثيّر : 22-24-212-370-460
الكسائيّ : 165-168-380-383-349
كعب بن زهير : 33
كعب بن سعد الغنويّ : 109
كمال بشر : 303-305-307-308-309-
302-301-300-299
الكُميت : 24-90

– ل –

لبيد بن ربيعة : 22-28-114-279-390-
366-269-89-30
ليلى الأخيليّة : 206-340-368-374-395-
191-189-181-175-169-
168-167-148-145-8

– م –

ابن مالك : 191-206-340-368-374-385-
189-181-175-169-168-167-
148-145-8
المبرّد : 217-280-341-349-354-399-
216-204-201-191-175-172-
170-156-152
المتلمّس : 198-363
متمّم بن نويرة : 283
محمّد ﷺ : 378-385-396-400-401-420-
356-353-350-348-345-341-
266-204-175-169-160-151-
149-146-122-117-116-104-

100-99-91-89-45-41-40-39-
38-37-34-32-31-27-25-10
محمّد الأمير : 177
محمّد عبدالخالق عضيمة : 12
محمّد عبده : 442-440-438-343
محمّد محيي الدّين عبدالحميد : 154
المخبّل : 96
المرقّش الأصغر : 29
المسيح عليه السلام : 10
المسيّب : 402
معاوية بن أبي سفيان : 29-25
معن بن أوس : 108
ابن مفرّغ : 46
المفضّل بن سلمة : 403
مكّي : 185
ابن منظور : 437-287-286-285-282-281-
279-278-277-276-275-274-
273-272-271-270-269-268-
267-266-265-264-263-262-
261-260-259-258-257-42-
38-31-7
مهلهل بن ربيعة : 454-380-271-105
ميثم البحرانيّ : 442-441-440-439-438
ميرزا الخوئيّ : 440

- ن -

النّابغة الذّبيانيّ : 384-381-370-362-
211-111-107-95-87-
23
النّجيرميّ : 363-285-283-43-28-26-24-
22-20-12-8
النّحّاس : 324
نُصيب بن رباح : 26
النّضر بن شميل : 349
نوفل بن الحارث : 33

- هـ -

ابن هشام : 377-364-357-355-352-349-
346-342-215-214-213-211-
210-206-199-197-196-195-
194-192-185-183-182-181-
177-170-169-168-167-166-
164-154
أبو هلال العسكريّ : 465-457-451-421
418-258

- ي -

ابن يعيش : 356-313-309-308-307-306-
304-303-301-300-299-208-
205-204-192-187-180-174-
171-164-163-162-161-151-
147-145
يونس بن حبيب : 24

6 - فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة
مقدّمة الباحث	3
تمهيد	7
هوامش التّمهيد	13
الفصل الأوّل : التّطوّر التّاريخيّ للقسم في اللغة العربيّة	18
التّعبيرات التي وردت في الجاهليّة وأقرّت على دلالتها السّابقة في الإسلام	20
التّعبيرات التي استعملت في الجاهليّة وألغيت في الإسلام	30
التّعبيرات التي لم تكن واردة في الجاهليّة واستحدثت في الإسلام	36
التّعبيرات التي تعدّدت وتطوّرت دلالتها القسميّة في الجاهليّة والاسلام	43
هوامش الفصل الأوّل	49
الفصل الثّاني : النّماذج القسميّة في العصرين الجاهلي والإسلاميّ	82
الحروف التي يتصدّر بها القسم	86
أفعال القسم الصّريح	91
أفعال القسم غير الصّريح	96
أسماء ومصادر القسم الصّريح	107
أسماء ومصادر القسم غير الصّريح	108
حروف القسم	116
أدلّة اليمين عند حذف جملة القسم	121
هوامش الفصل الثّاني	124
الفصل الثّالث : الجملة القسميّة في الدّراسات النّحويّة	142
تفسير الجملة في النّحو العربيّ	143
عناصر الجملة القسميّة	147
جملة المقسم به	147
المقسم به	151
جملة المقسم عليه	162

الموضـــوع	الصفحة
الجملة القسميّة من حيث الخبر والإنشاء	177
القسم الاستعطافيّ	179
الموقع الإعرابيّ للجملة القسميّة	182
اجتماع الشّرط والقسم	186
التّغيّرات التي تطرأ على الجملة القسميّة	197
الحذف	197
الاعتراض	209
التّقديم والتّأخير	215
الهوامش والشواهد النّحويّة للفصل الثّالث	220
الفصل الرّابع : دلالة القسم	255
المبحث الأوّل : الدّلالة المعجميّة	256
ألفاظ القسم الصّريح	257
ألفاظ القسم غير الصّريح	261
الأفعال الجارية مجرى القسم	261
الأسماء والمصادر الجارية مجرى القسم	274
هوامش المبحث الأوّل	290
المبحث الثّاني : الدّلالة الصّوتيّة والصّرفيّة	299
الدّلالة الصّوتيّة	299
حروف القسم صفةً ومخرجًا	299
الدّلالة الصّوتيّة لموادّ القسم الصّريح	314
الدّلالة الصّرفيّة	319
فعل القسم	320
المصدر واسم المصدر	324
الإعلال في ألفاظ القسم	325
هوامش المبحث الثّاني	328

الموضـــوع	الصفحة
المبحث الثّالث : الدّلالة التّركيبيّة (النّحويّة)	339
دلالة الحروف التي يتصدّر بها القسم	339
(لا) وجملة المقسم به	339
(أمّا) وجملة المقسم به	345
(كلا) وجملة المقسم به	348
(بلى) وجملة المقسم به	352
(إيْ) وجملة المقسم به	354
(أجلْ) وجملة المقسم به	356
دلالة أفعال القسم الصّريح	358
دلالة أفعال القسم غير الصّريح	364
دلالة أسماء ومصادر القسم الصّريح	381
دلالة أسماء ومصادر القسم غير الصّريح	384
دلالة حروف القسم	394
دلالة أدلّة اليمين عند حذف جملة القسم	400
هوامش المبحث الثّالث	404
المبحث الرّابع : الدّلالة الأسلوبيّة (البلاغيّة)	418
بلاغة الاستعارة والتّشبيه والكناية في أسلوب القسم	420
بعض ما في أقسام القرآن من أبواب البلاغة ولطائفها	429
البلاغة في حذف المقسم عليه في القرآن الكريم	443
بلاغة المطابقة والمقابلة والسّجع في أسلوب القسم	451
المطابقة والمقابلة وظيفةٌ في أسلوب القسم	451
السّجع وظيفةٌ في أسلوب القسم	460
هوامش المبحث الرّابع	467
الخاتمة	481
المصادر والمراجع	488
الفهارس العامّة	500